اللّسانيات وإعادة البناء

وقائع النّدوة العلميّة الدوليّة الثالثة للّسانيات

10 و11 و12 أفريل 2014 بكليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة

إعداد ومراجعة

المنصف عاشور

سرور اللحياني

مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول

كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة

2014

مساءلات موضوعات طبيعيّة وشكلنة سيميائيّة نحويّة عالية التّجريد في خطيّة ودائريّة لولبيّة وطبقات سمات لانهائيّة. تحلّل وتفكّك وتركّب وتعقد. تضمر وتظهر. تفرد وتركّب. تشتقّ وتعمل وتتراسل وتتواصل. تعيد الشّكل فيعود شكلا جديدا لشيء طبيعيّ يتحرّك على منهاج التواسم والتعامل والتشارط والتدالل والتواصل. منهاج سيرورة مبادئ النّظام واطراد أحكامه ومقاييسه لشرح كينونة المعنى وتشاكله. سلسلة تكراريّة تعيد العمليّات النّظميّة الوسميّة من الواحد إلى الثاني ومن الثاني إلى الواحد. تعدية السمات في كلّ التّواجهات والحالات والمواضع. بنية الشكل بنية كينونة وسمة عقل يترامى في القوّة التعامليّة.



ISBN : 978 - 9973 - 085 - 33 - 33 - 7 : ر د م ك

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

مَكْتَبَةُ لِسَانِ العَرَب

أ. علاء الدين شوقي

@lisanarb

مكتبة لسان العرب

اللّسانيات وإعادة البناء

وقائع الندوة العلميّة الدوليـّـة الثالثة للّسانيات

10 و11 و12 أفريل 2014

بكليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة

إعداد ومراجعة :

المنصف عاشور

سرور اللحياني

مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول

كليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة

2014

www.lisanarb.com
مكتبة لسان العرب

الكتاب : اللسانيات وإعادة البناء، وقائع الندوة العلمية الدوليّة الثالثة للسانيات، 10 و11 و12 أفريل 2014.

إعداد ومراجعة : المنصف عاشور وسرور اللحياني.

الناشر : مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول، كلّية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة.

الطبعة الأولى : 2014.

ر د م ك : I.S.B.N. 978-9973-085-33-7

تقـــديم

لا نزعم في هذه النّدوة العلميّة التي نقارب فيها مبحث "**إعادة البناء في اللسانيات**" إعادة بنية اللّغة ولاحاجة إلى تسليط خارجيّ من اللّغة إلى اللّغة في حدود تصميمها. فهي لا تحتاج إلاّ إلى إعادة الصورة في الصورة الشكليّة المشتركة في كلّ الأنظمة من شجرة واحدة.وتجري المقاربات في نطاق مساءلات قديمة في تبرير الأبنية والعلاقات التعامليّة صوتميّة صرفميّة مركبيّة معنميّة تداوليّة تواصليّة. وفي ذلك علم بالعلاقات الوسميّة في تكراريّة العقـــد والوصل بين اللفظ والمعنى. إنّها شكل على شكل وقيود على قيود وتعالق على تعالق.

مساءلات موضوعات طبيعيّة وشكلنة سيميائيّة نحويّة عالية التّجريد في خطيّة ودائريّة لولبيّة وطبقات سمات لانهائيّة. تحلّل وتفكّك وتركّب وتعقد. تضمر وتظهر. تفرد وتركّب. تشتقّ وتعمل وتتراسل وتتواصل. تعيد الشّكل فيعود شكلا جديدا لشيء طبيعيّ يتحرّك على منهاج التواسم والتعامل والتشارط والتدالل والتواصل. منهاج سيرورة مبادئ النّظام واطراد أحكامه ومقاييسه لشرح كينونة المعنى وتشاكله. سلسلة تكراريّة تعيد العمليّات النّظميّة الوسميّة من الواحد إلى الثاني ومن الثاني إلى الواحد. تعدية السمات في كلّ التّواجهات والحالات والمواضع. بنية الشكل بنية كينونة وسمة عقل يترامى في القوّة التعامليّة.

محرّك البرنامج التّام يجري في أجسام طبيعيّة هي من اللّغة لاتجاوز محلاّتها. هي تكراريّة الأشكال يفهم منها جري الحركة في فضاء الأبنية. يتحقّق تعامليّة تأليفيّة قريبة بعيدة داخليّة خارجيّة فرديّة جماعيّة. هي تتشكّل في ابتداء وانتهاء في بنيويّة لانهائيّة. إنشاء فإنشاء وتوليد فتوليد.

اقترحنا لمقاربة "**اللسانيات وإعادة البناء**"، موضوع الندوة العلميّة الدوليّة الثالثة للسانيات التي ينظمها مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول أيام **10-11- 12 أفريل 2014** بكليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، ما يُكوّن المحورين العامين الكبيرين التاليين :

1 – هندسة الأبنية اللّغويّة المتعدّدة الأبعاد وحوسبتها.

2 – قراءة علميّة لسانيّة سيميائيّة في نحويّة الكلام.

منها ما يباشر المسألة –إعادة البناء– من خلال الأبنية المجرّدة ومنها ما يعيد تشكيل عدد من المقولات والمنظومات والمكوّنات ومنها ما يلتزم بمقتضيات الشكلنة والصورنة. والمنجزات من النّصوص متراوحة بين مقاربة الدّلالات والمركّبات والمفاهيم والصّيغ والمقولات والسّمات. فكانت البحوث على النّحو التّالي:

1 – محمد غاليم: السمـــات والوجاهات وهندسة النّحو، جامعة محمد الخامس السويسي بالرّباط (المغرب).

2 – المنصف عاشور: الحالة الإعرابيّة والوسم الموضعي، كليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة (تونس).

3 – الطيّب دبّة: مفهوم النّظام وإعادة بنائه المنهجي في تاريخ اللّسانيات الحديثة، جامعة الأغواط (الجزائر).

4 – جمال بالعربي: مشروع نظريّة اللّغة ومشروعيّة الجبر الغلوسيمي، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية (الجزائر).

5 – عبد الواحد دكيكي: منظور إواليات المعجم تركيب في المستوى التركيبي نموذجا، الكليّة المتعدّدة التّخصّصات بالرشيدية، جامعة المولاي اسماعيل بمكناس (المغرب).

6 – محمد السهول: النّحو الوظيفي الخطابي وبناء نموذج حاسوبي للغة العربيّة، الكليّة المتعدّدة التخصّصات الرشيدية، جامعة المولاي اسماعيل بمكناس (المغرب).

7 – عبد العزيز المسعودي: في المقولات شبه المعجميّة : النواسخ الحرفيّة ودلالاتها الجهيّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانية (سوسة).

8 – ذهبيّـــة حمو الحاج: اللّغة وبناء المفاهيم في الفكر اللّساني الحديث، جامعة تيزي وزو (الجزائر).

9 – محرز بوديّة: في إعادة قراءة النحو العربي، كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية (تونس).

10 – وسام العربي: أثر المعلومة غير اللّغويّة في إعادة بناء الخطاب، المعهد العالي للغات بقابس (تونس).

11– حياة يفرني: ملاحظات في إعادة البناء والاشتقاق الطوري، مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول (تونس).

12 – محمد الفتحي: تفاعل قيود الصواتة والصرف في بناء الفعل، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بفاس (المغرب).

13 – محمد العلوي: البنية الدّاخليّة للفونيم : من التصوّر الكلاسيكي إلى التصوّر الهندسي، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز بفاس (المغرب).

14 – محمد الغريسي: اللسانيات ودورها في إعادة بناء الجملة العربيّة : اللّسانيّات التوليديّة نموذجا، جامعة المولاي اسماعيل بمكناس (المغرب).

15 – سرور اللحياني: اللّغـــة الدّاخليّة وحوسبة البنية النّحويّـــة، كليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة (تونس).

16 – أحمد القابسي: في اقتباس روايات نجيب محفوظ التعبيريّة : علامات متمكنة وعوالم ممكنة، كليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة (تونس).

17 – المنجي القلفاط: الفهم والفهم المضاد في الخطاب: كتاب البخلاء أنموذجا،كليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة (تونس).

السمات والوجاهات وهندسة النحو

محمد غاليم
جامعة محمد الخامس السويسي بالرباط، المغرب

نتناول في ما يلي بعض الجوانب الدالة في مفهومي السمات والوِجاهات (Interfaces) في النظرية اللسانية الحديثة، على العموم، وفي هندسة النحو على الخصوص، باعتبارهما من المفاهيم المركزية المرتبطة بالآليات الجوهرية المستخدمة في وصف الكيانات اللغوية وتفسير سلوكها.

وترتبط بين المفهومين علاقة وثيقة باعتبارين عام وخاص. فالاعتبار العام أن المفهومين ينتميان معا إلى مجال نظري واحد حديث النشأة، هو نظرية *هندسة النحو* (Architecture of the Grammar) التي تعنى بأنماط العمليات والقواعد التي يقوم عليها النحو، وبتخصيص سمات الظواهر التي ينطبق عليها كل نمط، وكيفية تفاعل الأنماط المختلفة بينها، وبتحديد مستويات التمثيل اللغوي وعددها وعلاقاتها الوجاهية ببعضها [1]. والاعتبار الخاص أن هناك سمات لا تُمَحَّض لهذا القالب اللغوي أو ذاك، وإنما هي سمات عابرة للقوالب. وما دام هذا العبور لايكون إلا بفضل الوجاهات، فإن هذه السمات تكون سمات وجاهية بامتياز، كما هو حال سمات الشخص والعدد والجنس مثلا.

نخصص المحور الأول للسمات، وإحالتها على مجموعات محددة من العناصر المجردة التي تشكل هدفا لمختلف آليات التأليف اللغوي (الصواتي والدلالي (الذريعي) والتركيبي) من عمليات وقواعد.

1) انظر كوليكوفر وجاكندوف (2005)، ص. 14.

ونخصص المحور الثاني لإحالة الوِجاهات على المستويات التمثيلية التي يتم فيها هذا التأليف والتي تضمن التفاعل بين مختلف الأنساق أو القوالب.

ونمثل في المحور الثالث لورود بعض السمات الوجاهية في رصد الخصائص الدلالية لبعض المحمولات في اللغة العربية.

1 - عن السمات

تحيل السمات، عموما، على خصائص الكيانات اللغوية بمختلف مستوياتها وأنماطها؛ وتحيل، خصوصا، على مجموعات محددة من العناصر المجردة القابلة للتأليف الذي يمكن من تخصيص الموضوعات اللغوية صواتيا (وصرفيا) وتركيبيا ودلاليا (وذريعيا)؛ فتشكل السمات هدفا لمختلف آليات هذا التأليف من عمليات وقواعد.

وتثير السمات مجموعة واسعة من القضايا النظرية والتجريبية البالغة الأهمية في البحث اللساني الحديث، يمكن أن نشدد منها، على الأقل، على ثلاثة أنواع مركزية كبرى من القضايا، هي قضايا *مادة* السمات، وقضايا *هندستها*، وقضايا *تفاعلها*.

تتعلق قضايا *المادة*، أساسا، بتحديد مختلف طبقات السمات في مختلف مستويات النحو، وحصر لائحة السمات في كل طبقة، وتمييز الكلي منها من الخاص. وهذا يهم أنساق السمات المولدة للكيانات والعلاقات التركيبية، ومنها سمات المقولات التركيبية (الاسمية والفعلية والحرفية والوصفية) والمقولات الوظيفية (كالزمن والجنس والشخص والإعراب والعدد) الخ.؛ والمولدة للكيانات والعلاقات الصواتية، ومنها السمات الصواتية المميزة، الخ.؛ والمولدة للكيانات والعلاقات الدلالية، ومنها سمات المقولات الدلالية (كالأشياء والأحداث والحالات والخصائص والأزمنة والمقادير والمقاصد والفضاءات والأعمال)، وسمات الحقول الدلالية، والسمات الجهية التي تخصص بنية الأشياء والفضاءات والحالات والأحداث على أساس اعتبارات تهم المحدودية والبنية الداخلية والبُعد والاتجاه، الخ [2].

2) انظر بعض التفصيل في غاليم (2007).

وتتعلّق قضايا *الهندسة*، بالكيفية التي تنبني بها السمات في مختلف المستويات، سواء داخل الطبقة الواحدة أو عبر الطبقات. ومن أبرز ما يشمله هذا النوع من القضايا، تحديد أصناف هندسة السمات أو صور انتظامها. كما يشمل، على وجه الخصوص، دور هذه الهندسة في تقييد مختلف العمليات التي يمكن أن تخضع لها السمات كالضم أو النقل أو الحذف أو التعديل الخ، وفي ضبط إمكانات (وأنماط) التأليف بينها.

أما قضايا *التفاعل*، فتهم الاتصال بين سمات وعمليات تنتمي إلى مستويات أو أنساق مستقلة، مبدئيا، بسماتها ومبادئها [3]؛ سواء داخل النّسق اللغوي أو بينه وبين أنساق إدراكيّة ومعرفيّة أخرى، كما سنرى.

تشير الاعتبارات السابقة، على اختصارها، إلى الأهميّة التي تحظى بها السمات في الدّرس اللساني الحديث. وتزداد هذه الأهمية حين نضيف ارتباط هذه الاعتبارات، أيضا، بالموضوع الجوهري المتصل بما هو كلي وما هو خاص في اللغات، وبما هي أنماط اللغات الطبيعية الممكنة. ذلك أنّ الخوض في موضوع توسيط اللغات وتنميطها، يستلزم بالضرورة الخوض في قضايا تمس، من قريب أو من بعيد، مادة السّمات أو هندستها أو تفاعلها.

2 - عن الوجاهات

لقد فرضت التّطورات الحاصلة في العلوم المعرفيّة ذات الصلة الوثيقة بالنظرية اللّسانية، كعلم النفس (الإنساني والحيواني) والعلوم العصبيّة والذكاء الاصطناعي وعلوم الأحياء والتشريح والأناسة، الخ.، على اللسانيات الاندماجَ في مشروع بلورة ما أصبح يسمى *نظريّة صورية للمعرفة*.

وإذا كان من بين مجالات البحث الرئيسة التي تعكس مظاهر هذه العلاقة بين النظريّة اللسانية، من جهة، والتطوّرات المذكورة في العلوم المعرفية، مجال البحث في العلاقة العضوية بين الدّراسة اللغوية الصوريّة، من جهة، والدّراسات اللغوية النفسيّة والعصبيّة، من جهة أخرى، ومجال البحث في بنية الملكة اللّغوية (الصورية والنفسية والعصبية) بالنظر

3) وانظر هاربر وأدجر وبيجار (2008)، صص 25-27.

إلى بنيات باقي ملكات الذهن، فإن منها أيضا مجال البحث في خصائص الوِجاهات الواصلة بين الملكة اللغويّة والملكات المعرفية والإدراكيّة الأخرى.

ويمكن تقسيم الوجاهات، عموما، إلى نمطين أساسا : وجاهات "داخليّة" لغويّة-لغويّة، ووجاهات "خارجيّة" لغويّة-معرفيّة.

يتعلّق النّمط الأول بالصلات التفاعليّة الداخليّة بين مكونات النّسق اللّغوي، المكوّن الصواتي والتركيبي والتصوري (الدلالي). فتفرض هذه المكونات على بعضها قيودا عبر الوِجاهات؛ لتكون البنية النحويّة للجملة انتظاما ثلاثيا : صواتيّا-تركيبيا- تصوريا. وعلى اعتبار أن هذه المكونات (أو القوالب التمثيلية) لا تفهم "لغة" بعضها البعض، فإن التفاعل فيما بينها يتمّ عن طريق نسق من القوالب الوجاهية التي تضمن التواصل بين مستويات الترميز عبر ترجمة جزئية للمعلومات من صورها في مستوى معيّن إلى صورة موافقة في مستوى آخر؛ أي أن القوالب الوجاهيّة تقيم تشاكلا جزئيا بين مستويات المعلومات المختلفة. وبذلك تصبح ملكة اللّغة، من هذا المنظور، قائمة على تفاعل عدد من القوالب التمثيليّة والقوالب الوجاهيّة.

أما النّمط الثاني من الوجاهات فيتعلق بالصلات التفاعليّة بين الملكة اللّغويّة وباقي الملكات الأخرى. وهذه الوجاهات هي التي تمكننا، مثلا، من استخدام أنساقنا الحسّية-الحركية لاستقبال الكلام وإرساله، كما هو الحال في الوجاهين الواصلين بين اللّغة والنسقين السمعي والنطقي؛ ومن استخدام اللغة للتعبير عن إدراكاتنا وأفكارنا، كما هو الحال في الوِجاه الواصل بين المعنى اللّغوي والنّسق البصري (والفضائي)، أو الوجاه الواصل بين المعنى اللّغوي ونسق الاستنتاج الذي تقوم عليه عمليات التفكير [4].

1-2 - الإطار القالبي

لقد تزايد الاهتمام ببلورة تصورات مقيّدة وجاهيا للهندسة اللّغوية في إطار النظريّة التوليديّة، ليصبح مفهوم الوجاهات واردا بقوة في القضايا الشائكة المتصلة بتصميم اللّغة

4) انظر جاكندوف (2002 و2007)؛ وغاليم (2011 أ وب).

واكتسابها وهندسة تمثيلها في الذّهن/الدّماغ البشري (انظر مثلا جاكندوف 2002 وشومسكي 2007).

ومفهوم الوجاهات يوافق تماما مفهومين اعتُبرا نوويين في تخصيص النّحو الكلي، هما مفهوم خصوصيّة المجال ومفهوم المنع من حيث المعلومات؛ وهما مفهومان مركزيان في النّظرية القالبية (انظر على وجه الخصوص فودور 1983 و1984). فالافتراض القائل إن المجالات المعرفية الذهنيّة الأخرى لا تؤثر في العمليات الدّاخلية الخاصّة بقالب ذهني معين، لا يمنع هذه المجالات من أن تعرض معطيات على دَخْله (input)، أو تستعمل معطيات من خَرْجه (output). ومن ثمة يكون هذا النوع من الدمج بين المعلومات المعرفية، سواء أكانت لغويّة أم غير لغويّة، متوقّعا في نظريات الذّهن القالبي. بل إنه أوضح في صيغة النظرية القالبيّة *القائمة على البنية*، كما في نظرية الدلالة التصوريّة (جاكندوف 2002، 2007). ومفاد ذلك أن لكل مستوى من البنية صورته الحصرية الخاصة به، التي لا تتلاءم مع أي مستوى آخر. لذلك فهو "خاص المجال" بالمعنى الذي نجده عند فودور 1983. ووجاهاته مع المستويات الأخرى للبنية، هي التي تقيه من أن يُعزَل وظيفيا داخل الذهن. وهذا يقود إلى صيغة نسبيّة لمفهوم "المنع من حيث المعلومات" عند فودور : أي أن المستوى م1 يكون مانعا (من حيث المعلومات) تجاه مستوى آخر م2، في حدود كون التمييزات داخل م1 ليس لها موافقات مباشرة داخل م2. مثال ذلك أن البنية الصواتيّة أقل منعا (من حيث المعلومات) في علاقتها بالتركيب مما هي عليه في علاقتها بالبنية الفضائيّة، من حيث إن الترتيب الخطي والبنية المكونية في الصواتة توافق عن قرب إلى حد ما الرتبة الخطيّة والبنية المكونيّة في التركيب، بينما العلاقة بين الصواتة والبنية الفضائيّة أقل مباشرة بكثير، وتتوسطها وجاهات فاصلة عديدة [5].

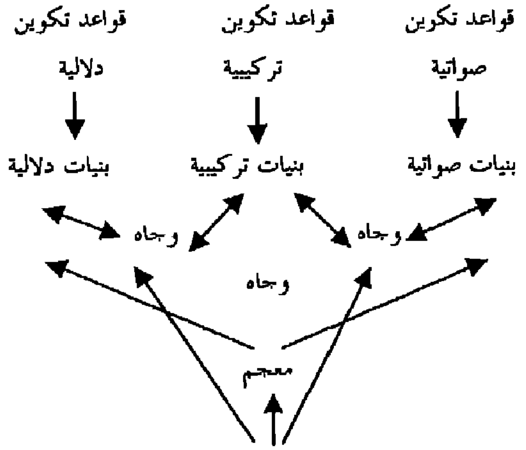
2-2 - هندسات وجاهية

رغم أن أغلب الأعمال اللسانية التي تستعمل مصطلح الوجاه أعمال متأخرة نسبيّا، فقد تم الاستدلال بوضوح على التفاعل الوجاهي بين النّسق اللّغوي وأنساق أخرى منذ أواخر السبعينيات وبدايات الثمانينيات من القرن الماضي على الأقل (جاكندوف 1978 و1983، وشومسكي 1981 و1986).

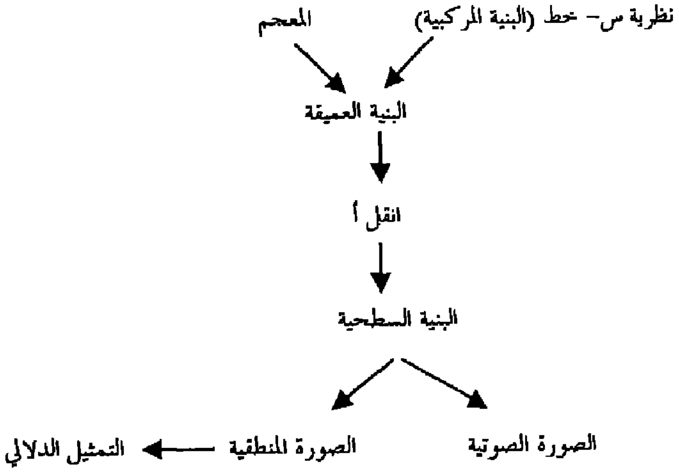
---

5) انظر روثمان وسلاباكوفا (2011)، صص. 568؛ وجاكندوف (2007)، صص 23-24.

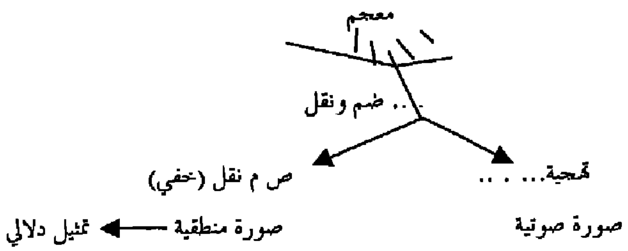
فاستدل جاكندوف (1978) على التفاعل الضروري بين المعلومات النحوية والمعلومات التصوريّة، ليبلور منذ بداية ثمانينيات القرن العشرين إطارا للتوازي النحوي تضمن فيه الأنساق الوجاهيّة تفاعل الأنساق اللغويّة في ما بينها، من جهة، وتفاعل هذه الأنساق اللغوية والأنساق الإدراكيّة والمعرفيّة، من جهة أخرى (جاكندوف 2002 و2007 مثلا)، كما في خطاطة التوازي النحوي التالية التي تقتصر على تخصيص الوجاهات بين المكوّنات اللغويّة، دون الوجاهات الرّابطة بين اللغة وباقي الأنساق الإدراكيّة والمعرفيّة الأخرى.



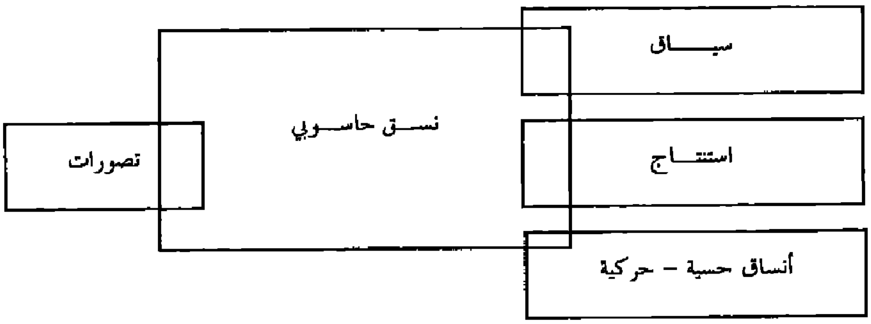
واستدلّ شومسكي (1981) على نظرية لغويّة تستجيب فيها العمليات التركيبيّة بالضرورة للقيود الوجاهيّة المرتبطة بمخرجها الصواتي (الصورة الصوتيّة) ومخرجها الدلالي (الصورة المنطقيّة)، كما يظهر في الخطاطة التالية.



وهو التصوّر الذي نجده، في ما يهمنا هنا من حيث الجوهر، في البرنامج الأدنوي، حيث تأكيد الأهمّية الحاسمة لقيود الخرج العارية [6]؛ وتقييمُ العمليات التركيبيّة بالنظر إلى خرجها، وإلى كون هذا الخرج يستجيب للقيود الوجاهيّة. وبغض النظر عن الكيفيات المختلفة التي يمكن أن يحدَّد بها الوجاه في هذا الإطار المخصوص، فإن التحديدات تشترك عموما في افتراض مجالين : مكوّن دلالي هو الوجاه التّصوري-القصدي، ومكون صواتي هو الوجاه النطقي-الإدراكي، كما يظهر في الخطاطة التالية المحيلة باختصار على البرنامج الأدنوي في شومسكي (1995).



وتدافع رينهارت (2006) عن هندسة وجاهية لغوية تتوسط بين تصور شومسكي (1995) وتصور جاكندوف (2002). فتتبنى، من جهة، الافتراض التقليدي الخاص بمركزية مكون تركيبي نووي، أو نسق حاسوبي، وتفترض، من جهة ثانية، أن هذا النّسق الحاسوبي نفسَه، يتضمن وجاها بين أنساق ذهنيّة مستقلة، تشمل التصوّرات والسياق والاستنتاج والنسق الحسي- الحركي، كما توضح ذلك الخطاطة التالية :



ويجب أن يكون للنسق الحاسوبي، في هذا النموذج، تصميم أمثل يُمَكّنه من التّوسط لنقل المعلومات، بكيفية اقتصاديّة، عبر الأنساق الذهنية، وبشكل يحمِّل الذاكرة والموارد الحاسوبية أدنى عبء ممكن.

---

6) انظر شومسكي (1995) والرحالي (2003).

وحتى لا ننسى الوظيفة الجوهرية الخاصة للغة، المتمثّلة في الربط بين الصوت والمعنى، تجدر الإشارة إلى أنه مهما كان تصوّرنا لهندسة الملكة اللغوية، ولتصور المكون اللغوي النووي "الضيق" ("narrow") فيها، يجب أن تكون هناك درجة كافية من دمج (وتفاعل) المعلومات بين الأنساق القالبيّة عبر الوجاهات لضمان تحقيق الوظيفة المذكورة. وهي وجاهات تتجاوز، كما سبق، التفاعل بين المعلومات داخل النحو (الوجاهات الداخلية)، إلى التفاعل الأساسي بين اللّغة والأنساق الأخرى غير اللغوية (الوجاهات الخارجية)، سواء أكانت معرفية تُجْمَل أحيانا في "الخطاب" و"السياق غير اللغوي"، أم إدراكيّة. ومن ثمة يتضح أن دمج المعلومات بين القوالب الفرعيّة في الأنساق اللّغويّة، من جهة، وبمجالات معرفيّة أخرى، من جهة ثانية، ضروري لجعل التفاعل بين الصوت والمعنى أمرا ممكنا. كما يتّضح، تبعا لذلك، الدور الحاسم الذي تلعبه دراسة الوجاهات في فهم الكيفيّة التي تشتغل بها الملكة اللغويّة. وهذا ما يفسر تعدّد النّظريات اللّغويّة الصوريّة، في العقد الأخير على الخصوص، المهتمة بتخصيص بنية الوجاهات وكيفيات تفاعلها، سواء في أطر التيار التوليدي الرئيس، أو أطر الأنحاء البديلة (بما فيها نماذج التوازي النحوي)، أو أطر تتوسط بينهما بشكل من الأشكال،كنموذج رينهارت (2006) [7].

3-2 – بعض خصائص الروابط الوجاهية

لقد أصبح التفاعل الذي يتم في مستوى مختلف الوِجاهات، ذا أهمية قصوى في أبرز النماذج النحويّة المعاصرة، لكونه يسمح، على الخصوص، برصد أشمل لعدد من الظواهر اللّغويّة الأساسيّة في اللّغات الطبيعيّة وصفت في السابق من منظور أحادي، وبفهم أعمق لهندسة (أو تصميم) ملكات الذّهن/الدّماغ، ومنها الملكة اللغويّة، القائمة على أنساق تمثيليّة مستقلة بسماتها ومبادئ تأليفها، ومتفاعلة عبر الوِجاهات.

ومن أبرز خصائص الرّبط الوجاهي إقامة توافقات جزئيّة بين الأنساق المتفاعلة. ويبرز التفاعل بخصيصته الجزئيّة داخل النّسق اللّغوي بين سمات مكوّنات النحو، في

7) انظر روثمان وسلاباكوفا (2011)، صص 568–570؛ ورينهارت (2006)، ص 8.

مستوى مختلف الوِجاهات، كالوِجاه التّركيبي-الدلالي والتركيبي-الصّواتي والدّلالي-الصّواتي، الخ.

مثال ذلك أن التّرابط بين التركيب والصّواتة، رغم أنه "يرى" بعض الحدود التركيبيّة، لا يعنى بعمق الإدماج التركيبي (فوحدة مثل : *قط*، مثلا، مكون صواتي واحد في الصّواتة (أو كلمة صواتيّة)، لكنها مكونان في التّركيب (أي حد واسم). والبنية التركيبيّة لا تتأثر تماما بالمحتوى القطعي للكلمات التي تنظمها. فليس هناك، مثلا، قاعدة تركيبية لا تنطبق إلا على الكلمات التي تبدأ بباء. لذلك لا تحقق القواعد الوجاهية تشاكلات بين البنيات التي تربط بينها، وإنما تشابهات صورية جزئية فحسب[8].

والوجاه بين التّركيب والدّلالة، مثله في ذلك مثل الوجاه بين التّركيب والصّواتة، ليس تشاكليّا. فبعض مظاهر التركيب لا تحدث تغيّرا في الدلالة. مثال ذلك أن البنية الدّلالية للغة تبقى كما هي سواء وسم التركيب تطابق الفعل والفاعل، أو تطابق الفعل والمفعول، أو إعراب الرّفع والنّصب، أم لا. ومثل ذلك، لا تهتمّ البنية الدلاليّة للغة بما إذا كان التركيب يتطلب أن يأتي الفعل بعد الفاعل (كما في الأنجليزية)، أو في نهاية الجملة (كما في اليابانية)، أو أن يأتي ثانيا في الجملة الرئيسة وأخيرا في الجملة التّابعة (كما في الجرمانيّة). فبما أن مظاهر التركيب هذه ليست مرتبطة بالدّلالة أو يمكن اشتقاقها منها، فإن المكون الوجاهي يصرف النظر عنها.

ومن القواعد الوجاهيّة الأوليّة بين الصواتة والتركيب أن ترتيب الوحدات الخطّي في الصّواتة يوافق ترتيب الوحدات الموافقة الخطّي في التركيب. ومن القواعد الوجاهيّة الأوّلية بين التّركيب والدّلالة أن الرّأس التركيبيّ (كالفعل أو الاسم أو الصفة أو الحرف) يوافق دالة دلاليّة، وأن موضوعات الرّأس التركيبيّة (كالفاعل والمفعول الخ...) توافق موضوعات الدالة الدلالية. ونتيجة هذين المبدأين الوجاهيين الأوليين أن التركيب يتصف، في جزئه الأعظم، بالترتيب الخطي الموروث عن الصواتة ولكن بالبنية الإدماجية الموروثة عن الدلالة [9].

---

8) جاكندوف (2007)، صص 42-44.

9) نفسه، ص 49.

كما يبرز هذا التوافق الجزئي في مستوى الوِجاهات الواصلة بين نسق اللغة وأنساق إدراكية ومعرفية غير لغوية داخل بنية الذهن/الدماغ الشاملة. ففي الوجاه الرابط، مثلا، بين النسق الصواتي والنسق السمعي لإدراك الكلام، الذي يحلل التردد في الإشارة الكلامية والبنية الصواتية للقول، لا تلعب بعض سمات الإشارة الكلامية أي دور في البنية الصواتية ويجب أن تحلل خارجها في أنساق أخرى. وذلك كسمات الطابع الفردي لصوت المتكلم، ونبرته الشخصية، ودرجة تدفق كلامه، الخ. التي تهم الوجاه الرابط بين الإشارة الكلامية والمعرفة الاجتماعية (ومنها المعلومات المتعلقة بالشخص : من هو، وما جنسه، وما سنه، وما علاقتي به، الخ.). فيظهر أن الوجاه الرابط بين سمات النسقين السمعي والصواتي يتسم بنفس الخصائص العامة التي تتسم بها الوجاهات داخل اللغة، أي إقامة توافقات جزئية بين مظاهر بنيات ذهنية منفصلة.

كذلك الأمر في الوجاه الدلالي-البصري الذي يربط، جزئيا، بين معلومات دلالية لغوية ومعلومات بصرية فضائية. فلا يرى سمات في البنية الدلالية كسمات القوة الإنجازية وسمات التأليف الدَّالّي، بخلاف أخرى كسمات الأشياء والأحداث المظهرية وكيفيات حركتها وتفاعلها الفضائي. فكثير من السمات المتعلقة، مثلا، بالفروق في مظاهر الأشياء والأحداث وهيئاتها (كالفروق بين أنواع الكراسي أو بين أنماط أفعال الحركة)، التي قد تدرجها بعض الأدبيات الدلالية في التمثيل الدلالي عن طريق سمات تعريفية، تنتمي في الواقع إلى هذا الوجاه الدلالي- البصري؛ وترتبط بمعلومات بصرية أساسا، أي بنسق إدراكي غير لغوي يوفر صورة للتمثيل البصري ترمز الخصائص الهندسية والموضعية للأشياء والأحداث، ويمكن الذات من تعيينها ومقولتها [10]. فتكون المسألة آيلة إلى الوجاه الدلالي- البصري الذي يسمح بترجمة جزئية لمعلومات بصرية إلى صور لغوية ويمكننا من الكلام عما نراه.

3 - الوجاه بين اللغة ونظرية الذهن، مثال دالة المعاناة

من الوجاهات الرابطة بين اللغة والأنساق المعرفية الأخرى، الوجاه الذي يربط بين التصورات التي تحملها الأقوال اللغوية، من جهة، والمعطيات الهائلة الغنى المكوِّنة لنظرية الذهن (Theory of Mind) من جهة أخرى، باعتبارها الملكة المعرفية المسؤولة عن إسناد

10) وانظر التفاصيل في غاليم (2012).

الحالات الذهنية إلى الآخرين، كالمعتقدات والمقاصد والرغبات، الخ. ونورد في هذه الفقرة مثالا لدور هذا الوجاه في تخصيص سمة دلالية لازمة لفهم نمط من الأوضاع التي تعبر عنها بعض الأفعال، هي سمة دالة المعاناة.

والمقصود نمط مميز من الأوضاع التي تستلزم أخذ الحالة الذهنية لموضوع من موضوعاتها بعين الاعتبار، هو الموضوع المسمى مُعانيا (Experiencer)، في بناء دلالة الوضع. ويعرف هذا النمط من الأوضاع في الأدبيات الدلالية "بالمحمولات النفسية"، نحو : *ظن واعتقد وقصد*، وأفعال الحواس التي تفيد حصول الإدراك وتمامه، مثل *رأى*.

لننظر في المعطيات التالية :

(1) ما فعلته هو أني نظرت إلى/*رأيت الرجل المخطئ

(2) بينما كنت أنظر إلى/* أرى الرجل المخطئ دخل زيد

يبدو، باستثناء سياقات ذريعية خاصة، أن فاعل *نظر إلى*، في (1)، عامل وليس كذلك فاعل *رأى وأنظر إلى*، في (2)، تقبل جهة التدرج، وهي خاصية تغلب في الأعمال، بينما لا تقبل ذلك *رأى*. وهذا يشير إلى أننا أمام تقابل بين فعل حالة، هو *رأى*، وفعل حدث (أو عمل) هو *نظر إلى*.

وهذا التقابل شائع في اللغات، وتعززه روائز عديدة [11]، يُستنتَج منها أن الوضعين (*رأى ونظر*) يقومان على اتصال بصري بين مدرِك ومدرَك، فتبقى الأدوار في الصف المحوري هي نفسُها في الفعلين *رأى ونظر*. ونفترض أن هذا الصف يتضمن دالة ترصد ما هو مشترك بينهما هي : س **أدرك** بصري ص، (أي : "س أدرك ص بحاسة البصر").

لكن الاختلافات الواردة تتعلق بصف الأدوار الكبرى الذي نفترض فيه دالة جديدة، هي : س **عاني** ص (X Experiences Y)، حيث الموضوع الأول **معان** والموضوع الثاني **منبه**. وبذلكنفترض، في مستوى هذا الصف، أن *نظر إلى* تقوم على الدالة : **أثّر**، في حين تقوم *رأى* على الدالة **عاني**.

---

11) انظر التفاصيل في غاليم (1999 و2010).

ويظهر التمثيل لدالات الصف المحوري وصف الأدوار الكبرى كما في (3) :

(3) أ – س نظر إلى ص

س أدرك بصري ص

س أثر

ب – س رأى ص

س أدرك بصري ص

س عانى ص

ومن الفروق التي تنتج عن تمييز دالة الرؤية : **عانى**، من دالة النظر : **أثّر**، أن الأولى تجعل من الجملة جملة ساكنة، تصف، كما في (2)، معاناة وليس نشاطا. في حين تجعل الثانية من الجملة جملة نشاط. وفي هذا السياق يبدو أن *نظر* تشبه فعلا مثل *أشار إلى*، والاختلاف بين فعل النظر وفعل الإشارة إنما يكمن في أن الأول توجيه للعين في حين أن الثاني توجيه للأصبع. أما *رأى* فتفترض وعيا بالمرئي (أو وصولا إليه). ومثل هذه الفروق هي التي تجعل من *رأى* فعلا للتمثيل الذهني مثل *اعتقد*، و*قصد*، و*فهم*، الخ.

إن خصائص النشاط والحالة التي تميز *نظر إلى* من *رأى*، تصدق كذلك في *أنصت*و*سمع*، مع تغيير حاسة الإدراك إلى السمع. أما *ذاق* وشم و*لمس*، فلكل فعل منها الاستعمالان معا : استعمال النشاط وتدل عليه، فيصف الأدوار الكبرى، **أثر**؛ والاستعمال السكوني وتدل عليه **عانى**.

ولتمييز **أثر**من**عانى** أهمية أخرى تكمن في علاقة اللغة بأنساق ذهنية أخرى. وذلك أن "الإحساس" بالمدركات يخصصه نوعان من السمات. تتعلق الأولى بكونه داخليا، كالصور الذهنية، أو خارجيا كالمدركات؛ وتتعلق الثانية بكونه ناتجا عن مبادرة ذاتية، كالحالات الذهنية الإرادية، أو ليس كذلك، كالحالات الذهنية غير الإرادية. بناءا على هذا يبدو أن التأليف الدالي : **أدرك+ عانى**، يرمز البناء التصوري "لإحساس" المعاني بعلاقته بالمدرَك؛ فيكون هذا الإحساس، الوارد في تمييز الرؤية من النظر، مخصصا بالسمتين : [+ خارجي، – مبادرة ذاتية]. أما الحاسة المسؤولة عن المدرَك فيشار إليها بسمة تنعت الدالة : **أدرك**، كما سبق.

لكن **أدرك + عاني** لا تستعمل فقط للإحالة على الإدراك الذاتي، بل لإسناد الإدراك إلى الآخرين أيضا. وبعبارة أخرى، فإن هذا التأليف الدالي جزء من نظرية الذهن التي تتعلق بالقدرة على إسناد المعتقدات والرغبات والمقاصد إلى الآخرين، أي منحهم "حياة ذهنية". وهي نظرية أوسع من نظرية الملكة الاجتماعية من حيث إننا يمكن أن نسند "حياة ذهنية" لكائنات غير بشرية كذلك. ويعود مفهوم نظرية الذهن إلى السبعينيات في بحث لبريماك وودراف (1978) بعنوان : "هل يملك الشامبتزي نظرية للذهن ؟".

وبخلاف هذا، يعبر التأليف الدالي : **أدرك + أثر**، عن الفعل *نظر*، الذي يحيل على عمل يمكن أن يلاحَظ خارجيا؛ إذ من الممكن أن نحدد ما ينظر إليه الشخص دون أن نعرف هل يراه (أي : يعانيه) أم لا. وبذلك تكون الدالة الرئيسة لوصف المعاناة هي **عاني**. والذات التي لا تملك هذا المحمول، يمكنها أن تعيش تجربة الإدراك (أو تجربة الواقع)، أي تمتلك معاناة المدركات، لكنها لا تستطيع إسناد هذه المدرَكات إلى الآخرين أو نفيَها عنهم، ولا التفكير فيها سواء أكانت ذاتية أم تعلقت بالآخرين (وهاتان المهمتان هما بالضبط موضوع نظرية الذهن)، لأنها لا تملك التصور الضروري لذلك.

والخلاصة أن الطبيعي لدى البشر أن الشخص الذي ينظر إلى شيء معين يعانيه بصريا كذلك، والعكس صحيح. لكن هناك استثناءات. فيمكن للشخص أن ينظر إلى شيء دون أن يراه فعلا؛ كما يمكن أن تكون للشخص هلوسات أو تخيلات بصرية "فيَرى" دون أن ينظر إلى أي شيء. لذلك نفترض القاعدة التالية التي تربط بين النظر والرؤية [12]، وتقوم على استنتاج بالخلف (أو بالغياب) في الاتجاهين :

(4) [س **ادرك** بصري ص ⟷ س **أثر** س **عاني** ص] [بالخلف س **أدرك** صري ص]

---

12) انظر جاكندوف (2007)، صص. 205-207؛ وغاليم (2010).

مراجع البحث

1 - المراجع العربية

- الرحالي، محمد 2003، *تركيب اللغة العربية، مقاربة جديدة*، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

- غاليم، محمد، 1999، *المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي*، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. (أعيد طبعه في دار : عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، سنة 2010).

- غاليم، محمد، 2007، *النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحاليل جديدة*، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

- غاليم، محمد، 2010، "بعض خصائص الأوضاع، مثال موضوع *المعاني*"، بحث قدم إلى الندوة الدولية الثانية حول : "اللسانيات العربية المقارنة"، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، يومي 5 و6 ماي 2010. (غير منشور).

- غاليم، محمد، 2011 أ، "مرجعيات معرفية في النظرية اللسانية التوليدية"، ضمن كتاب : *المرجعيات في النقد والأدب واللغة*، إشراف : ماجد الجعافرة وأمجد طلافحة، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن.

- غاليم، محمد، 2011 ب، "هندسة التوازي النحوي وبنية الذهن المعرفية"، ضمن كتاب : *آفاق اللسانيات، دراسات- مراجعات-شهادات، تكريما للأستاذ الدكتور نهاد الموسى*، إشراف : هيثم سرحان، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

- غاليم، محمد، 2012، "التمثيل الفضائي وإنتاج المعنى"، بحث قدم إلى الندوة الدولية حول : "الفضاء في الآداب والفنون"، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، تونس، أيام 6 و7 و8 دجنبر 2012. (غير منشور).

2 - المراجع الأجنبية

- Chomsky, N., 1981, *Lectures on Government and Binding*. Foris Publications, Dordrecht, Holland.

- Chomsky, N., 1986, *Knowledge of Language : Its Nature, Origin and Use*. Praeger, New York.

- Chomsky, N., 1995, *The Minimalist Program*. MIT Press, Cambridge, MA.

-Chomsky, N., 2007, "Of Minds and Language", *Biolinguistics* 1, 9–27.

- Culicover, P. W. and Jackendoff, R., 2005, *Simpler Syntax*, Oxford University Press.

- Fodor, J.A., 1983, *The Modularity of Mind. An Essay on Faculty Psychology*. MIT Press, Cambridge.

- Fodor, J.A., 1984, "Observation reconsidered", *Philosophy of Science* 51, 23–43.

- Jackendoff, R. 1978, "Grammar as Evidence for Conceptual Structure", in : Halle, M., Bresnan, J. and Miller, G.A. (eds),*Linguistic Theory and Psychological Reality*, MIT Press.

- Jackendoff, R. 2002, *Foundations of Language, Brain, Meaning, Grammar, Evolution,* Oxford University Press.

- Jackendoff, R. 2007, *Language, Consciousness, Culture, Essays on Mental Structure,* MIT Press.Reinhart, T., 2006, *Interface strategies : Reference-set computation*. MIT Press, Cambridge, MA.

- Rothman, J. andSlabakova, R., 2011, "The Mind-Context Divide : On acquisition at the linguistic interfaces", *Lingua* 121, pp. 568–576.

الحالة الإعرابية والوسم الموضعي

المنصف عاشور
كلية الآداب والفنون والانسانيات منوبة، تونس

0 - مقدمات في نطاق الإعراب والعمل والنظرية النحوية الحديثة

0-1 – كلم مفاتيح صادرة عن تأليفية عامة لتطور مفهوم المقولة في النظريات النحوية قديما وحديثا وإعادة بناء المفاهيم والأقوال والجمل والمركبات.

إعراب - عمل - عامل - معمول - محلّ - موضع - حال رفع... حالة إعرابية - بنيوية - دلالية - معجمية - محورية - حيّز عاملي - عمل - ربط - توليدية - مطابقة - نقل - نظم - وسم - مقولات وظيفية - دلالات نحوية - موضعية - نحو كلّي - نحو عربي - لفظ - معنى - واجب وغير واجب - عمل لغوي - عمل تواصلي - متكلّم - مخاطب - تكرارية - اشتقاقية - دورية - طورية - حوسبة اللسان البشري.

0-2- تطور الإعراب والعمل

نقصد أطوار النظرية من خلال رصد المصطلحات والمفاهيم الدالة على التنظير والتّفسير. وينشأ عن ذلك تغيّر المفهوم من منوال إلى منوال آخر ونظرية جزئية إلى أخرى وتحرّك هذه الأطوار بتحرّك النظرية متى افترضنا أنّ الإعراب والعمل بعد كلّي ووجه من أخصّ وجوه مجرى الدلالات في أبنية الجملة وتصميم مركباتها وهندسة محلاتها وانتظام أحيازها واسترسال مواضعها.

ولا ريب أنّ الإعراب والعمل مبدأ كلّي يتحقّق شكليا في صور تمثيلية مختلفة باختلاف الأنحاء واللغات المخصوصة وهي التي تجسّد تنقّله وتبدّله وتؤكّد مواضعه وتمامها

النحوي. فالتطور نطاق وموقع يجري فيه المفهوم الكلّي. ويستلزم ذلك منطلقات افتراضية نجملها في التالي :

1 – نفترض أن اختلاف "المواضع" أبرز مجرى يتجلّى فيه تطور الإعراب والعمل.

2 – نفترض أنّ لكلّ نحو تصميما وهندسة بها يفسّر توليد الدلالات النحوية.

3 – نفترض أنّ الإعراب والعمل معنى والمعنى سمات نحوية تتحيّز في بعد فضائي هو الموضع العاملي.

4 – نفترض أن نحو اللغة الطبيعية يندمج في نحو طبيعي وضرب من الدلائلية، السيميائية العليا تجمع مختلف الأنظمة الفرعية المسيّرة بالعلامات والعلاقات في نحو الكون المادي، وليس نحو اللغة المنجزة إلا صنفا مخصوصا من إعراب الكون. ومن إعراب الكون التام يتولّد إعراب اللغة النّاقص وبينهما تلازم وتواصل واسترسال. فما في النظام النحوي – ما في الذّهن يسقط في الكون الخارجي وما في الكون الخارجي يسقط في النظام النحوي المجرّد – أو في موضع المواضع المعنوية أي في عرفان المتكلم والمخاطب في حركة لا تنتهي في توليد الدلالات.

5 – نفترض أن الإعراب والعمل يرتهن بتصور المكان والزمان واعتماد البعد الموضعي وما يجري فيه من حركات وتحولات وتشغيل مركبي وترسيم دلالي وتعيين وسمي. وذلك ما لا عنوان له – حسب لفظ أرسطي – أو هو جسم يجـــري ليوسم بلونه – الكلام والإعراب – ليولد أو ليشتق الدلالات في وسمية معنوية للفائدة لا تنتهي حركتها الموضعية.

6 – قد احتكم النحوي منذ القديم إلى تسليط الحركة المعنوية على مختلف الأحياز في بنية أكبر الأبعاد الفضائية الممثّلة للإعراب والعمل أي بنية الجملة. واعتمدت "أكبر المواقع" المحتاج إليها في تأليف الكلام وعقده ونظمه ووسمه ليصحّ بها البيان عن المعنى. وليس المعنى النحوي الناشيء عن الإعـــراب والعمل إلا بعدا موضعيا أو كونا أو كينونة – في لفظ سيبويه – للشيء أن يتموضع أو يتمكّن في حيّز من الأحياز. فالعمل والإعراب سمة المتمكن وغير المتمكن في الموضع والتواجد فيه على جهة من الجهات الدلالية.

7 – ونفترض أنّ الإعراب والعمل من القديم إلى الحديث يؤكّد مبادئ اشتغال الذهن واشتغال الكون الطبيعي. ويخضع للعمل والحركة والاحتياج التعلّقي والابتداء والانعقاد والإخبار والإسناد. فما يجري في بنية الجملة يجري في الذهن وما يجري في الذهن والنفس يجري في الكون على أسس وقيود موحّدة. وما حدث في النظرية الحديثة إنّما هو خطاب علمي نحوي جديد الصورة الشكلية ثابت الصورة المبدئية العامة مسألته الباقية عقد اللفظ بالمعنى ونجاعة تفسير ما بينهما من علاقات واختيار أشدّ الأنحاء والنظريات نجاحا وأفضل المقاربات وأكملها في وصف المعلومات النحوية وتفسيرها. ونفترض أن النظرية في الإعراب والعمل تطوّرت من جهة استرسال الوصفية والتفسيرية. وما ذلك إلا وجها من وجوه محاولة فهم خاصية الجنس البشري في تفاعله الطبيعي مع اللغة.

1 – نطاق الإعراب والعمل وتطوره

1-1 – انتقال الإعراب بين المعنى واللفظ : حركة نحوية دالة

نقرّ في هذا المقام بأنّ الإعراب صفة النحو الإعرابي والإعراب علاقة اختلافية. إذ هو اختلاف أواخر الكلم الأسماء باختلاف اقتضائي هو اختلاف العوامل. ويتحكم في الإعراب مولّد المعاني ومسبّبها أي العامل. وقد عيّنه النحاة منذ القديم في النظرية النحوية العربية بكونه ما يتقوّم به المعنى المقتضى. وتشتقّ أحوال الإعراب من رفع ونصب وجرّ وجزم – مجاري أواخر الكلم عند سيبويه في الباب الثاني من الكتاب – وهي إشارات ورموز في غاية التجريد تلخّص حصيلة المعاني المحكومة بالنواة العاملية : عامل ومعمول، تلك العلاقة المنعقدة في الأبنية والمركبات والجمل.

1-2 – العمل علاقة توليدية معنوية

موضعه سمات تنشأ في العلاقات الإعرابية التركيبية. وينقسم العمل ينقسم إلى معنوي ولفظي. رغم أنّ النحاة العرب قد صنفوا العوامل إلى هذا التصنيف فقد أكّدوا معنوية المظهرين والصّنفين. فحتى العوامل اللفظية عندهم سمات معنوية. وأفضى العمل إلى اعتبار عامل العوامل أي المتكلم هو الموجد للمعاني بل هو جزء من حركة بنيوية إعرابية ويكمن وراء مواضع الجملة في إجراءات إضمارية وإظهارية. ووضعوا تصميما مفيدا

لمثلث عاملي نعتمده من كتاب رضي الدين الاستراباذي - شرح الكافية - ويتكوّن من الاسم محلّ العمل والآلة العامل وموجد العلامات والمعاني وهو المتكلّم. وتشتقّ من هذا المثلّث مختلف الدلالات النحوية.

2 - أيّ دلالات نحوية تشتقّ عامليا ؟ موارد السمات النحوية : مواضع

نصطلح على الدلالات النحوية التي عيّنها النحاة العرب. وهي ثابتة في مختلف الاتجاهات والنظريات النحوية الحديثة من بنيوية ووظائفية وتوزيعية وتحويلية توليدية وغيرها. فالدلالة النحوية - والمصطلح في الانقليزية والفرنسية يناظر ما يعرف في مجال النحو العربي - أصناف.

2-1- الدلالات المعجمية الصرفية الصيغية (الاسمية والحرفية والوصفية والحدثية...)

2-2- الدلالات المطابقية التصريفية (العدد والجنس والتعيين...)

2-3- الدلالات الوظيفية التركيبية (فاعلية ومفعولية وإضافة...)

2-4- الدلالات المحورية (الموصوف والصفة والزمانية والآلة والهدف والكمية والاستفادة وغيرها).

2-5- نحوية الدلالات التخاطبية والأعمال التواصلية.

تقترن هذه الأصناف من الدلالات بما نصطلح عليه "بالمواضع النحوية" أي مجموع السّمات المتنقّلة أثناء الوسم المتسلسل في بنية الجمل والمركبات. وتصدر هذه السمات من كلّ المنابع والموارد الإعرابية. وهي سمات مطلقة مجرّدة تتعيّن بمقاديرها خلال التحقّق في مختلف تلك الأنواع من العلاقات أو الدلالات النحوية (الأصناف الخمسة السابق ذكرها).

وما ذكرناه يتواجد في النظرية الحديثة في مجال الإعراب والعمل.

3 - تنطلق النظرية الحديثة - المتّصلة بتطورات البحث اللساني ومدارسه ومناويله ومقارباته من الإعراب والحالات الإعرابية (Cases) والعمل والتحكّم (Rection / Government)

والرفع (Nominative) والنصب (Accusative) والجرّ (Genitive). فالحالة الإعرابية من اليونانية واللاتينية والعربية ثمّ إلى النظريات البنيوية والتوليدية حافظت على معنويتها (انظر خاصة ما حدث من تغيّرات مع فان همبولدت في معالجة اللغة والحالات في الباسكية ومعالجة الدانماركي يالمسلاف 1935 / 1937 في كتاب حاسم في تطور الإعراب والعمل وهو كتاب : La catégorie des cas - 1972 ؛ ومختلف ما كتبه ز. هاريس حول قيود الإعراب والتعلّق 1951 و1976 و1991، ومراحل التوليدية التحويلية مع ن. تشومسكي ومدرسته. وخاصة في نظرية العمل والربط والأدنوية والاشتقاق الطوري : 1981 و 1982 و1995 و2008 و2012).

4 - نذكر في هذا المقام أنّ النظرية التوليدية التحويلية قد حسمت في أعمال كثيرة تفرّعت عن كتابات تشومسكي مستويات الدلالات الإعرابية. فثمّة حالة إعرابية وظيفية تركيبية وحالة دلالية وحالة معجمية وحالة محورية وحالة مقامية تواصلية.

4-1- حالة معجمية : اسم فاعل، اسم مكان، اسم آلة...

4-2- حالة دلالية : أسماء جواهر وأفعال عوارض...

4-3- حالة وظيفية تركيبية : فاعل، مبتدأ، مفعول مطلق، مفعول به مفعول فيه...

4-4- حالة محورية : منفّذ، غاية، مستفيد، آلية، سببية، تسويرية...

4-5- حالة مقامية تواصلية : عمل مباشر، غير مباشر، خبري، إنشائي، واجب وغير واجب...

وينبغي التمييز بين هذه الأنواع الجارية مقترنة متواصلة في الأبنية الإعرابية إذا أردنا فحصها فحصا صريحا في أنماطية معيّنة.

5 - الإعراب والعمل في اللسانيات الحديثة

5-1- نظرية محلّية بنيوية عند يالمسلاف 1937 / 1935

إنّ الأرضية المرجعية التي استند إليها الدانماركي يالمسلاف في نظرية الإعراب تتوضح تاريخيا إذ قد انطلق من نظريات محلّية رواقية قديمة. ولم يذكر ما حقّقه النحاة العرب في هذا الباب إلا بعض الإشارة – في كتاباته الأخرى – إلى ما اعتبره تعقيد معنى

الجنس - المذكر والمؤنّث - أو ما اصطلح عليه بالحالات (States) وهو يقصد الحالة الإعرابية من رفع أو نصب أو جرّ.

وتقوم المحلية على أبعاد الصّفر والقرب والبعد أو على حالة عامة هي الرفع. وقد أشكلت هذه الحالة في تصنيفها - والقضية طرحت قديما عند النحاة العرب - وعالجنا ذلك في ظاهرة الاسمية 2004/1996 - تونس - فهي بداية البدايات لكلّ الأسماء والكلمات أو الدّرجة الصفر المطلقة ثمّ يتولّد النصب والجرّ بمقتضى الابتعاد في مواضع الجملة ومحلاّتها. ابتعاد مرهون بالعوامل المتحكّمة في العلاقات التركيبية.

- الرفع ← Ø

- النصب، الجرّ ← جوار، بعد

فالحالة الفاعلية حيادية والنصب قريب يجاور الرفع والجرّ يبتعد عن الرفع والنصب. وليست الحالة عند يالمسلاف إلاّ علاقة بنيوية بين عنصرين (1935 - ص 127). ويجمع الحالة الإعرابية بين علاقة بنيوية وبعد شكلي يؤلف بين المفاهيم المجرّدة والمواضع التي تجري فيها هندسة البنية الإعرابية.

2-5 - نحو العلاقات والقيود والنحو المقولي عند هاريس

يمثّل النحو التوزيعي التحويلي مرحلة أساسية في اللسانيات البنيوية. وقد عالج هاريس (1909 / 1992) الجملة والمركبات والمفردات في الخطاب وحلّل المكوّنات على أسس نظامي الإسنادية والتكرارية المركبية. وأنشأ مقاربته المقولية في ثنائية العامل والمعمول حسب تصوّر مخصوص Operator / Argument (O / A) واشتق مختلف المركبات بمقتضى قيود الإسناد والاشتقاق ومعاودة إرسال ثنائية عا x مع وتكرارها واختزالها في أصناف المركبات المستعملة في نطاق الجملة. ويعتبر تواتر هذه النواة من قبيل الثنائية بين الإضمار والإظهار. فالمركبات المحتملة تولّد علاقات وظيفية وأحوالا إعرابية مسترسلة منها :

1 - عامل x اسم

2 - عامل x اسم 1x اسم 2

3 - عامل x اسم 1x اسم 2x اسم 3

ولا شكّ أن المتأمل في إعراب هاريس (1976) يلحظ أنّ الحالة الإعرابية صنف تركيبي صريح يتجلّى في مستوى أبنية تحويلية موزّعة على محلات الجملة. فالحالة في نظريته البنيوية علاقة سياقية تؤدي إلى اشتقاق مختلف الوظائف وسماها الشكلية في مستوى الصورة السطحية لا غير. وتتحكّم بمجموعة من القيود constraints (1988 و1991) في أنماط التركيب. ويمكن أن نخلص إلى أنّ الحالة الإعرابية عند هاريس ضرب من التعالق البنيوي التحويلي وهي حصيلة سمات تتولد من هذه القيود وتقتضي تحقيق الدلالات النحوية حسب هندسة كلية جارية في كلّ اللغات الطبيعية.

3-5 - « نحو الحالات الإعرابية » عند فيلمور وتطوره المعجمي الدلالي (1967 - 1968)

لقد أسّس فيلمور في المدرسة التوليدية وجهة دلالية معجمية وعيّن المفاهيم في نطاق دلالي معجمي وصنّف الأفعال العاملة في الجملة بحسب ما تتّسم به من سمات معجمية تمييزية. ووضع تصنيفا للأدوار الدلالية كالفاعلية والمفعولية والآلية والظرفية والغاية. وهي كلّها دالة على مضمونها المعجمي وهي تقتضي ما تقتضيه من متعلقات لازمة - انتقاء الفعل لمستلزماته ومقتضياته - ويجري هذا التمثيل النحوي في مستوى البنية العميقة. وينجز الحالات في البنية السطحية المشيرة إلى المعنى. فتجري العلاقة الإعرابية شكلا موضعيا في معالم الجملة الظاهرة. ففي كلّ بنية موضعية صورة مضمرة وتمثل خفيّ يشترط تواجد الفعل العامل ومجموعة من المعمولات الاسمية هي الموضوعات. ويولّد ذلك الحالات (Cases) أو الأدوار الدلالية المعجمية. وقد صنّفها في ستّة أدوار هي : الفاعلية والمفعولية والغاية والمكانية والآلة والمصاحبة.

فالسمات العاملة تحدّد الحالات الإعرابية بين البنية العميقة والبنية السطحية. وهي حالات تطورت نحو المزيد من إبراز الكليات في المقاربة النحوية. وقد يفيد ذلك الأنحاء والألسن - بما وضعه من جهاز مفهومي واصطلاحي - ما يؤسّس التصنيفية اللسانية

لمختلف اللغات الطبيعية بالاعتماد على الحالة الإعرابية المعجمية. ويندمج هذا التوجّه في النظرية النحوية في تأكيد محورية النحو ومقولة الحالة الإعرابية الدلالية لتفسير الأبنية الشكلية وبلورة نزعة تدعم البنية العميقة في اشتقاق المركبات والجمل والدلالات. وتطرح هذه النــزعة بعدا من أبعاد التباس الحالة العميقة الدلالية بالحالة التركيبية السطحية والأدوار المحورية والوظيفية النحوية في معناها العاملي المحض.

5-4 - العاملية والنحو المنظومي والأدنوية التشومسكية

كوّن النحو التوليدي في مرحلة العمل والربط (1981) منظومة تقع فيها الحالات الإعرابية نظرية فرعية من بين النظريات الأخرى المفسّرة للملكة اللغوية. ويترع إلى تأليفية مختلف الأجزاء في نطاق الحالة الإعرابية والعلاقة العاملية.

5-4-1 - الاشتقاق الإعرابي والتوليدية (1955)

لا شـــكّ أنّ ثوابت النحو التوليدي هي اشتقاق المركبات والجمـــل على وجه غير متناه من الفائدة. ويجري هذا التوليد أو الاشتقاق الإعرابي من أصغر المركبات إلى أكبرها (البنية المنطقية 1955 ص ص 24 - 25 - 26). فالعلاقة الإعرابية سمات تتمثّل في أشكال متنوّعة. والوظائف مواضع مناسبة للمكوّنات المباشرة في المشجّر النسقي المصوّر للبنية العميقة.

وتمكنت التشومسكية من توليد الحالات والأدوار المحورية بفضل التحويلات ثمّ توسّعت المقاربة إلى عمليات التّنقل (نقل الاسم ثم نقل السمات مع المنوال الأدنوي). وإرسال العامل المتحكّم في الرفع والنصب والجرّ في أحياز المطابقة والنظم وإجراءات تصميم الأبنية الإعرابية والوسم الإعرابي.

5-4-2 - العاملية والأدنوية وما تطرحه من قضايا

فجّـــرت الأدنوية (1993، 1995) بكتـــاب «البرنامج الأدنوي» (Minimalist Program) ثورة النحو البيولوجي العرفاني الثالثة (بعد 1955 و1981) وإن كانت استرسالا للمراحل السابقة. وتبلورت فيها نظرية الحالة الإعرابية ونظرية س (الرأس والمخصص وما

بينهما من علاقات ومطابقة ونقول سمات) وتفرّعت عملية الاشتقاق النظمي والوسم ونقل السّمات في صورة اقتصادية أقل كلفة.و تميزت حوسبة اللسان البشري بتراسل سلاسل نظمية وطبقات وسمية غير نهائية تكرارية دورية (ترجمة البرنامج الأدنوي قيد الطبع. لبنان.2015).

5-4-3 - الحالة الإعرابية سمات شكلية : نقل وسمي

حدثت تطورات نحوية في التوليدية وبلغت النظرية الإعرابية العاملية بعد 1981 مرحلة اقتصادية في مشروع برنامج تبدو فيه الحالة الإعرابية المتّصلة بالعمل والتحكّم موحّدة لمختلف عناصر النظرية الإعرابية. فالوظائف النحوية منذ 1995 إلى شروح الأدنوية اليوم سمات تجري موضعيا وتجاور ما يصطلح عليه بالأدوار المحورية التي اعتبرت حقائق موضعية علائقية.

ورصدت الحالة الإعرابية من رفع ونصب وجرّ في الألسن وفسّرت طرق العقد بين المعمولات وعواملها. فالفاعل المرفوع سمة الشيء الذي يوجد بموضع الرفع والمفعول مايكون موسوما بالنصب في موضع المفعولية. والمجرور كونه يوجد موسوما بسمة الجرّ. فالحالـــة الإعرابية شبكة سمات تجري في مواضع معيّنة وليست الوظيفة عند الأدنـــويين إلا الوجود بموضع الرفع وغير الرفع. ويجري نقل السّمات – الأحوال الإعرابية – في بنية الجملة.

5-4-4 – تمثيل المطابقة في بنية الجملة

يمكن التنازع والخلاف في اعتبار الحالات الإعرابية سمات والأدوار المحورية مواضع علاقات. ونفترض في هذا المقام أنّ النحو العربي والنحو اليوناني والرواقي قد توضّحت فيها مقولة الإعراب باعتباره معنى أو مجموع سمات ودلالات نحوية تندمج في الأدوار المحورية. ونعتقد أن الجملة هي حيّز الأحياز وفضاء عملية النّقل والمطابقة في السمات الشكلية والتصريفية (من عدد وجنس وتعيين). فبين الاسم وما يقترن به علاقات تتوضّح في مستويات مطابقية متنوّعة. وتصدر هذه المطابقة من جميع جهات المكوّنات المباشرة

للبنية : سمات صرفية اشتقاقية وسمات معجمة وسمات وظائفية وسمات دلالية بل ومقامية تواصلية. ففي :

ج : الأطفال يلعبون

طبقات سمات بينها تناسق ونظم وتوزيع متكامل يولّد المشتقات الإعرابية أي الجمل ومركباها.

5-4-5 - تطور الحالة الإعرابية والأدوار المحورية والسمات الشكلية وإشكالية الاسم التام والناقص

وذهبت التوليدية ببرنامجها - وهدفها فهم اشتغال الذهن عند استخدامه اللغة واشتغال اللغة داخليا - إلى تأكيد المبادئ والمقاييس الكلية والمخصوصة في الألسن لكنّها طرحت في تصميم السمات أي الحالات الإعرابية في نظرنا، مشاكل في عدد من النماذج من قبيل تفسير المضمرات المبهمة وتمثيلها الإعرابي.

والمضمرات أسماء ناقصة يستلزم اشتقاقها وصف الأبنية وسميا وتمثيل أكثر ما يمكن من الجمل في أكثر ما يمكن من اللغات. فالجمل من قبيل.

- It is raining.

- There is a man in the room.

و : هو زيد يقدّم الكتاب.

إنّها الأيّام تجري.

يبدو أن تشومسكي في اشتقاق الجملة من هذا الصنف قد طرح شكل سمات المطابقة بين الضمائر - ضمير الشأن في العربية من حيث إنّه يفقد الإعراب - اسم مبني - وهو في صورة حرفية يشبه الحروف المبنية، ويعسر عنده وسمه بالفاعلية والرفع. فبحث عن شريكه المصاحب له وتابعه ليمثّل سماته في العدد والجنس والحالة الإعرابية. ولا شكّ أنّ الضمير في العربية من شأنه أن يندرج في حركة السمات ويتشبث بدلالات نحوية. فهو في محلّ رفع مبتدأ مرفوع موضعا ومذكر ومفرد وعاقل وموصوف ومخبر عنه ومحطّ الإعلام

ومحوره وبؤرة التواصل وبدايته الإخبارية. فهو غير مشكل. ولكنّ الأنحاء تختلف في وسم المركبات والمعمولات وعواملها بحسب صرفها وإعرابها ودلالاتها النحوية.

وأمّا المضمرات من صنف It و There وغيرها ممّا يستعمل في الألسن فلا تتوفّر على مثل هذا الوسم الصريح للحالة الإعرابية باعتبارها سمات تتحيّز في موضع من هندسة الجملة.

6 - الإعراب والعمل وافتراض الموضعية العاملية

6-1 - ما المقصود بالموضعية العاملية

تشتمل الحالة الإعرابية على مختلف الدلالات النحوية وسمات الجملة والمطابقة واشتقاق الأحياز والمواقع التي تتحرّك فيها المكوّنات الاسمية والفعلية والحرفية. فالعامل هو المتكلم المولّد بواسطة الألفاظ والعلامات لما يحتاج إليه في تمثيل تواصله وقصده. فالإعراب والعمل نظرية قديمة ومرجعياتها قديمة لكنّها تتجدّد في أشكال مختلفة بتجدّد المناويل والنظريات اللسانية. فإذا اعتمدنا العمل والإعراب وأحواله في معنى شامل لمختلف مستويات الدلالة فإنّنا نحاول تطوير النظرية ومعالجة الجملة وما يتفرّع عنها من مواضع هي معانيها الأساسية.

6-2 - مواضع عاملية مواضع سمات معنوية : خاتمـــة

إنّ الحالة الإعرابية مشتقّة عن العامل النّحوي في مفهوم التحكم وتمام العلاقات المحتاجة إلى وسم لإنشاء المعنى واشتقاقه. فالسمات منتشرة في النظام النحوي يتجاذبها المتكلم وينقلها ويمزجها ويشتقّ خطوة خطوة مقولات ووظائف وعلاقات دلالية وأعمالا لغوية تواصلية. فالإعراب والعمل جوهر التطوير النحوي ومنطلقه إذا أردنا نجاح تمثيل الجملة ووسمها فكل موضع سمات تولد مقولات يستخدمها المتكلم في تعامله التواصلي مع المخاطب.

ويمكن تصنيف الألفاظ الدالة على تطور الإعراب والعمل في بعض ما يلي من المعجم الإعرابي نقترحه جزئيا :

Accusative case	حالة نصب
Agreement	مطابقة
Argument / operaude	معمول / موضوع
Associate	شريك / مصحوب
Case	حالة إعرابية
Case Feature	سمة إعرابية
Case Transmission	إرسال الإعراب
Causativity	جعلية
Command	تحكم
Derivation	اشتقاق إعرابي
Domain	حيّز
Dominate	يتسلّط
Expletives	مضمرات
Generation	توليد
Genitive case	حال جرّ
Government	عمل
Inflection	تصريف
Locutor	متكلم
Logical Form	شكل منطقي
Merge	نظم / مزج
Nominative case	حالة رفع
Accusative Nominative / Genitive	مرفوع / منصوب / مجرور
Ø features	سمات نحوية : عدد / جنس / تعيين ...
Operator	عامل
Operator head	رأس عامل
Phrase	مركب
Phonological Form	شكل صوتمي
Position	موضع
Rection	إعراب

Semantic operator	عامل معنوي
Sentence	جملة
Phrase Structure	بنية مركبية
Specifier	مخصّص
Thematic Role	دور محوري
Topic	ابتداء / بؤرة
Transformation	تحويل
Transitivity / Intransitivity	تعدية / لزوم
Vocal operator	عامل لفظي

فهذه المصطلحات تجسّم انتقال المفاهيم الإعرابية العاملية في هندسة الجملة ودلالاتها المحكومة بالعوامل النحوية. وتعكس تلك الألفاظ ثوابت العلاقات الإعرابية ومتغيّرات تحقّقها في النظرية النحوية والمقاربات اللسانية الحديثة، بما في ذلك النظرية النحوية العربية وما طرأ فيها من جهاز اصطلاحي يصوّر تبدل آليات الوصف والتفسير واسترسال المبادئ والمقاييس رغم تحوّل الخلفيات والمرجعيات النظرية والمنهجية في اللسانيات الحديثة.

مراجع البحث

1 - المراجع العربيّة

– محمد صلاح الدين الشريف : 1993 / 2002، الشرط والإنشاء النحوي للكون، منشورات كلية الآداب، منوبة.

– المنصف عاشور 1997 / 1999 : – ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، منشورات كلية الآداب منوبة.

– 2005: دروس في النظرية النحوية العربية، مركز النشر الجامعي، تونس.

2 - المراجع الأجنبيّة

- Anderson (JM), 1975, La Grammaire des cas, Langages n°38 – Paris.
- Butt . (M), 2006, Theories of case, Cambridge U. Press.
- Chomsky (N) 1981, Lectures on GxB, Pisa, MIT.
  - 1995, Minimalist Program, MIT.
  - 2000, 2004, .2008, 2012,.Derivation by phase, On phases, Introduction.
- Fillmore, Ch. 1967.1968, The case for case.
- Harris, Z.S, 1951, Methods in Sructural linguistics - USA.
  - 1991, Language and Information.
- Hjelmslev, L – 1935. 1937 , La catégories des cas Munchen - 1972.
- Radford A, 2006, Minimalist Syntax Cambridge U. Press.
- Serbat. G, 1981, Cas et Fonctions - PUF.

مفهوم النظام وإعادة بنائه المنهجي
في تاريخ اللسانيات الحديثة

الطيب دبّه
جامعة الأغواط، الجزائر

مقدمة

يعدّ مفهوم "النظام" من أبرز المفاهيم اللسانية الحديثة، ومن أكثرها إسهاما في توجيه سيرورة البحث اللساني الحديث، ونظرا للموضع المركزي الذي يحتله، لا سيما في النظريات المتصلة باللسانيات الداخلية الصورية فقد خضع للعديد من محاولات التطوير وإعادة الصياغة والبناء، وذلك وفق منظورات منهجية مختلفة. وفي هذه المداخلة سنستعرض، بالتحليل والمناقشة، مواقف مجموعة من النظريات اللسانية من مفهوم النظام ومن طريقة عمله في وصف بنى اللغات ضمن مستويات تحليلية مختلفة. وهدفنا من هذا الاستعراض أن نقف على ما أفضى إليه الاختلاف والتباين بين بعض النظريات اللسانية الحديثة من رؤى جدلية، ومن أبعاد منهجية بإمكانها أن ترسم لنا إحداثيات المسار التطوري لمفهوم النظام ولإعادة بنائه المنهجي في الدرس اللساني الحديث.

1 - معالم البناء المنهجي لمفهوم النظام في لسانيات سوسير

ينبغي التنبيه ابتداءً إلى أنه لا يمكن استيعاب فكرة النظام اللساني منذ مرحلة تأسيسها إلى غاية تبلورها مفهوما مركزيا في اللسانيات البنوية إلا من خلال ربطها بالسياق المنهجي الذي ظهرت فيه محاضرات فردينان دو سوسير، وهذا على الرغم من تأكيد مؤرخي اللسانيات أن البدايات الأولى للاهتمام بفكرة النظام اللساني كانت على

يد بعض المشتغلين باللسانيات التاريخية، مثل فون همبولت (1767- 1835)، وويليام ويتني (1827-1894)، وأنظوان ميي (1866-1936) [1]؛ ذلك أن النظر إلى مفهوم النظام بمعزل عن بقية المفاهيم اللسانية التي بنى عليها سوسير نظريته اللسانية (مثل مفاهيم : اللغة والكلام، والقيمة، والاختلاف، والتقابل، والتمايز، والعلاقات الترابطية، والعلاقات التركيبية) لا يعدُّ شيئا ذا بال، لا سيما إذا علمنا أن فضل سوسير في التأسيس للسانيات الحديثة لا يرجع إلى ما عرَضَه من مفاهيم لسانية معزولا بعضها عن بعض، وقد سُبق إلى كثيرٍ منها، وإنما يرجع إلى عبقريته في اكتشاف علاقاتها المفهومية والمنهجية، وإلى صياغتها صياغة تقابلية منسجمة ومتناسقة بحيث لا يقوم فهمها واستيعاب توجهاتها إلا بربط بعضها ببعض ضمن نسيج عضوي متكامل.

يرى سوسير أن مفهوم النظام يستند أساسا إلى كون اللغة ملكة عامة موجودة فوق عمل مختلف الأعضاء، وفي أن لهذه الملكة القدرة على استحضار العلامات في لغة منتظمة والتحكم فيها [2]. وقد تكرّر تحديده للغة بوصفها نظاما مرات عديدة في محاضراته، من ذلك قوله : **"تشكّل اللغة نظاما"**[3]، وقوله : "اللغة نظام نحوي موجود بالقوة في كل دماغ"[4]، وقوله : **"إن اللغة نظام لا يعرف غير ترتيبه الخاص"** [5].

إن الحديث عن النظام لدى سوسير يجرّ إلى الحديث عن العلامات اللسانية بصفتها وحداته التي تعمل لأجلها أدواته، وتنبني على ترتيبها والتنسيق فيما بينها آليته. ولعل من أبرز التحديدات الدقيقة والواضحة التي قدمها سوسير، في محاضراته، عن اللغة إشارته المتكررة إلى أنها نظام من العلامات : من ذلك قوله : "إنها نظام من العلامات"[6]، وقوله :

---

1) ينظر : آثار فون همبولت، ط برلين، ص 7، 45، نقلا عن : عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة : اللسانيات (مقال : مدخل إلى علم اللسان الحديث)، المجلد 2، رقم : 01، ص25، وجورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، (تر/نجيب غزاوي)، مطابع مؤسسة الوحدة، ص19، وينظر أيضا : Meillet A, Linguistique historique et linguistique générale, Champion, Paris, 1926, p26.

2) ينظر : De Saussure, Cours de linguistique générale, Edt préparée par Tullio de Mauro, Payot Paris,1985, p/27.

3) نفسه، ص116,

4) نفسه، ص30.

5) نفسه، ص107.

6) نفسه، ص32.

"إن اللغة نظام من العلامات يعبر عن فكرٍ ما"(7)، وقوله : "يجب إضافة قـدرة ترابطيـة تنسيقية تظهر عندما لا يكون الأمر متعلقاً بعلامات معزولة؛ وهذه القدرة هي التي يكون لها الدور الأكبر في تنضيد اللغة وترتيبها من حيث هي نظام"(8).

وبشيء من التمعن في قراءة هذه النصوص نجد أن سوسير لا يُرجع تحديد اللغة إلى كونها مجرد مجموعة من العلامات وإنما يُرجعه إلى كتلٍ منظمة هي نفسها علامات ضمن ما سماه دو سوسير بالتعاضد التركيبي(9) لآلية اللغة، ذلك التعاضد الذي ينتفي، خارجه، أن يكون للعلامات قيمة في ذاتها من حيث هي وحدات معزولة(10).

تتجلى أهمية هذا التحديد للغة عند سوسير في اعتقاده أن التصور الذي يَعتبر اللغة مجموعة من الكلمات المعزولة أي مجرد أسماء في مقابل مسميات ينطوي على نظرة سطحية غير علمية ولا تصيب حقيقة اللغة في شيء، فهو يقول : "هنالـك، ابتـداءً، التـصور السطحي للسواد الأعظم من الناس فهم لا يـرون في اللغـة غـير جـرد اصـطلاحي Nomenclature (11) [...] وهذا ما يُلغي أيَّ بحث حول طبيعتها الحقيقية" (12).

لكن من يتتبع النصوص التي يشير فيها سوسير إلى مفهوم النظام يجد – بعـد مـا يتحول، في قراءته، عن الفصول المتقدمة لمحاضراته – أنه لم يعد يكتفي باعتباره للغة نظاما من العلامات فحسب بل يضيف تحديدا آخر يبدو أكثر نضجا في تصور آليـة النظـام،

---

7) نفسه، ص33.

8) نفسه، ص29.

9) لا يقصد سوسير بالتعاضد التركيبي عمل المحور التركيبي وحده، فهو يشير في نفس المقام إلى أن ما يولي العلاقة التركيبية مكانة في اللغة – ضمن هذا التعاضد التركيبي – هو ترابط عبارتها مع فئة من العبارات المستعملة (انظر : دس سوسير، 176). وفي هذا إشارة إلى المحور الثاني وهو محور العلاقات الترابطية Associatives (ويسميها كذلك بالاستبدالية Paradigmatiques). ويقول في مقام آخر بعبارة صريحة : "نحن نعرّف التعاضد الذي يربط فيما بينها [أي فيما بين العلامات] إنه من ترتيب ترابطي وترتيب تركيبي" (De Saussure, C.L.G, p182).

10) ينظر : دي سوسير، ص ص176–177.

11) "الجرد الاصطلاحي Nomenclature هو مجموعة من الأسماء نمنحها، بصفة منهجية، للأشياء المستنسخة عن نشاط ما. يمكننا أن نتحدث عن جرد اصطلاحي لقطع سيارة ما. يفترض الجرد الاصطلاحي ازدواجية في الاشتراك المعنوي لعلاقة الدال بالمدلول : اسم واحد لكل شيء، وشيء واحد لكل اسم" (Dubois. J et Autres, Dictionnaire de linguistique. ص340).

12De Saussure, C.L.G. ص34.

وأدقَّ بيانا لخاصيته، وذلك حينما يشير إلى أن اللغة نظـــام مـــن القـــيم (13)Système de valeurs؛ فهو يقول : "**إن اللغة نظام من القيم البحتـــة**"(14)، ويقول مقارنا بـــين اللغـــة ولعبـــة الشطرنج : "**وفي كل منهما نحن أمام نظام من القيم**"(15)، ويقول أيضا : "**إن فكرة القيمة [...] تبين لنـــا أنه لوهم كبير أن ننظر إلى لفظة مّا باعتبارها مجرد اتحاد بين صوت وتصور. إن تحديدها بهذا الشكل يعني نفيها عن النظام الذي هي جزء منه**"(16).

إن تحديد سوسير للغة بأنها نظام من القيم يعدُّ مرحلة من مراحل تطور فكرة النظام عنده إلا أنها أرقى المراحل وأنضجها؛ ذلك أن الدور الحقيقي الذي تؤديه علاقات النظام لا يتمثل في مجرد الربط بين العلامات وإنما في أن يكون ذلك الربط مؤسسا على ما فيهـــا من قيم نسبية تختلف باختلاف التقابلات الترابطية Oppositions associatives والتباينـــات التركيبية Contrastes syntagmatiques التي تجري على العلامات اللسانية ضـــمن قـــوانين النظام.

يقابل سوسير، في أكثر من موضع(17)، بين مفهومي القيمة والدلالـــة في تحديـــده للعلامة اللسانية في ظل ما يسمح بتعريف النظام، ويهيئ لإدراك أبعاده المنهجية، ويـــشير إلى حد بارز من حدوده. ومما أورده في هذا المجال قوله متسائلا : "**في أي شيء تختلـــف هـــذه القيمة عمّا نسميه بالدلالة ؟ أتكون هاتان الكلمتان مترادفتين ؟ [...] إنه لمن الضروري توضيح هذه المسألة وإلا تقلّصت اللغة وانكمشت لتصبح مجرد جرد اصطلاحي Nomenclature** "(18).

يحاول سوسير بهذا التساؤل أن يمهد لبسط إشكالية التداخل بين مصطلحي الدلالة والقيمة واضعا الحدود المنهجية الفاصلة بينهما على الرغم من تشابههما؛ فهـــو يـــرى أن الانطلاق من الخلط بين المصطلحين يؤدي إلى الحكم على اللغة بأنها لا تعدو أن تكـــون

---

13) يطلق مصطلح القيمة اللسانية على معنى وحدة تحددها التقابلات النسبية داخل النظام اللساني. وتتقابل القيمة مع الدلالة محددة بالرجوع إلى الواقع المادي (Dubois. J et Autres, Dictionnaire de linguistique، ص506). وسوسير هو أول استعمل مصطلح القيمة بهذا المعنى في حقل اللسانيات بعد أن استعاره من علم الاقتصاد.

14) De Saussure, C.L.G ص116.

15) نفسه، ص125.

16) نفسه، ص157.

17) ينظر الصفحات : De Saussure, C.L.G, 139, 143, 153-154, 158, 164.

18) نفسه، ص158.

جردا اصطلاحيا؛ ذلك أن الجرد الاصطلاحي لا تُحدد فيه العلامة إلا بحسب علاقتها بالشيء Référent الذي تحيل إليه في الواقع المادي. وفي ظل الاستجابة لهذا التحديد تنصرف العقول عن إدراك الخاصية الجوهرية في اللغة وهي خاصية النظام[19].

يقول سوسير : **"لبيان أن اللغة لا يمكن أن تكون سوى نظام لقيم مجردة يكفي أن نأخذ بعين الاعتبار عنصرين أساسين يشاركان في عملها هما : الأفكار والأصوات"**[20]؛ فالقيمة لا تتحقق إلا في ضوء حسابات نسبية تقابلية لعلاقة الأفكار بالأصوات. ولكن ما طبيعة العلاقات التي يتصورها سوسير بين الأفكار والأصوات ؟، وما هي الشروط المنهجية لهذه العلاقات ؟.

إن طبيعة العلاقة بين الفكرة والصوت في علامةٍ ما تكون - حسب النصوص التقابلية التي ساقها سوسير بين الدلالة والقيمة - إما ماديةً تربط بين الأسماء ومسمياتها بكيفية سطحية بسيطة لا تعدو محصلتها أن تكون جردا اصطلاحيا أو تحديدا معجميا، وإما صورية تستند إلى علاقات تقابلية يمتنع فيها الدال اللساني من أن يكون، في جوهره، صوتيا، **"ذلك أنه لا جسد له، وتكوينه لا يرجع إلى جوهره المادي بل يرجع فقط إلى الاختلافات التي تفصل صورته السمعية عن سائر الصور الأخرى"**[21].

فالدلالة، إذن، محتوى ذو تحديد مادي إيجابي يُرجع العلامة اللسانية إلى واقع خارج عن نطاق اللغة. بينما تأخذ القيمة تحديدا صوريا تستمد به وجودها من العلاقات الخلافية والتمييزية بين العلامات ضمن الكيان الداخلي للغة. وبهذا يتبين أن التحديد العلمي والوصف الحقيقي للغة من حيث هي كيان داخلي لا يكون إلا بهذا التحديد الصوري لعلاقة الفكرة بالصوت في العلامة اللسانية، والمستمد من علاقات النظام وقيمه.

وحتى يدلّل سوسير على صحة النظر في أن التحديد العلمي للعلامة يكون بقيمتها لا بدلالتها يسوق مجموعةً من الأمثلة للمقارنة بين دلالات أزمنة الفعل في بعض

---

19) ينظر : دبه الطيب، معالم البناء المنهجي لمفهوم النظام عند دو سوسير، (في : مدارات فكرية وثقافية)، أعمال مهداة تكريما للأستاذين العربي المتريل ومحمد جمور، جامعة ابن زهر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المملكة المغربية، 2006، ص370.

20) De Saussure, C.L.G. ص157.

21) نفسه، ص164.

اللغات[22]، ويقول في تعليقه على هذه الأمثلة : " **إننا في كل هذه الحالات أمام قيم ناجمة عن النظام بدلا من أفكار محددة مسبقا. وعندما نقول إن هذه القيم تقابل تصورات فنحن نقدّر أن هذه التصورات خلافية بشكل محض، وليست محددة إيجابيا بمضمونها، بل سلبيا وذلك بعلاقاتها مع ألفاظ النظام الأخرى. إن خاصيتها الأكثر دقةً هي في أن يكون وجودها مختلفا عن وجود الألفاظ الأخرى** " [23].

وبشيء من التأمل في هذه النتيجة سنجد أن سوسير لا يكتفي بإجراء التقابل بين الدلالة والقيمة بل يمتد إلى إجراء تقابل آخر أكبر منه هو التقابل بين الجرد الاصطلاحي والنظام؛ ذلك أن سوسير يرى في الدلالة خاصية الجرد الاصطلاحي، ويرى في القيمة خاصية النظام. وبمزيدٍ من القراءة والتحليل نكتشف، ضمن مستوى تقابلي أكبر، أن سوسير يرى في النظام نموذج الواقع الداخلي للغة ويرى في الجرد الاصطلاحي نموذج الواقع الخارج عن المدى اللغوي[24].

إن الإشارة إلى النظام، في ظل هذه الصياغة المنهجية لحدوده ومكوناته، لتبعث في نفس من يتتبع فصول المحاضرات (C.L.G) إدراك تدرجٍ واضحٍ في بلورته وفي تحديد معالمه. ومما نلمسه من أهمية لهذا التدرج في عرض مفهوم النظام أنه يعْرِض، معه، سائر المفاهيم والأفكار مترابطةً فيما بينها بما يجعل منها نسقا متكامل الأطراف والعناصر. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن النظام يعد المفهوم المحوري الذي ترتكز عليه النظرية اللسانية عند سوسير، والفكرة المركزية التي تلتف حولها جلُّ أفكاره ؛ فلا نكاد نعثر، في محاضراته، على فكرة أو مسألة، مهما هانت أو عظمت، إلا ويكون لمفهوم النظام أثر فيها تفسَّر به، أو يدور مضمونها حوله، أو تتحدد قيمتها من خلاله.

---

22) يقول سوسير في ذلك : " لا تعرف العبرية التميز الجوهري بين الماضي والحاضر والمستقبل، وليس للجرمانية الأولى صيغة خاصة بالمستقبل. وعندما نقول : إنما تعبر عنه بالحاضر نكون قد أفصحنا عن المسألة بكيفية غير ملائمة، لأن قيمة زمن الحاضر في الجرمانية ليست هي نفسها في اللغات التي تملك زمن الحاضر إلى جانب زمن المستقبل. وتميز اللغات السلافية بانتظام بين مظهرين للفعل : الفعل الماضي Le perfectif وهو يمثل الفعل في كليته كنقطة بمنأى عن كل صيرورة، والفعل المضارع، وهو الذي يبيّن الفعل في جريانه على محور زمني، وتشكل هذه الفئات عقبة بالنسبة إلى الفرنسي لأن لغته لا تعرفها" (De Saussure, C.L.G ص ص161-162).

23) نفسه، ص162.

24) ينظر : دبه الطيب، معالم البناء المنهجي لمفهوم النظام عند دو سوسير، (في مدارات فكرية وثقافية)، ص372.

2 - من صور إعادة البناء المنهجي لمفهوم النظام في لسانيات ما بعد سوسير

حينما نتناول الحديث عن المسار التطوري لمفهوم النظام، وعما تعرّض له من مساع عديدة لإعادة بنائه المنهجي خلال هذا المسار، تواجهنا مسألة مُهمّة تتعلق بمواقف اللسانيين المختلفة إزاء تحديد مفهوم النظام، وبيان مجالات عمله. والحقيقة أن تعريف النظام، في اللسانيات الحديثة، وتحديد مجالات عمله أمر يُحوج إلى نظر وتأمل؛ ذلك أن مفهومه يتحدد باعتبار مستويين اثنين : مستوى يتحدد فيه تحديدا تقنيا عاما بحيث يشترك في القول به سائر اللسانيين المحتفلين بدراسة النظام وقضاياه، ولا يكون مظنة للجدل والاختلاف، ومستوى يتحدد فيه تحديدا توجيهيا خاصا يستمدّه كل لساني (أو كل فريق من اللسانيين) من الخلفية النظرية للاتجاه اللساني الذي يعمل في إطاره. والمستوى الثاني هو ما يعنينا معالجة موضوعه في هذا البحث.

أما عن التحديد التقني العام لمفهوم النظام فلعلّ من التعاريف المشهورة التي انتهى إليها استقراره في كتب اللسانيين المعاصرين التعريفَ الذي أورده جون ديبوا J.Dubois وزملاؤه في معجم اللسانيات، ومما جاء فيه قولهم : "**يُنظر إلى اللغة بصفتها نظاما، حيث تُوجد – على مستوى ما (فونيم، مورفيم، تركيب)، أو في فئة ما – مجموعة من العلاقات تربط ما بين الألفاظ بحيث إذا حدث تغيير في إحداها اختل ميزان النظام كله**" [25]، والتعريف الذي ورد في معجم اللسانيات (لجورج مونان وآخرين)، ومما جاء فيه قولهم : "**إن بنية لسانية مّا [يستعمل أحيانا أتباع سوسير مصطلح البنية Structure مرادفا لمصطلح النظام Système**[26] **] هي تجريد لا يستطيع أن يُمسك بالظواهر اللسانية إلا من خلال شبكة من علاقات التقابل التمييزي بين العناصر بما يسمح للغة أن تؤدي وظيفتها الرئيسة، وهي وظيفة التواصل [...] إن العلاقات – داخل البنية – يجب أن تكون بكيفية لا يمكن فيها لأي عنصر أن يكون**

25) Dubois. J et autres, Dictionnaire de linguistique . ص481.

26) بينما هنالك من يفرق بينهما مثل المستشرق والباحث الصوتي الإنجليزي ج.فيرث الذي يحدد البنية structure بكونها العلاقات الموجودة في مجال التركيب ويحدد النظام système بكونه العلاقات الموجودة في المحور الاستبدالي (ينظر : Bertil. M, Les nouvelles tendances de la linguistique, P.U.F, Paris 1968, p76 - 77.). وفان دو فالد الذي يرى أن النظام هو التنسيق بين العلاقات الاستبدالية والعلاقات التركيبية كما هو مبينا أعلاه أما البنية فتمثل التنظيم اللساني الثابت لعناصر اللغة إلى جانب تمثيلها لمجموعة العلاقات الداخلية الاستبدالية intra-paradigmatique التي يُكشف عنها عن طريق البحث القائم على النظرة التكاملية بين محور الاستبدال ومحور التراكيب . (ينظر : Velde. R .Van (de), Introduction à la méthodologie de la linguistique structurale ص49).

ما يكون إلا من خلال علاقته مع بقية العناصر "[27]، وتعريف ر.فان دوفالد R.V.de Velde الـــذي جاء فيه : "النظام هو الآلية الأساس للغة الإنسانية. وبإمكان هذه الآلية أن تجعل – من خـــلال التنـــسيق بـــين القواعد الاستبدالية والقواعد التركيبية النهائية – من الإنتاج اللساني اللانهائي أمرا ممكنا"[28].

ومن تعريفات التحديد التقني العام لمفهوم النظام كذلك ما ورد في تعريفات بعض السيميائيين؛ من ذلك ما جاءت به جان مارتيني حينما قدّمت – في ظل تحديد ســـيميائي يشمل جميع أنواع الأنظمة والعلامات – تعريفا دقيقا لمفهوم النظام تقول فيه : " النظام هـــو وجود مجموعة من الوحدات تربط فيما بينها مجموعة من العلاقات من أجل تحقيق مجموعة من الوظائف" [29].

وبعد قراءتنا للنصوص السابقة يتبادر إلينا التساؤل حول هذه التعاريف المتقاربـــة المعنى : إلى أي حدّ يمكنها أن تساعد في خدمة التحليل المنـــهجي لمفهـــوم النظـــام، وفي الكشف عن آليات عمله ؟، وهل يمكنها أن تقدّم شيئا يغني ويفيد في تحديد مفهوم النظام، وفي بيان دلالاته التوجيهية التفصيلية الدقيقة التي من خلالها شرحه اللسانيون، ووجّهوا به أبحاثهم النظرية، واستثمروه في تحليلاتهم التطبيقية ؟

للإجابة عن هذا التساؤل لا بدّ من أن نتجاوز مرحلة الاطلاع على مفهوم النظام في الكتابات العامة والكتابات البيداغوجية والقواميس إلى مرحلـــة الاطـــلاع عليـــه في الكتابات النقدية الباحثة في قضايا المنهج والابستمولوجيا، والكتابات المهتمـــة بتـــاريخ الدرس اللساني لاسيما تلك التي تبحث في الاختلافات النظرية والمقاربات المنهجية بـــين مختلف النظريات والمدارس.

إن نظرة فاحصة في تلك الكتابات لتهدي إلى أن الحديث عن مفهوم النظام يمتد في مساحة معتبرةٍ من الفكر اللساني مختلفةِ الرؤى، متشعبة الأطراف، متعـــددة الجوانـــب. ويرجع السببُ في هذا الاختلاف والتشعب إلى أن النظام– بصرف النظـــر عـــن كونـــه مفهوما محوريا في كثيرٍ من منازع الدرس اللساني الحديث – هو المعلم الذي تتمايز مـــن

27) Mounin. G et Autres, Dictionnaire de la linguistique, QUADRIGE / PUF, 3 edt 2000, p307.

28) Velde R .Van (de), Introduction a la méthodologie de la linguistique structurale, p49 .

29) Martinet. J, Clefs pour la Sémiologie, Edts Seghers, 1973, p109 - 110 .

خلاله وتتباين الكثير من الآراء والطروحات اللسانية. ويمكن لقراءة تحليلية موجزة في تاريخ مفهوم النظام أن تبُين لنا أن تحديده يرجع إلى صياغات عديدة ووجهات نظر مختلفة باختلاف التصورات والمناهج التي يصدر عنها اللسانيون بدءاً من مرحلة الريادة في اللسانيات الحديثة متمثلةً في محاضرات سوسير، وانتهاءً إلى آخر ما جاءت به النظرية التوليدية التحويلية، ثم النظرية التلفظية.

فإذا كانت اللغة – مثلما رأينا لدى سوسير – نظاما من العلامات Système de signes أو نظاما من القيم Système de valeurs فهي عند أ.مارتيني، في لسانياته الوظيفية، نظام من الوظائف[30] Système de fonctions حيث تُطابق كل لغة تنظيما خاصا لمعطيات التجربة[31]، وهي لدى ل.يالمسليف، في نظريته الجلوسيمية، نظام من الصور[32] (أو الوجوه الدلالية) Système de figures تتجاوز معالمُه حدود العلامة في مجالها السطحي الظاهر إلى تمثلاتها غير الظاهرة حيث تبرز الوظيفة الإبداعية لإنتاج اللغة[33]، وهي لدى تشومسكي، في لسانياته التوليدية، نظام من العادات الكلامية، أو نظام إدراكي، أو نظام بديهي من القواعد Système axiomatique de règles أين يُنظر إلى اللغة – بالاستناد إلى مفهوم الإبداعية كذلك – بصفتها مجموعة غير محدودة من الجمل تملك عددا محدودا من القواعد[34]، وهي لدى لسانيي مدرسة جنيف ولسانيي النظرية التلفظية (أو لسانيات التلفظ)، نظامٌ مفتوح Système ouvert على تحقيقات الكلام التلفظية المختلفة[35].

---

30) يقول مارتيني : » يُعتبر العنصر في عبارة ما لسانيا بناءً على وظيفته [...] ويمكننا تصنيفه، بحسب طبيعة تلك الوظيفة، ضمن العناصر الأخرى المحجوزة «. (Eléments de linguistique générale, Armand Colin, pp 33.، وينظر أيضا الصفحات : 12، 177–179).

31) Eléments de linguistique générale, ARMAND COLIN, p 12 .

32) استعمل يالمسليف مصطلح الصورة figure من أجل تعيين العلامات non - signes أي الوحدات التي تشكل، بصفة متعزلة، إما صعيد العبارة (الدال) وإما صعيد المحتوى (المدلول). وبمعنى آخر هي تلك الوحدات الصغرى (واحدها جزء من العلامة). (ينظر : A .Greimas et J .Courtès, Dictionnaire).

33) ينظر : Velde R.V.(de), Introduction à la méthodologie structurale de la linguistique، ص93.

34) ينظر : Velde R.V.(de), Introduction à la méthodologie structurale de la linguistique, ص175، وينظر أيضا : Chomsky. N, Le langage et la pensée, Petite bibliothèque PAYOT، ص45.

35) ينظر : Dominique Maingueneau, Approche de l'énonciation en linguistique française,Classique HACHETTE, Paris ، 1981، ص9.

والواقع أنه بعد شهرة كتاب سوسير (C.L.G)[36] لم يعد أمرا جديدا - في أوساط الباحثين اللسانيين - الحديثُ عن النظام بوصفه مفهوما محوريا في اللسانيات الحديثة. ويمكننا القول إن ما قدّمه سوسير عن مفهوم النظام يعدُّ مشروعا مكتملا استنفذ، في صياغته التأسيسية والمنهجية، أبرز المعالم والحدود. إلا أنه، على الرغم من وجاهة الطرح اللساني الرائد الذي قدّمه سوسير، يمكننا القول إن المسيرة التطورية لمفهوم النظام قد اغتنت بالعديد من الأفكار الجديدة والقراءات الكاشفة؛ فقد تعدّدت وتباينت جهود التابعين لسوسير والمختلفين معه من حيث النظر إلى مفهوم النظام، ومن حيث العمل به واستثماره في مختلف حقول البحث اللساني؛ ومن هذه الجهود ما قام على التفصيل والبيان لمجمله، وعلى الشرح والتوضيح لآلية عمله، ومنها ما كان إضافة لما قد يوجِّه النظر إلى جوانب جديدة فيه، ومنها ما قام على توجيه العمل به في حقل من حقول المعرفة النظرية للسانيات، أو على استثمار مفهومه في بعض الحقول التطبيقية.

ولئن آثر بعض اللسانيين أن يكتفوا باستثمار مفهوم النظام في حقول تطبيقية مختلفة دون الخروج عن المعالم المنهجية التي حدّده بها سوسير كما هو الحال في أعمال الفونولوجيين وأعمال سائر الوظيفيين فقد مضى آخرون إلى اكتشاف أبعاد جديدة في مفهوم النظام رأوا أنها حقيقة بالدراسة والاستثمار؛ ومن هنا اتخذت صياغته لديهم صورا منهجية تختلف قليلا أو كثيرا عن الصور التي تمّ بها بناؤه لدى سوسير. وفيما يلي نستعرض مواقف هؤلاء اللسانيين فيما قدّموه، حول مفهوم النظام، من رؤى منهجية مختلفة، وفيما اكتشفوه، ضمن آلية العمل به، من أبعاد تحليلية جديدة.

2-1- مع مارتيني : اللغة نظام من الوظائف

يحتل أ. مارتيني مكانته في علم اللسان الحديث بوصفه مؤسس اللسانيات الوظيفية في المجال النحوي. ومن مواقفه التي نلمس فيها إشارته إلى مفهوم النظام بيانُه، في كتابه

---

36) لم تشرع ساحة البحث اللساني في الالتفات إلى الوجاهة اللسانية التي يحملها كتاب سوسير C.L.G إلا بعد سنة 1928 وهي السنة التي عرض فيها فريق من اللسانيين تابع لحلقة براغ مشروعه للمؤتمر العالمي الأول للسانيات بلاهاي. وقد كان المشروع الذي تأثر فيه الفريق بـ C.L.G معدا للإجابة عن سؤال قدمته اللجنة المنظمة للمؤتمر جاء في نصه : ما هي المناهج الأكثر ملاءمة في عرض كامل وعملي لنحو لغة ما ؟ (ينظر لمزيد من الاطلاع : Jean – Louis Duchet, La phonologie," que sais – je", 4 edt, 1995، ص21).

Eléments de linguistque Générale، لأهمية مبدأ الانتظام في الدراسة اللسانية للغـــات؛ وذلك في سياق انتقاده للمبدأ اللساني الذي ينظر إلى اللغة بوصفها " **قائمة من الكلمـــات، اي قائمة من الإنتاجات الصوتية (أوالخطية)، كل واحدة منها تتصل بشيء ما** "[37]؛ فهو يرى أن الوحـــدات اللغوية لا تقوم على مجرد نسخ للأشياء كما هي في الواقع، إنما هي بنى منتظمة تعكـــس نظرة تحليلية متميزة لمعطيات التجربة الإنسانية، ولهذا فهو يرى أن تعلم لغـــة أخـــرى لا يصبح بمجرد وضع علامات Etiquettes جديدة لأشياء معلومة، بل هو التعود على اكتساب نظرة تحليلية للواقع بطريقة مختلفة[38].

ينبغي التوضيح ابتداءً أن مارتيني يعدُّ من الذين انصرفوا إلى استثمار النظام بالمفهوم السوسيري في الحقول التطبيقية المختلفة إلا أنه، مع ذلك، استطاع أن يُبـــدي، خـــلال دراساته الاستثمارية لمفهوم النظام، شيئا من التجديد والاختلاف لا سيما فيما يتعلق بآلية عمل النظام وبطريقة استخدامه في وصف بنى اللغات وتصنيف وحداتها.

لقد اتّجه مارتيني إلى الاهتمام بدراسة نظام الوظائف الصورية للوحـــدات داخـــل الجمل. وهو في ذلك يتبع سوسير في تصوره لمبدإ الوظيفة التواصلية غير أنه يختلف عنه في كونه جعل الوظيفة واجهة رئيسة في أبحاثه، ومنطلقا مبدئيا في تصنيفه وتحليله للتركيـــب والوحدات، هذا من جهة ومن جهة ثانية استطاع أن يضع للوحدات اللغوية – اســـتنادا إلى مبدإ الوظيفة – نظاما تصنيفيا دقيقا يعدّ بحق مدخلا ضروريا لدراسة بنى اللغات مـــن شأنه أن يذلّل للدارسين الكثير من الصعاب، ويمنح النظام بمفهومه السوسيري المجرّد بعـــدا إجرائيا فاعلا.

ومن مظاهر هذا النظام التصنيفي الوظيفي الذي وضعه مارتني تقطيعه للجمـــل إلى أنواع مختلفة من التراكيب والوحدات الدالة (أو المونيمات)، وتقطيعـــه للمونيمـــات إلى وحداتها غير الدالة (الفونيمات) التي يتشكل منها النظام الفونولوجي لكل لغة، وسمة هذين التقطيعين أنهما يقومان على تحديد صوري يخضعان فيه لمعيار التباين الوظيفي، ويستمدّان أهيمتهما من مبدإ الملاءمة التواصلية Pertinence communicative، وهو مبدأ مفاده – في

37) Martinet. A, Eléments de linguistique generale, ARMAND COLIN, p 10 .

38) ينظر : نفسه، ص ص11-12.

النظرية الوظيفية لمارتيني – أن العناصر الحاملة للمعلومات هي وحدها العناصر الملائمة في علم اللسان. وبِحمْل هذه المعلومات يكتسب كل عنصر سمته الوظيفية، وانطلاقا من وظيفته هذه ينظر إليه بوصفه معطىً لسانيا[39]، وعنصرا مصنفا في نظام.

في التقطيع الأول، وهو تقطيع المونيمات، من شأن التباين الوظيفي لعلاقات النظام أن يُفضي إلى ملاءمة خاصة سماها مارتيني الملاءمة التمييزية Pertinence distinctive أما في التقطيع الثاني، وهو تقطيع الفونيمات، فمن شأن التباين الوظيفي أن يُفضي إلى ملاءمة من نوع آخر سماه الملاءمة الدلالية Pertinence Significative [40]. وفي ضوء هذا التحليل المستند إلى مبدإ الملاءمة يمكننا أن نخلص إلى أن مفهوم النظام اللغوي قد تحوّل لدى مارتيني – من خلال ما أفضت إليه دراساته الاستثمارية للسانيات سوسير – إلى نظام من الوظائف.

غير أن ما يدعو إلى الانتباه أن ما قدّمه مارتيني حول مفهوم الوظيفة التواصلية، وحول النظام الوظيفي للوحدات والتراكيب في ظل الاستناد إلى مبدإ الملاءمة قد استطاع أن يتجاوز به الطرح السوسيري ذاته؛ فهو يرى أن وظائف اللغة لا تتمثل بوصفها قيما فحسب مثلما يؤكد سوسير، قيما تحيل إلى نظام من التقابلات الداخلية، بل هنالك مستوى آخر تتمثل فيه وظائف اللغة بوصفها دلالات، لكنه مستوى يتمظهر في الأداء الفعلي للغة وفي ما يحيط به من تأثيرات مختلفة للمعنى، تلك التي تدعو إلى دراسة اللغة من حيث هي حدث، أو من حيث هي نشاط مفتوح على تأثيرات خارجية لا من حيث هي إنتاج منته ومبني على موضوعات داخلية في النظام اللساني[41]. ولعلّ من أهم النتائج التي أحرزها مارتيني ههنا مقابلته بين ما تعطيه البنى الشكلية للوحدات من قيم ثابتة منتهية وبين ما تثمره من تنويعات دلالية في ظل خطاب فعلي متوافقة مع تنويعات السياق[42].

---

39) ينظر : نفسه، ص ص33-34.

40) ينظر : ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى، (تر/ محمد الراضي)، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، 2012، ص223.

41) ينظر : مارتيني.أ، وظيفة الألسن وديناميتها، (تر/ نادر سراج)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت– لبنان، ط1، 2009، ص88-94.

42) ينظر : نفسه، ص ص107-110، 146-147.

ومن الأمثلة التي يسوقها مارتيني لبيان التنويعات الدلالية في المستوى الثاني ما ورد في قوله : "فالزمن الذي ندعوه في النحو المدرسي الماضي المركّب (Passé composé)، يوافق نمطين من المقامات، فإذا قلت : J'ai fini (أنا أنهيت[43])، فهذا منجز الحاضر Présent ولكن في جملة J'ai fini hier à cinq heures (أنهيت بالأمس عند الساعة الخامسة)، فعندي ماض"[44].

ومع ذلك يمكننا القول إنه على الرّغم من أن لسانيات مارتيني استطاعت، بتبنيها للدراسة الوظيفية في ظل العمل بمبدإ الملاءمة التواصلية، أن تتجاوز حدود الوصف إلى التفسير[45]، وأن تتناول، ضمن خلفية المنظور الوظيفي وفلسفته، جوانب في النشاط اللغوي لم يحفل بها البنيويون، كالمقصد، والدلالة، والمقام، على الرغم من ذلك فقد ظلت مشدودة إلى تصورات الواقع اللغوي الداخلي من حيث هو بنى نموذجية مجردة، ولم تهتمّ بدراسة واقع الكلام في تحقيقاته المادية وتعبيراته ومقاصده، وإن انتبهت لبعض تأثيراته، وتتبعت مظاهره، وانطلقت من أمثلته أحيانا.

2-2- مع يالمسليف : اللغة نظام سيميائي، نظام من الصور

يعدّ ل. يالمسليف من أبرز الذين أدركوا أهمية الطرح المنهجي الذي تنطوي عليه فكرة النظام مثلما وردت في كتاب سوسير، ومن الذين عكفوا على قراءتها، وتتبعوها بالشرح والتحليل، وقدّموا باستثمارها ألوانا شتى من المناهج والعلوم والتطبيقات. والحق أننا لسنا بحاجة إلى جهد كبير لنبيِّن مدى التميّز الذي يحظى به الدرس اللساني لدى يالمسليف؛ وقد بلغ من إحساسه بهذا التميّز أنه يَعتبر نفسه التلميذ الوحيد والحقيقي لسوسير، ومما يظهِر تميّزه في تناوله للنظام اللساني ربط لمبدئه بالتحليل الرياضي المنطقي موجهًا اهتمامه لإبراز الواقع الصوري للغة؛ فقد دأب، مثلا، على دراسة الأصوات اللغوية من حيث هي أشكال وصور وعلى إهمالها من حيث هي مظاهر مادية [46]، طامحا

---

43) هكذا في النص المقتبس، وهو خطأ في الترجمة؛ فلفظة "أنا" ههنا زائدة مقحمة لأن الضمير متضمن في الفعل الذي استتر فيه فاعله فصار مع ضميره المستتر جملة يصح ويكفي أن نقابلها، عند الترجمة، مع جملة J'ai fini.

44) مارتيني.أ، وظيفة الألسن وديناميتها، ص108.

45) ينظر : Ducrot et Todorov , Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage، ص42.

46) ينظر : Ducrot .O et Todorov.T, Dictionnaire encyclopedique des sciences du langage, edt du Seuil, 1972، ص ص 37-38.

إلى تحقيق المقاربة النظامية التي يسعى فيها إلى ربط اللغات الطبيعية بالبنى الأساسية لكل الأنظمة السيميائية، وإلى وضع اللسانيات ضمن أطرٍ لسيميائيات عامة [47].

ونظرا لشدّة تعلق يالمسليف بالمفهوم الصوري للنظام وبعمله في تنضيد وحدات اللغة فقد اتجه إلى إهمال المعطيات المتعلقة بالمادة اللسانية في ذاتها ظنا منه أنها معطيات متغيرة وليست ثابتة، وأن المعلم الثابت الذي ينبغي التعويل عليه في الدراسة اللسانية للغات إنما هو النظام وعلاقاته؛ فهو يرى **"أن المادة ظاهرة متغيّرة، فالمظهر الصوتي للغة يتغيّر تغيّرا مستمرا من جيل إلى جيل [...] وقد لفت الأنظار – على سبيل المثال – إلى المدى الذي تغيَّر به المظهر النطقي من اللغة الفرنسية عبر القرون، على حين أنها لا تزال – من حيث البنية الأساسية – هي اللغة نفسها. إن القيم المعينة قد تغيّرت، ولكن ما بينها من علاقات ظل بنفس الدلالة النمطية التي نفهمها من المصطلح "اللغة الفرنسية""**[48].

قد يبدو الأمر غريبا حينما نتعرّف – لأول وهلة – إلى فكرة إهمال المادة اللسانية لدى يالمسليف، وهو اللساني البنوي المقرُّ بتبعيته للمذهب البنوي، وبتبعيته لسوسير، وبتتلمذه على أفكاره، ولكن سرعان ما تزول الغرابة حينما يتبيَّن لنا إصراره على جعل البحث اللساني بحثا صوريا خالصا، وحرصه على إخضاع معطيات النظام اللغوي لمبادئ علم العلامات؛ ومن يطّلع على أعماله يدرك مدى سعيه الحثيث إلى "المقاربة النظامية لبنى اللغات الحية بالبنى الأساسية لكل الأنظمة السيميوطيقية"[49]؛ فهو يرى أن **"النظام اللساني نظام سيميائي"**[50]، وأن من سمات البحث اللساني في نظريته الجلوسيمية اعتبار اللسان حالة خاصة لنظام سيميائي، ووضع اللسانيات ضمن أطرٍ لسيميائيات عامة Sémiologie générale [51].

وعملا بمقتضيات هذا التوجه اللساني المميّز والطموح اقتيد البحث اللساني لدى يالمسليف إلى إهمال المادة اللسانية، وإلى التركيز على المعطيات الصورية للغة. وباحتفائه

---

47) ينظر : L . Hjelmslev, Essais linguistiques, edt de MINUIT, 1971، ص47.

48) ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، (تر/ سعد مصلوح ووفاء كامل)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000، ص330.

49) وفاء محمد كامل، (مقال : البنيوية في اللسانيات)، عالم الفكر، المجلد 26، العدد2، أكتوبر/ ديسمبر 1997، ص 236.

50) Hjelmslev. L, Essais linguistiques, p125.

51) ينظر : نفسه، ص47.

بصورنة اللغة وبالمقاربة السيميائية للنظام اللغوي تمكّن من الانتباه إلى الفرق القائم بين المعنى بوصفه محصلة صورية مجرّدة من جهة، والصوت اللغوي (أو الصورة الكتابية، أو أي علامة من العلامات في الأنظمة السيميائية الأخرى) بوصفه معطى خارجيا ماديا غير جدير بالاحتفاء من جهة أخرى. وبإدراكه لهذا الفرق لاح بنظره إلى ما هو أعمق تصورا وأوسع رؤيةً من مجرد النظرة التحليلية التقطيعية لوحدات اللغة من حيث هي قطع صوتية مادية؛ ففي هذا المستوى من التصور اليالمسليفي لا يهمُّ ما إذا كان حامل المعنى يصدر عن نظام صوتي، أو نظام كتابي، أو أي نظام سيميائي آخر بقدر ما يهمُّ تحول هذا المعنى إلى علامة ذات وظيفية سيميائية[52].

وليالمسليف تحديد ثان لمفهوم النظام تعرّض له في ظل انتباهه المميّز لأهمية الدراسة اللسانية لمستوى المحتوى[53] Contenu إلى جانب الأهمية التي تحظى بها الدراسة اللسانية لمستوى العبارة Expression، تلك التي نعهدها في أغلب النظريات اللسانية الحديثة؛ فهو يرى أن من سمات البحث اللساني الذي يتبناه في نظريته الجلوسيمية Glossématique توجيه إرادة الفهم، داخل الصورة اللسانية، إلى صورة المحتوى، وليس فقط إلى صورة العبارة [54]. وقد كان من نتائج انصرافه إلى الاحتفال بدراسة المحتوى أن خلص إلى تحديد جديد لمفهوم النظام رأى فيه أن اللغة نظام من الصور (أو الوجوه)؛ ذلك أنه لا يقتنع بالتحديد الذي ينظر إلى اللغة على أنها نظام من العلامات أو من القيم، ويرى أنه تحديد بسيط لا يفي بحقيقة البنية الداخلية للغات؛ يقول في هذا الشأن : **"لا يمكن وصف اللغات بأنها مجرد أنظمة للعلامات. في الواقع إن الغاية التي نفترضها فيها ابتداءً هي أنها أنظمة من العلامات، ولكنها، بالنظر إلى**

---

52) ينظر : الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية. دراسة تحليلية إبستمولوجية، طبع دار القصبة، الجزائر، 2001، ص126–127.

53) انتبه يالمسليف لأهمية الدراسة اللسانية لمستوى المحتوى في ظل توسيعه لمفهوم سوسير القائل إن التنظيم اللساني تنظيم صوري، ونظرا لاحتفائه الشديد بمبدإ الصورنة سعى إلى "استخراج هذا التنظيم اللساني من المادة التي ينتظمها، وبالتالي فإن البنية – في نظره – قابلة للانفصال عمّا تبنيه" (إبراهيم زكريا، مشكلة البنية (مشكلات فلسفية 8)، دار مصر للطباعة، 1990، ص61). وقد قاده موقفه هذا إلى التمييز بين صورة التعبير وصورة المحتوى. ونظرا للأهمية التي تحظى بها صورة المحتوى، ونظرا للإهمال الذي لقيته من اللسانيين المحدثين أولاها يالسمليف في أعماله قدرا كبيرا من الاهتمام، وعُدّ بذلك أول من فتح باب الدراسة البنوية لقضايا الدلالة (ينظر لمزيد من الاطلاع : Hjelmslev. L, Essais linguistiques, p 45-77.)

54) نفسه، ص46.

بنيتها الداخلية، تعدّ، في الغالب، شيئا مختلفا : إنها نظام من الصور (أو الوجــوه) Système de figures بإمكانــه أن يُسهم في تشكيل العلامات"[55]. وقد استعمل يالمسليف مصطلح الصورة (أو الوجه) ههنا مــن أجل تعيين اللا علامات Non-signes أي الوحدات التي تشكل بطريقة منعزلة إما صــعيد العبارة (الدال)، وإما صعيد المحتوى (المدلول)ن وبمعنى آخر هي تلك الوحدات الــصغرى (واحدها جزء من العلامة) التي تسمى في الفونولوجيــا الــسمات التمييزيــة Phèmes، وتسمى في علم الدلالة معانم أو سمات معنوية (Sèmes [56].

ومما يميز جهد يالمسليف في تحديده لمفهوم النظام اللغوي بأنه نظام مــن الــصور استعماله إياه في الكشف عن خصائص اللغات، وذلك من خلال استثماره لمبدإ لــساني جديد ابتكره ليلبي دراسة بعض الجهات المنهجية في عمل النظام اللساني لم ينتبه إليها غيره هو مبدأ "الإحلال" Commutation؛ يرى يالمسليف أن مبدأ الإحلال يقع بين دالّين حيث يكون التغيير متعلقا بمدلولين، أو بين مدلولين حيث يكون التغيير متعلقا بــدالين، وهــذا خلافا لمبدإ "التعويض" substitution الذي يكون بين لفظين متعالقين استبداليا لكنهما لا يحققان هذا الشرط[57].

وقد لحظ يالمسليف أن الكثير من جوانب الخصوصية والاختلاف في اللغات يمكن أن نقف عليها باستثمار مبدإ الإحلال؛ ذلك "أن لغة مّا هي، بالمعنى الواسع [...] نظام من العلامات أو من مكونات العلامات من شأنه أن يمنح، في الوقت ذاته، صورة للعبارة وللمحتوى بكيفية خصوصية تتعلق بكل لغة خاصة على حدة"[58]؛ مثال ذلك الاختلاف بين بعض اللغات في صورة التعامل مع معــنى التذكير والتأنيث في الضمائر؛ يقول يالمسليف : "هنالك إحلال على مستوى الضميرين (Il : Elle) في الفرنسية، و((He : She)) في الإنجليزية وفي لغات أخرى، بينما هناك تعويض فيما يتعلق بهذين الــضميرين في اللغات الفنلندية Finnois والمجرية Hongrois والصينية Chinois ما دام جعل أحدهما في محل الآخر (هــي أو هو) لا يشكل في العبارة – بالنسبة إلى هذه اللغات – إحلالا قياسيا (أو تماثليــا)؛ إذ إن الوحــدتين"Il" و"Elle" تعودان بلا تمييز، في اللغة الفنلندية إلى han وفي اللغة المجرية إلىO، وفي اللغة الــصينية إلى

---

55) Hjelmslev. L, Prolégomènes à une théorie de langage, (Tr/Una Çanger), Edt de MINUIT,1971, p64..

56) ينظر : Greimas. A et Courtès. J, Dictionnaire de sémiotique, T2, p66.

57) Hjelmslev. L, Essais linguistiques, p113.

58) نفسه، ص100.

tha" [59]. ومن سمات العمل بمبدإ الإحلال لدى يالمسليف أنه يمثل الميدان الإجرائي الذي تعمل فيه آلية النظام؛ فهو الدليل على ما يجري بين العلامات من مقارنـات وتقـابلات استبدالية Paradigmatiques يتمظهر بها النظام وتشتغل في ضوئها آليته[60].

2-3- مع تشومسكي : اللغة نظام معرفي، نظام من العادات

ينطلق نوام تشومسكي في إعادة بنائه لمفهوم النظام من الخلفية المنهجية التي اسـتند إليها في نقده للسانيات البنوية، تلك الخلفية التي تقوم على طروحـات لـسانية ثوريـة استطاعت – بعد صدور كتابه "البنى النحوية" سنة 1957، وهو أول عمل له يتبنى عرض تلك الطروحات – أن تستقطب أنظار الدارسين، وأن تشكل منعطفا حاسما في تاريخ علم اللسان الحديث. ومما يبرزه تشومسكي في ديباجة تلك الطروحات انتباهه لقصور المنـهج البنوي عن تحقيق أهداف الدراسة العلمية الحقيقية للغات نظرا لانكفائه علـى الوصـف وخلوه من التفسير[61].

تبرز خاصية الدرس اللساني لدى تشومسكي في أنه لا يستهدف وصف بنى اللغات في ذاتها من حيث هي أنظمة تقابلية تمييزية كما يفعل البنويون، وإنما يـستهدف تفـسير الملكة اللغوية Compétence linguistique، والانطلاق من خلفيتها المعرفية عند التـصدي لدراسة بنى الوحدات وأنظمة القواعد المتحكمة في علاقاتها ووظائفها.

ولأن تشومسكي يجعل غرضه في تفسير عملية البناء المعرفي C. Cognitive المنتجة لبنى اللغات ولقوانينها، ولا يكتفي بالوصف السطحي الظاهر لها فهو لا يقتنع بتلك الـصياغة التي تحدّد مفهوم النظام تحديدا تصنيفيا يقوم على الاختلاف والتمايز لا غير، بل يحاول أن يسم معرفة لغة مّا، ونظامها المعرفي Système Cognitif الذي تمت ترقيته – بشكل لا واع طبعا – من قبل المتكلم المستمع العادي[62]، ويسعى إلى تفسير بناها السطحية الظـاهرة،

---

59) نفسه، ص112.

60) ينظر : Hjelmslev. L, Essais linguistiques, p114-115.

61) ينظر : Chomsky. N, Le langage et la pensée, Petite bibliothèque Payot, Paris, 1969, p45.

62) نفسه، ص48.

وذلك بإرجاعها إلى بناها العميقة حيث القوانين الأساسية الـتي أنتجـت تلـك البنى السطحية.

ومن أبرز الحجج التي يقدمها تشومسكي في نقده للطروحات البنوية في وصـف أنظمة اللغات وردّها بيانُه أن "البنية السطحية التي يقتصر البنويون على دراستها قد تكون أحيانا مُوهِمة، كما أنها تحمل قدرا قليلا من المعلومات، وأن معرفتنا باللغة تتضمّن خاصية تبدو سماتها أكثر تجريدا بحيـث لا تـتم الإشارة إليها مباشرة في البنية الـسطحية"[63]، في حين أن أمثلة بسيطة من شأنها أن تبيِّن أن حقيقة النظام هي في وقائع أبنيته الباطنية ومكوناته النحوية غير الظاهرة، تلك التي تبدو كفيلـة بتفسير حقيقي لعملية إنتاج اللغة في أذهان مستعمليها، ومتضمنة للإشارة إلى خصوصيات القدرات العقلية لدى الإنسان في معرفته الذهنية للغة، تلك المعرفة التي تستند إلى فكـرة الإبداعية. وهو ما جعل تشومسكي يخلص، في مرحلة من مراحل نظريته اللسانية، إلى أن اللغة نظام من العادات Système d'habitudes أو شبكة من الاتصالات الترابطية نظرا لأن معرفة اللغة ينبغي أن تنمو – لدى الفرد المتكلم – بالتـدريج، وعـن طريـق التكـرار والتدريب الذين يمارس بهما اكتسابه للغة[64].

2-4 – مع لسانيي النظرية التلفظية : اللغة نظام مفتوح

كانت بداية الاهتمام بدراسة الواقع المادي للغات في تاريخ اللسانيات الحديثة منذ أن شرع بعض اللسانيين البنويين – هم لسانيو مدرسة جنيف (شارل بالي ورفقاؤه) – في الاهتمام بدراسة الجانب الانفعالي لدى المتكلمين، وهو جانب انصرفوا فيه، إلى البحث في مظهر اللغة الحركي، وفيما ينتجه من وظائف للكلام، وتحوّل درسهم، عبره، من الاحتفال بالقواعد الافتراضية للغة إلى الاحتفال بقواعدها التحقيقية[65]، تلك التي تتصل دراستها بالاختيارات الأسلوبية، وبالتأثيرات الانفعالية، وبالتعبيرات الفردية للمتكلمين.

---

63) نفسه، ص60.

64) ينظر : Chomsky. N, Le langage et la pensée.، ص45.

65) التحقيق هو العملية التي يتم فيها تحويل وحدة ما من اللغة إلى الكلام. إن تحقيق مفهوم ما هو تحديده من خلال تمثيل حقيقي للمتكلم . (J .Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique، ص09).

وفي نهاية العقد الرابع من القرن العشرين تتابعت أعمال متميزة للسانيين فرنسيين[66] كانت في مجملها امتدادا لأعمال مدرسة جنيف، وأصبحت تنعت لسانياتُها، فيما بعد، باسم : لسانيات التلفظ L. d'Enonciation، أو اللسانيات التلفظية L.Enonciative، وكانت إيذانا بمرحلة جديدة في علم اللسان الحديث، هي مرحلة اللسانيات التداولية.

يعود استعمال مصطلح التلفظ Enonciation في اللسانيات العامة بشكل خاص إلى اللساني الفرنسي شارل بالي في كتابه "اللسانيات العامة واللسانية الفرنسية"؛ ومن بين المعاني التي حدّد بها مفهوم التلفظ بيانه أنه يكون ظاهرا أو ضمنيا بدرجات متغيّرة، وأن هذه التغييرات تبدو محدّدة إما عن طريق أسباب نفسية، وإما عن طريق معطيات المقام[67]. أمّا إ.بنفنست E.Benveniste فيحدّد مفهوم التلفظ تحديدا إجرائيا نلمس فيه استثمارا واضحا لجدلية العلاقة بين اللغة والكلام حيث يقول : **"هو إجراء اللغة في الاستعمال من خلال فعل فردي"**[68]، بينما يرى أ. ديكرو أنّ من الممكن دراسة خصائص الملفوظ في ضوء التلفظ منتقدا البنويين في اقتصارهم على التمثيل الصوري للغات[69].

وفي الدراسات اللسانية اللاحقة ظهر مصطلح التلفظ قرينا لمصطلح الملفوظ Enoncé في ضوء ثنائية رأى، من خلالها، بعض اللسانيين الغربيين أن **"التميز الكبير لا يتم أبدا بين اللغة والكلام ولكن بين الملفوظ الذي يُقصد به ما يقال، والتلفظ كفعل للقول"**[70].

تعدّ النظرية التلفظية من أبرز النظريات اللسانية التي تحولت باللسانيات من مستوى الدراسة الصورية الداخلية لشؤون اللغة ولظواهرها إلى مستوى الدراسة المحتفية بمعطيات الواقع الخارجي للنشاط اللغوي حيث يُصار ببنى اللغات، ونماذجها، ومفترضاتها إلى

66) يمكننا أن نشير، في هذا الصدد، إلى أعمال إ. بنفنست في كتابه : قضايا اللسانيات العامة (1966)، وأعمال أ. ديكرو في كتبه : البنوية في اللسانيات (1973)، والقول والمقول (1980)، والمنطق والبنية والتلفظ؛ قراءات في اللغة (1989)، وأعمال أ. كيليولي في كتبه : حول بعض التناقضات في اللسانيات (1973)، وقيم الجهات في العمليات التلفظية (1979)، ومن أجل لسانيات للتلفظ (2002).

67) ينظر : Bally. Ch, la linguistique générale et la linguistique française, Editions Francke Berne,1965، ص53.

68) Benveniste.E, Problèmes de linguistique générale, 1974 ، ص80.

69) ينظر : Ducrot Oswald, (1984), Le dire et le dit, Les éditions de minuit, Paris ,1984، ص ص69-73.

70) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، (تر / سعيد علوش)، الرباط، مركز الإنماء القومي، (د.ت)، ص9.

تحقيقات كلامية مادية تفضي إلى دلالات خاضعة، بوضوح، لتأثيرات الأغراض والمقامات، وفي ظل هذا التحول تم الانتقال من الاحتفاء بعناصر النظام المغلق وبمعطياته الداخلية القارة إلى الاحتفاء بما يكون فيه النظام عرضة للانفتاح على العناصر غير اللغوية، وذلك في ضوء الاستجابة لما يحيط بالملفوظات من ظروف مقامية متنوعة.

وحينما نتتبع مضامين أهم المسارات التي مرّ بها الدرس اللساني الحديث لا سيما في مراحل ظهوره الأولى نجد أن اللسانيات الغربية لم تهتمّ بظواهر الانفتاح في نظام اللغة بقدر ما اهتمّت بظواهر الانغلاق. والحق أن ثنائية النظام المغلق والنظام المفتوح Système clos/ Système ouvert ليس لها ورود واضح وصريح في الكتابات اللسانية الحديثة، إنما تعرض الإشارة إليها ضمنيا في أغلب الأحيان. ولكن، على الرغم من أن حضورها، في هذه الكتابات، يبدو باهتا، والحديث عنها مقتضبا إلا أنها تتضمن فكرة وجيهة تدل على انشغال مهم في أعمال اللسانيين المحتفين بنظرية التلفظ، ويمكننا أن نعدّ فكرة "النظام المفتوح" مدخلا من المداخل المنهجية للسانيات التلفظ وواجهة هي من أبرز واجهات بحثها اللساني.

ويمكن القول إنه منذ منتصف القرن العشرين تتابعت جهود لفيف من اللسانيين الغربيين في سبيل بيان أهمية الجانب الحركي المفتوح في دراسة اللغة، وذلك بعد أن أدركوا أن " **لسانيات اللغة تبدو مستحيلة إذا لم تكن أيضا لسانياتٍ للكلام**"(71)، ومن الذين تعرّضوا لمبدأ النظام المفتوح – وإن لم يتناولوا مصطلحه بشكل مباشر(72) – ودعوا إلى الالتفات إلى مضمونه، وبينوا أهمية الاحتفال به، هم اللسانيون التلفظيون، نذكر في مقدمتهم : ش. بالي الذي يشير إلى أن اللغة على الرغم من أنها تبدو كيانا يقوم على الانسجام، والوحدة، والتنظيم فإن فيها الكثير من الجوانب الدالة على الفوضى والتصادم، وهذا ما يتجلى في الكلام(73). وإ. بنفنست الذي يقول في مقابلة له بين العلامة والجملة : "**مع الجملة نغادر مجال اللغة من حيث**

---

71) Ducrot. O, 1984 ، ص67.

72) باستثناء أ. كيليولي الذي تعرض لمصطلح النظام المفتوح بشكل مباشر وصريح كما يبدو في نصه الوارد فيما سيأتي من المتن أعلاه.

73) ينظر : Bally.Ch, Linguistique générale et linguistique française, 1967، ص ص 17-18.

هي نظام من العلامات، وندخل في عالم آخر حيث اللغة أداة للتواصل، والتعبير فيها هو الخطاب"(74)، وأ.كيليولي صاحب مقولة : "إن اللغة نظام، لكنها نظام مفتوح"(75).

ولعلّ من أهم مضامين الخطاب اللساني في سلسلة الكتابات التابعة للسانيات التلفظ - ومعها في ذلك سائر اللسانيات التداولية - القول بأن اللغة ليست نظاما مغلقا على نفسه مثلما تحاول اللسانيات البنوية أن تؤكده في نظرياتها المختلفة، وإنما هي نظام ينفتح على المعطيات الخارجية بشكل لا نهائي ويتداعى إلى صور من الاستجابة الكلامية المتأبّية - في كثير من الأحيان - على التحديد والتقليص. ويورد إ.بنفنست، من خلال مقابلته بين السيميائيات وعلم الدلالة، مقابلة بين الشكل والمعنى تهيئ للفهم أن اللغة تتأسس بانغلاقها على عالم العلامات Monde des signes، ولكنها مع ذلك تخترقه متّجهةً إلى ما تقوله تلك العلامات(76). ويقول مصطفى ناصف : "لقد استطاعت البنائية والسيميولوجية أن تختصر النظام أو اللغة اختصارا قاسيا [...] فالنظام اللغوي لا حقيقة له بمعزل عن إحالة خارجية، وليس من الصحيح تماما أن علاقات هذا النظام يعتمد بعضها على بعض اعتمادا داخليا صرفا. هذه الافتراضات تؤذي التجربة اللغوية"(77).

وتجدر الإشارة إلى أن الانفتاح الذي قليلا مّا يتحدّث عنه اللسانيون التلفظيون ليس هو ذلك الانفتاح الذي قد يتمظهر في المعطيات اللسانية للملفوظات، وإنما يراد به استعمال جمل اللغة فيما تخرج به عن نماذج تراكيبها النحوية، مما يدفع إلى إدخال عناصر غير لغوية في تحديد المعنى وتوجيهه كالتنغيم، وتقطيع العبارة بالوقف، وهو ما يندرج ضمن ما سمّوه بـــ "التصريف النغمي للجمل" Modulation des phrases (78). ومن أمثلته قول أحدهم : "أنا، السياسة، لا أعرفها ولا تعرفني"، فالانفتاح في المثال السابق يتمثل في خلخلة البناء النحوي للجملة، ومن هنا لا يمكن تفسيره نحويا، وإنما يُفسّر بإدخال معايير غير نحوية بل غير لسانية، نذكر منها : التصريف النغمي للملفوظ (ما هو وجه الأداء الصوتي الذي تؤدّى به ؟)، ومعرفة نية المتكلم، والظروف المقامية المحيطة بالملفوظ حين إنتاجه.

---

74) Benveniste. E, Problèmes de linguistique générale, 1974, p 131

75) Culioli. A. Sur quelques contradictions en linguistique , (le Seuil), 1973 , pp 87.

76) Benveniste. E, Problèmes de linguistique générale, T2,Cérès editions,Tunis. 1974, p.229

77) ناصف مصطفى، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، 1995، ص251-252.

78) Fuchs. C et LE Goffic, Initiation aux problèmes des linguistiques contemporaines Classiques, Hachette, Paris. p, 1975, p113

وإذا كان الانفتاح على مستوى التصريف النغمي موجودا في جميع اللغات فإن مبدأ الانفتاح في المعطيات اللسانية الداخلية للملفوظات يبدو عطاؤه شحيحا في الدراسات اللسانية الغربية على مستوى اللغات الأوروبية نظرا لأنها لغات إلصاقية لا تعتمد أنظمتها على الانفتاح إلا في ظواهر قليلة محدودة، وههنا تبرز خصوصية نظام اللغة العربية؛ ذلك أن دراسة الانفتاح في الملفوظات عبر معطياته اللسانية الداخلية تبدو منطوية على مشروع كبير يعد بالكثير من الكشوف والإصلاحات؛ فظواهر الانفتاح في العربية متعددة ومتنوعة، نذكر منها على سبيل التمثيل بعض الظواهر على مستوى النظام النحوي مثل : مرونة التركيب في الجملة العربية بالتقديم والتأخير، ووظيفة الحركة الإعرابية، وتنويع الدلالة في الزمن النحوي للفعل العربي، وظواهر الحذف والتقدير المختلفة، وغيرها.

خاتمـــــــة

في نهاية هذه القراءة التاريخية الإبستمولوجية لما عرفه مفهوم النظام اللـــساني مـــن صياغات متعددة ومتباينة لإعادة بناء مفهومه وتطوير آلية العمل به يمكننا أن نخلـــص إلى نتيجة مهمة مفادها أن مفهوم النظام قد تحول – خلال سيرورة إعادة بنائه – من مجـــال التصنيف النحوي القار Statique إلى مجال الدراسة الإجرائية الحركيـــة Dynamique، أي من المجال الذي يكتفي، فيه، أصحابه (سوسير وسائر البنويين الأوروبيين والأمـــريكيين) بوصف المظهر السطحي لنظام اللغة مستندين إلى مقتضيات المنهج التجريبي الاســـتقرائي المعتمَد في اللسانيات البنوية [79] إلى مجال البحث في ظاهرة إنتاج الكلام أين يتم الاهتمـــام بدراسة مظهر اللغة الحركي[80] Aspect dynamique[81]، ومما يلفت النظر أن مجال الدراسة المحتفلة بهذا المظهر الحركي ينضوي فيها توجهان لسانيان كبيران :

79) ينظر : R.V.de velde, Introduction à la méthodologie structurale de la linguistique، ص ص 93–106.

80) ينظر : نفسه، ص ص 93–106.

81) يُقابل المظهر الحركي للغة المظهر السكوني أو القار Aspect statique عند سوسير وهو ما يتجلى في تحديده للغة بأنها مجموعة من القواعد المستقرة والصور الشفوية المختزنة لدى الأفراد (انظر : p30)، وقد أدى هذا التحديد – عنده وعند سائر البنويين باستثناء لسانيي مدرسة جنيف كما هو مبين أعلاه – إلى الانكفاء على وصف اللغة دون تفسيرها .

– الأول يستند فيه أصحابه (يالمسليف وتشومسكي) إلى مقتضيات المنهج الاستنتاجي في ضوء موقف لساني إجرائي يراعي كيفية تحول الموجود بالقوة (اللغة) إلى الموجود بالفعل (الكلام)، ويفسر، ضمن عملية التبليغ اللغوي، العلاقات النحوية والمنطقية والدلالية التي تقوم بنظمها وتنضيدها قواعد النظام اللغوي، ويسعى إلى أن يكشف عن ظاهرة إنتاج اللغة من حيث هي نشاط إبداعي خلاق في ذهن الفرد المكتلم(82).

– والثاني يراعِي فيه أصحابه (لسانيو مدرسة جنيف، والمهتمون بلسانيات التلفظ) دراسة المظهر الحركي لنظام اللغة؛ وهو ما يتجلى في إنجاز الكلام من حيث هو استعمال أسلوبي فردي واختيار تعبيري متميز. إن الدراسة النظامية عند أصحاب هذا الاتجاه تهتم بجميع عناصر الحدث التعبيري داخل الملفوظ وخارجه، و" **تقترح وصف جميع الإمكانات التعبيرية للغة ما في ضوء مقابلتها بالنظام الفونولوجي، والنظام النحوي، والنظام المعجمي**"(83)، ومن هنا فإن أصحاب هذا الاتجاه لا يستجيبون للاعتقاد الذي يرى في اللسانيات مجالا مغلقا لا يكاد يتجاوز معطيات الواقع الداخلي إنما هي في نظرهم مجال مفتوح على صيغ أخرى للفكر تصلح لاستيعاب جوانب في النشاط اللغوي تبدو أكبر وأهمّ من جوانبه النموذجية الداخلية التي يكتفي بها البنويون وينكفئون عليها.

مراجع البحث

1 – المراجع العربية

– إبراهيم زكريا : مشكلة البنية (مشكلات فلسفية 8)، دار مصر للطباعة، 1990
– أرمينكو فرانسواز : المقاربة التداولية، (تر / سعيد علوش)، الرباط، مركز الإنماء القومي، (د. ت).
إفيتش ميلكا :
– اتجاهات البحث اللساني، (تر/ سعد مصلوح ووفاء كامل)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.
– حاج صالح عبد الرحمن : (مدخل إلى علم اللسان الحديث)، مجلة اللسانيات، المجلد2، العدد : 01.
– دبه الطيب : مبادئ اللسانيات البنوية. دراسة تحليلية إبستمولوجية، طبع دار القصبة، الجزائر، 2001.
– حول تعليم النحو العربي وتعلُّمه بين النظام المغلق والنظام المفتوح، ندوة دولية حول "اللسانيات وتعليم العربية" بمكناس، بالمملكة المغربية، (5-6 ديسمبر 2012).

---

82) ينظر لمزيد من الاطلاع على السمات التقاطعية بين لسانيات يالمسليف ولسانيات تشومسكي : R.V.de velde, Introduction à la méthodologie structurale de la linguistique، ص106.

83) Arcaini Enrico,Principes de linguistique appliquée, Payot Paris ، ص201.

- معالم البناء المنهجي لمفهوم النظام عند دو سوسير، مدارات فكرية وثقافية، أعمال مهداة تكريما للأستاذين العربي المتريل ومحمد جمور، جامعة ابن زهر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المملكة المغربية، 2006.
- كامل وفاء محمد : (مقال : البنيوية في اللسانيات)، عالم الفكر، المجلد 26، العدد2، أكتوبر/ ديسمبر 1997.
- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى، (تر/ محمد الراضي)، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت — لبنان، 2012.
- مارتيني أندري : وظيفة الألسن وديناميتها، (تر/نادر سراج)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009.
- مونان جورج : علم اللغة في القرن العشرين، (تر/ نجيب غزاوي)، مطابع مؤسسة الوحدة.
- ناصف مصطفى : اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، 1995.

2- المراجع الفرنسية

- Arcaini. E : Principes de linguistique appliquée, Payot Paris,
- Bally.Ch : Linguistique générale et linguistique française, Editions Francke Berne,1967.
- Bertil. M : Les nouvelles tendances de la linguistique, P.U.F, Paris 1968 .
- Benveniste. E : Problèmes de linguistique générale, 1974
- Chomsky. N : Le langage et la pensée, Petite bibliothèque Payot, Paris, 1969.
- Culioli. A : Sur quelques contradictions en linguistique , (le Seuil), 1973
- Dubois. J et Autres : Dictionnaire de linguistique, Librairie larousse, Paris.
- Duchet Jean – Louis : La phonologie," que sais – je", 4 edt, 1995.
- Ducrot Oswald : Le dire et le dit, Les éditions de minuit, Paris, 1984.
- Ducrot .O et Todorov.T : Dictionnaire encyclopedique des sciences du langage, edt du Seuil, 1972,
- Fuchs. C et LE Goffic : Initiation aux problèmes des linguistiques contemporaines, Classiques HachetteK Paris. P, 1975
- Greimas, A et Courtes. J : Dictionnaire de sémiotique,
- Hjelmslev. L : Essais linguistiques, edt de MINUIT, 1971,.
  - Prolégomènes à une théorie de langage, (Tr/Una Canger), Edt de MINUIT,1971
- Maingueneau. L'Approche de l'énonciation en linguistique française Classique HACHETTE, Paris, 1981.
- Martinet. A : Elements de linguistique générale, ARMAND COLIN,
- Martinet. J : Clefs pour la Sémiologie, Edts Seghers, 1973
- Meillet. A : Linguistique historique et linguistique générale, Champion, Paris, 1926.
- Mounin. G et Autres : Dictionnaire de la linguistique, QUADRIGE / PUF, 3 edt 2000
- Saussure. F (De) : Cours de linguistique générale, Edt préparée par Tullio de Mauro, Payot Paris,1985
- Velde R.Van (de) : Introduction a la méthodologie de la linguistique structurale, Edt Labor, Bruxelle, 1973.

مشروع نظرية اللغة عند هيلمسلاف ومشروعية الجبر الغلوسيمي

جمال بلعربي
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر

مقدمة

إن ما تتفق حوله اللسانيات اليوم هو أنها متعددة بتعدد اللسانيين وأن باب الاجتهاد فيها مفتوح على آخره لجميع الباحثين، وقائمة مصطلحاتها هي الأخرى مفتوحة لجميع الاقتراحات وفي الوقت نفسه أصبح البحث اللساني يتميز بأنه بحث مستمر عن التأسيس الذي يبدو أنه لن يتحقق ما دام البحث بطبيعته بحثا عن الجديد ومحاولة مستمرة للتجاوز. ونعتقد أن هذه الحالة ستستمر إلى أن تتشكل النظرية اللسانية القادرة على إقناع عدد كبير من الباحثين النشطين بجدواها، فيلتفون حولها ويمنحونها القوة التي تفرض بها مفاهيمها على ميدان البحث التطبيقي والتطوير التقني. وهو ما حدث مع أطروحة تشومسكي بشكل خاص، وقبل ذلك مع مفاهيم دي سوسير.

في هذا السياق حاولت حلقة كوبنهاغن منذ الثلاثينات من القرن العشرين أن تحقق مثل هذا الهدف بمشروع جديد. نحاول في الفقرات التالية مناقشة هذا مشروع، الذي اشتهر به العالم الدنماركي لويس هيلمسلاف (1889-1965)، لتأسيس اللسانيات على قاعدة علمية في إطار ما أسماه بالغلوسيمية[1]، ونحاول وضعه في سياقه التاريخي والعلمي،

1) يقدم هيلمسلاف، وأولدال، تعريفه الأول للمفهوم الأساسي في هذا المشروع، الغلوسيمية، في صيغة مبسطة في دفتر وزع سنة 1936 تحت عنوان "Synopsis of an outline of glossematics" ثم يقدم التعريف الأدق في كتاب "Prolégomène.." سنة 1943. انظر (Hjelmslev, L. 71a p. 102).

وذلك بهدف الاستفادة من تلك التجربة في إثراء البحث النظري الممكن من أجل إعادة بناء اللسانيات. أو ربما ما يحسن أن نعتبره البناء الجديد للسانيات العربية.

نبـــدأ بتعريف بالغلوسيمية ونركز على الأسس الإبستيمولوجية التي تقوم عليها ثم التصورات الجديدة التي أثرت بها البحث اللساني في النصف الأول من القرن الماضي وعلى رأسهـــا تحديد ثم توسيع الموضوع (موضوع العلم) الذي تطمح إلى تغطيته بمفاهيمها وأدواتها المنهجية. ونتطرق للتحديات التي واجهتها وتواجهها وأهمية الصياغة "المحكمة" التي جاءت بها والوعود الثورية التي لم تستطع تحقيقها. ثم نتطرق للمنطلقات النظرية التي يتأسس عليها تصور النظرية الخليلية الجديدة للسانيات العربية بهدف كمشروع لتأسيس اللسانيات العربية يلتقي في العديد من النقاط مع المشروع الغلوسيمي، إلى درجة أننا نستطيع، بالاعتماد على الروح العلمية الجريئة التي تحلى بها، أن نعيد النظر في تعاملنا مع الفكر اللساني العربي القديم، وأن نخطو خطوات مثمرة في مستقبل البحث اللساني.

1 - تأسيس "اللسانيات اللسانية"[2] عند هيلمسلاف

أقام هيلمسلاف أطروحته الغلوسيمية على رفض الفكر اللساني السابق عليه من الأساس، معتبرا أن اللسانيات إلى غاية بداية القرن العشرين، كانت دائما تخطئ موضوعها، وتقتصر على دراسة بعض المواضيع المتعلقة به، وكانت في أحسن الحالات تتناول بالدراسة بعض جوانبه فقط الشيء الذي عطل التفكير اللساني عن تحقيق التراكم المعرفي اللازم لما يمكن أن يصلح مادة لكتابة تاريخ علم اللسان.

لقد كانت البحوث اللسانية في نظره غير علمية، يعني أنها لم تتمكن من تحديد موضوعها بدقة ولم تضع المنهج العلمي المناسب لطبيعة موضوعها ولم تنتج من المفاهيم والتصورات ما يمكن أن يشكل أداة للتحليل اللساني، ولذلك كانت اللسانيات برمتها في حاجة إلى تأسيس علمي نظري، يلغي كل التصورات المتأثرة بالنزعات الطبيعية والوضعية

---

2) عبارة "اللسانيات اللسانية" هي ترجمة لتعبير هيلمسلاف "linguistique linguistique" انظر :

"Ce n'est que de cette manière, en complétant la linguistique logique, historique, physiologique, physique, psychologique, sociologique par une linguistique spécifiquement linguistique, qu'on aura fondé une science du langage solidement établie en science autonome." (Hjelmslev, L. 1963, p. 25)

والتطورية والإنسانية ... إلخ الموروثة عن أدبيات فقه اللغة والتصور الأدبي للبحث اللساني وللبحث في العلوم الإنسانية كلها[3].

لذلك اقترح أن يتأسس مشروع اللسانيات التي تدرس اللسان، أو بالأحرى التي تدرس اللغة في حد ذاتها، من حيث هي بنية وليست تراكما لعدد من الوقائع الفيزيائية والنفسية والمنطقية والتاريخية والاجتماعية...إلخ[4]. وانطلق من مفهوم البنية ومن محاضرات دي سوسير ليؤكد أن هذه "اللسانيات اللسانية" يجب أن تكون بنيوية. يعني أننا مع علم اللسان نكون قد تخلصنا من اللسانيات التاريخية ومن فلسفة اللغة ومفقه اللغة ومن مبحث اللغة في إطار الأنساق المنطقية، وكذلك من الإدراج السيكولوجي لهذا الموضوع عند دي سوسير. ومع ذلك يستثني هيلمسلاف، من إقصاء الفكر اللساني السابق عليه، إسهامات دي سوسير إذ يعتبره الوحيد الذي عالج اللسان من حيث هو بنية واعتبر اللسان شكلا يتكون من علاقات[5]. غير أن الإحالات الكثيرة في كتابات هيلمسلاف لدي سوسير لم تمنعه من اقتراح عدد من الصيغ "الأكثر دقة" لمفاهيم وتصورات هذا الأخير.

هكذا يمكن أن نتحدث عن التأسيس العلمي للسانيات (Hjelmslev, L. & Uldall, H. J. 1936) عندما تتمكن من ضبط تصور موضوعها، وهنا يقترح هيلمسلاف، في المرحلة الأولى من طرح مشروع الغلوسيمية، أن نعتبر موضوع علم اللسان هو اللسان في حد ذاته وليس أي مظهر من مظاهره ولا أي موضوع يمكن أن يتعلق به. وفي هذا المستوى من النقاش لا يفرق بين اللسان واللغة على اعتبار أن ما يهم علم اللسان في الحالتين هو النسق في حد ذاته وليس مضمون النسق ولا طبيعته أو وظيفته .. إلخ. والنسق عند هيلمسلاف هو مجموعة العلاقات التي تنتظم الوحدات المكونة له بعضها مع بعض والعلاقات التي تربطها بالنسق ككل.

تسمى كل من هذه العلاقات داخل الجهاز المفاهيمي الغلوسيمي دالة. وتسمى أيضا بالعلاقة السيميائية التي تربط بين شكل التعبير وشكل المضمون فتجعل النسق قادرا

3) Acta linguistica, N. 1, Copenhague 1936.

4) Hjelmslev, L. 71a, p. 12.

5) Hjelmslev, L. 71a p. 14.

على أن يركب من جزيئاته (الغلوسيمات التي يتكون منها شكل التعبير والغلوسيمات التي يتكون منها شكل المضمون) علامات قابلة للتعبير عن طريق الانتظام في نص. ويقوم هذا التصور للعلامة على التسليم بأن كل نص تسنده لغة، يجب أن يقبل التحليل إلى صعيد للتعبير وصعيد للمضمون، ويقبل كل من الصعيدين التحليل إلى شكل ومضمون، بحيث يهتم العلم اللساني بالشكلين معا، وبطبيعة الحال، وخاصة في المرحلة الأولى من طرح المشروع الغلوسيمي، تخرج دراسة المضمون عن إطار اللسانيات العلمية.

بهذا المعنى يمكن لموضوع اللسانيات أن يتسع ليشمل كل الألسنة التي تتوفر على خصائص نسق العلامات بالمواصفات المذكورة هنا. بمعنى أن اللسان لم يعد يقتصر في ماصدقه على اللسان الشفهي أو الكتابي، بل هو يشمل جميع أنساق التعبير بما فيها البصري والسمعي وغيرها مما يملك خاصية التعبير وفق هذا التصور الغلوسيمي، وبذلك يؤكد هيلمسلاف على أن الغلوسيمية لا تشمل فقط الألسنة المعروفة التي يتمكن اللساني من معاينتها ودراستها وتحليلها، بل يشمل جميع الألسنة الموجودة والممكنة.

إنه تحول نوعي غلوسيمي بامتياز في تاريخ البحث اللساني وبالتحديد في تصور موضوع اللسانيات، وهي أطروحة تم عرضها في أوج تألق مدرسة براغ وإبهارها للمجتمع العلمي بالدرس الفنولوجي. ولسنا في حاجة هنا للتأكيد على أن الأطروحة الغلوسيمية تضع الاهتمام الفنولوجي (بصفته اهتماما بموضوع فيزيائي) خارج نطاق اللسانيات.

بعد ضبط تصور الموضوع يقدم هيلمسلاف تصوره للأساس المنهجي الذي تقتضيه طبيعة هذا الموضوع، والذي يبنى عليه بعد ذلك تصور المنهج. ويتمثل هذا الأساس المنهجي في النظرة المحايثة للسان بدلا من النظرة المتعالية المكرسة في البحث اللساني إلى غاية بداية القرن العشرين. فيتولد عن هذا الأساس تأكيد لأطروحة دراسة اللسانيات للسان في حد ذاته.

كما يترتب عنه تحول إبستيمولوجي[6] أساسي (Hjelmslev, L. 1971a, p. 12) في منهجية البحث اللساني وقبل ذلك في تصور بناء النظرية اللسانية. حيث تعتبر الغلوسيمية

---

6) « C'est par sa contribution à l'épistémologie générale que la linguistique révèlera incontestablement son importance » (Hjelmslev, L. 1971a, p. 12).

أن النظرية اللسانية لا تبنى على أساس سلسلة من عمليات استقراء - مثل العلوم التجريبية، أرقى ما كانت تطمح إليه الترعة الوضعية في تصورها لمستقبل العلوم الإنسانية - ينتقل فيها العقل من دراسة بعض العينات من الوقائع اللسانية إلى صياغة المفاهيم والتصورات العامة والقوانين ويحاول تطبيقها عنوة على بقية الألسنة (Hjelmslev, (L. 1971a, p. 20. ولعل هذا ما كان حدث مع نحو بور روايال، بل ومع صياغة النحاة الأوروبيين للمفاهيم اللسانية الخاصة بكل لسان. وبالمقابل ترى الغلوسيمية أن الطبيعة التجريدية لعلم اللسان، الناتجة عن الطبيعة التجريدية للسان، حسب التصور الموضح أعلاه، لا تتفق مع المنهج التجريبي والاستقرائي للعلوم الطبيعية، بل إن علم اللسان أقرب إلى العلوم التجريدية مثل المنطق والرياضيات. ولذلك يشتغل العقل فيه في الاتجاه المعاكس، فينتقل من القضايا الصورية المنتظمة في نسق محكم، أساس المقبولية فيه هو الانسجام الداخلي وعدم التناقض، إلى الوقائع اللسانية الخاصة، ولا يمكن أن نتخذ من تلك الوقائع حجة ضد نظرية اللغة حسب هذا التصور، فتلك الوقائع، إذا لم تؤكد ذلك التماسك الداخلي، فهي تثبت فشل الباحث المطبق في استثمار الجهاز المفاهيمي الغلوسيمي عند تحليله للوقائع اللسانية.

أقـــام هيلمسلاف منهج اللسانيات على المبدأ الإمبريقي(Hjelmslev, L. 1971a, (p. 19. لكنه قام بحركة إبستيمولوجية تفرد بها المشروع الغلوسيمي، حيث اقترح إعادة تعريف مفهوم الإمبريقية، وبدلا من التعريف التجريبي المكرس من طرف العلوم التجريبية أصبح هذا المبدأ يتفرع إلى ثلاثة مبادئ متتالية في الأهمية هي: مبدأ البساطة ومبدأ عدم التناقض ومبدأ الشمول. فبدلا من الاستمرار في السعي العقيم لجعل العلوم الإنسانية تتشبه بالعلوم التجريبية، كما فعل علم النفس التجريبي وعلوم أخرى في بداية القرن العشرين، أصبحت اللسانيات، كنموذج للعلوم الإنسانية الأخرى، ترفض هذا التشبه ولا تقيس به درجة علميتها. بل تبحث عن الانسجام الداخلي الذي يضمن عدم تناقضها وبساطة صيغها وأبنيتها ودرجة من الشمول لموضوعها.

في الاتجاه التجريدي نفسه، اقترحت الغلوسيمية أن يتخذ التحليل في اللسانيات شكل جرد للوحدات المكونة للنص بغرض الوصول إلى ضبط الدوال (العلاقات الصورية)

التي تنتظم تلك الوحدات وفقا لها. وأطلقت على هذا التحليل اسم الجبر الغلوسيمي على اعتبار أن هذه العملية تتم باستعمال الرموز وتعبر عن العلاقات المتحصل عليها بصيغ جبيرة لا يمكن أن تقتصر في تطبيقها على لسان معين، بل هي في آخر الأمر قائمة من العلاقات الممكنة رياضيا، كما حاول أولدال أن يبينه، تعبر عن جميع الإمكانيات السيميائية التي تتيحها الألسنة المعروفة وغير المعروفة والموجودة والتي يمكن أن توجد.

2 - الإمكانيات التطبيقية للجبر الغلوسيمي

تطلق الغلوسيمية على عملية التحليل اللساني للنص اسم الجبر الغلوسيمي، وأحيانا تسميها الحساب الغلوسيمي (Hjelmslev, L. 1975)، ويقدم أولدال قائمة الصيغ الجبرية المجردة الممكن استعمالها في جميع الألسنة، بل في جميع أنساق التعبير التي تشملها العلوم الإنسانية (ULDALL, Hans J. 1957). ويقدم هيلمسلاف من جهته جهازا من التعريفات المترابطة والرموز المعبرة عنها والصيغ الجبرية التي تستعمل تلك الرموز والتي يمكن، بل يجب، استعمالها عند تحليل أي نص بغرض استخراج الوقائع اللسانية التي تسنده والنسق اللساني الذي أنتجه.

جاءت تسمية الجبر، أو الحساب، للتعبير عن المستوى الشكلي الخالص للتحليل، والطبيعة الصورية المجردة للدوال، والاستقلالية التامة لهذا الجبر عن خصوصيات أي لسان وأي نص بعينه، بحيث لا يمكن بأي حال أن يحتوي أي نسق لساني على علاقة تفلت من هذا الحساب. ويقوم اللساني بتحليل النص، في إطار الغلوسيمية، إلى مكونات ثم مكونات المكونات، إلى أن يستنفد عملية التحليل، فيكون قد وصل إلى جزيئات لا تقبل مزيدا من التحليل دون أن يخرج ذلك التحليل عن إطار الغلوسيمة، وعن الطبيعة اللسانية للنص. وبعد ذلك يقوم بجرد الدوال، التي تربط بين الجزئيات في شكل علامات، والتي تربط بين العلامات داخل النص، والتي تربط بينها داخل النسق (Hjelmslev, L. 1971a, p. 43).

يسعى التحليل الغلوسيمي، حسب ما بينا، إلى جرد العلاقات الصورية والإمكانيات المحددة رياضيا، بصورة قبلية، اعتمادا على الجهاز المفاهيمي المعد مسبقا على

طريقة الأنساق المنطقية والرياضية، ويسلم بأن طبيعة النسق الغلوسيمي تختلف عن النسق المنطقي في أن النسق الغلوسيمي يعالج المقادير اللسانية ذات البنية السيميائية (العلامات ومركبات العلامات) المنتجة للمعنى بغرض التعبير، بينما يعالج النسق المنطقي المقادير المجردة التي مدارها قيمة الصدق والكذب والصحة القياسية والفساد، إلى جانب كون قضاياه وأقيسته لا تقبل التقسيم إلى صعيد للتعبير وآخر للمضمون، المعطى الجوهري بالنسبة لأي نص.

أمام هذا "الوضوح" النظري، وضوح النوايا على الأقل، نجد صعوبة في تجنب السؤال المتعلق بإمكانية تطبيق الجبر الغلوسيمي، على الرغم من أنه سؤال غير منهجي (بلعربي، 2012)، من وجهة النظر الغلوسيمية.

لذلك يجب أن نؤكد على بعض التجارب التطبيقية ذات النتائج المحدودة في نظرنا، ولكنها نتائج لا تعبر عن الإمكانيات النظرية والتطبيقية التي تتيحها الأطروحة الغلوسيمية بقدر ما تعبر عن اجتهاد المطبقين وقدرتهم على استثمار تلك الإمكانيات.

من أهم الإجتهادات التطبيقية للغلوسيمية، تجربة الدنماركي كنود توجيي في وصف البنية المحايثة للسان الفرنسي (Togeby, Knud. 1965) والتي لم تجد صدى لدى المشتغلين بهذا النحو يمكن أن يبين لنا أهمية إضافاتها العلمية.

هناك تجربة أخرى قام بها الإسباني ألاركوس يوراتش لوصف اللسان الإسباني من وجهة نظر الغلوسيمية (LLORACH, Emilio Alarcos. (1972)، وبقيت هي الأخرى تجربة تثير اهتمام الباحثين الغلوسيميين فقط. ونعتقد أنها كانت تجربة تهدف إلى التعريف بالمفاهيم الغلوسيمية أكثر من استثمارها وإثراء البحث اللساني بإمكانياتها النظرية والتطبيقية.

هناك تجربة ذات أهمية خاصة في مجال التأسيس النظري للسانيات يمكن أن نقتفي آثارها في كتابات بعض الدارسين للسانيات العربية في التراث اللغوي العربي القديم، وهي تجربة تلتقي في كثير من النقاط مع التجربة الهيلمسلافية. فنعتقد أن استناد البحث اللساني عند مدرسة الخليل ابن أحمد الفراهيدي على الرياضيات، واعتماده على القياس التمثيلي

(حاج صالح ع. 2009)، وعلى التصور الاحتمالي للبناء المعجمي والعلاقات الحسابية للتحليل النغمي...الخ، يكشف لنا مبدئيا عن إمكانية وجود نوع من التقارب الإبستيمولوجي بين النظريتين. ونجد شيئا من التبرير لمعقولية هذا الافتراض في التصور النسقي الذي أطر أعمال النحاة العرب الأوائل، وهم في نظر بعض الدارسين، المؤسسون الحقيقيون للسانيات العربية تحت اسم علم العربية.

في سياق هذا النقاش يمكن أن نفتح بابا للاجتهاد المقارني يهدف إلى استثمار المفاهيم الغلوسيمية، الأسس الإبلستيمولوجية التي انطلقت منها لبناء موقف من علم اللسان برمته، وننطلق منها أيضا لإعادة وصف النسق اللساني العربي. فنحن على ما يبدو، نتعاطى الدرس النحوي وفق تصورات النحاة المتأخرين وهي تصورات لا تعبر عن عبقرية العلماء المؤسسين للسانيات العربية (Hadj-Salah, A. 1979)، بل هي تصورات غير منتجة من وجهة النظر اللسانية. وسنخصص لهذا الجانب من موضوعنا فقرة خاصة في هذا البحث، بعد التطرق للسياق التاريخي للغلوسيمية.

3 - السياق التاريخي للأطروحة الغلوسيمية

لعب السياق التاريخي الذي ظهرت فيه الأطروحة الغلوسيمية دورا أساسيا في محدودية انتشارها ومحدودية البحوث المطبقة لمفاهيمها وتصوراتها. فقد ظهر كتاب "البنى التركيبية" لتشومسكي (Chomsky, N. 1957) مباشرة بعد صدور الترجمة الإنكليزية في أمريكا لكتاب "مبادئ نظرية اللغة" (Hjelmslev, L. 1971a)، المتن الأول المكتمل للمشروع الغلوسيمي[7]، وذلك في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، فشدت الأطروحة البنيوية الأمريكية ذات الأساس الرياضي انتباه الباحثين وتعاملوا معها على أنها أفضل الصيغ تعبيرا عن الطبيعة الحقيقية للغة، أكثر الأدوات التقنية التحليلية عملية وإنتاجا، وعمل باحثون من مختلف اللغات على ترجمة الأطروحة التشومسكية واقتفاء أثرها واستثمارها في وصف الألسنة ومراجعة الأنساق النحوية.

---

7) ظهرت الطبعة الأولى لكتب "مبادئ نظرية اللغة" للويس هيلمسلاف، باللغة الدنماركية سنة 1943 :
Omkring sprogteoriens grundlæggelse (Autour de la fondation de la théorie du langage), Fistskrift udg. Af Kobenhaven Universitet (novembre), p. 1-113. Publié en même temps séparément, Copenhague, 115 p. 1943.
وصدرت الترجمة الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1953، ثم صدرت ترجمة فرنسية سنة 1968 رأى الناشر أنها غير دقيقة فأعقبها بطبعة نهائية سنة 1971.

من جهة أخرى، جاءت أهم كتب المشروع الغلوسيمي باللغة الدنماركية واكتفى جمهور اللسانيين عبر، العالم إلى غاية نهاية الخمسينيات (بالنسبة للإنجليزية) ونهاية الستينات والسبعينات (بالنسبة للغات الأخرى) ببعض الملخصات والعروض للتعرف على المتون الغلوسيمية. وهذا بطبيعة الحال أثر سلبا على استثمار ما يمكن أن تتيحه هذه الأطروحة.

لم يكن باحثوا حلقة كوبنهاغن اللسانية، الحاضنة للمشروع، ملتفين بقوة حول المشروع، بل كانت الحلقة منذ بداية تأسيسها، على يد فيغو بروندال ولويس هيلمسلاف، تضم وجهتي نظر متناقضتين، هما وجهتي نظر المؤسسين نفسهما. فقد كان هيلمسلاف، ديكارتي النزعة، يطمح إلى بناء اللسانيات في صورة نسق تجريدي لكن غير منطقي، بينما كان بروندال، صاحب التوجه السبينوزي، يسعى إلى تأسيس النحو العام على أساس منطقي. إضافة إلى جدة وغزارة التعبير الرمزي الذي تميزت به كتابات الغلوسيميين.

تزامن ظهور الأطروحة الغلوسيمية كذلك مع تألق حلقة براغ ومحاولتها تزعم التيارات البنيوية بعدد من العلماء المتمرسين في البحث اللساني التطبيقي وفي الأطاريح النظرية، وبمداخلات مبدعة شهدتها المؤتمرات العالمية للسانيين، فكان على المشروع الغلوسيمي أن يقدم الكثير من التطبيقات الملموسة وأن يسارع إلى حل القضايا اللسانية العالقة لكي يثبت وجوده في هذه الساحة الصاخبة، لكنه لم يفعل. واقتصرت أهم مقالات هيلمسلاف على تبرير التأسيس النظري، وعلى الرغم من صدور عدد من المقالات التطبيقية التي حاول من خلالها تطبيق المفاهيم الغلوسيمية، لم تكن تلك المقالات والمحاضرات كافية بالنسبة للجمهور الباحث عن أدوات عملية للتطبيق الفوري والمنتج.

من جهة أخرى شهدت المفاهيم والمصطلحات الهيلمسلافية، والغلوسيمية بصورة عامة، تغييرات كثيرة من 1928 تاريخ صدور أول كتب هيلمسلاف "مبادئ النحو العام" (Hjelmslev, Loui. 1928) إلى غاية صدور كتاب المقالات الثاني .Hjelmslev, Louis (1973) بعد ما يقارب نصف القرن. ولم تكن التغييرات هامشية أو سطحية، بل كانت تمس في بعض الأحيان المفاهيم الأساسية في الخطاب الغلوسيمي، مثل البنية وثنائية التعبير والمضمون والدالة/الوظيفة واللغة نفسها والسيمياء. مما جعل تلقي ذلك الخطاب يتميز بنوع من التعطيل.

إلى جانب كل ذلك تأخر ظهور كتاب "ملخص نظرية اللغة" (Hjelmslev, L. 1975)، ويضم الجهاز الاصطلاحي والمفاهيمي الغلوسيمي مفصلا ومزودا بالرموز والصيغ التطبيقية. ونعتقد أن تأخر ظهور هذا الجهاز المفاهيمي لعب دورا في تعطيل تلقي الخطاب الغلوسيمي، بحيث أن الكثير من المفاهيم قد وردت بصورة مختزلة سنة 1943، وكان يجب أن توضع في سياقها التجريدي المفصل لتتجلى قيمتها الإصطلاحية داخل مجموعة المصطلحات وداخل الإطار العام للنظرية، كما لعب دورا في إثراء البحث التطبيقي أيضا.

لقد قدمت الغلوسيمية على أنها المشروع النظري البنيوي بامتياز، منذ العدد الأول من مجلة حلقة كوبنهاغن "آكتا لنغويستيكا"، غير أن انتشار نصوصها بين الأوساط اللسانية الواسعة تأخر إلى غاية السبعينات من القرن الماضي، وتزامن ذلك مع بداية توجيه الانتقادات لكل ما هو بنيوي، دون تمييز بين دعاة البنيوية كمنهج أو أداة لتعزيز علمية مجالات البحث الإنسانية ودعاة البنيوية كمذهب فكري.

عانت الصيغة السيميائية للمشروع الغلوسيمي هي الأخرى من منافسة أمريكية واضحة مع بروز الاهتمام بالفكر السيميائي ذي الأصول المنطقية عند بورس ومن القراءة المتسرعة التي قام بها رولان بارت وباحثون آخرون للمفاهيم السيميائية التي انتهى إليها هيلمسلاف. وعلى الرغم من الدور الذي لعبه هؤلاء في الترويج لاسم هيلمسلاف كواحد من أهم المفكرين المؤسسن للسيميائيت، فلقد ساهموا في مزيد من التعطيل لتلقي أطاريحه النظرية.

يبقى سؤال مشروعية الجبر الغلوسيمي[8] ملحا ويشكل موضوع بحث جاد يهدف إلى تقديم قراءة جديدة للجهاز المفاهيمي الذي اقترحه هيلمسلاف، يمكن أن تصل في جرأتها إلى اعتبار الغلوسيمية بمثابة رياضيات العلوم الإنسانية، يمكنها أن تقدم مادة تجريدية لصياغة المبرهنات الضرورية للعلوم الإنسانية وبحوثها الساعية إلى بلورة نتائجها في صيغ تجريدية. غير أن النقاش في هذا الاتجاه يجد شرعيته خارج الطرح اللساني للسؤال. إنه يجد كل الشرعية في المستوى السيميائي الواصف لأنساق التعبير والتواصل، بما فيها الألسنة الطبيعية.

---

8) شكل هذا السؤال موضوع ملتقى دولي نظمه قسم الأدب والفلسفة بجامعة لياج ببلجيكا في 24 و25 أكتوبر 2012، شاركنا فيه بمداخلة بعنوان "في إمكانية تطبيق المفاهيم الغلوسيمية".

4 - تصوّر علم اللسان من وجهة نظر النظرية الخليلية الجديدة

من منطلق سيميائية اللغة جاءت قراءة عبد الرحمان حاج صالح للسانيات العربية (Hadj-Salah A.1979) كما تصورها علماء العربية المؤسسون : سيبويه والخليل وابن جني .. إلخ. فتعاملت هذه القراءة مع البحث اللساني العربي القديم باعتباره خطابا لسانيا واصفا بلغ درجة من النضج تجعلنا نقاربه ككيان متكامل لا نفهمه إلا بأدواته الخاصة. وبهذه المقاربة نكتشف أنه لا يشمل كل التراث اللغوي العربي القديم، لأنه تراث قد تغير خطابه مع النحاة المتأخرين وفقد أدواته العلمية النظرية والتطبيقية الأصلية والأصيلة ودخل في نوع من السكولائية التي لا تفرق بين منطق النحاة العرب (علماء العربية) والمنطق الأرسطي القائم في جوهره على النحو الإغريقي.

تساعدنا هذه المراجعة المنهجية على التخلص من عقبة معرفية طالما عطلت تواصلنا مع التراث اللساني العربي؛ فقد كان الباحث العربي ينظر إلى التراث على أنه مادة لكتابة تاريخ البحث اللساني العربي ما قبل العلمي. مما يجعله يحمل اللغة العربية حملا على تقبل المفاهيم اللسانية الأوروبية فلا يستقيم له ذلك. وتراهن النظرية الخليلية الجديدة على قراءة المفاهيم اللسانية الناشئة في كنف علم العربية وعلى قيمتها العلمية والإجرائية؛ فقد تشكلت تلك المفاهيم خلال بحث ميداني حقيقي استمر قرابة القرنين من الزمن، واكبه تحليل نظري استثمر كل المعارف العلمية والأدوات التقنية المتاحة في تلك المرحلة، واستند إلى معرفة متقدمة بالعلوم التجريدية، واشتغل على مدونة ضخمة من النادر أن تتاح للباحثين اللسانيين في مثل تلك الظروف الحضارية.

بطبيعة الحال، لم تتأثر تلك تجربة عند العلماء العرب القدماء، البحثية والنظرية، بالنحو الإغريقي ولا بالمنطق الأرسطي وهذا ما يضمن أصالتها وفي الوقت نفسه يكرس صعوبة التعامل معها لمن شكل تصوراته ومفاهيمه اللسانية من الفكر الأوروبي وحده معتقدا أن ذلك الفكر هو اللسانيات كلها. وهذا بالذات ما يدعو إلى القيام بقراءة تأسيسية جديدة للسانيات تتسع لخصوصيات اللغة العربية، بل لعله يحسن بنا في هذا السياق أن نتحدث عن تأسيس اللسانيات العربية المعاصرة. ويكون ذلك التأسيس

باستثمار ما أنتجه علماء العربية القدماء وبلورة جهاز من المفاهيم على أساس التراكم الحاصل في مجال إبستيمولوجيا العلوم الإنسانية والعلوم التجريدية، والمعرفة المتوفرة حول طبيعة الألسنة وأنساق التعبير.

تزداد الحاجة إلى هذا التأسيس إلحاحا، خاصة ونحن كمستعملين للغة العربية نراوح منذ عشرات السنين أمام عقبات حقيقية تعترض طريقنا إلى ضبط المصطلح اللساني وإلى توطين الفكر اللساني في لغتنا. نشعر بالعجز أمام صعوبة المهمة، ونرى أنفسنا نركض خلف سراب يفلت منا باستمرار. ولعل تلك العقبات ناتجة عن كوننا نسعى دون أن ننتبه إلى تطويع أدائنا اللساني لكي يوافق النظريات اللسانية المتشكلة على خلفية البحث عن نموذج لساني افتراضي (بل وهمي) اسمه اللغة الهندية الأوروبية، في حين أن تاريخنا اللساني تشكل خلال معالجة عملية ونظرية لأداء لساني فعلي، كان من نتائجها حصول نهضة حضارية كاملة استمرت عدة قرون.

خاتمـــة

إن إعادة تأسيس اللسانيات، بل ربما تأسيس اللسانيات بكل بساطة، كمحاولة جديدة ضمن تاريخ من المحاولات التأسيسية التي لم تحقق أهدافها، وعلى اعتبار أن ذلك التأسيس لم يتحقق في المرحلة الحديثة من التاريخ أيضا، لمهمة غاية في الجدية، تنقلنا من مرحلة تجاهل واقعنا اللساني وما يطرحه من مشاكل، أي من مرحلة الانبهار بما أنتجه تاريخ التفكير اللساني الأوروبي، والتنكر التام للرصيد المعرفي المتحقق ضمن تراثنا اللساني، إلى مرحلة النقيض، حيث يكون منطلق تفكيرنا اللساني هو أداءنا نحن وتاريخنا نحن. لعلنا بذلك نستطيع أن نلتقي بالفكر اللساني الإنساني ونحسن التواصل معه، كمنتجين للفكر اللساني ومشاركين في تأسيسه. ولقد علمنا تاريخ البحث اللساني أن محطاته الأساسية هي تلك التي انصب فيها على الأداء اللساني الفعلي وليس على التصورات الجاهزة المنتجة من طرف ألسنة غائبة أو غريبة أو غرائبية (مثل اللغة الهندية الأوروبية). إذ يبدو أن التفكير اللساني جزء من اللسان نفسه، وهو الذي يشكل اللغة الواصفة فيه، ومن المفارقة أن

يعتمد اللسان على اللغة الواصفة للسان آخر، إلى درجة الانتفاء أمامه كليا. فهذا لا يحدث إلا مع الألسنة الميتة.

قد تكون التجربة الدنماركية مهمة في هذا السياق، فلقد أدت الجهود الغلوسيمية إلى إعادة صياغة وطرح الأسئلة المتعلقة باللسان الدنمركي، ومن نتائج ذلك أن أقدمت الحكومة الدنماركية في منتصف الستينيات من القرن الماضي على تنفيذ سياسة تحديث لساني حرصت على تطوير اللغة الدنماركية اعتمادا على أمتداداتها الجرمانية والأنجلو سكسونية التاريخية مع الاستفادة من التراكم المعرفي الحاصل في مجال علوم اللغة. بطبيعة الحال لم يكن هذا التجديد غلوسيميا ولكن ربما قد أدت جرأة السؤال الغلوسيمي إلى جرأة ذلك التدخل السياسي التنظيمي اللساني.

ما قد يفيدنا هنا أيضا أن الغلوسيمية تأسست كنظرية متجذرة في التاريخ اللساني الدنماركي، تستند إلى بحوث راسموس راسك وأوتو ياسبرسن ...الخ، وصادف أنها تقاطعت مع مفاهيم وتصورات السويسري دي سوسير، لذلك لم تقدم نفسها كصياغة أنضج للتفكير السوسيري وإنما كتأسيس جديد لعلم اللسان يلتقي مع ما جاء به دي سوسير في الكثير من المفاهيم.

اللسانيات العربية هي الأخرى، في تصورنا، يمكن أن تكون متجذرة في تاريخها اللساني. بدون أن تكون حبيسة مراحل الضعف فيه. ويمكنها أن تفيد مما وصل إليه البحث اللساني من تطوير تكنولوجي وتقني، ومن خبرات ومفاهيم. فتاريخنا اللغوي غير مضطر لتحمل إشكاليات اللسانيات الأمريكية وما شهدها تاريخها من تفاعل (أو تعذر التفاعل) بين اللغات الأوروبية، التي عمرت العالم الجديد، فيما بينها وتفاعلها مع ما وجدته لدى الهنود الحمر من ألسنة. وليس مضطرا إلى طرح أسئلة التعدد اللغوي الناتج عن الحركة الاستعمارية الأوروبية من وجهة نظر الأوروبيين أنفسهم ومن منطلق تصوراتهم للتاريخ اللغوي للمجتمعات. وليس مضطرا إلى طرح سؤال اللغة وعلاقتها بالمؤسسات الاجتماعية بالصيغة نفسها التي عاشتها أوروبا القرون الوسطى ودور المؤسسة الدينية في الحياة العلمية وربما حتى البحث اللساني، في تلك الفترة.

لقد انصبت أهم الملاحظات المنتقدة للمشروع الغلوسيمي على طبيعته التجريدية العالية، غير أننا في تاريخ التفكير اللساني العربي القديم نجد هذه الخاصية من المكونات الأساسية التي لم تكن موضوع انتقاد في حدود اطلاعنا. وربما لم يقدم النحاة العرب نتائج بحوثهم في صورة عبارات جبرية، لكن هذا لا يمنع من أن النزعة التجريدية كانت هي الغالبة عندهم. كما أن البحث عن نسق محكم للغة وإن لم يكن بنيويا بالمعنى الخاص ببداية القرن العشرين، فقد كان مطمح اللسانيين العرب القدامى، وكان فرضية عمل لها قيمة البداهة، ونعتقد أنها كانت المحرك الأساسي لجهود تدقيقية استمرت عشرات السنين بحثا عن أدق تفاصيل النسق اللغوي.

مراجع البحث

1- المراجع العربية

- بلعربي، جمال (2012). قراءة في الأسس الإبستيمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة. رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2. مخطوط.
- حاج صالح، عبد الرحمان. (2000) تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب : سلبياته وإيجابياته (2000) ضمن "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ENAG الجزائر 2007 ص 267- 280.
- حاج صالح، عبد الرحمان. (2007) مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي، ضمن "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ENAG الجزائر 2007 ص 44 – 57.
- حاج صالح، عبد الرحمان. (2009) منطق العرب في علوم اللسان. منشورات المجمع الجزائري للغة العربية. الجزائر.

2 – المراجع الأجنبيّة

- Chomsky, N. (1957) Syntactic structures. Mouton & Co. La Haye.
- De Saussure, Ferdinand. (1916) Cours de linguistique générale. Payot, Paris 1968.
- Hadj-Salah Abderrahman. (1979) Linguistique arabe et linguistique générale. Thèse, Paris-Sorbonne (Paris IV) 1979. (Polycopie).
- Hjelmslev, L. & Uldall, H. J. (1936) An Outline of glossematics Humanistisk Samfund, Aarhus, Skrifter 1 (s.d).
- Hjelmslev, L. (1932) Etudes baltiques, Levin & Munksgaard, Copenhague.
  - (1948) Structural Analyisis of Language, "Studia Linguistica", I, pp. 69-78, (trad. it. in Hjelmslev 1988, pp.203-212).
  - (1954) La stratification du langage , "Word", 10, pp.163-188, (trad. it. in Hjelmslev 1988, pp. 213-246).
  - (1956) Animé et inanimé, personnel et non-personnel, "Travaux de l'Istitut de linguistique", (Paris), I, pp. 155-199, (trad. it. in Hjelmslev 1988, pp. 276-317).
  - (1963) Le langage, Paris, Minuit. (1991).

- (1971a) Prolégomènes à une théorie du langage, Paris, Les Éditions de Minuit, 1968-1971.
- (1971b) Essais linguistiques, Paris, Minuit.
- (1975) Résumé of a Theory of Language, "TCLC", vol. XVI.
- (1985) Nouveaux essais, Paris, Presses universitaires de France.
- (1928) Principes de grammaire générale. Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskab. Historisk – filologiske Meddelser XVI, 1. Kobenhavn : Host & Son 1928, 363 pp.
- (1959) "La notion de rection." Acta Linguistica Hafniensia 1 : 10-23 (Hjelmslev 1959 : 139-151; Hjelmslev 1971 : 148-160).
- (1937a)La catégorie des cas. Etudes de grammaire générale. II, Acta Jutlandica IX, 2. VIII 78. Copenhague. pp. In-8o.
- (1937b) Introduction à la linguistique. Leçon d'ouverture donnée le 14 septembre 1937 à l'óccasion de la sucession dans la chaire de linguistique comparée à l'université de Copenhague. Copenhague.
- (1961) Prolegomena to a theory of language. Baltimore : Indiana University Publications in Anthropology and Linguistics (IJAL Memoir, 7) (2. ed. (slightly rev.) : Madison : Univ. of Wisconsin Press)
- (1944a) "Langue et parole", Cahiers Ferdinand de Saussure, 2. pp. 29-44.
- (1944b) "Éditorial. [Programme de la linguistique structurale]." Acta Linguistica Hafniensia 4. v-xi.
- (1973) Essais linguistiques II. Nordisk Sprog- og Kulturforlag, Copenhague (Travaux du Cercle Linguistique de Copenhague, 14).

- Llorach, Emilio Alarcos. (1972) Gramática Estructural - según la escuela de copenhague y com especial atención a la lengua española. Gredos, Madrid.
- Togeby, Knud. (1965) Structure immanente de la langue française. TCLC VI, Copenhague 1951. (Réédité, Larousse 1965).
- Uldall, Hans J. (1957) Outline of Glossematics. A Study in the Methodology of the Humanities with Special Reference to Linguistics. Part I : General Theory, Travaux du Cercle Linguistique de Copenhague, X.

منظور إواليات المعجم تركيب
في المستوى التركيبي نموذجا

عبد الواحد دكيكي
الكلية متعددة التخصصات بالرشيدية
جامعة مولاي إسماعيل بمكناس، المغرب

تقديم

تحاول الورقة، التي نقدمها، الوقوف عند بعض قضايا اللسانيات الحاسوبية، التي يعتبر الدرس اللساني العربي المعاصر في حاجة ماسة إليها، وإعادة بعث بعدما حفت بريق يقظته التي عرفها فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، لأن الحاجة الآن ماسة له، في سياق ما تعرفه اللغة العربية، وتحليلها، من تحديات تفرض عليها تغيير استراتيجيات البحث فضلا عن تطوير مناهجه؛

لقد فطن خبراء اللسانيات الحاسوبية العربية[1]، منذ فترة فترة الثمانينيات وقبلها بقليل، للإشكالية الأساسية التي يعاني منها تحليل اللغة العربية، بالنظر إلى سياق الطفرة التكنولوجيا الحاسوبية وآثارها على العربية في مجال التحديد، واتفقوا حول كون اللسانيات الحاسوبية مجالا تطبيقيا في اللسانيات، تشكل جزءاً من الامتداد التطبيقي للسانيات النظرية المعاصرة، ترتبط بانفتاح الدرس اللساني على المحيط التكنولوجي خاصة، وتتمحور أبحاثها حول مجالات الاستخدام اللساني واللغوي في أداء اللغات الطبيعية

1) نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور محمد الحناش والدكتور يحيى هلال والمرحوم الأخضر غزال من المغرب ونبيل علي من مصر ومحمد غزالي خياط ومنصور الغامدي من المملكة العربية السعودية وآخرون، ينظر في هذا الصدد الأعمال الواردة في مجلة التواصل اللساني، المجلد الأول سلسلة ندوات، الصادرة عن مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993.

المتعدد، التعليم ومعالجة النصوص والترجمة...، ومع ذلك تعددت الاقتراحات التي قدمت لمجال اللسانيات الحاسوبية، وظل تدقيق تحديد المجال ورسم حدوده، في المصطلح والمنهج، يعتريه الاضطراب وعدم الاتفاق؛

إشكال الاصطلاح : المصطلح

يذهب علماء المصطلح إلى القول إن المصطلح يشكل نصف فهم علم ما، وهو عماد العلم، ودعاماته : اللفظية والمعنى المخصص والاتفاق، القارن بين تخصيص اللفظ والنظام التصوري أو المفهومي، فهو اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى[2]، هذه القاعدة لا نجد لها وضعا فيما يتصل باللسانيات الحاسوبية العربية، ويرجع ذلك بالأساس إلى المقابلات العربية، المترجمة والمعرَّبة، للفظ الغربي[3] (linguistique computationnelle)؛ لم تتفق الأبحاث اللسانية العربية، الفردية أو المؤسسية، على تحديد موحد للسانيات الحاسوبية في العربية، مصطلحا ومفهوما، حيث أطلقت عليها تسميات متعددة، نذكر منها مثلا أنها تسمى تارة "اللغويات المعلوماتية" و"اللسانيات المعلوماتية" واللسانيات الإعلامية"[4] و"اللغويات الحاسوبية" و"علم اللغة الحاسوبي" و"علم اللغة الآلي"[5] و"اللسانيات الحاسوبية" و"نظرية حاسوب لسانية...الخ [6]، مع الإشارة إلى أن بين كل مصطلح والذي يليه فروقا بينة[7]؛

---

2) ينظر، سناني سناني، في المعجمية والمصطلحية، الطبعة1عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، 2011، ص17، وممدوح محمد خسارة، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2008، ص14.

3) ينظر، عبد الإله الديوه جي، مفاهيم أساسية حول تقنية المعلومات، عالم الفكر، الملد18، عدد3، وزارة الإعلام، الكويت، 1987، ص25.

4) ينظر، وليد العناتي، العربية في اللسانيات التطبيقية، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة العلمية للنشروالتوزيع، الأردن، 2012، ص، 23.

5) ينظر مازن الوعر، اللسانيات والعلم والتكنولوجيا..نحو تعريب موحد للسانيات التطبيقية العربية وبرمجتها في الحاسبات الالكترونية، في اللسان العربي، عدد22، 1984، ص19.

6) تنظر المصطلحات المستعملة، على سبيل المثال لا الحصر، عند محمود فهمي حجازي، الحاسوب وصناعة المعجم العربي، وعند محمد الحناش، نظرية حاسوب لسانية لبناء معاجم آلية للغة العربية، في التواصل اللساني، المجلد الأول، سلسلة ندوات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ص68 وص70.

7) ينظر عبد الواحد دكيكي، المصطلح اللساني حاسوبي في العربية بين الوضع والترجمة، أعمال ندوة المصطلح اللساني المعرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المملكة المغربية(قيد الطبع)

يسود الإشكال نفسه كذلك تحديد المفهوم التصوري للسانيات الحاسوبية في العربية، حيث ذهب ثلة من الباحثين إلى أنها نظام بيني، بين اللسانيات وعلم الحاسوب المعني بحوسبة الملكة اللغوية[8]، أي إنها تعني معالجة اللغة بالحاسوب[9]، وذهب آخرون إلى كونها تعتبر أداة مساعدة في التعامل مع اللغة بالحاسوب، ومن الآراء ما ذهب إلى كونها تتجه نحو التعامل مع الحاسوب باللغة الطبيعية، وهي معالجة البرمجة الآلية للغة الطبيعية في الحاسوب، وعلاجها بواسطة الحاسوب[10]، ويذهب رأي آخر إلى أن هدف اللسانيات الحاسوبية ليس التعامل مع الحاسوب باللغة الطبيعية فحسب، بقدر ما هو بناء وصياغة برامج حاسوبية-لسانية تمكن من خلق حوار طبيعي بين الإنسان والحاسوب باللغة الطبيعية، وذلك بنمذجة (Assimilation) الدماغ البشري، بما يتطلبه ذلك من استغلال جميع المعارف اللسانية السابقة (نظريات ومناهج)[11] وذلك بأن يبلغ بالحاسوب مبلغ الكفاية اللغوية التي يمتلكها الإنسان حين يستقبل اللغة وينتجها[12]؛

على مستوى المنهج

انتقل اختلاف وجهات النظر حول حد المصطلح والمفهوم التصوري المسند إليه، في هذا النشاط الفكري، أو المناهج المتبعة في التعاطي معه؛

المنهج عموما هو مجموع الآليات والإجراءات التحليلية المتبعة في تحليل موضوع سبق تحديد فرضيته العلمية، وهو يمثل تتابع إجراءات التحليل، بشكل منطقي، عبر البرهنة وتوصيف المعطيات، بتصنيفها وتفريعها المجموعاتي، لغاية استخلاص النتائج المتحكمة في حركية الظاهرة الموصفة، وشُعَب المنهج المتعارف عليها في النظريات العلمية المعاصرة إما

---

8) وليد العناني، العربية في اللسانيات التطبيقية، ص23.

9) ينظر، صلاح الدين حسنين، الفعل العربي وطرق معالجته بالحاسوب، وكذا عبد المنعم حشيش، معالجة اللغة العربية بالحاسوب، في التواصل اللساني، المجلد الأول، سلسلة ندوات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ص40 و44.

10) ينظر، محمد علي الزركان، اللسانيات وبرمجة اللغة العربية في الحاسوب، في التواصل اللساني، المجلد الاول، سلسلة ندوات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ص31.

11) ينظر محمد الحناش، طبيعة البحث اللساني الحاسوبي، في التواصل اللساني، المجلد الأول، سلسلة ندوات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ص11.

12) ينظر، وليد العناني، العربية في اللسانيات التطبيقية، ص، 23.

تجريبية أو عقلانية[13]، وهما اللذان طبعا تحليلات اللسانيات النظرية، وضمنها العربية، على طول مسار تطورها إلى الآن؛ما نريد الإشارة إليه في هذا الصدد أن اللسانيات الحاسوبية العربية لم تعرف تصورا منهجيا مندمجا وواحدا في مختلف مراحلها، حيث مال اللسانيون إلى المناهج المتعارف عليها، في التحليل اللساني النظري، ومال علماء الحاسوب إلى مناهج المنطق اللوغرتمي الرياضي في التعامل مع إدخال وبرمجة اللغة الطبيعية في الحاسوب، دون أن يرجعوا، في أغلب الأحيان، إلى إعادة تمحيص القواعد اللسانية التي يبنيها اللسانيون؛وهذا الأمر عادة ما كان يسند لمهندسين تكفلوا بإدخال اللغة العربية في الحاسوب، نتج عنه ما نتج من أخطاء، لا تكافئ بين المبرمج آليا من اللغة العربية، كلغة طبيعية، وبين تكشيف منتجات القواعد في اللغة العربية المبرمجة [14]، حيث غُيِّب اللسانيون، وبقيت أعمالهم متناثرة، يغلب عليها طابع الفردية، ويكفي بحث استقصائي طفيف لمختلف الأبحاث في اللغة العربية داخل مجال اللسانيات الحاسوبية لكشف حقيقة هذا الوضع، الذي يبين كون الأعمال اللسانية الموجهة للمعلوميات ظلت عبارة عن مقالات متفرقة هنا وهناك، دون وصل تنسيقي يجمع بينها، أو ظلت عبارة عن مجموعة من مشاريع بحث، نظرية وتطبيقية، تقدم في ندوات أو مؤتمرات، ترعاها مؤسسات حكومية أو غير حكومية، تعقد حول دراسة وضعية اللغة العربية الراهنة وعلاقاتها بالتكنولوجيا وبتنقل المعلومات والتواصل الآلي أو الالكتروني، وإن كانت هذه الأبحاث تعمل على إيجاد بديل يعوض فكرتي "سبل إدخال اللغة العربية في مجال المعلوميات"، و"اللغة العربية والتقنية المعلوماتية المتقدمة"[15]، بديل يشغل شعب المناهج المختلفة في اللسانيات وكذا استغلال الأدوات التقنية الخاصة بالحاسوبات في تفسير ظواهر اللغة الطبيعية؛ نتيجة لهذه الأسباب المتعددة لم يتضح للسانيات الحاسوبية العربية إتباع منهج

13) ينظر، منذر عياش، 2007، مناهج اللسانيات ومذاهبها في الدراسات الحديثة، في الموقع الالكتروني، www.atida.org/forums/showthread.php ?t=1860

14) شكلت هذه النتائج إلى جانب أخرى ذات صلة محاور توصيات العديد من الندوات ذات الصلة تحث على ضرورة تكوين متخصصين في المجال يجمعون بين مجالي اللسانيات والهندسة المعلوماتية أو على الأقل خلق صلة حقيقية بين متخصصي المجالين،

15) عبد الواحد دكيكي، المعجم الصوري للظروف في اللغة العربية بناء لساني حاسوبي، أطروحة الدكتوراه، تحت إشراف الدكتور عبد الغني أبو العزم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، 2007، (مرقونة).

محدد في تعاملها مع معطيات اللغة العربية بناء وتحليلا، بل تعود قضية المنهج فيها بالدرجة الأولى إلى طبيعة تنوعات المجال الذي تشتغل عليه، ثم إلى طبيعة الفهم والتصور المتبنى حول العمل اللساني حاسوبي عربي، لهذا نجد التصور المطروح في معالجة قضايا الصرف والصوتيات مثلا يختلف اختلافا جذريا عن المنهج المتبع في تحليل القضايا المعجمية أو القضايا التركيبية أو القضايا الدلالية دون أن يكون هناك نوعا من التكامل المنهجي على مستوى الهندسة اللغوية العربية؛

والاستنتاج الذي نجمِّع الكلام به حول المنهج المتبع في الأعمال اللسانية الحاسوبية العربية، مع بعض التفاوت، تميز بعيب التنسيق بين طبيعة طرفي المجال، فضلا عن الارتباك في التطبيق، يتجه في الغالب اعتماد المناهج اللسانية التجريدية المحضة، دون التوجيه مباشرة إلى مراعاة خصائص التقنية المرتبطة بالحاسوب، أو تعتمد المنطق الرياضي البوليني الصرف، الذي تستغله لغات البرمجة الهندسية للحاسوب دون تمحيص دقيق لخصائص النظام الطبيعي للغة العربية؛فالدراسات اللسانية المعاصرة بمختلف اتجاهاتها تعتمد منطق الوصف والتحليل الاستنباطي لا أكثر، الذي هيمن على التحليلات اللسانية الحاسوبية العربية إلى الآن، فمنذ نهاية السبعينيات من القرن الماضي، مهدت التجارب التحليلية للغة العربية لمرحلة أساسية في العلاقة المطروحة بين اللغة العربية والتكنولوجيا[16]، تهدف إلى تخطيط وتهيئ لغوي عربي لإدخال اللغة العربية في المعلوميات، وتحقيق سبل اتصال حقيقي بينهما، لتلتحق العربية بغيرها من اللغات، التي تحتل مكانا متميزا في مجال الحاسوبيات وعلومها، غير هذا التهييء التخطيطي لم يتبلور بما فيه الكفاية، حيث لم يتخط في عمومه العمل على صناعة بنوك المصطلحات، ورقمنة القواميس، الآحادية أو المتعددة اللغات[17]، وضغطها لبناء مسارد المفردات والمصطلحات، اللغوية العربية مع مقابلاتها في لغات، كاللغة الفرنسية والانجليزية والألمانية والاسبانية والايطالية...[18]؛

16) انظر حسن عارف، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة اللغة العربية، منشورات مجمع اللغة العربية بالاردن

17) ينظر عبد الواحد دكيكي، المعجم الصوري للظروف في اللغة العربية بناء لساني حاسوبي، أطروحة الدكتوراه تحت إشراف الدكتور عبد الغني أبو العزم، كلية آداب عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، 2007 (مرقونة).

18) ينظر، محمود اسماعيل صيني، في التواصل اللساني، .... وعبد الله سليمان القفاري، خطوات تطبيقية نحو منهجية مدعمة بالحاسب الآلي لمعالجة ونشر المصطلح العربي، التواصل اللساني، المجلد الثالث، سلسلة ندوات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص191 وما بعدها.

لقد أدى هذا التوجه، في مجمله، إلى ضمور البحث العميق في المعالجة الآلية للمستويات اللسانية المختلفة في العربية[19]، لصالح ما تقدمه آليات العتاد الصلب والملحق (الماسح الضوئي، والقارئ الآلي للأقراص المضغوطة ووحدات التخزين المتحركة) من تيسيرات الكترونية في النسخ والضغط (compilation)، سمحت بتوسيع قاعدة النشر الالكتروني، للكتب في مختلف التخصصات وغيرها، والقراءة الالكترونية والقراءة البصرية الضوئية؛ إمكانات تُثمّن مجهوداتها، وما أتاحته من اتساع في نشر المعلومة، لكنها، مع ذلك، لا تحجب مشاكل اللغة العربية حين التكشيف والاسترجاع، بل إن المسألة أعمق من ذلك بكثير، حيث تدعو إلى تعميق النظر في مشاكل البرمجة الآلية للغة العربية، وكذا تهييئها وتخطيطها اللسانيين الموجهين إلى التصنيف البرمجي، وتفرض على تخطيطها أن يقوم أساسا على إعادة النظر في منطلقات منهج عمليات التحليل والتوليد اللسانيين، وتطوير صياغة الأعمال التحليلية للغة العربية، بما يتوافق مع معطيات التنظيم الخوارزمي للغة تضاف لسياقه التنظيرات والتطبيقات المتخصصة في اللغة العربية وتقديم تصورات عملية للانصهار اللغوي المندمج للعربية في كافة مستوياتها، الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية مع المعلوماتية، بحيث تتم إعادة النظر في الحدود التقليدية الفاصلة بين المستويات اللسانية برمتها، بحيث يعاد النظر في طبيعة المشاكل الخاصة بالرسم الكرافي للأبجدية العربية[20] لتجاوز إشكال فصل الرسوم الكرافية بين الحروف والحركات عبر أوامر [ارفع] (shift)، وإعادة بنينة التحليل والتوليد الصرفيين، بأن لا يظل النظر إليه بكونه عنصرا تطريزيا في اللغة، فالمستوى الصرفي لا يمكن فصله في النظام الطبيعي للغة العربية، كما في غيرها من اللغات الطبيعية، عن المستوى النحوي أو الصوتي الفونولوجي أو الدلالي أو المعجمي، لأن مجال معالجته، كما معالجة موضوعات المستويات الأخرى، لا يمكن أن تكون إلا داخل سياق الخطاب (contexte de discours) عموما كما لا يمكن دراسة، أي مستوى من المستويات الأخرى بمعزل عن بعضها البعض، إذ عماد الامتداد

19) باستثناء ما تم انجازه على مستوى تحليل الأصوات والصرف، التي قدمت التحليلات العربية نماذج متطورة جدا، تنظر على سبيل المثال أعمال يحيى هلال من المغرب، في التوليد من الجذر والوزن، التواصل اللساني، المجلد الرابع، العدد الأول، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص77 وما بعدها.

20) هذا إذا أبعدنا نسبيا مفهوم البصمة الصوتية التي يعتمدها الذكاء الاصطناعي

اللساني الحاسوبي للغات الطبيعية وحدة (unité) الدخلة اللغوية (lexie) وغايتها الوحدة الخطابية (unité séquentielle) باعتبارها متوالية خطية من الدخلات محكومة بسياقات استعمال (contexte d'usage) لنقل الخبر وقيادته.

تكمن القضية الأساس للسانيات الحاسوبية في قضية مركزية هي قضية البرمجة الخاصة باللغة العربية وبرمجتها على هذا الفهم تقتضي تصورا واضحا لهندستها.

اللسانيات الحاسوبية العربية وإعادة البناء اللساني

المفاهيم المركزية : تعريفها ومرتكزاها

ما تهدف إليه اللسانيات الحاسوبية المعاصرة هو محاكاة التجربة اللغوية التي يقوم بها الدماغ البشري، لا وصف مستوياته، إنها بكل بساطة النفاذ إلى جوهر الآلة المنتجة للغة إدخالا وخرْجا ومن ثم يكون هدف اللسانيات الحاسوبية ليس فقط العمل على إعادة تقليد المستويات اللغوية بقدر ما هي نفاذ في الآلة (Recherche de son Mécanisme) باعتبارها منظومة خوارزمات، تقوم بخزن اللغة على شكل قوانين صورية[21]أو تعليمات (Instructions) رياضية منطقية، يتم فيها إنتاج اللغة واستقبال الإشارات اللغوية وتحليلها، قبل عرضها على الجهاز الخوارزمي، الذي يقوم، بمكوناته الثلاثة، بمراقبة (Controle) إنتاج اللغة إرسالا واستقبالا، بالتنسيق بين الشكل اللغوي واستعماله سياقيا ومقاميا[22]؛

ويشكل هذا، في نظرنا، جوهر وعمق البحث اللساني حاسوبي، لان غايته تكمن في بناء برنامج لغوي تفاعلي، يؤطر العمليات (Actions) التوليدية، بين الإدخال والإنتاج، دون أن تكون هناك حاجة لوسيط خارجي، أو بتر لنسقية الاستخدام الحاسوبي في إنتاج اللغة في مستوياتها العليا، وهو ما لا توفره اللسانيات الحاسوبية العربية الآن؛

تعريف اللسانيات الحاسوبية

اللسانيات الحاسوبية، لا اللسانيات المعلوماتية، تعني صورنة اللغات الطبيعية، لأجل تطوير ووضع وسائل وأدوات للعلاج الآلي للغات، قصد صياغة نموذج للنظريات

21) محمد الحناش، التواصل اللساني، مج1، عدد سلسلة ندوات، 1993، ص9.

22) نفسه، ص10.

اللسانية"[23]، موضوعها المعالجة الآلية للغة الطبيعية، بناء على منطق رياضي برهاني، يتتبع اللغة الطبيعية في مختلف مراحل علاجها، بدءا من الدخل إلى عمليات التكشيف، مرورا بتحويل عمليات التفسير التفاعلي الداخلي الصوري إلى عمليات الإظهار النهائي للغة الطبيعية على الشاشة؛

تكمن واجهة الحوسبة اللغوية، إذن، في الأبحاث الخاصة بمعالجة وعلاج اللغة، قصد استغلال الحاسوب لها داخليا[24]، بناءً على ثلاثة أركان محورية، هي التخطيط (Planing) والتنظيم (Organisation) والبرمجة (Programmation)، التي تؤسس في اللسانيات الحاسوبية المفهوم المركزي "صناعة اللغات"(Industrie de langue) بكل ما يقتضيه هذا المفهوم من قضايا منهجية مناسبة وملائمة، تُدمِّج المنهجين اللساني، الوصفي الصوري(taxionomique)[25] والمنهج الرياضي الخوارزمي[26]، اللذين يشكلان محور "صناعة اللغة"(industrie de langue)، التي تقايس في الأدبيات المعلوماتية "صناعة المعلومة"(industrie de l'information)، وتعني :

أ – مجموع الأنشطة الرامية إلى جعل الحاسوب يتحكم ويؤوِّل ويولد اللغة الطبيعية المقروءة والمكتوبة من طرف الإنسان[27]

ب – مجموع الأعمال المختلفة التي تسهم في بناء وتطوير برامج تسويقية للمعطيات اللسانية/اللغوية بطريقة عملية في مجالات محددة، مثل معالجات النصوص، والمصححات الإملائية والنحوية، أو البرامج التعليمية، والقواميس الالكترونية التفاعلية، لغايات مثل التواصل المنطوق والترجمة الآلية، وتوليد النصوص، والنشر الالكتروني،

---

23) Mourad Amine,1995, et autre, (Serge Fleury, 1997,Lionel Delafosse, 1999), Glossaire de la linguistique computationnelle,

in *http : //ldelafosse.pagesperso-orange.fr/Glossaire/Biblio.htm*

24) هذه النقطة تم إهمالها في الأبحاث اللسانية المعاصرة للعربية، ويشكل فجوتها الحقيقية ليس الرقمية فحسب، بل البرمجية التي تتيح بناء برامج تفاعلية حاسوبية للغة العربية في مختلف مستوياتها إدخالا وتعرفا وتكشيفا،

25) ينظر لمزيد من التدقيق محمد الحناش، ، النحو التأليفي، مجلة دراسات أدبية لسانية، عدد1، كلية الاداب والعلوم الانسانية، فاس، المغرب، 1985، ص، 46.

26) Moreau René,introduction à la théorie des langage,ed hachette, Paris, ,1975 p31

27) نفسه

ومعالجة الكتابة، ومعالجات النصوص المتقدمة (التلخيص، التشكيل الآلي، البرانم التربوية)، وغيرها[28].

المنهج في اللسانيات الحاسوبية

بناء على التعريف السابق لا يمكن فصل اللسانيات الحاسوبية عن "صناعة اللغـــة"، باعتبارها "هندسة لغوية"، تجمع إطارين علميين، سمتهما التكامل، في موضـــوع واحـــد، وتجمع بين منهجين في تشكيلة تحليلية تفسيرية واحدة، المنـــهج التجريـــدي، الرياضـــي الصوري، المعمول به في اللسانيات المعاصرة ومنهج متوالية طرفيات الوحـــدات الحديـــة المنتهية (Suite d'Automates finis)[29]، يتم بها تفريغ الـــشارات الـــضوئية في ذاكـــرة الحاسوب[30] داخل نطاق الاركان الثلاثة السابقة، التخطيط والتنظيم والبرمجة؛

يقود الجمع بين طبائع (Timbres) هذه المعطيات مباشرة إلى فهم طبيعة المنـــهج في اللسانيات الحاسوبية، الذي نرومه في هذا العمل، باعتباره يقوم على التداخل التام لمعيارين أساسيين : الخوارزم (l'Algorithme) وقواعد تـــدبير المعطيـــات (gestion de Base de Données)، لصياغة "لغـــة برمجـــة"(Langage de Programmation) مـــصورنة، عمـــاد الاستخدام في الحاسوبات، وأساس البرنام اللساني (Linguiciel)[31]، مركز المعالجة الآليـــة للمعطيات داخل الحاسوب؛

* "الخوارزم (Algorithme) :

---

28) السابق، مادة (industrie de la langue)

29) Silberztein Max, Dictionnaires électroniques et analyse automatique de textes le système intex,ed Masson ;Paris,1993 ;p8.

30) الاتومات (Automate) هي آلة نظرية محددة بمجموعة من الحالات حيث نميز بين الحالة البدائية/ الاساسية وحالة أو بمجموعة من الحالات النهائية، قاموسS (مجموعة من الرموز) ومجموعة من وظائف النقل المقترنة ببعض الأزواج ExS واحدة أو مجموعة من عناصرE، مثال النقل(ej-----ei x) الذي يقرأ اننا عندما نكون في الحالة(ei)ونقرأهX، نمر إلى الحالةej، الأتومات يكون مُحدَّدًااذا كانت لكل الحالات ei ولكل الرموزs توجد أكثر من حالةe حيثإن (---e(ei))؛ والأتومات المحدّد لا يتضمن السلسلة الفارغة(e) في قاموسه، ينظر في هذا

Mourad Amine,1995, et autres, Serge Fleury, 1997, Lionel Delafosse, 1999, Glossaire de la linguistique computationnelle, in *http : //ldelafosse.pagesperso-orange.fr/Glossaire/Biblio.htm*

31) مادة Linguiciel و Computationnelle في Glossaire de la linguistique.

هو إجراء خاص يتكون من متوالية من المراحل المحددة بدقة تؤدي إلى حل مجموعة من المشاكل، وهو في العموم ذو طبيعة رقمية، وقد يكون تكراريا، يعاد لمجموعة من المرات؛

* تدبير قواعد المعطيات (Base de Données) :

قاعدة البيانات هي عبارة عن متن(corpus ouvert) مفتوح، لا يعتمد على المعاجم الجاهزة، إنما يقبل احتواء أي جديد في اللغة، فهي قاعدة شاملة لكل الأصناف اللغوية المعطاة وفق قوانين لسانية مضبوطة، وتتضمن سائر الخصائص اللغوية المصاحبة لكل مستوى التي تعتبر بمثابة أوصاف لسانية للنظام اللغوي [32]، تنطلق هيكلتها، في اللسانيات الحاسوبية، من الفحص الدقيق (Dépouillement)[33] لمختلف التراكمات اللغوية الاستعمالية قديما وحديثا، وهذا ما يجعل منها أساسا للدراسة اللسانية ومرجعا لتصحيح استعمال اللغة، يسمح بالتنبؤ بما يمكن أن يستجد في اللغة؛

ترمي هذه الهيكلة أساسا إلى بناء القوالب الصورية للغة الطبيعية المعينة، انطلاقا من الخصائص التوليفية، التركيبية، التوزيعية لمكونات نظامها اللغوي، من حيث كان نظاما مجموعاتيا، يقبل التبويب والتصنيف، عبر عمليات التجزيء بمختلف طبائع اللسانية (Décomposition linguistique) [34] لأجل معالجتها آليا؛

– المعالجة الآلية البرمجية للغة العربية

تنبني عمليات المعالجة الآلية للغات الطبيعية أساسا على عمليات البرمجة الآلية (programmation)، والبرمجة الآلية، في عرف أهل صناعة الهندسة المعلوماتية، هي فن ذكاء استغلال قوة الحاسوب لأجل ستر حدة بلادته، والبرمجة، بل هي فهم وتفسير الخوارزم، وفهم تفسير العلاقة الجامعة بين اللغة الطبيعية واللغة الاصطناعية /لغة الآلة (langage machine)، بلغة برمجة (langage de programmation)، تشكل الوسيط بين طبيعة اللغتين،

---

32) انظر محمد الحناش، مشروع نظرية حاسوب لسانية في بناء معاجم آلية للغة العربية، التواصل اللساني، المللد2، عدد2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص، 44.

33) Gross Morice,methodes en syntaxe, Paris p 230.

34) Harris (s.z), structures mathematiques du langage, ,p124.

تقترب بشدة من اللغة الطبيعية، التي تمكن البرنامج من قبول عمليات الرقن الكتابة والفهم والتغيير وتجعل الحاسوب يشتغل، يحلل ويولد ويسترجع المعطيات، بدون تعثر أو توقف في تفسير التتابعات التكرارية للقواعد الخوارزمي الرياضية؛

لقد عملت الأبحاث الهندسية، على مسار تطور أجيال الحاسوبات، على ردم هوة الفوارق بين هذه اللغتين، كما عملتا على تطوير لغـــات البرمجـــة(35)، وجعـــل بـــرامج الاستغلال قادرة على قراءة/التعرف على أي نوع من هذه اللغات؛

إن لغة البرمجة بكل بساطة هي اللغة الصورية المترجمة لواقع اللغة الطبيعـــة، يمكـــن للآلة فهمها وقراءتها والتعامل معها، وتنبني أساسا على وحدة الخوارزم وحـــدة أساســـية لكل تعامل حاسوبي مع المعطيات اللغة الطبيعية، بل الوحدة الجوهرية لكل تعامـــل مـــع الحاسوب(36)، فهو أساس كل برامج المعلوميات، والخوارزم هو لغـــة افتراضـــية، قابلـــة للتشفير، وضعت لحل مشاكل التطبيقات المرتبطة بلغة البرمجة بدون قيـــود او تعثـــر(37)، ويتشكل هذا الخوارزم اللغوي من مكونين، يرتبطان بضابط عنصري الثابت والمتغير، مع تحديد تصرفهما في :

أ – جزء يختص بتعريف مختلف المعطيات الموضوعة للمعالجة، الدخول(Input).

ب – جزء يخص مكان، حيز، معالجة هذه المعطيات، ضـــبط قواعـــد التحليـــد والتحويل الداخلي للدخول(Input).

والمكونان ينتظمان في بنية تسلسلية تتابعية، تشكل تعليمات (Instructions) التنفيذ لتكشيف الخرج (Output).

---

35) تنوعت لغات البرمجة، في بدايتها، حسب طبيعة عتاد الحاسوبات، الصلب حيث نجد منها على سبيل المثال لا الحصر لغات : الفورتران (Fortran) والكوبول (Cobol) والبسيك (Basic) والباسكال (Pascal) والالكول (Algol) والفيزيول باسيك (Visual Basic) وس(c) وس++ (c++)ودلفي(Delphi) والبووربيلدر (Bobilder)...

36) Mourad Amine,1995, et autre, (Serge Fleury,1997,Lionel Delafosse, 1999),Glossaire de la linguistique computationnelle,

in ***http : //ldelafosse.pagesperso-orange.fr/Glossaire/Biblio.htm***

37) Omar ElKharki, Jamila Mechbouhet Daniel ducrot,initiation à l'algorithmique, 2eme edition, Imprimerie ELwouroud, Agadir, Mroc,2011, p10.

يتضمن الخوارزم نمذجة التوصيف (Modelisation) ومعالجته آليا، المراحل الآتية :

إقرار/كشف المعطيات	إقرار/كشف الثوابت
	إقرار/كشف المتغيرات
	إقرار الجداول
	إقرار الاجاءات/الوظائف
معالجة المعطيات	بداية
	الفعل العملي
	نهاية

Declaration des objets	Declaration des constantes
	Declaration des variables
	Declaration des tableaux
	Declaratin des procedures/fonctions
Manipulation des objets	DEBUT
	ACTION
	fIN

التعليمات (Instructions)

يمكن تعريف معالجة المعطيات بكونها أنشطة متوالية تعليمـــات، وهـــي مجمـــوع العمليات الممكنة على المعطيات المحددة سابقا، وهناك أربعة أنماط من التعليمات :

- تعليمات الحوار إنسان–آلة :

ترتبط بإدخال المعلومات (La Saisie des Infomations) للإشارة داخل الخـــوارزم بكون هذه المعلومة أو تلك ينبغي أن تُدخَل، وفيها يستعمل التركيبة (Syntaxe) /دالـــة : اقرأ متغير (Lire Variable)، وبواسطتها ستسمح الآلة للمستعمل بإدخال القيمـــة الـــتي ستمنح للمتغير والتي ستستغل في مسار البرنامج إلى حين إظهار المعلومات لكي تـــتمكن الآلة من إظهار المعلومات على الشاشة نستعمل التعليمة اكتب(Ecrire) بتنفيذ التركيبـــة التالية : تركيبة : اكتب متغير(Ecrire Variable)

- تعليمات الإسناد :

ترتبط بعمليات إسناد القيم(Valeurs) للثوابت والمتغيرات في البرنامج، وهي قيم تتولد عنها تعليمات برمجية أخرى يتم فيها استبدال القيم الرمزية البولينية [1...0، A, 3 ,B] إلى قيم لغوية، تسمى "القيم البديلة"، التي تتمك عبر تعليمات التكرار المؤدية الخرج، الكشف، النهائي على الشاشة.

يتم، بناء على المعطيات السابقة، ضبط الخوارزم بمنطقه الرياضي في المعالجة اللسانية حاسوبية للغة، وهو في ذلك يركن إلى منطقين، خارجي، قبلي، وداخلي، تدبيري، شكل المنطق الخارجي مجموع الانشطة القبلية للمعطيات في مختلف مستوياتها اللسانية، وذلك عبر منطق إحصاء والفحص، ثم منطق تصنيف المعطيات بناء القوالب المجموعاتية، في حين يشكل المنطق الداخلي التدبير، مجموع العمليات، التعليمات، المبنية للخوارزم اللغوي.

في سبيل إعادة البناء اللساني للعربية

عندما نتحدث عن البنيوية فإننا في المطلق نتحدث عن التيار الوصفي في زمنه البنيوي، لا تيار المعجمية الوظيفية المشتغلة على الجانب الإعلامي في تحليل اللغات الطبيعية، " فالبنيوية بجميع تياراتها كان لها الفضل في حصر الموضوع بتركيزها على التعرف على مكونات النظام، لكنها لم تتجاوز التعامل مع الشكل اللغوي الظاهري، دون أن تتمكن من التعمق في الموضوع اللساني الخوارزمي/ الصوري...، والتوليدية جاءت لتصحح مسار البحث عن السؤال اللساني الجوهري المحدد أعلاه، وذلك ببناء نحو صوري وفق نظرية عامة في اللغات الطبيعية...، قوامها قوة الاستدلال المنطقي الهادف إلى بناء قواعد كلية تنظر لبناء نحو للكفاية"[38].

لقد نجحت النظرية التوليدية في تحويل البحث اللساني من الوصف إلى المعالجة التفسيرية، بناء على فرضيات علمية رياضية، شكلت الأساس الذي تشتغل عليه، وداخله صاغت لنفسها جهازا مفاهيميا قويا، انصهرت فيه الكثير من التجارب العلمية الدقيقة[39]،

---

38) محمد الحناش، التواصل اللساني، مج1، عدد سلسلة ندوات، 1993، ص10.

39) المرجع السابق، ص10.

غير أنها، وبالرغم من قوتها، أخفقت في الكثير من التجارب على المستوى اللساني حاسوبي، الذي لم غايتها، وهذا الإخفاق كان في الجانب العملي التجريبي حين تعاملها مع الظواهر اللغوية[40]، إذ انغمست كليا في البناء المنطقي للنحو الكلي الصوري للغات الطبيعية، دون أن يكون لها اهتمام بالجوانب العملية لطابع تصرف اللغات التي يمكن عبرها حوسبتها.

اللغة العربية لغة طبيعية، تتشكل من دخلات (Lexies)، مثل اللغات الأخرى، غايتها التواصل ونقل الإخبار، وأداء وظائف التواصل والاتصال، لتحقيق أغراض المعبرين بها، وهي من الناحية المنطقية المجردة بنايات ذهنية خوارزمية قائمة على معادلات رياضية خاصة، تحفظ لها استقلاليتها عن اللغات الأخرى، وتضبط مواقع استعمال دخلاتها، ومن الناحية الوظيفية خطاب (discours)، يتكون من مجموعة من المفردات المعجمية المتسلسلة خطيا، عبر التجاور التوزيعي للتعبير عن الأفكار وإيصال المعاني، وتحليلها الآلي لا ينفصل عن تضافر هذه المعطيات، لذلك نرى أن بناءها للتحليل اللساني حاسوبي يرتكز في عمليات إعادة البناء اللساني المعاصر في سلسلة نقط متتابعة.

المعجم تركيب وإعادة البناء اللساني

– إعادة الاستثمار المنطقي لتحليل التراث اللغوي العربي

شكل التراث اللغوي العربي، وما يزال، الرافد الأساس لمختلف المقاربات اللسانية المعاصرة، والاعتماد عليه عُدَّ ركيزة من الركائز التي تعتمدها الدراسات اللسانية، البنيوية والتجريدية على السواء، فهو يوفر الرافد الأساس لقاعدة معطيات تشكل البنية التحية للتناول المعاصر لقضايا اللغة العربية، لكن مقارباته التقليدية أخفقت في إعادة هيكلة معطياته وهندستها، بالشكل الذي يجعله قابلا للعمليات البرمجية الهندسية، بدءا من اللغة الواصفة، "متالغة" إلى معالجة المستويات اللسانية المختلفة الخاصة بهذه اللغة.

فعلى الرغم من التغييرات الحاصلة في لغة الوصف المقدمة للقضايا اللغوية لم تستطع عملية التغيير، التي طالت المتالغة المعاصرة للعربية، الانفصال اللغة الواصفة القديمة، سوى

40) Lakoff George, linguistique et logique naturelle,ed klincksiek, Paris, 1976,

بتغيير المصطلحات من مصطلحات نحوية تقليدية إلى مصطلحات منطقية محضة، وفي المقابل اعتمدت اللسانيات التجريدية مصطلحات رياضية، وعملت على تحويل التحليل اللساني للقضايا اللغوية إلى رموز رياضية، لها سمت تجريدي صوري، يُذهِب في كثير من الأحيان التطابق بين الرمز ودلالته اللغوية، ولا يوازن بين اللغة كواقع تواصلي انجازي وبين اللغة كواقع رمزي تجريدي صوري، لا يمت إلى الواقع اللغوي التواصلي بشيء.

إنها نظرة مزدوجة بين حدين، لا يمكن اعتمادهما في التحليل اللساني الموجه نحو المعلوميات، سوى بعمليات الدمج الفعلي للواقعين معا، ولعل هذا ما حاولت النظرية التوزيعية مع زليك هاريس، ومن بعده رواد التحليل التوزيعي التحويلي في النظرية الهاريسية، نذكر منهم موريس كروس، وألان لكليرك، وجيري شنايدر، وماسيلو ايزابيل، وماكس سلبرشتاين، وما قدموه من صياغات تحليلية بالنسبة للغة الفرنسية، على الأقل، في أبحاثها المعجم تركيبية[41]، فيما حاولت دراسات، تعد على رؤوس الأصابع، صياغتها بالنسبة للغة العربية، حققت نتائج مهمة في المجال.

المعجم تركيب في إعادة البناء اللساني للتركيب في العربية

يعتمد منهج المعجم تركيب في تحليله لغة صورية مبنية على منطق الخوارزمات اللسانية لعلاج اللغات الطبيعية آليا، واللغة الصورية المقصودة هنا تنبني على مقولتين، الموازنة للوصف اللغوي والملاءمة المنطقية بين مجالين اللسانيات والحاسوبيات، لأجل معالجة وتوليد اللغة الطبيعية آليا، وذلك بالنظر إلى الأهداف الممتدة للنظرية اللسانية حاسوبية، وهي تنبني على منطق متعدد الاتجاهات.

أ – المنطق الإحصائي

اللغة العربية لغة طبيعية، تقوم في بنائها التركيبي على مجموعة من المعادلات الرياضية الصرفة، قابلة للإحصاء، وقد بينت عمليات التشريح الاكلينيكي للغة العربية تميزها سمة القابلية للإحصاء في بنياتها المختلفة، الصوتية والصرفية والتركيبية، لكن إذا كان العمل في

41) ينظر تعريف اللساني "المعجم تركيب" في محمد الحناش، بناء المعالج الآلية للغة العربية، التواصل اللساني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992.

نطاق البحث اللساني حاسوبي قد تناول الجانبين الصوريين، مستوى الأصوات ومستوى الصرف فإن المستوى التركيبي والدلالي ظلت الأبحاث فيهما قليلة جدا.

قدم الدكتور محمد الحناش على المستوى التركيبي، وعلى مدار عقدين من الـزمن، تصورا لبناء خوارزمات تحليل اللغة العربية، من جهة نظر تركيبية صرفة، وكان لتصوره الأثر البالغ في تغيير كثير من المعطيات، النظرية والتطبيقية، لتحليل اللغة العربية آليا، ذلك أن التصور المقترح يعتبر في نظرنا تصورا نظريا متكاملا على مستوى المرجعية، يتبنى إطارا لسانيا واضحا، ويطبق مرجعيات إطاره النظري على قضايا عملية، تبعا للاقتراحات الـتي تقدمها مرجعيات الإطار النظري، الذي صاغه زليك هاريس وطبقه مـوريس كـروس، ولعل هذا التوافق ما لم يحدث في الأعمال التي تناولت المعالجات الآليـة للغـة العربيـة وقضاياها، بحيث يخفت في كل الأعمال الأخرى التأطير النظري، وهذا في نظرنا مـا لم يكسب هذه التصورات استمرارية على مستوى البحث، وعلى مستوى تطور المـشاريع الامتدادية الخاصة بمعالجة اللغة العربية آليا.

أما على المستوى المعجمي، فالمنهج ينظر للمعجم باعتبار المستوى الأعلـى لكـل المستويات اللسانية الأخرى، خلافا لما دأبت عليه باقي النظريات اللـسانية الأخـرى، لم تُخْرِج النظر إلى المعجم على انه بنية مستقلة عن المستويات اللسانية الأخرى، وهو مـا لا ندعمه في جوهره، بل لم تتغير نظرة المعجميين إلى بنية المعجم إلا فيما يتعلـق بـالتنظير لكيفيات بناء معجم يتلاءم مع المساعدات التي يقدمها الحاسوب فقط، في حين أن المعجم يعتبر ركيزة أساسية في كل بناء لساني حاسوبي للغة، ومنه تتفرع وتتولد كل المـستويات الأخرى.

ظلت هذه المقترحات اللسانية العربية، في شقيها التنظيري والتطبيقي، بعيدة عـن تناول قضايا التركيب، في تطوراته المتسارعة، باعتباره الجـامع للمـستويات الأخـرى، والموجه لها تحت الإشراف المعجمي، وتناولت بعض الجوانب المرتبطة بـالنحو القـديم، خاصة في توصيف بعض القضايا اللغوية نحويا، دون أن يكون لها طابع الجـدة الهندسـية الملائمة والمناسبة للإدخال البرمجي، لقد صرح الدكتور محمد الحناش في زمـن سـابق أن إشكالية معالجة التركيب تكن في قضيتين اثنتين مترابطتين أيما ارتباط، قضية المنهج وقضية

المرجع اللغوي، من حيث هما قضيتان تقودان إلى عمليات البرمجة، بناء على طابع الإحصاء الصوري للخصائص اللغوية (بناء الجذور والممكنات في اللغة(المهمل والمستعمل)، ومنطق الاعتماد على الخوارزم وحدة (Unité) في تصنيف قضايا التركيب (Syntaxe) الخاص باللغة العربية داخل نطاق بناء الخوارزمات لتهييء اللغة العربية لتطبيقات التعليم والتكوين والاتصال والتواصل.

تدبير قواعد المعطيات للغة العربية

تعتبر قواعد البيانات، كما سلفت الإشارة، الأساس المركزي للتحليل والتوليد الصوريين، شرحا وتفسيرا، للمعطيات اللغوية الموجهة نحو البرمجة الآلية، وبالتالي المعالجة الآلية للغة العربية، وقاعدة المعطيات هي المجموعات التصنيفية بناء على عنصري التطابق السلوكي للتصرف اللغوي، وبناؤها يشكل تحليلا أكسوماتيكيا لمعطيات الإدخال.

يبدو أن البناء المعطياتي للنظامين الصوتي والصرفي قد بذل فيه الكثير من العمل، وأفضى إلى نتائج مهمة في توصيف معطيات اللغة العربية[42]، لكن المستوى التركيبي ظل مستوى غائبا عن التوصيف اللساني حاسوبي، إذ لا نجد من عمل على هذا المستوى إلا ندرة من الباحثين، يمكن اعتبار تجربة نهاد الموسى واحد منها، وملاحظاتنا على هذه التجربة التي سميت توصيف اللغة العربية من منظور لساني حاسوبي، الواردة في كتاب"العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية "[43]، لا تعدو كونها ترتكز على العمل النحوي القديم فقط؛

البنية الخوارزمية للجملة في العربية

بناء على المعطيات السالفة منهجيا نشير إلى أن النظام التركيبي في اللغة العربية لا يختلف عن معطيات الأنظمة التركيبية في باقي اللغات الأخرى إلا فيما تفرضه خصائص العربية من حيث الترتيب، وهي من الناحية النظرية بنيات ماتريس (Matrice) محفوظة

---

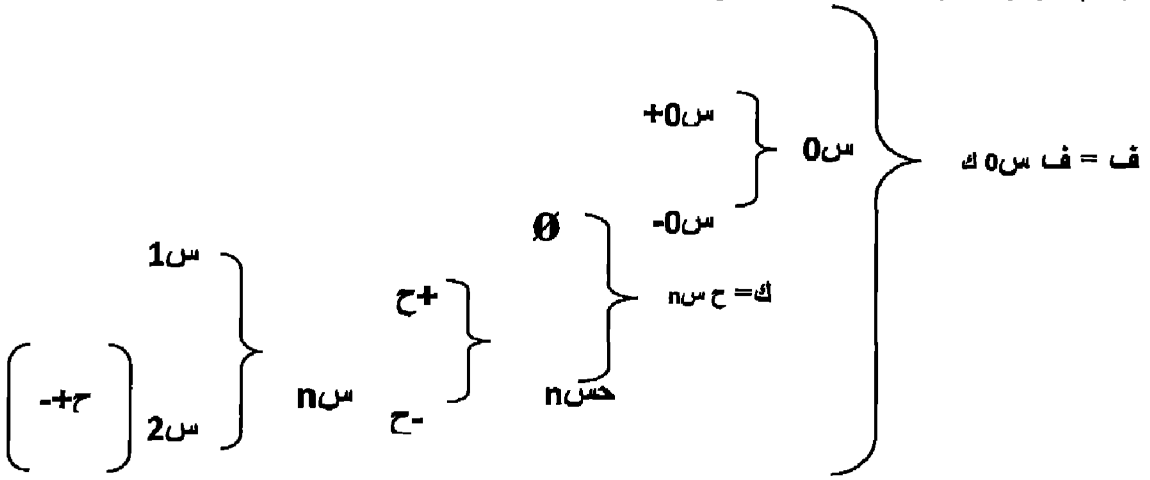
42) ينظر على سبيل المثال يحيى هلال، نظام تدبير المعطيات القاموسية (تطبيق أدوات صرفية آلية)، التواص اللساني، المجلد3، العدد2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص13 وما بعدها.

43) ينظر، نهاد الموسى، العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الاردن، 2000.

الرتبة[44]، (فعل فاعل مفعول)، وتحويلها صوريا يكمن في إعادة الكتابة (ف س ك)، لكن طبيعة البناء الذهني الداخلي للعربية تقودنا إلى القول إن هذا النمط المصورن ينبني في أساسه على حدين طرفيين بالنسبة لكل بنى العربية، وهذان الحدان هم وحدة الفعل (ف) باعتباره البناء المركزي (المهيمن) في كل بناء لغوي، هذا مع اعتبار أن الفعل في العربية لا ينفصل عن الفاعل، نظرا لغياب صيغة (الفعل بدون فاعل في العربية)، وبناء على هذه الفرضية، فالفعل يشكل بنية داخلية وحدية منتهية للتوصيف، وبالتالي يمكن إعادة كتابة الفعل صوريا على الشكل الآتي (ف س0) حيث يكون (ف) للدلالة على كل فعل في العربية وس0 للدلالة على كل فاعل في بنية العربية، وهو يرتبط ارتباط كليا بطبيعة تصريف الفعل، حيث إن س0 يمكن أن يكون (س0+) بالنسبة للأفعال التامة، و(س0-) بالنسبة للأفعال غير التامة (الجامدة وغير المتصرفة، كـــ" ليس" مثلا)

والوحدة الثانية تمثلها الطرفية المركزية(ك) او طرفية المفعول، أي مفعول، حيث يمكن أن يكون(ك=ø) أي مجموعة فارغة، تقاس على (ك=س)، حيث يدل (س) على الاسم، يضاف له مؤشر رقمي للإشارة إلى عدد الأسماء الموجودة في المحل (ك)، كما يؤشر ب(ح) للإشارة إلى وجود، أو لا وجود، الحرف في البنية، ما دام أن الموقع (س) في الموقع(ك) في العربية يمكن أن يكون بحرف أو بدونه.

الاستنتاج في هذا أن البنية الصورية للغة العربية تتشكل من طرفيتين منتهيتين هما(ف)و(ك)، أي : [ف ك] ومن داخلها تعاد كتابة البنية الصورية للعربية.



44) انظر محمد الحناش 1985، وعبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، الطبعة الرابعة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص، 103، وآخرون.

فكل فعل يقتضي في العربية حتما (س0) وفي حال إسناد القيمة[+] لـــ(س0) يعني أن الفعل تام، وفي حال إسناد القيمة[-] فالفعل غير تام، أي ناقص، يؤشر إليه في تعليمات بناء المعطيات ب[قيد] خصوصيته، وبالتالي طبيعة توارده التأليفي.

الاستنتاج الثاني أن ليس هنا في المنطق الرياضي، ما يمكن اعتباره فعلا لازما أو فعلا متعديا، على حد تعبير النحاة القدماء، ذلك أن الطرفية[ف] في البنية الصورية من الدالة العامة[ف ك] هو بنية (Structure) لا يمكن قراءته إلا بوجود تَضَمُّن (س0) ومن ثمة كان عنصر الطرفية [ك] لا وجود له في البنية إلا بوجود (ف س0)، ووصفيا لا يمكن الحديث عن المفعول إلا بوجود الفعل والفاعل، فالعنصر [ك] يشكل جزءا متضمنا حتما في البنية المنطقية للتوليفة العربية ففي حال عدم احتياج الطرفية[ف] للعنصر (ك) تكون البنية منطقيا على الحد التالي : [ف ø]، أي بنية لازمة بالمعنى النحوي القديم لمفهوم اللزوم، وبها تمثل بنيات الانجاز اللغوي الاستعمالي من نوع (نصر وقصر وطال...).

وفي حال احتياج البنية (ف) إلى متمم(ك) تفسر طبيعته صوريا، حيث يكون احتياجه إنجازيا إلى العنصر(ح)، متضمنا للقيمة [+] أو[-] التي عبرها يفسر العنصر (ك) بكونه داخليا أو خارجيا، مباشرا أو غير مباشر، الذي يمكننا من تجاوز التقسيمات التقليدية للمفعولات بكونها مباشرة أو غير مباشرة، فالوصف الصوري لا يعرف بشيء اسمه مفعولا داخليا أو خارجيا، ومعطيات اللغة تقدم دليلا على ذلك، حيث تقدم أفعالا، أو بنيات طرفية[ف]تتطلب طرفية[ك] بواسطة الوحدة<ح> مسندة بالقيمة[+] مع الوحدة <سn>دون أن يكون <ح سn> مفعولا داخليا للفعل، حال ما تقدمه بنيات من نوع :

- قرَّ بالمكان
- لبد بالمكان

الكلام نفسه يمكن قوله عن البنيات التي سميت تقليديا بالمتعدية إلى مفعولين اثنين، كان أصليين (صنف كسى وأعطى) أو محولين من بنية محولة هي نفسها من بنية أخرى (باب ظن وأخواتها) وعلى قياسها بنيات (أعلم وأرى).

فالتخطيط البرمجي (Planing) يعتبر ما هو حاضر في اللغة، وما هو مبرمج بقيمه للتنفيذ في البرنامج، الذي تقره تعليمات التكرار(Règles Récursives) الموضوعة ضمن تعليمات البرمجة <أنجز إلى>().

تقود العمليات السابقة الخلاصة نعتبرها منطلق كل إعادة البناء لمستويات الدرس اللساني الموجه للسانيات الحاسوبية أو بالأحرى المعالجة الآية للغة العربية؛

استخلاصات

البنية اللغوية أساس عمليات البناء هي بنية خطية تقوم على أساس التتابع التواردي لوحدات معجمية، لها صفة تركيبية صرفة، وطبيعة تركيبها، تخضع في أساسها لعنصري التوزيع والتحويل، بناء على سياق القبول(contexte)، حرا أو مقيدا، لاستعمال للغة والذي يحدد طبيعة البنيات بكونها عادية أو مقيدة دلاليا.

وهذا حتما يقود إلى إعادة بناء المستوى المعجمي من النظر في طبيعة تحديد المداخل المعجمية، وما يقتضيه ذلك من إعادة النظر في طبائع التعريف المقدم للمداخل الدخلات اللغوية (lexies)، وعلى المستوى الصرفي يقتضي إعادة النظر في الملامح المصاغة للدخلة " الفعل" بما يقتضيه منطق القبول التوزيعي لباقي الدخلات الأخرى المتواردة معه خاصة (سn) و(ح) من حيث هو قبول دلالي محض، وعلى المستوى التركيبي يقتضي الأمر بناء الدوال التركيبية وفق الاحتياج التوزيعي والاشتقاقي (التحويلي) لبنيات اللغة العربية، الذي تقدمه أصول العربية في قبول بنية ورفض أخرى، وعلى المستوى الدلالي يقتضي إعادة النظر في طبيعة التصنيف لبنيات المتواليات الصغرى للخطاب، من حيث طبيعتها، الحرة أو المقيدة (البنيات المسكوكة/المتكلسة) والتي تعتبر مدخلا حقيقيا للتعامل مع جميع قضايا الخطاب آليا، من حيث كان هذا الخطاب الآلي موجها للاستخدامات الكترونية متعددة.

مراجع البحث

1 - المراجع العربية

- الأخضر غزال، إدخال اللغة العربية في المعلوميات، منشورات جامعة محمد الخامس الرباط المغرب
- حسن عارف، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة اللغة العربية، منشورات مجمع اللغة العربية بالاردن.

- سناني سناني، في المعجمية والمصطلحية، الطبعة1عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، 2011.
- صلاح الدين حسنين، الفعل العربي وطرق معالجته بالحاسوب، وكذا عبد المنعم حشيش، معالجة اللغة العربية بالحاسوب، في التواصل اللساني، المجلد الأول، سلسلة ندوات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993.
- عبد الإله الديوه جي، مفاهيم أساسية حول تقنية المعلومات، عالم الفكر، المد18، عدد3، وزارة الإعلام، الكويت، 1987.
- عبد الله سليمان القفاري، خطوات تطبيقية نحو منهجية مدعمة بالحاسب الآلي لمعالجة ونشر المصطلح العربي، التواصل اللساني، المجلد الثالث، سلسلة ندوات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1996.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، الطبعة الرابعة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
- عبد المنعم حشيش، معالجة اللغة العربية بالحاسوب، في التواصل اللساني، المجلد الأول، سلسلة ندوات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993
- عبد الواحد دكيكي، المعجم الصوري للظروف في اللغة العربية بناء لساني حاسوبي، أطروحة الدكتوراه، تحت إشراف الدكتور عبد الغني أبو العزم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، 2007، (مرقونة).
- عبد الواحد دكيكي، المصطلح اللساني حاسوبي في العربية بين الوضع والترجمة، أعمال ندوة المصطلح اللساني المعرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المملكة المغربية(قيد الطبع)
- مازن الوعر، اللسانيات والعلم والتكنولوجيا..نحو تعريب موحد للسانيات التطبيقية العربية وبرمجتها في الحاسبات الالكترونية، في اللسان العربي، عدد22، 1984.
- محمد غزالي خياط، مجلة التواصل اللساني، المجلد الأول سلسلة ندوات، الصادرة عن مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، 1993.
- محمد الحناش، النحو التأليفي، مجلة دراسات أدبية لسانية، عدد1، كلية الاداب والعلوم الانسانية، ظهر المهراز، فاس، المغرب، 1985
- محمد الحناش، طبيعة البحث اللساني الحاسوبي، في التواصل اللساني، المجلد الأول، سلسلة ندوات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993.
- محمد الحناش، مشروع نظرية حاسوب لسانية في بناء معاجم آلية للغة العربية، التواصل اللساني، المجلد2، عدد2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1990.
- محمد الحناش، بناء المعاجم الآلية للغة العربية، التواصل اللساني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992.
- محمد حسارة، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2008.
- محمد علي الزركان، اللسانيات وبرمجة اللغة العربية في الحاسوب، في التواصل اللساني، المجلد الاول، سلسلة ندوات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993.

- محمود فهمي حجازي، الحاسوب وصناعة المعجم العربي، التواصل اللساني، المجلد الأول، سلسلة ندوات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993.
- منذر عياش، 2007، مناهج اللسانيات ومذاهبها في الدراسات الحديثة، في الموقع الالكتروني، www.atida.org/forums/showthread.php ?t=1860
- منصور الغامدي، في مجلة التواصل اللساني، المجلد الأول سلسلة ندوات، الصادرة عن مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993.
- نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، عالم الفكر، المجلد 18، عدد3، وزارة الإعلام، الكويت، 1987.
- نهاد الموسى، العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الاردن، 2000.
- وليد العناني، العربية في اللسانيات التطبيقية، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة العلمية للنشروالتوزيع، الأردن، 2012.
- يحيى هلال من المغرب، في التوليد من الجدر والوزن، التواصل اللساني، المجلد الرابع، العدد الأول، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992.
- يحيى هلال، نظام تدبير المعطيات القاموسية (تطبيق أدوات صرفية آلية)، التواص اللساني، المجلد3، العدد2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

2- المراجع الأجنبية

- Harris (s.z), structures mathematiques du langage.
- Gross Maurice, methodes en syntaxe,ed Herman., Paris,1975.
- Lakoff George, linguistique et logique naturelle,ed klincksiek, Paris,1976.
- Mourad Amine,1995, et autre, (Serge Fleury,1997,Lionel Delafosse, 1999),Glossaire de la linguistique computationnelle,
in *http : //ldelafosse.pagesperso-orange.fr/Glossaire/Biblio.htm*
- Moreau René,introduction à la théorie des langage,ed hachette, Paris,1975.
- Omar ElKharki,Jamila Mechbouhet Daniel ducrot,initiation à l'algorithmique,2emeedition,Imprimerie ELwouroud,Agadir,Mroc,2011.
- Silberztein Max, Dictionnaires électroniques et analyse automatique de textes le système intex,ed Masson ;Paris,1993.

النحو الوظيفي الخطابي
وبناء نموذج حاسوبي للغة العربية

محمد السهول
الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية
جامعة مولاي اسماعيل بمكناس، المغرب

تمهيـــد

أدى تطور علوم المعرفة المعاصرة إلى اهتمام اللسانيات "ببناء أنساق حاسوبية قادرة على استعمال اللغة العربية ومعالجتها. ولئن كان معلوما أن هذه الأنساق لا ترقى إلى ما تتمتع به الكائنات البشرية من قدرة ووجود فائقتين في هذا الميدان، فإن مجهودات العلماء أدت إلى فهم متقدم لبنيتها الداخلية وطريقة عملها" (1). إن "بناء الأنساق الحاسوبية هو أحد المسالك العلمية المؤدية إلى معرفة خصائص اللغات الطبيعية وقدرتها على معالجتها. وبما أنه يفترض في النماذج اللسانية المعاصرة الوظيفية وغير الوظيفية أنها تمثل لقدرات المتكلم اللغوية . فإن أهم المعايير المعتمدة في قياس درجة نجاحها يكمن في ما تقدمه من إمكانات تساهم في قياس درجة نجاحها يكمن في ما تقدمه من إمكانات تسهم في إقامة نموذج حاسوبي صوري قابل للحوسبة ما أمكن ذلك يرصد ويصف ويفسر الواقع الذي نستهدفه "(2).

1 - النحو الوظيفي الخطابي ونموذج مستعمل اللغة الطبيعي

لقد أفرزت نظرية النحو الوظيفي منذ نشأتها وخلال تطورها مجموعة من النماذج هي : "النموذج النواة" ويسمى بالنموذج ما قبل المعيار الذي وضع أسسه سيمون ديك

---

1) عز الدين البوشيخي، النحو الوظيفي وبناء الحاسوب، مجلة مكناسة، ع، 4-5، 1990-1991، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، ص، 117.

2) أحمد المتوكل، الخطاب الموسط، مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، ط1، 2011، دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر، ص.69.

(1978)، و"النموذج المعيار"(ديك 1997 أ-ب)، و"النحو الوظيفي المتنامي" الذي وضعه ماكنتري (1998)، و"نحو الطبقات القالبي" مع أحمد المتوكل(2003)، و"نحو الخطاب الوظيفي" (هنخفلد وماكنتري(2008)، و"نحو الخطاب الوظيفي الموسع "(2011)، الذي طوره أحمد المتوكل " ولعل محرك إفراز هذه النماذج والانتقال من بعضها لبعض مع جب متفاوت في الشكل والمضمون محركان أساسيان : تعديل في موضوع الدرس، وإتجاه نحو رفع سقف الأهداف مع الحفاظ على المنطلقات النظرية والمنهجية "[3].إذ كانت النظرية الوظيفية في بداية نشأتها نظرية مؤسسة تداوليا على دراسة الملفوظات المكتوبة مؤطرة بظروف إنتاجها، فإن هناك تطور في موضوع الدرس، إذ تم الانتقال إلى الاهتمام بالفرضية الانجازية والفعل الخطابي وكيفية التمثيل له داخل بنية النحو سواء أكان جملة أو نصا أو مركبا اسميا أم مفردة . إن هذا التعديل الذي حصل في موضوع الدرس وإعادة النظر في طبيعة ومقومات البنية التداولية حيث أصبح يمثل لها باعتبارها فعلا خطابيا (فعلا لغويا في مصطلح سورل 1969) قوامه قوة إنجازية ومتكلم مخاطب وفحوى خطابي يتضمن فعلا إحاليا، وفعلا حمليا كما يتبين من خلال الترسيمة التالية :

(فعل خطابي1 : [قوة إنجازية (ك) (ط)، فحوى خطابي1 : [(فعل إحالي 1) (فعل حملي1](فحوى خطابي1))]

(فعل خطابي1)).

ومن أهم التطورات التي حصلت في موضوع الدرس الوظيفي " **تقوية الكفاية التداولية وذلك عن طريق موقعة المكون السياقي داخل النموذج باعتباره يشكل مع المكون المفهومي (المكون المعرفي) مكونين" مصاحبين " خارجين عن المكون النحوي لكنهما ضروريين لاشتغاله"** [4] مما نتج عنه ظهور ما أصبح يسمى بالنحو الوظيفي الخطابي أو نحو الخطاب الوظيفي.

1-1 - بنية نحو الخطاب الوظيفي

لقد جاء النحو الوظيفي الخطابي كصورة معدلة ومطورة للنحو الوظيفي الذي قدمه سيمون ديك (1997أ و1997ب)، وإن كانا يلتقيان معا في عدد من المنطلقات

3) أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور، منشورات الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر ـــ دار الأمان الرباط، ط1، 2012، ص.30.
4) أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص. 32.

والمبادئ المنهجية ولقد "وصف هذا النحو بأنه نحو خطابي إنما جاء لبيان أنه نحو يعنى بالوحدات الخطابية أيا كان شكلها، كلمة أو مركبا أو جملة أو نصا أو حوارا أو غير ذلك"[5].

يعتمد نحو الخطاب الوظيفي في تنظيم جهازه الواصف اعتمادا على مبادئ ثلاثة وهي كما حددها أحمد المتوكل (2011) :

- ✓ أولا : أن المعارف التي تفعل في عمليتي إنتاج الخطاب وفهمه معارف اجتماعية وإدراكية ومنطقية إضافة إلى المعارف اللغوية.
- ✓ ثانيا : أن العلاقة الرابطة بين مختلف مكونات النحو علاقة قالبية حيث يتخذ خرج بعضها دخلا لبعض.
- ✓ ثالثا : أن التداول والدلالة يشكلان البنية التحتية للخطاب التي تتضمن المعلومات التي تحدد البنيتين الصرفية – التركيبية والفونولوجية "[6].

يتبين من خلال هذه المبادئ الثلاثة أن" النحو الوظيفي الخطابي نموذج نحوي مهمته تفسير الكيفية التي ينتج بها المتكلم الأفعال الخطابية بأشكالها المختلفة منذ المرحلة الأولى من إنتاجها حتى تحققها النهائي ويتم ذلك وفق مستويات أربعة كلها ذات طبيعة لغوية :

أ – مستوى علاقي يرصد المعلومات التداولية.

ب – مستوى تمثيلي يرصد المعلومات الدلالية.

ج – مستوى صرف تركيبي يرصد المعلومات الصرف تركيبية.

د – مستوى صواتي يرصد المعلومات الصوتية"[7].

يهدف هذا النحو إذن كما عبر عن ذلك هنخفلد ومكنزي (2008)، وصف الخصائص الصورية وتفسير الأفعال الخطابية من زاوية وظيفية.

---

5) عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2012، ص127.

6) للمزيد من التفصيل الرجوع إلى كتاب : " الخطاب الموسط، مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات.

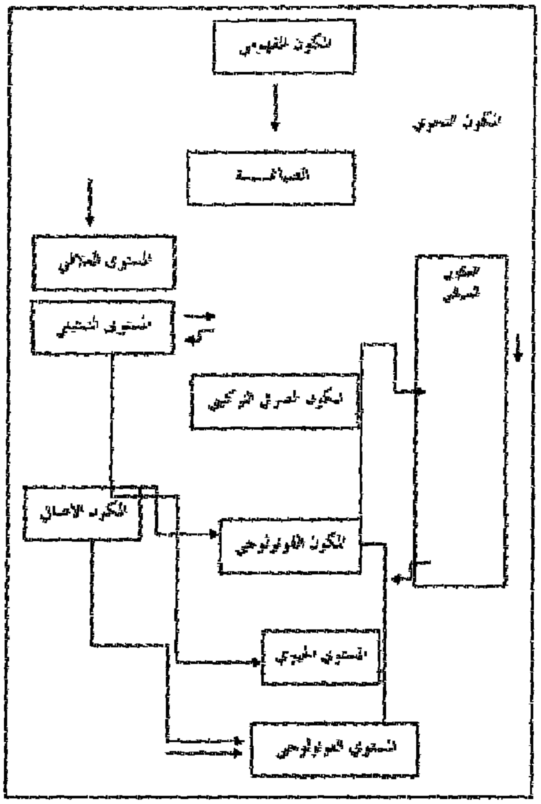
7) عز الدين البوشيخي (2012)، مرجع سابق، ص، 127.

يشتغل هذا النموذج وفق هذه السلمية حيث يبدأ بالتمثيل للمستوى العلاقي الذي يمثل فيه للمعلومات التداولية، ثم المستوى التمثيلي ويمثل فيه للمعلومات الدلالية، ليكون بذلك قد حسم النقاش الذي كان سائدا بين الوظيفيين حول محل التمثيل للمعلومات التداولية والدلالية يقول عز الدين البوشيخي معبرا عن هذه الفكرة "يعد النحو الوظيفي الخطابي نحوا مؤسسا تداوليا حقا، فالانطلاق من إنتاج الفعل الخطابي يتم من المستوى العلاقي حيث يمثل للمعلومات التداولية، وهو أول مستوى في بنية النحو الوظيفي الخطابي. ثم ينتقل بعد ذلك إلى المستوى التمثيلي حيث يمثل للمعلومات الدلالية . وهندسة النحو بهذه الصورة يجعله وفيا لمبدأ الوظيفية القاضي بأسبقية التمثيل للمعلومات التداولية على غيرها من المعلومات، ويجعله مطابقا لمراحل إنتاج الكلام كما حددها (لفلت 1998) :

أ – تحديد القصد التداولي.
ب – تحديد المضمون الدلالي المناسب للقصد التداولي.
ج – صياغة القصد والمضمون في تركيب مناسب.
د – تحقيق التركيب اللغوي بالنطق أو بالكتابة"[8].

إن النحو الوظيفي لما فصل بين المستويين التداولي والدلالي مكن من التمييز بين المعلومات التي تنتمي إلى مجال التداول وبين تلك التي تنتمي للمجال الدلالي وأدى كذلك إلى "تفادي الخلط بينهما في التمثيل من جهة، ومكن من جهة أخرى من القدرة على معالجة أفعال خطابية تقوم بوظيفتها التواصلية إلا أنها فارغة دلاليا"[9].إن النحو الوظيفي بهذا المعنى كما طرح يعكس عملية إنتاج الخطاب وفهمه من حيث إنه ينطلق من القصد إلى الفحوى أو المضمون أو المعنى ثم ينتهي بالنطق أي التمثيل الأصواتي.مما يدل على أنه يعطي الأولوية للمستوى التداولي على بقية المستويات أي إنها ترد مرتبة على الشكل الآتي كما يوضح ذلك الرسم الآتي :

8) نفسه، ص..128.
9.) البوشيخي، مرجع سابق، ص.129



2 - النحو الوظيفي الخطابي وإشكال نموذج مستعمل اللغة الطبيعية

لقد قدم ديك (1997- 1989) نموذجا لمستعمل اللغة الطبيعية قائم على نظام القوالب يتحكم في عملية التواصل إنتاجا وفهما نمثل فيه للمعرفة اللغوية عن طريق القوالب النحوي وللمعرفة غير اللغوية عن طريق القالب المعرفي، والقالب المنطقي، والقالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي، والقالب الإبداعي، والقالب التخييلي والقالب التداولي"ويضطلع كل قالب من هذه القوالب منها برصد ملكة من الملكات التواصلية[10]،

10) يعرف ديك (1989) هذه الملكات الخمس على النحو الآتي :

أ – **الملكة اللغوية** حيث يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج ويؤول إنتاجا وتأويلا صحيحين عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا ومعقدة جدا في عدد كبير من المواقف التواصلية.

ب – **الملكة المنطقية**، وهي الملكة التي يتسنى لمستعمل اللغة الطبيعية بواسطتها اشتقاق معارف إضافية من معارف أخرى مستخدما قواعد استدلالية تحكمها قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي .

ج – **الملكة الإدراكية** : وهي ملكة تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من توظيف المعارف التي يستخلصها من إدراك لمحيطه في إنتاج وفهم العبارات اللغوية.

د – **الملكة الاجتماعية** : وهي مجموع القواعد الاجتماعية التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من استعمال العبارة اللغوية المناسبة بالنظر إلى وضع مخاطبه وإلى المواقف التواصلي وإلى الغرض المروم تحقيقه. للمزيد من التفصيل

ويقترح بناء على هذا التصور أن يصاغ "نموذج مستعمل اللغة الطبيعية في شكل جهاز يتكون من تلك القوالب الخمسة"[11] وهذا ما يوضحه الرسم الآتي :

و "**تشتغل مكونات هذا النموذج، كما تدل على ذلك تسميتها بشكل قالبي، حيث يستقل كل مكون من المكونات الأخرى من حيث مبادئه وإوالياته لكن هذه المكونات جميعها تتفاعل فيما بينها حيث يمكن أن يكون "خرج" كل مكون "دخلا" لغيره، ويتكون كل قالب من القوالب الخمسة من "قويلبات" يتكفل كل فرع منها من فروع الملكة التي هي مرصود لوصفها** "[12].فإذا أخذنا على سبيل المثال القالب المنطقي فقد قسمه ديك (1989ب) إلى قوالب فرعية بحسب طبقات الجملة الأربع وهي :

منطق المحمولات ومنطق الحدود ومنطق الحمول ومنطق القضايا ومنطق القوة الانجازية وهي التي ترصد فيها لكيفية الانتقال من القوة الحرفية إلى القوة الانجازية المستلزمة.

وقد اقترح كل من المتوكل (2001) والبوشيخي (2012) والكتاني (1993) عدة تعديلات لهذا النموذج استهدفت إغناءه ويمكن تلخيصها كما يلي :

2-1- تعديل أحمد المتوكل (2001)

حيث اقترح إضافة قالب شعري تكون وظيفته رصد الملكة الشعرية لدى مستعمل اللغة الطبيعية التي تمكنهم من إنتاج وفهم ما يسمى "الخطاب الشعري" أو الإبداعي والفني بصفة عامة "ويقوم هذا الاقتراح على إفتراض إن الملكة الشعرية ليست إلا فرعا من فروع القدرة التواصلية تتوافر بالقوة لدى جميع مستعملي اللغة الطبيعية، وإن كان تفعيلها يتمحسب سلمية تتفاوت درجتها بين المتكلم "العادي" والأديب (الشاعر وغيره) ومؤدى هذا الافتراض أن الخطاب "الفني" (شعرا أو نثرا ليس وليد قدرة أخرى غير قدرة التواصل المشتركة وأنه يصبح بالتالي جزءا من موضوع النظرية ذاتها"[13].أما القالب النحوي فيقوم

الرجوع إلى كتاب : Dik ;s.c The theory of functional Grammar : part1 : the structure of the clause ;
وكتاب أحمد المتوكل (2001)، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية : بنية الخطاب من الجملة إلى النص.

11) علي آيت أوشان : اللسانيات والبيداغوجيا، السلسلة البيداغوجية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 2006. ص.

12) أحمد المتوكل (2001)، مرجع سابق، ص.38.

13) نفسه، ص.39.

بوصف وتفسير ما يربط بين وجهي العبارة وهما لفظها ومعناها باعتبارهما مستويين تمثيليين، وهو ما تختلف بشأنه النظريات اللسانية وما يؤدي إلى تأرجح الصرف والتركيب بين المستوى الأول والثاني، وهذا الاختلاف هو ما حاولت النظريات الوظيفية في تطورها الأخيرة تجاوزه، حيث يتم التمثيل في المستوى التمثيلي الأول(البنية التحتية) للخصائص الدلالية والتداولية، أما في المستوى الثاني (البنية المكونية)، فيتم التمثيل فيه للخصائص الصرفية التركيبية على أساس أن الصرف تحقق للمخصصات المجردة والتركيب ترتيب للمكونات"[14]. ويعني تبني هذا الاتجاه في اشتقاق الجملة في النحو الوظيفي (المتوكل 1989 و1995) القاضي حسب الكاتب بتبعية البنية الوظيفية والذي من مستلزماته أن الخصائص الصورية (الصرفية التركيبية والصوتية) تحددها الخصائص الدلالية والتداولية [15]. لقد أوضح المتوكل (1995) [16] الأدوار التي تضطلع بها قوالب نموذج مستعمل اللغات الطبيعية والعلائق القائمة بينها في حال اشتغالها مجتمعة حيث يعد كل من القالبين النحوي والمنطقي قوالب آلات مهمتها الإنتاج والتأويل في حين إن القوالب الأخرى (الإدراكي والاجتماعي والشعري) إن وجدت قوالب مخازن.

2-2- اقتراح الكتاني (1993)

يقوم اقتراح الكتاني كما أشار إلى ذلك البوشيخي (2012) على بيان كيفية تفاعل القوالب المفترضة سواء أثناء إنتاج العبارات اللغوية أو أثناء تأويلها عندما عالجت ظاهرة الاستلزام التخاطبي في العربية المصرية وخلصت إلى جملة من الاستنتاجات يمكن إجمالها في ما يلي :

- ✓ لا يكون تدخل القالب. المنطقي واردا إلا إذا كانت المعلومات التي يوفرها القالب النحوي غير كافية لإقامة تأويل كامل سليم للعبارة اللغوية.
- ✓ يشتغل القالب المعرفي باستمرار، ولكن بدرجات متفاوتة حسب طبيعة العبارة اللغوية وسياقها.

---

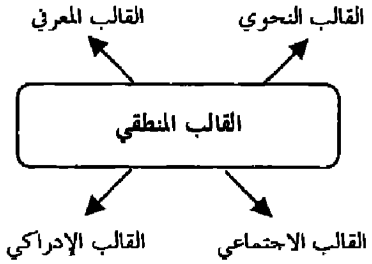
14) نفسه، ص، 42.

15) نفسه.

16) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي والتداولي)، ص.32.

✓ توسم أهمية كل قالب من القوالب بالنسبية، وذلك بالنظر إلى تنوع سياقات إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

✓ يقوم كل من القالب الاجتماعي والقالب الإدراكي بتزويد القالبين النحوي والمعرفي بالمعلومات التي يتوافران عليها [17]، وقد مثلت لذلك الدكتورة الكتاني بالترسيمة التالية :



2-3- اقتراح البوشيخي (2012)

لقد اقترح البوشيخي أن يضاف قالب آخر إلى بقية القوالب الخمسة وهو القالب التخييلي على اعتبار "وجود طاقة تخييلية تتفاعل مع باقي الطاقات الأخرى لإنتاج وتأويل بعض البنيات اللغوية" [18] بشكل متفاعل، كما خلص إلى أن التواصل اللغوي تسهم في تحقيقه جميع القوالب بحيث يضطلع كل واحد منها بوظيفة معينة منوطة به عند وجود المحفز، وفي غيابه يظل في حالة انتظار، وبناء على ذلك لقد ميز البوشيخي بين القوالب من حيث الوظيفة حيث خلص إلى أربعة أقسام وهي :

– قالب وظيفته التخزين: هما القالبين النحوي والمعرفي حيث يتم تخزين المعلومات التصورية والإدراكية .

– قالب وظيفته التأويل (القالب النحوي)، وذلك لتأويل العبارات اللغوية دلاليا وتداوليا مستفيدا من المعلومات الأخرى التي تمده بها بقية القوالب الأخرى. بينما يقوم القالب المنطقي بتأويل العبارات منطقيا بعد ذلك بحيث يكون كل واحد منهما دخلا للآخر.

---

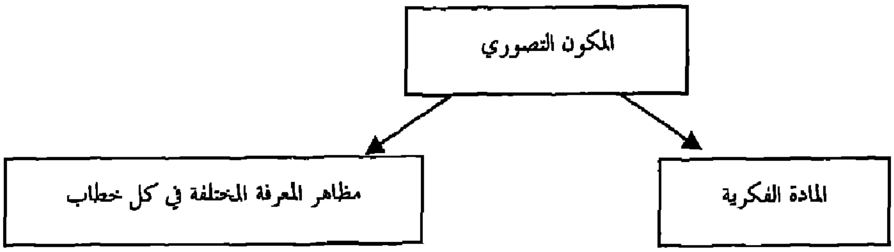
17) البوشيخي (2012)، مرجع سابق، ص. 108– 109.

18) نفسه، ص.111.

- قالب وظيفته الإمداد(القالب الإدراكي)، حيث يمد هذا **"القالب المعرفي بالمعلومات الإدراكية قصد تخزينها، وإمداد القالب النحوي بالمعلومات التي تساعده على تأويل العبارة اللغوية، وإمداد القالب التخييلي بالمعلومات الإدراكية التي تشكل مادة عمله الأولى"**[19]. كما يقوم بوظيفة القالب الاجتماعي حيث يضطلع بتزويد القالب المنطقي بمعلومات تعنيه على تحديد وضع المتخاطبين وهي معلومات يتم الانطلاق منها لإجراء عمليتي الاستدلال والتأويل وهي المعلومات نفسها التي يستغلها القالب النحوي لإجراء التأويل الدلالي والتداولي للعبارة اللغوية.

- قالب وظيفته التصوير : فتوكل للقالب التخييلي بمساعدة القالب الإدراكي عن طريق تصوير وقائع ممكنة، أو متخيلة بواسطة مجموعة من المبادئ والقواعد [20].

- إن نموذج مستعمل اللغة الطبيعية لم تتم الإشارة إليه في عمل هنخفلد وكنزي على الرغم كما قال البوشيخي من تبنيها للمنحى الذي اتبعه سيمون ديك (1989) " والمتمثل في عد النحو الوظيفي مكونا أساسيا من مكونات " نظرية موسعة للتفاعل الكلامي" يتعين بناؤها ". وبناء على هذا المنحى يتكون نموذج النحو الوظيفي الخطابي من أربعة مكونات وهي : المكون التصوري، والمكون النحوي، والمكون السياقي والمكون الخرج . ويمكن تفصيل كيفية اشتغال المكون التصوري كما يلي :



الأفعال الخطابية [21] والنقلات الحوارية

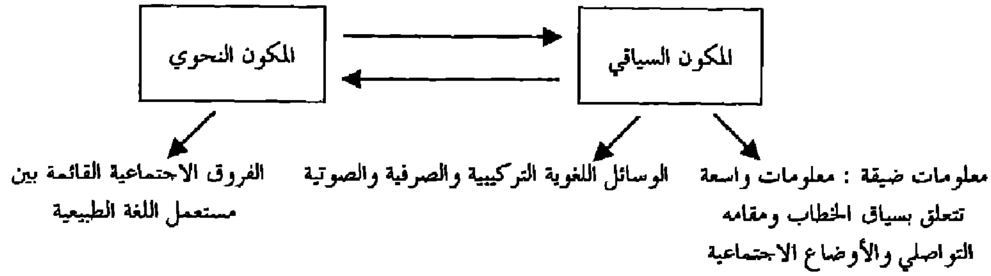
أما المكون السياقي فيمكن التمثيل لكيفية اشتغاله في علاقته بالمكون النحوي على الشكل الآتي :

---

19) نفسه، ص.113.

20) للمزيد من التفصيل في تفاعل القوالب فيما بينها حسب ما تستدعيه العبارات اللغوية ومقاماتها التواصلية يمكن الرجوع إلى البوشيخي (2012) من ص.115 إلى ص. 126 ففيها تفصيل ضاف حول هذه النقطة.

21) هذه النظرية حول فلسفة اللغة تمت بلورتها مع فيتنجشتاين وأوستين وسورل وروس وجونك، ويرتبط إنجاز هذا النوع من الأفعال بالمقاصد، وللمزيد من التفصيل في هذه النقطة يمكن الرجوع لكتاب "استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ابتداء من ص .74.



ولتجاوز هذا النقص الذي اعترى نموذج النحو الوظيفي الخطابي اقترح كل من المتوكل في نموذجه الموسع (2006)، والبوشيخي (2012) نموذجا لإدماج النحو الوظيفي الخطابي الوظيفي بصفته قالبا نحويا مستقلا في نموذجه مستعمل اللغة الطبيعية وبناء عليه يتألف هذا النموذج من القالب النحوي والقالب المعرفي والقالب المنطقي والقالب الإدراكي والقالب الاجتماعي والقالب التخييلي والقالب القصدي الذي يتولى مهمة تحفيز القالبين المعرفي والنحوي وهذا ما يعبر عنه البوشيخي بقوله" **فحينما تنعقد نية التواصل ويتحدد القصد التواصلي وإستراتيجية بلوغه، يحفز القالب القصدي القالب المعرفي لتزويد القالب النحوي بالمادة التي يحتاجها في المستوى العلاقي (التداولي)، والمستوى التمثيلي (الدلالي)، ويحفز القالب النحوي لاستمداد المعلومات التي يحتاجها من القالب المعرفي ويشرع في عمله، أما القالب المعرفي فيقوم بوظيفة تخزين المعلومات التي يستقبلها من القوالب الأخرى**"[22].

3 - النحو الوظيفي الخطابي ومطمح بناء نموذج حاسوبي يحاكي نموذج مستعمل اللغة الطبيعية

إن استعمال الحاسوب في الدرس اللغوي لم "**يسهل عمليات الاحصاء والترتيب والتخزين والاسترجاع والتكثيف وغيرها مما فعلت الآلة فعلها الحاسم فيه، وإنما ساعد على تغيير المفاهيم، واستقراء حقائق جديدة في عالم اللغة بل كان ذا تأثير في الكيفية التي تنظر بها الأشياء والمناهج التي ينطلق منها لتقرير القواعد وسن القوانين اللغوية**"[23]. وهذا ما أدى إلى أن البحوث والدراسات في ميدان المعالجة الآلية يمكن تقسيمها إلى قسمين اثنين "**نوع يتعلق بوضع برامج لمعالجة النصوص من غير الاهتمام بتراكيبها اللغوية أو معانيها، وتستعمل هذه البرامج في وضع الفهارس والتكثيف والتصنيف والترتيب والإحصاء وغير ذلك.ونوع**

22) البوشيخي (2012)، مرجع سابق، ص.133.

23) هادي نهر، دراسات في اللسانيات ثمار التجربة، مطبعة عالم الكتب الأردن، ط1، 2011، ص.58.

يتعلق بتصميم برامج (ذكية) تفهم النصوص والجمل، وتجعل تفاهم الحاسوب مع اللغة مماثلا لتفاعل الإنسان معها فتسهل عندئذ عمليات الاتصال بقواعد المعلومات والاستفسار عن بعد بوساطة اللغة الطبيعية، ويمكن أيضا تكليف الحاسوب بمهام معقدة كالترجمة، وإصلاح الأخطاء اللغوية والتدريس" [24].

إن وصف الأنظمة اللغوية آليا وبناء أنساق حاسوبية قادرة على استعمال اللغات الطبيعية ومعالجتها مسلك لفهم الطريقة التي تعمل بها الأنساق البشرية كما قد يسهم في فهم البنية الداخلية للغة وهي بنية بالغة التعقيد تحتاج إلى استحضار معطيات كثيرة سبق أن أشرنا إليها في كيفية اشتغال نظام القوالب في النحو الوظيفي الخطابي.

وبما أنه يفترض في النماذج النحوية المعاصرة أن تمثل لقدرات مستعمل اللغة الطبيعية **"فإن أحد أهم المعايير المعتمدة في قياس درجة نجاحها يكمن في ما تقدمه من إمكانات تساهم في قياس درجة نجاحها يكمن في ما تقدمه من إمكانات تساهم في إقامة نموذج حاسوبي يحاكي مستعمل اللغة الطبيعية "**[25]. هذا النموذج الذي يفترض فيه حسب ديك (1989أ) أن يتوفر على عدد من القوالب الرئيسية والقوالب الفرعية في إطار تفاعلي إذ إن كل تغير محلي يمس أحد القوالب يؤثر في البقية القوالب الأخرى. فكيف يمكن للنحو الوظيفي الخطابي بناء نموذج حاسوبي يحاكي مستعمل اللغات الطبيعية ؟، وما هي الأسس التي ينبغي أن يرتكز عليها، وطبيعة العلاقة بينها؟.

لقد سبق لديك منذ نموذج النحو الوظيفي (1989أ) أن تحدث عن المبادئ التي ينبغي مراعاتها في بناء نموذج حاسوبي لمستعملي اللغات الطبيعية ومنها استحضار نظام القوالب وكيف اشتغاله وتفاعله فضلا عن استحضار مجموعة من المفاهيم وأهمها : التكامل ووحدة التمثيلات وعدم التبعية للغة الخاصة والطبيعية والقابلية للإنجاز.

3-1- قيود على بناء نسق حاسوبي في النحو الوظيفي الخطابي

يفترض في كل نموذج حاسوبي أكفى مجموعة من المبادئ أهمها :

---

24) نفسه، ص.58-59.

25) عز الدين البوشيخي، النحو الوظيفي وبناء الحاسوب، مجلة مكناسة، ع 4-5 1990 – 1991، جامعة المولى إسماعيل مكناس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، ص. 118.

- قدرته على تحليل العبارات اللغوية أي توظيف القالب النحوي في وصف وتفسير وتأويل ما يربط بين وجهي العبارة اللغوية (اللفظ والمعنى) دلاليا وتداوليا باعتبارهما مستويين تمثيليين عن طريق استمداد مادته الأولية من المعجم، أما التأويل المنطقي فيقوم به القالب المنطقي.

- القدرة على إنتاج عبارات اللغات الطبيعية في سياق معين وهنا لابد من استحضار دور بقية المكونات الأخرى ومنها المكون التصوري عن طريق استحضار مكونات المادة الفكرية وماتتضمنه من أفعال خطابية ونقلات حوارية مع مراعاة قصد المتكلم، والمكون السياقي الذي يستحضر معلومات تتعلق بسياق الخطاب ومقامه التواصلي والأوضاع الاجتماعية بالإضافة إلى ما يستحضره المكون النحوي من وسائل لغوية تركيبية وصرفية وصوتية.

يتضح مما سبق أن هذا النسق الحاسوبي يقوم بتحليل "عبارات اللغات الطبيعية وبإنتاجها مستندا في ذلك إلى ما يختزنه من معلومات في مكون المعرفة، مما يوضح الدور الأساس الذي يقوم به مكون المعرفة في الربط بين الدخل اللغوي وبين الخرج اللغوي المناسب"[26]. أما بخصوص المعلومات التي يتطلبها كل تفاعل كلامي فقد حصرها ديك في عشرة أنماط وهي عبارة عن معرفة واسعة لغوية تتضمن معطيات معجمية ونحوية وتداولية، ومعرفة غير لغوية تتضمن معطيات إحالية وعرضية وعامة ومعرفة ضيقة نصية إحالية وعرضية وعامة. ولمعرفة كيفية اشتغال مكون المعرفة فقد طرح ديك (1987) أن هذا المكون يختزن المعلومات التصورية في شكل حمول تحتية يتم من خلالها إنتاج العبارات اللغوية وتحليلها كما يوضح ذلك المثال الآتي :

- هل كتب الطالب بحثا جيدا ؟

- كتب الطالب بحثين جيدين.

فالمتكلم في هذا المثال لم ينتج عباراته إلا بعد أن أقام أولا ببناء حمل تحتي للسؤال كما يلي :

---

26) نفسه، ص، 122.

(سهـــ (تا(دل(مض ك.ت.ب(فعل) ف (ع1س1 : طالــــب(س1)) منف فا مح (ن ذ 1 س2 : بحث (س2)) متق مف بؤ)))). إن هذا الحمل التحتي تم بناؤه انطلاقا من المعلومات التي يختزنها في مكون المعرفة، وبعد حصول فهم تام للمراد من السؤال يبحث داخل مكون المعرفة عن المعلومات الضرورية التي يتطلبها السؤال، وبعد الحصول عليها يبني حملا تحتيا للعبارة التي تعد جوابا سياقيا عن السؤال"مما يتطلب ربط العبارة اللغوية بمكون المعرفة وأن الأقرب إلى الصواب أن تكون المعلومات المختزنة في مكون المعرفة ممثلة في صور حملية تحتية، وفي حال ورود هذه الافتراضات، فإنها تؤكد قدرة النحو الوظيفي على التمثيل لأغلب أنماط المعلومات الواردة في أي تفاعل كلامي.كما تؤكد أهمية الدور الذي يقوم به الحمل سواء في بناء العبارة اللغوية، أي تفاعل كلامي.كما تؤكد أهمية الدور الذي يقوم به الحمل في بناء العبارة اللغوية، أم في تحليلها، أم في تخزين المعلومات وترميزها، أم في برمجتها في الحاسوب كما يأتي بيانه "[27].

3-2 - بنية النموذج الحاسوبي في النحو الخطابي الوظيفي

يتألف المكون الحاسوبي في النحو الوظيفي بصفة عامة والخطابي بصفة خاصة من نمطين من المكونات وهي :

- مكونات تختزن المعطيات اللغوية في صورة تمثيلات.

- وأنساق معالجة تنقل هذه التمثيلات من صورة أولى إلى صورة ثانية، كأن تنقل التمثيلات الصوتية إلى حمول تحتية. يتكون دخل هذا النموذج من عبارات لغوية منطوقة (أ) ومن عبارات لغوية مكتوبة (ب)، ومن مزايا هذا النموذج الحاسوبي قدرته على التمثيل لطريقة إنتاج الكلام وطريقة فهمه.

خاتمــــة

لعل من أهم الأهداف التي يسعى النموذج الحاسوبي في النحو الوظيفي الخطابي بلوغها :

---

27) البوشيخي، مرجع سابق، ص.125.

- بيان الطريقة التي يعمل بها مستعملو اللغات الطبيعية، وبيان الطريقة التي تمكنهم من إقامة التواصل وهو من المبادئ المعرفية التي تقوم عليها النظرية الوظيفية.
- استثمار الوسائل الحاسوبية لمعالجة إشكالات تتصل خاصة بالطاقات اللغوية التي يملكها نموذج مستعمل اللغات الطبيعية.
- محاولة بناء نموذج يحاكي نموذج القوالب وتفاعلها في النحو الوظيفي الخطابي.

مراجع البحث

1 – المراجع العربيّة

- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور، منشورات الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر — دار الأمان الرباط، ط1، 2012،
- أحمد المتوكل، الخطاب الموسط، مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، ط1، 2011، دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر.
- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية : البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان الرباط، ط1، 1995.
- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان الرباط، ط1، 2001.
- أحمد المتوكل، التمثيل الدلالي التداولي في النحو الوظيفي من بنية التمثيل إلى بنية متعددة الطبقات، دار الأمان الرباط، ط1، 2001.
- عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2012.
- عز الدين البوشيخي، النحو الوظيفي وبناء الحاسوب، مجلة مكناسة، ع، 4-5، 1990-1991، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس.
- علي آيت أوشان : اللسانيات والبيداغوجيا، السلسلة البيداغوجية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 2006.
- هادي نهر، دراسات في اللسانيات ثمار التجربة، مطبعة عالم الكتب الأردن، ط1، 2011.

2 – المراجع الأجنبيّة

- Dik ;s.c The theory of functional Grammar : part1 : the structure of the clause ; dordrecht : foris ;
- Hengeveld ;kees ;j ,Lachlan Mackenzie , functional Discourse grammar : A typologically based theory of language structure , Oxford University Press,2008.

في المقولات شبه المعجميّة : النواسخ الحرفيّة ودلالاتها الجهيّة

عبد العزيز المسعودي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة

1- مقدمة

تصنّف المقـــولات التركيبيّة في إطار نظريّة س المسقطة (تشومسكي 1970، إموندز Emonds، 1985) إلى مقولات معجميّة ومقولات وظيفيّة الأولى تحيل على الأشياء والأحداث والخصائص وتمثّل جوهر الرسالة اللغوية والثانية تضطلع بدور نحويّ في مستوى البنية السطحيّة للجملة يتمثّل في ربط العناصر المعجميّة والتعبير عن معان مجرّدة تنتمي إلى مجالات نحويّة تركيبيّة وتصريفيّة مختلفة مثل الربط والتوقيت والمظهر والجهة والتعيين والعدد والاستفهام... (Corver&Riemsdijk, 2001 : 1).

ولئن كان التمييز الحدسيّ بين المقولاتالمعجميّة والوظيفيّة ممكنا فإنّ النظريّة اللسانيّة مطالبة بالفصل الدقيق بينهما وتحديد خصائصهما سيما بعد أن أثبت هذا التصنيف نجاعته في مجالات عديدة من البحث اللسانيّ مثل اكتساب اللغة والإنحاء والتداخل اللغويّ (Mysken, 2008 : 1)؛ لذلك انكـــبّ اللسانيّون على رسم الحدود الفاصلة بينهما فضبطـــوا قوائـــم في الخصائص المتقابلة نذكر منها على سبيل المثال الجدول التالي لقيفون (Givon, 200I : 45):

جدول عدد 1 : مقاييس التمييز بين المعجميّ والوظيفي

المقاييس	العناصر المعجميّة	اللفاظم غير المعجميّة
الوضع اللفظميّ	حرّ	تابع
الحجم الصوتميّ	كبير	صغير
النبر	منبور	غير منبور
الحجم الدلالي	متشعّب خاص	بسيط عامّ
حجم قسم الكلام	متسع	محدود
الانتماء إلى القسم	مفتوح	مغلق
الوظيفة	الإحالة على العالم (1)	النحو والاشتقاق

ويذكر التوليديّون – إضافة إلى الخصائص الشكليّة والإحاليّة المذكورة في الجدول السابق – خصائص أخرى تتعلّق بطبيعة العلاقات الانتقائيّة للرؤوس المعجميّة والرؤوس الوظيفيّة وبدور كلّ نوع منها داخل بنية الموضوعات فالمقولات المعجميّة مثلا تضطلع بأدوار محوريّة لا تضطلع بها المقولات الوظيفيّة ...(Corver&Riemsdijk, 2001 : 1).

لقد ساهم التحديد الدقيق للسمات المعجميّة والسمات الوظيفيّة، في ضوء المعطيات الاختباريّة وفي ضوء ما عرفته نظريات المقولَة من تطوّر، في الكشف عن مناطق غائمة تقع بين المقولات التركيبيّة سببها أنّ بعض المقولات تجتمع فيها الخصائص المعجميّة مع الخصائص الوظيفيّة؛وهذا من شأنه ألا يجعل من السمات المعجميّة أو الوظيفيّة سمات مطلقة، بل على العكس من ذلك يكون التمييز بين تلك المقولات تمييزا تقريبيّا لأنّ الفحص الاختباريّ للمعطيات اللغويّة وفي صدارتها خصائص أقسام الكلام يكشف عن حقيقة استرساليّة درجيّة (Ross,1973/2004 : 351) تجعل لبعض الوحدات المعجميّة درجة معيّنة من الوظيفيّة ولبعض العناصر الوظيفيّة درجة معينة من المعجميّة. وهذا يعني بالنسبة إلى البعض وجود أسماء وأفعال وحروف تنتمي إلى ما يسمى المقولات شبه

1) عبارة ڤيفون هي : World view.

المعجميّة [2] (Corver&Riemsdijk, 2001 : 10 Riemsdijk, 1998) ؛ أو وجود ما يسمّيه البعض الآخر رؤوسا هجينة نصف معجميّة نصف وظيفيّة (Zeller,2001 : 505).

من ناحيتنا، نتبنّى التصنيف الثلاثي للمقولات التركيبية- أو مقولات أقسام الكلام [3] - إلى مقولات معجميّة ومقولات وظيفيّة ومقولات شبه معجميّة وندعمه بحوافز دلاليّة ومتصوّريّة مفادها أنّ المقولات المعجميّة تحيل على كيانات مادّية أو ذهنيّة موجودة خارج اللغة وأنّ المقولات الوظيفيّة تضطلع بدور تركيبيّ تصريفيّ داخل الجملة (أو النص) مثل الربط والمطابقة بين الوحدات المعجميّة، أمّا المقولات شبه المعجميّة فهي - في تقديرنا- تضطلع بوظائف أساسيّة ذات طبيعة دلاليّة - تداوليّة مرتبطة بالمتكلّم وفي مقدّمتها التعبير عن المعاني الجهيّة.

في إطار هذه الفرضيّة نعتبر أنّ المقولات شبه المعجميّة في العربيّة تتكوّن منوحدات وظيفيّة ذات دلالات معجميّةمثل الحروف الشبيهة بالأفعالومن وحدات معجميّة تعرّضت للإنحاء مثل النواسخ الفعليّة وأفعال المدح والذمّ. ونحن نفترض- فضلا عن ذلك- أنّ جزءا هامّا من المقولات شبه المعجميّة يتكوّن من واسمات جهيّة تعبّر عن موقف المتكلّم من محتوى كلامه.

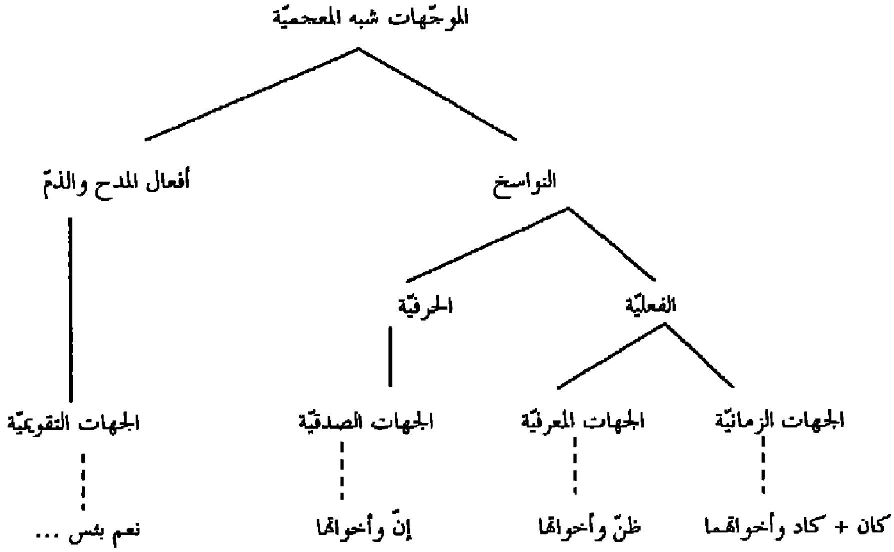
نذكّر في الإطار نفسه بمقترح في مَقوَلَة المعاني الجهيّة قدّمناه في عمل سا بق (المسعودي، 2013) وانطلقنا فيه من مجموعات من الواسمات تنتمي إلى أبواب معروفة في تقاليدنا النحويّة مثل النواسخ والأفعال غير المتصرّفة فاعتبرنا **كان** و**كاد** وأخواتهما واسمات للجهات الزمانيّة أي لكيفيّات الوجود في الزمان من انقطاع واستمرار وشروع وغيرها. واعتبرنا ظنّ وأخواتها أو ما يعرف بأفعال القلوب دالّة على الجهات الوثوقيّة والمعرفيّة أي معبّرة عن مصادر الاعتقاد ودرجات التزام المتكلّم بصدق القضيّة؛ وأفعال المدح والذمّ

---

2) من الممكن تصوّر مفهوم شبه المعجميّة semi-lexicality في ضوء ظاهرة الإنحاء باعتبارها حصيلة مراحل مختلفة من التطوّر اللغويّ المتمثل في إكساب بعض العناصر المعجميّة خصائص وظيفيّة وإفقادها خصائص أخرى معجميّة (Haspelmath, 1999 ; Hopper &Traugott, 2001).

3) يرى بعض اللسانيين أن الأقسام التركيبيّة وأقسام الكلام والمقولات المعجميّة تحيل كلّها على مفهوم واحد (Sasse,1993 ; Haspelmath ,2001) في حين يرى فريق آخر (Chomsky 1981 ; Baker ,2003) أنّ المقولات المعجميّة هي فرع من المقولات التركيبيّة (Raugh, 2010 : 2). ومن ناحيتنا نتبنّ الرأي الثانيلوضوحه المتصوّريّ ولأنّ تصنيف المعطيات اللغويّة يدعمه.

والتعجّب دالّة على الجهات التقويميّة أو القيميّة أي على أحكام المتكلّم المعياريّة في ضوء قيميّ الرداءة والصلاح. أمّا النواسخ الحرفيّة فهي واسمات الجهات الصدقيّة أو الوجوديّة. وهذا ما سنقيم الدليل عليه في هذا البحث. ويمكن، بدءا، أن نقدّم في المشجر التالي المحتوى المقوليّ لما اقترحنا تسميته بالموجّهات شبه المعجميّة(4) :



مشجر عدد 1 : أصنافيّة الموجّهات شبه المعجميّة

ولعلّ ما يسترعي الانتباه في المشجر (عدد1) هو اعتبارنا النواسخ الحرفيّة فرعا من المقولات شبه المعجميّة في حين أنّ التصوّر السائد في التقاليد قد يترع ضمنيّا إلى تصنيفها ضمن المقولات الوظيفيّة، وأنّ النحو التوليديّ يصنّف الحروف مع الأسماء والأفعال والصفات ضمن المقولات المعجميّة (Chomsky,1970 ;Emonds, 1985 ; Riemsdijk, 1998). أضف إلى ذلك أنّ البعض يفرّع المقولات شبه المعجميّة إلى حروف شبه معجميّة وأسماء شبه معجميّة وأفعال شبه معجميّة (Zeller , 2001 : 505). والحروف عند البعض الآخر (Mardale, 2001 : 63-64) مقولات شبه معجميّة لكنّها تتفاوت في ما بينها من حيث نسبة الوظيفيّة ونسبة المعجميّة. وبناء عليه يمكن تصنيف الحروف إلى حروف

4) ستلزم هذا المصطلح وجود **موجّهات معجميّة** تشمل مثلا الأفعال التامّة المعبّرة عن موقف المتكلّم أي كل الأفعال الذهنيّة التي لم يصنّفها النحاة ضمن النواسخ مثل : أعتقد وأرجّح ويبدو. ويمكن أن تشمل العباراتالجهيّة مثل من المرجّح ومن الثابت أنّ...

وظيفيّة مثل لفاظم تعريف الأسماء ولفاظم تصريف الأفعال، وحروف معجميّة- أو حروف معان كما يقول النحاة- وهي رؤوس عاملة تسند أدوارا محوريّة إلى موضوعاتها مثل الأفعال. وهنا نستحضر وصف نحاتنا النواسخ الحرفيّة بأشباه الأفعال. فالناسخ**إنّ** يقتضي إعرابيا اسمين منصوب ومرفوع ويقتضي دلاليا وجود قضيّة تتكوّن من موضوع ومحمول مثل : **إنّ زيدا مجتهد**.وحرف الجر **مِن** يقتضي موضوعا مصْدرا لابتداء الحركة الماديّة أو الذهنيّة : من الدار، من بداية الفكرة. وحرف الجر **إلى** يقتضي موضوعا يحدّد الاتجاه : **إلى الكلية، إلى النجاح**... يضاف إلى كلّ ما تقدّم دلالة كلّ ناسخ حرفيّ على معنى وبالتالي فهي ليست عناصر وظيفيّة خالصة مفرغة من كلّ معنى معجميّ.بل إنّ تلك المعاني التي حدّدها النحاة ستكونمنطلقنا في تحديد نوع الجهات التي تدلّ عليها النواسخ الحرفيّة.

2 - دلالة النواسخ الحرفيّة على الجهات الصدقيّة

قبل إقامة الدليل على اعتبار النواسخ الحرفيّة موجّهات صدقيّة نذكّر أوّلا بمفهوم الجهات الصدقيّة Alethicmodalities وبالقِيَم المكوّنة لها عند المناطقة.ثمّ نوضّح علاقتها بالجهات المعرفيّة قبل أن نستعرض معاني النواسخ الحرفيّة. ونبيّن بعد التحليل والاستقراء علاقات التصافح بين المعاني النحويّة من ناحية والقيم الجهيّة الصدقيّة من ناحية ثانية.

2-1- تقديم الجهات الصدقيّة (الوجوديّة)

الجهات الصدقيّة جهات منطقيّة سمّيت **صدقيّة** نسبة إلى مفهوم الصدق في اليونانيّة Aletheia وسمّيت أيضا وجوديّة[5] لأنّ القيم الصدقيّة الأربعة تتضمّن معنى الوجود فالضروريّ هو ضروريّ الوجود والممكن هو ممكن الوجود والممتنع هو ممتنع الوجود والمحتمل هو محتمل الوجود. وأربعتها تكوّن ما يعرف بالمربع المنطقيّ (Le Querler, 1996 : 36) أو ما يسمّى جهات وجوديّة (Mode of being (Bairan, 2005 : 243[6].

---

5) يميّزفون رايط بين الجهة الصدقيّة والجهة الوجوديّة التي أطلق عليها بالمر مصطلح Dynamicmodality وهي جهة الرغبة والإرادة (Palmer, 2001Tsngalidis&Facchinetti, 2009).

6) يمكن تعريف الجهات الصدقيّة بإيجاز على النحو التالي :

ويختزل أبيلار Abélard الجهات الأربع في ثلاث هي الضروريّ والممتنع والممكن؛ وذلك بعد أن أقرّ تكافؤ المحتمل مع الممكن. وبهذا الاختزال يصبح المربّع المنطقيّ مثلّثا قمّته الممكن باعتباره وسطا بين الضروريّ والممتنع: LeQuerler1996(48،). والجهات الثلاث تقبل الانختزال بدورها في جهتيْ الواجب وغير الواجب (أو الممكن). فالضروريّ واجب الوجود والممتنع واجب العدم والممكن غير واجب. وفي اللسانيات والفلسفة الحديثتين تدور المباحث الجهيّة حول قيمتين أساسيّتين هما الضروريّ والممكن.

والجهات الصدقيّة أو الوجوديّة من منظور بعض اللسانيّين جهات ميتافيزيقيّة منطقيّة خالصة يصعب أن نجد لها أمثلة مقنعة في اللغات الطبيعيّة (vonFintel, 2006). وهي حسب فون رايط مجال اهتمام المناطقة والفلاسفة دون اللسانيّين لأنها تهتمّ بالضروة والإمكان باعتبارهما من القيم المنطقيّة المطلقة (Tsangalidis&Facchinetti, 2009) لكنّنا سنثبت أنّ للجهة الصدقيّة في العربيّة واسمات شبه معجميّة تتمثّل فيالنواسخ الحرفيّة.

2-2- الجهات الصدقيّة والمعرفيّة

لاحظ بالمر (1990 : 6) أنّ الجهة الصدقيّة تمثّل الاهتمام الرئيسيّ بالنسبة إلى المناطقة لكنها تحتلّ مكانا محدودا في اللغات الطبيعيّة لذلك يبدو من وجهة نظره أنّ تمييز المتكلم بالسليقة بين الاستعمال الصدقيّ والاستعمال المعرفيّ للموجّهات يكون غير واضح. ونجد موقفا مماثلا عندسويتسرSweetser مفاده أنّ دورالجهات الصدقيّة يبدو متواضعا في دلالة اللغات الطبيعيّة مقارنة بجدواها في مجال المنطق الصوري (Sher& Wright ,2007: 300).

الضروريّ Nécessaire : هو الكائن وما لا يمكن ألا يكون ويكون صادقا في كل العوالم الممكنة. وهو يُثبت أنّ المحمول ينتمي بالضرورة إلى الموضوع. فكلّ ما يحدث حسب القوانين الطبيعيّة والحقائق الكليّة هو ضروريّ، كقولك مثلا : من الضروريّ أن يكون الكلّ أكبر من الجزء.

الممكنPossible : هو غير الموجود لكنّه ممكن الوجود.وهو يفيد معنى الاستطاعة أو الإمكان. والقضيّة الممكنة تثبت علاقة ممكنة بين المحمول والموضوع.

المحتمل (أو الجائز، أوالمستقبل الحادث) Contingent : هو ما لا يمكن استنتاجه أو التكهّن به. فهو غير ضروريّ لأنّه يمكن أن يحدث أو لا يحدث. أي يمكن أن يقع بالصدفة6.وتكون القضيّة محتملة إذا كانت الأحداث المتحكّمة فيها احتماليّة. والاحتمال حسب لايبنتز Leibnitz ناتج عن محدوديّة المعرفة البشريّة338 : Dascal, 2010)).

الممتنع (أو المحال) Impossible : هو غير الموجود وغير الممكن وجوده أبدا. فالقضيّة الممتنعة تكون كاذبة في كل العوالم الممكنة لأنّ محتواها يتناقض مع قوانين الطبيعة مثل الرجوع إلى الماضي أو تحليق حجر في الفضاء بعد رميه أو أن تكون الدائرة مربعا.

ويميّز المنطق الجهيّ والدلاليّة الصوريّة بين الجهات الصدقيّة والجهات المعرفيّة كما يلي : الأولى تهتمّ بصدق القضايا في ضوء ثنائيّة الضرورة والإمكان والثانية تهتمّ بوضع القضايا من حيث المعرفة والاعتقاد. وهذا التمييز من منظور نويتس (Nuyts28 : 2001,) مرتبط على نحو مّا بثنائيّة الذاتيّ والموضوعيّ فالتقابل بين الصدقيّ والمعرفيّ هو تقابل بين "الصدق في العالم" و"الصدق في ذهن الفرد". وهو تمييز نظريّ لا تأثير له على التحليل العرفانيّ الذي يقترحه نويتس للجهات المعرفيّة. وفي المستوى اللغويّ يقرّ بالمر بأنّ هذا التمييز لا وجود له في نحو اللغة الانقليزيّة. ونحن – من ناحيتنا – نجد في معطيات الجهاز النحوي للعربيّة ما يدعم التمييز بين الجهتين. فالنواسخ الحرفيّة تعبّر عن الجهات الصدقيّة بينما أفعال القلوب وهي نوع من الأفعال الذهنيّة تعبّر عن درجات اليقين أي عن الجهات المعرفيّة. لكنّ هذا التمييز في مستوى النحو العربيّ لا ينفي التداخل بين الصدقيّ والمعرفيفي المستوى المتصوّري عامّة. فالحكم على قضيّة بالصدق أو الكذب هو في نهاية المطاف حكم معرفيّ والحكم المعرفيّ باعتقاد الضرورة أو الإمكان هو حكم صدقيّ.

والفرق بين الجهتين المعرفيّة والصدقيّة – عند بالمر – موطنه الاستعمال. فالاستعمال الصدقيّ للموجّهات يهمّ الضرورة والإمكان بالنسبة إلى أحكام الفاعل / المتكلّم والاستعمال المعرفيّ للموجـّهات يهمّ أولا أحكام الفاعل / المتكلم المتعلّقة بالضرورة والإمكان.

ويبدو لنا أنّ منبع هذا الجدل يمكن أن يكون لغويّا بدرجة أولى متمثّلا في وسم بعض اللغات الطبيعيّة للقيم الصدقيّة والمعرفيّة بنفس الواسمات ويتجلّى هذا في التعدّد الدلالي لبعض الموجّهات مثل must وcan في الانقليزيّة وpouvoir وdevoir في الفرنسيّة. وهو إشكال وسميّ لا وجود له في العربيّة بما أنّ الجهات المعرفيّة موسومة بأفعال القلوب والجهات الصدقيّة موسومة بأشباه الأفعال (إنّ وأخواتها). وهذا ما نبيّنه في ما يلي.

3-2 – وسم النواسخ الحرفيّة للقيم الصدقيّة

نسلّم في هذا البحث بأنّ النواسخ محوِّرات دلاليّة بالأساس ونعتبر التحوير الإعرابي تعبيرا رمزيّا عن تحوير آخر في مستوى البنية الدلاليّة للجملة. فالنواسخ ليست عوامل نحويّة مفرغةتماما من الدلالة المعجميّة. ونحن لا نسلّم بذلك لاعتبارات اختباريّة واضحة

نذكر في صدارتها عادةَ النحاة في محاصرة الدلالة الذاتيّة لكلّ ناسخ. فنحن نجد في تلك التعريفات إقرارا صريحا لا بوجود دلالة معجميّة في تلك النواسخ فحسب وإنّما بإقرار دورها في تحوير الدلالة الإجماليّة للجملة.

إنّ تجميع النحاة للنواسخ في عائلات حسب عملها الإعرابيّ واعتبار التحوير الإعرابيّ منبئا بتحوير دلاليّ يستلزم اجتماع كلّ عائلة منها حول مقولة دلاليّة واحدة أو تعبيرها على الأقل عن مجموعة محدودة من القيم الدلالية المتجانسة.

لقد سبق أن اقترحنا تصوّرا تصنيفيّا مفاده أنّ النواسخ الفعليّة المشتركة في رفع المبتدإ ونصب الخبر هي نواسخ مظهريّة أو جهيّة مظهريّة تعبّر عن تصوّر المتكلم للبنية الزمانيّة الداخليّة للأوضاع. لذلك أشرنا إلى إمكانيّة تصنيفها معالجهات الزمانيّة. كما لاحظنا أنّ النواسخ الفعليّة المعروفة بأفعال القلوب تعبّر عن درجات مختلفة من اليقين تنتمي إلى الجهات المعرفيّة.في المقابل تبدو النواسخ الحرفيّة مستعصية على الانتظام الدلالي الواضح. فإذا نظرنا فيمعانيها الثريّة لم نجد صلات واضحة بين التوكيد في **إنّ** والتشبيه في **كأنّ** والاستدراك في**لكنّ** والرجاء في **لعلّ** والتمنّي في **ليت**... وقد أغرى هذا التنوّع في مستوى الدلالات الثريّة دُعاةَ تجديد النحو بتخطئة النحاة وأوحى إليهم باقتراح تصنيف دلاليّ محض. فمن هذا المنطلق عاب إبراهيم مصطفى (إحياء النحو، 4-6) على النحاة تصنيفهم الأدوات حسب عملها لا حسب معناها. وهو ما يؤدّي، حسب رأيه، إلى الجمع بين **إنّ** المؤكّدة و**أنّ** الواصلة و**ليت** التي تفيد التمنّي وكلّها أدوات متباعدة في المعنى لا جامع بينها سوى العمل الإعرابيّ. كما يؤدّي، من وجهة نظره دائما، إلى تمزيق أبواب دلاليّة مثل التأكيد أو النفي الذي تدرس بعض أدواته، مثل **ليس**، مع **كان**، وبعضها الآخر مع **إنّ** مثل لا النافية للجنس. لهذه الأسباب رفض إبراهيم مصطفى ما اعتبره تصنيفا "لفظيّا" واقترح تصنيفا دلاليـــا جمع فيه المؤكـــّدات وأدوات النفي كلاًّ في باب.

كما اتّبع أحمد سليمان ياقوت (1984) نفس المنهج التصنيفيّ في دراسة له عن النواسخ الفعليّة والحرفيّة فاقترح أن نصنّف على أساس المعنى **عسى** وهي من أخوات كاد مع **لعل** و**ليت**وهما من أخوات إنّ؛ مثلما اقترح أن نجمع على أساس المعنى المعجميّ **صار** من أخوات كان مع **صيّر** و**حوّل** و**جعل** من أفعال التحويل الملحقة بظنّ وأخواتها الخ.

ولن نناقش هذه المقترحات التصنيفيّة بحكم ضيق المجال لكنّنا سنكتفي بالدفاع عن فرضيّة تعارض تماما ما ورد سابقا، مفادها أنّ تجميع النحاة للنواسخ حسب خصائصها الشكليّة الإعرابيّة لا تبرّره أصول النظريّة النحويّة العربيّة القائمة على مفهوم العمل الإعرابيّ فحسب وإنّما تبرّره كذلك حوافز دلاليّة خفيّة علينا إظهارها باستقراء النصوص النحويّة. فالتجانس الظاهر في العمل الإعرابي هو تعبير رمزيّ عن وجود تجانس دلاليّ يبرّر وجود النواسخ الحرفيّة مقولةً إعرابيّة-دلاليّة قائمة بذاتها. وعلينا أيضا تجاوز هذا التنوّع الحاصل في مستوى الدلالات الثريّة للنواسخ والبحث عن مظاهر تجانسها وانتظامها في مستوى أكثر تجريدا يمكن فيه تحديد طبيعة المقولة الدلاليّة الجامعة.

2-3-1 - [إنّ] ودلالتها الصدقيّة

المتوقّـــع أن تكون **كان** واسمة للجهات الصدقيّة أو الوجوديّة لأنّ **كان** هي فعل الوجود في العربيّة؛لذلك اعتبروها أمّ الأفعال جميعا وهذا صحيح لو نظرنا إلى دلالتها الذاتيّة فحسب لكنّه غير صحيح من حيث دلالتها السياقيّة والنحويّة المشتركة مع جميع أفراد عائلتها. فـــ **كان** وأخواتها تدخل على الجملة الاسميّة لتحوّر دلالتها الزمانيّة وقد " كان قياس هذه الأفعال ألا تعمل شيئا لأنها ليست بأفعال صحيحة إذ دخلت للدلالة على تغيير الخبر بالزمان الذي يثبت فيه" (السيوطي، الهمع، II : 63) بينما إنّ وأخواتها هي نواسخ معبّرة عن الجهات الصدقيّة الوجوديّة رغم عدم وضوح ذلك في الظاهر.

ويمكن أن نستدلّ على هذا الرأي بشاهدين من المنطق والنحو يثبتان دلالة **إنّ** – أمّ الباب– على الوجود : الشاهد الأوّل من المنطق يصنّف فيه الفارابي **إنّ** مع الحواشي وهي حروفٌ "تقترن بالشيء فتدلّ على أنّ ذلك الشيء ثابت الوجود موثوق بصحته مثل قولنا إنّ مشدّدة النون[...] فلذلك ربّما سمّي وجود الشيء إنّيته ويسمّى ذات الشيء إنّيته. وكذلك أيضا جوهر الشيء يسمّى إنيّته...." (الألفاظ...، 1986 : 45). فمصطلح **الإنّيّة** حسب الفارابي مشتق من لفظ **إنّ**ويدلّ عند المناطقة على الثبوتوالوجود المطلق (الشيرواني، التمهيد، 131) وهذا دليل اشتقاقيّ متصوّريّ على علاقة إنّ وأخواتها بالجهات الوجوديّة.

أمّا عند النحاة فمعنى **إنّ** هو الإثباتوالتقرير والتأكيد وهو معنى لا يختلف فيه نحويّان حسب علمنا. و**إنّ** من الحروف الشبيهة بالأفعال لعدّة أسباب منها تصدّرها الكلام

واقتضاؤها اسمين مثل الفعل المتعدّي واتصال الضمير بها ودلالتها المعجميّة؛ فهي من حروف المعاني ومن الأدوات الإنشائيّة المعبّرة عن أفعال المتكلّم مثل "أثبتُّ" و"حقّقتُ". (الأنباري، أسرار العربيّة، 93). وهي بالتالي تعبّر عن موقف المتكلّم المتمثّل في إثبات نسبة المحمول إلى الموضوع مع تأكيد ذلك لأنّ معنى الإثبات حاصل بوجود الإسناد وفي غياب النواسخ. ولعلّ أفضل تعريف لمفهوم التأكيد يخدم فرضيّتنا القائلة بتمثيل النواسخ الحرفيّة لقيم الجهات الصدقيّة نجده في الشاهد الثاني وهو من كتاب المقتصد (448) للجرجاني يقول فيه : " اعلم أنّ **إنّ** لا تفيد معنى زائدا على التأكيد [...] وليس في التأكيد معنى أكثر من أنّك تحقّــق الجملة **وتُثبتقدمها في الصدق**[7]".ويبدو مفهوم الصدقيّة أكثر وضوحا في العوامل المائة (149) حيث يقول : " **إنّ** لتأكيد مضمون الجملة لأنّك إذا قلت : "زيد قائم" فإنّه يحتمل الصدق والكذب، وإذا قلت "إنّ زيدا قائم" فقد أكّدت مضمون الجملة وزال احتمال الكذب". فهذا تفسير نحويّ منطقيّ جهيّ لمعنى التأكيد في **إنّ**يجعل منهاأمّا للنواسخ الحرفيّة دالّة على صدقمضمون الجملة. وهو يثبت دلالة النواسخ الحرفيّة على الجهات الصدقيّة بعد أن أثبت الفارابي الدلالة الوجوديّة لـــ **إنّ** أمّ الباب.

وإذا سلّمنا بأنّ المنطق الخفيّ لمفهوم الشبه العائليّ كما تجلّى في تقاليدنا النحويّة يقتضي أن تحمل الأخت الكبرى معنى مجرّدا يسري في سائر أخواتها، ثم إذا سلّمنا بوجود الدلالة الصدقيّة في **إنّ** قلنا إنّ النواسخ الحرفيّةالمؤاخية لها هي واسمات الجهات الصدقيّة في اللغة العربيّة . وما يتبقّى لنا إلا أن نثبت اختباريّا وتفصيليّا صحّة هذا الحكم بالانطلاق مما توفّر لدينا في المدوّنة النحويّة من دلالات معجميّة، وأن نبرز وجوه التصافح بين معاني سائر النواسخ الحرفيّة من ناحية وقيم الجهات الصدقيّة من ناحية ثانية.

2-3-2 - [أنّ] وإثبات الاعتقاد

تفيد **أنّ** ما تفيده **إنّ** من إثبات وتقرير وتأكيد، غير أنّ منطق التنوّع في صلب العائلة الواحدة يقتضي أن يكون في كلّ أخت شيء غير موجود في أختها. فـــ **إنّ** تختص بالابتداء ولا تكون إلا في صدر الكلام ومن هنا كان شبهها بالفعل أقوى **وأنّ** تختص

---

7) الإشباع من عندنا نحن.

بالوصل ولا تكون إلا معمولة يتقدّم عليها عاملها وهو في الغالب فعل أو عبارة مضمونها التعبير عن درجة من درجات الاعتقاد لذلك اعتبرنا معناها هو إثبات الاعتقاد.

والناسخان **إنّ** و**أنّ** مختلفان أيضا من حيث الأصالة والفرعيّة : "**إنّ** المكسورة أصل والمفتوحة فرع عنها لأنّ الكلام مع المكسورة جملة غير مؤوّلة بمفرد ومع المفتوحة مؤوّل بمفرد[...] ولأنّ المكسورة تفيد معنى واحدا وهو الــتأكيد والمفتوحة تفيده وتعلّق ما بعدها بما قبلها" (السيوطي، الهمع، II : 169–170). فهي من هذا المنظور أثرى دلالة من **أنّ**، وهذا من أبرز الأسباب التي جعلتها أمّا في بابها يسري معناها في جميع أخواتها. ويمكن أن نقترح جردا في سمات الابتداء والتأكيد والوصل حسب الجدول التالي وهو مستمدّ من جدول للزناد (2005 : 255) :

جدول عدد 2 : سمات الناسخين إنّ وأنّ.

	الابتداء	التأكيد	الوصل
ء ــِــ ن ن ــَــ	+	+	–
ء ــَــ ن ن ــَــ	–	+	+

يبدو الحرفان من خلال الجدول (2) تصريفا لأداة واحدة (الشريف، 2002) فهما متساويان من حيث عدد السمات التمييزيّة متقابلان من حيث الوصل والابتداء مشتركان في معنى الإثبات والتأكيد لكنّ **إنّ** تظل هي الأصل أو الأم لأنّ الابتداء أقوى من الوصل فهو يجعلها مع معمولاتها تكوّن كلاما تامّا.

ويكون الموصول الحرفيّ الناسخ **أنّ** مسبوقا بالضرورة بكلام تبدو نماذجه الطرازيّة في تمثيل النحاة أفعالا معرفيّة ذهنيّة مثل ظننت وعلمت ويبدو... وهي تظهر في مواضع "التقرير والتحقيق" كما يقول الجرجاني و**أنْ** المخفّفة تظهر في "مواضع الشك وغير الثبات" (المقتصد، 482) ومنه الطمع والرجاء. فالمشدّدة بناء على ذلك تكون واسمة للواجب والمخفّفة تكون واسمة للممكن أو غير الواجب.

وإذا قارنّا بين سياق المشدّدة مفتوحة ومكسورة انتهينا إلى أنّ المكسورة تثبت مصدر المعلومة فتعبّر عن الوثوقيّة المباشرة إذا لم يسبقها فعل قول وتعبّر عن الوثوقيّة غير

المباشرة إذا سبقها فعل القول؛ أمّا **أنّ** فهي تعبّر عن درجة من درجات اليقين حسب الدلالة المعجميّة للفعل أو العبارة المتقدّمة عليها. وقدرصد النحاة ثلاث درجات كبرى من الاعتقاد تدلّ فيها **أنّ** مع **عَلم** – على سبيل المثال- على اليقين ومع **ظنّ** على الشك ومع **زعم** على الرجحان.

وما نخلص إليه بخصوص الزوج إنّ/ أنّ هو اشتراكهما في معنى الإثبات والتأكيد أي الوجوب وهو معنى جهيّ صدقيّ مجرّد واختلافهما من حيث الجهة الفرعيّة الثريّة التي يحدّدها السياق المعجميّ التركيبيّ الذي يميّز بين **إنّ** الوثوقيّة و**أنّ** المعرفيّة[8].

2-3-3 - [كأنّ] لإثبات الشبه

كأنّ عند جلّ النحاة حرف مركّب من كاف التشبيه و**أنّ** ثمّ صيّرا بالاستعمال حرفا واحدافأصل الجملة : كأنّ زيدا أسد، هو : إنّ زيدا كأسد "فالكاف للتشبيه وأنّ مؤكـــّدة له ثمّ أرادوا الاهتمام بالتشبيه الذي عقدوا له الجملة فأزالوا الكاف من وسط الجملة وقدموها إلى أوّلها لإفراط عنايتهم بالتشبيه فلما دخلت الكاف على إنّ وجب فتحها" (السيوطي، الهمع، I : 152).

ويمكن القول إنّ كلّحرف قد احتفظ بدلالته فظلّ **أنّ**دالاّ على الإثبات والكاف دالاّ على التشبيه. فكان المعنى التأليفيّ لــ **كأنّ** هو إثبات التشبيه. أمّا سائر المعاني السياقيّة الأخرى فجميعها يقبل الإرجاع إلى هذا المعنى العامّ . فما اعتبره البعض دالا على الظن والحسبان في مثل **كأنّ زيدا قائم** هو في حقيقته تشبيه هيأة بهيأة وتأويله حسب المرادي شبّهت زيدا وهو غير قائم به قائما (الجنى...، 573)؛ وبالتالي لا يقتضي التشبيه بالضرورة أن يكون الخبر اسما جامدا كما رأى بعض النحاة.

وقد أرجع المرادي كذلك معنى التقريب عند الكوفيّين إلى التشبيه. فالمعنى في قولهم كأنّك بالشتاء مقبل وكأنّك بالفرح آت هو "كأنّ الشتاء مقبل" و"كأنّ الفرح آت " : **كأنّ** في هذا كلّه للتشبيه والكاف في **كأنّك** للخطاب والباء زائدة" (نفسه). وقديبدو هذا التحليل غير مقنع بدليل أنّه لم يقدّم تقديرا من قبيل ما قدّم في تأويل المثال **كأنّ زيدا قائم**.

---

8) وضّحنا هذه الجزئيّة في دراسة سابقة(المسعودي، 2013 : 89).

وما نراه هو أنّ معنى التشبيه ضعيف وما أضعفه هو تحوير البنية التركيبيّة للجملة بقالب جاهز نحَـــتُوه لمعنى التوقـّــع وهذا يجعل التركيب **كأنيّ بك كذا** أو **كأنك به كذا** أقرب إلى معنى **ظنّ** وهذا يضعف معنى التشبيه ويجعله يضمحلّ داخل التركيب الجاهز الذي اكتسب دلالة عرفيّة جديدة نقلته من إثبات التشبيه إلى الظنّ وبالتالي من الجهة الصدقيّة إلى الجهة المعرفيّة. ومثل هذه المعطيات اللغويّة الاختباريّة تثبت العلاقة المتصوّريّة المتينة بين الجهتين الصدقيّة والمعرفيّة. وخلاصة القول أنّنا نعتبر **كأنّ** قد فقدت دلالتها الذاتيّة بفعل التكلس في إطار القالب **كأنّك به كذا**. أمّا في سائر الاستعمالات التي حافظت فيها على دلالتها الذاتيّة فمعناها العامّ هو تأكيد التشبيه.

2-3-4- [لكنّ] لإثبات عكس التوقـّــع

من الناحية الشكليّة تعتبر **لكنّ** أكثر النواسخ الحرفيّة صواتما فهي من الحروف الرباعيّة عند الكوفيين ومن الحروف الخماسيّة عند البصريين لأنهم اعتبروا المدّ حرفا. وقد اختلفوا أيضا حول تركيبها فاعتبرها البصريون بسيطة وعدّها الكوفيون مركّبة. ثمّ اختلف الكوفيّون في ما بينهم حول طبيعة تركيبها فهي :

- (1) مركّبة من **لا** و**أنّ** أو من **لا** و**إنّ** ثمّ حذفت الهمزة وزيدت الكاف .
- (2) مركّبة من **لكنْ** و**أنّ** أو من **لكنْ** و**إنّ** ثمّ حذفت الهمزة ونون **لكنْ**.
- (3) مركّبة من **لا** و**كأنّ** مع حذف الهمزة . (المرادي، الجنى الداني، 617، ابن هشام، مغني اللبيب، 288). أو من **لا** و**كإنّ** ثمّ قلبت كسرة الهمزة إلى الكاف بعد سلب حركة الكاف وحذف الهمزة (الجرجاني، العوامل...، 168).

ولعلّ أبرز ما نلاحظه في محاولات الكوفيّين إعادة بناء الصورة الإنحائيّةالمزجيّة المحتملة في **لكنّ** هو اجتماع النفي مع الإثبات أو الاستدراك مع الإثبات أو النفي مع الاستدراك. وهي في الأحوال الثلاث بنية ثنائيّة تقوم على اختلاف الطرفين[9]؛

9) لاحظ ابن جنّي أنّ لهذا المزج - الذي صارت به **لكنّ** حرفا واحدا - نظائر في اللغة أشار إلى بعضها الخليل ومنها لن و" أصلها عنده "لا أن" [...]فخلطت اللام بالنون وصار لهما بالامتزاج والتركيب الذي وقع بينهما حكم آخر[...] فهذا يدلــّك على أنّ الشيئين إذا خلطا حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا.(ابن جني، سر صناعة الإعراب، 305-306).

والمقترحات الثلاثة مشتركة في حضور النون المشدّدة باعتبارها علامة الإثبات والتأكيد وهي بالتالي تقرّ وجود هذا المعنى مثلما تقرّ حصول المشابهة بين **لكنّ** و**إنّ** أم الباب.

ولعلّنا نستطرف الفرضيّة الثالثة التي اجتمع فيها النفي مع التشبيه لأنّها تجعل الاستدراك نقيضا للتشبيه؛ فالتشبيه يستدعي طرفين متطابقين من حيث الشبه؛ والاستدراك يستدعي طرفين مختلفين من حيث التوقع. فمعنى الاستدراك بـ **لكنّ** حسب المرادي " أن تنسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها "(المرادي، الجنى...، 616). ومنبع المخالفة هو اللام التي تفيد " أنّ ما بعدها ليس كما قبلها " (الجرجاني، العوامل، 170) وقد فصّل النحاة القول في طبيعة العلاقة الدلاليّة بين ما قبلها وما بعدها لأنّها من صميم معنى الاستدراك ووضّحوها بأمثلة من قبيل :

(4) قام زيد لكنّ عمروا لم يقم.

(5) ما هذا أسود لكنّه أبيض.

(6) ما أكل لكنّه شرب.

فما قَبْل **لكنّ** نقيض لما بعدها في (4) أو ضدّ له في (5) أو خلافه في (6). ومن هنا ينبع معنى الاستدراك باعتباره إثبات حكمٍ مخالف لحكم قبله. وقد يكون مع الاستدراك– حسب ابن هشام (مغني اللبيب، 288)– توكيد كما في قولهم :

(7) لو جاءني أكرمته لكنّه لم يجيء.

حيث أكّدت **لكنّ** معنى الامتناع الوارد في **لو**. والأرجح أنّ التوكيد غير مقتصر على هذا المثال وهو ما ذهب إليه ابن عصفور (مُثُل المقرّب، 172) عندما اعتبر التوكيد ملازما لمعنى الاستدراك ملازمته لمعنى الإثبات[10] في **إنّ** و**أنّ**.

وقد نبّه بعض النحاة إلى أنّ حافز الاستدراك مقاميّ متمثّـل في رفع ما يتوهّم ثبوته نحو " ما زيد شجاعا لكنّه كريم " لأنّ الشجاعة والكرم لا يكادان يفترقان فنفي أحدهما يوهم بانتفاء الآخر"(ابن هشام، مغني...، 288). ولا نعتقد أنّ الأمر مقتصر على بعض المقامات الثقافيّة مثل تلازم الكرم والشجاعة عند العرب وإنّما يتجاوزه إلى مقامات

---

10) يقول ابن عصفور : " إذا قلت إنّ زيدا قائم، ولكنّ عمروا منطلق، وبلغني أنّ عمروا خارج، وكّدت القيام إنّ [هكذا] والانطلاق بلكنّ والخروج بأنّ فمعنى هذه الحروف هو التأكيد".

غير أنّ ما يجب التأكيد عليه، سواء من حيث الجهة الصدقيّة المحضة أو المقترنة بالمعرفيّة Epistemicity هو اقتران **لعلّ** بالإمكان فهي حسب ابن هشام " تختصّ بالممكن" (مغني اللبيب، 285) وهي كذلك عند الجرجاني "لا تستعمل إلا في الممكن" (المقتصد، 152). وهذا هو معناها الجهيّ الأكثر تجريدا الذي يميّزها من سائر أخواتها.

2-3-6 – دلالة [ليت] على الامتناع

تكون **ليت** للتمنيّ وهو طلب مال اطمع فيه ويكون مستحيلا عادة مثل قول الشاعر : ألا لَيْتَ الشَّبابَ يَعُودُ يوما. وتكون فيمافيه عسر (الحازمي، شرح ألفية ابن مالك، 37، 10) أو في أمر موهوم الحصول (المرادي، الجنى 581). واستعمالها في العسير وفي المحال راجع لمسترسل الإمكان والامتناع الذي نمثّله في (8) :

(8) أ – لعلّي أحصل على ألف دينار.
ب – لعلّي أربح ألف ألف دينار.
ج – ليت لي ألف ألف دينار.
د – ليت أيام الصبا تعود.

حيث يظل التمييز بين المحال والممكن رهين السياق والقضيّة موضوع التمنيّ. فالحصول على مبلغ شبه زهيد في (أ) ممكن لا يجوز فيه استعمال **ليت**, والحصول على مبلغ كبير في (ب) محتمَل في ألعاب الحظ مثلا، لكنّه شبه مستحيل في غير ذلك. لذلك جوّزنا في ضوء الخصائص المقاميّة استعمال **لعلّ** في (ب) **وليت** في (ج) أمّا في (د) فلا استعمالَ إلا لـــ **ليت** لأنّنا نطلب وضعا يتنافي مع قوانين الطبيعة ومع حركة الزمان غير الارتداديّة. وهي أيضا "لاتكون في الواجب فلا يقال : ليت غدا يجيء" (المرادي، الجنى الداني، 492)؛ لهذا نفهم لماذا اعتبرها النحاة أصلا في التمني مثلما اعتبرو **العلّ** أصلا في الترجي **ولا** أصلا في النفي...

2-3-7 – لا النافية للجنس ودلالتها على الضرورة

لعلّ أكثر ناسخ – بعد **أنّ** – قارنه النحاة بـــ **إنّ** هو لا النافية للجنس. وقد شملت المقارنة وجوه التشابه ووجوه الاختلاف. فوجوه التشابه التي برّرت إلحاقها بـــ **إنّ** هي " التصدير والدخول على المبتدإ والخبر ولأنّها لتوكيد النفي كما أنّ **إنّ** لتوكيد الإثبات، فهو قياس نقيض وإلحاقها بليس قياس نظير" (الجرجاني، المقتصد، 194؛ انظر أيضا المرادي، الجنى...،

292).كما قارنوها بـــ **لا** أخت ليس واعتبرها الجرجاني أشدّ في النفي لأنّها لنفي الجنس والماهية بخلاف**لا** بمعنى ليس لأنّها لنفي واحد من الجنس" (الجرجاني، العومل المائة، 183) وبناء على ما تقدّم تكون لا النافية للجنس هي الأخت السالبة و**إنّ**هي الأخت الكبرى الموجبة.

أمّا وجوه الاختلاف فهي بالخصوص تركيبيّة مثل حذف الخبر والعمل في النكرات وهو مرتبط بالنفي الذي يستغرق جنس المنفيّ فيكون نفيا مطلقا مؤكّدا مثلما يكون معنى الإثبات في **إنّ** مؤكّدا. وهذا الاختلاف الظاهر بين**لا**و**إنّ** يجعل منهما وجهين لحقيقة إثباتيّة واحدة تكون موجبة تثبت الوجود وسالبة تثبت العدم؛ كما يجعلهما معبّرين عن الضرورة بصرف النظر عن طبيعة شحنها الوجوديّ.

3 - التصافح بين الدلالات النحويّة والدلالات الجهيّة

خصّصنا لكلّ ناسخ حرفيّ عنصرا يعرّف خصائصه الدلاليّة ويقارنه بأقرب أخواته (§ العناصر2-3-1 إلى 2-3-7). ونحاول في هذا العنصر أن نتجاوز المعاني الثريّة الخاصّة بكلّ ناسخ لنحدّد المعاني المجرّدة المشتركة بين كلّ مجموعة من النواسخ؛ وللوصول إلى هذا الهدف نقترح الانطلاق من خلاصة لتلك المعاني الثريّة نقدّمها في شكل فعل كلاميّ يعبّر عن جهة المتكلّم ويمكن أن يكون في الآن نفسه بمثابة العبارة الشارحة المطابقة لمعنى كلّ ناسخ حرفيّ. والعبارات الشارحة المقترحة في (9) مستمدّة من استقرائنا لآراء النحاة :

(9) أ - أُثبت أثبت **أنّ** ق[11] ← إنّ / أنّ

ب - أثبت **أنّ** أ يشبه ب ← كأنّ

ج - أثبت **أنّ** الواقع في ح2 هو عكس المتوقّع في ح1 ← لكنّ

د - أرجو **أنْ** / أخشى **أنْ** ح ← لعلّ

هـ - أتمنّى **أنْ** ح ← ليت.

---

11) ق = قضيّة، ح = حدث.

أوّل ما نلاحظه في الأشكال التعريفيّة المقترحة هو انقسامها إلى مجموعتين الأولى (أ–ج) يتصدّرها الفعل **أثبت** مشفوعا بـ **أنّ** التقريريّة تليه القضيّة الموجّهة أو الموضوع والمحمول ونوع العلاقة المثبَتة. وإذا قصرنا النظر على المواضع التي تكرّرت فيها العبارة الجهيّة**أثبت أنّ** خلصنا إلى أنّ المجموعة { إنّ، أنّ، كأنّ، لكنّ } ذات النون الثقيلة تثبت على التوالي صدق القضيّة أو درجة اعتقاد يخصّصها الفعل العامل في **أنّ** وصلتها أو تثبت شبها بين الموضوع والمحمول أو اختلافا بين ما قبلها وما بعدها. فهذه النواسخ الإثباتيّة تكوّن مجموعة الواجب. تقابلها المجموعة الثانية (د–هـ) المصدّرة بفعل رجاء أو تمنّ متبوع بـ **أنْ**الخفيفة الاستقباليّة وهذا من شأنه أن يجعل الناسخين **لعلّ** و**ليت** دالّين على غير الواجب.

لكنّ التصنيف الثنائيّ المقترح في تحليلنا لـ (9) ليس التصنيف الوحيد الممكن. فالنواسخ الحرفيّة – كما افترضنا سابقا – يمكن أن تكون واسمات لفظيّةلقيم الضرورة والإمكان والامتناع وهي الجهات الصدقيّة الأهمّ (Proudfoot&Lacey, 2010) التي يمكن أن ينخزل إليها المربّع الأرسطيّ على اعتبار الاحتمال نوعا من الإمكان. وهذا يسمح لنا بتصنيف أخوات **إنّ** إلى ثلاث مجموعات في (10) :

(10) أ – النواسخ ذات النون المضاعفة {إنّ، أنّ، كأنّ، لكنّ} هي واسمات الضرورة لأنّ ما يقع إثباته يكون ضروريّ الوجود ونلحق بها لا النافية للجنس باعتبارها تفيد تأكيد النفي. وما يتأكّد نفيه يكون ضروريّ العدم.

ب – **لعلّ** تعبّر عن جهة الإمكان بما أنّ الرجاء هو توقّـــع الممكن.

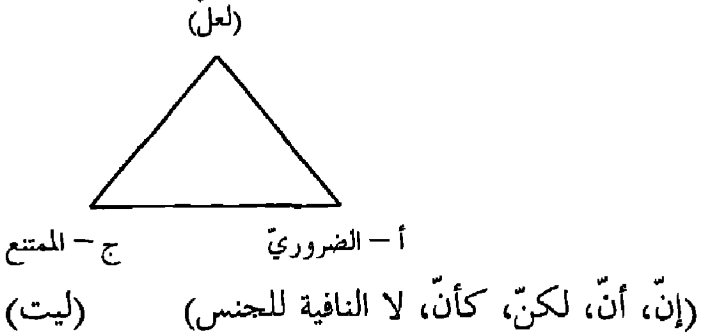
ج – **ليت** تعبّر عن الممتنع (أو المحال) بما أنّ معناها الأصليّ هو طلب المستحيل وإن استعملت أحيانا في سياقات بمعنى لعلّ [12].

ويمكن أن نلخّص التصافح بين مجموعات النواسخ الحرفيّة ومجموعات القيم الصدقيّة في المثّلث الجهيّ التالي (الشكل عدد1) :

---

12) حرف تمنّ يكون في الممكن والمستحيل ولا يكون في الواجب فلا يقال : ليت غدا يجيء" (المرادي، الجنى الداني، 492).

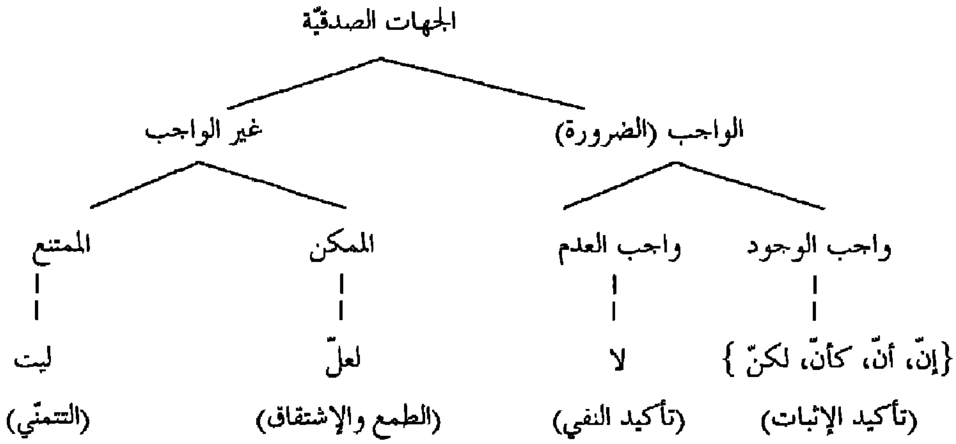
ب – الممكن



الشكل عدد 1 : مثلث الجهات الوجوديية وواسماها الحرفيّة في العربية

يلخّص الشكل عدد1 التصافح بين النواسخ الحرفيّة والجهات المنطقيّة كما يلي : الجملة المصدّرة بناسخ من المجموعة (10–أ) تعبّر عن قضيّة ضروريّة الوجود أو العدم. والجملة المصدّرة بالناسخ **لعلّ** (10– ب) تعبّر عن قضيّة ممكنة الوجود. والجملة المصدّرة بالناسخ الحرفيّ **ليت** (10–ج) تعبّر عن قضيّة ممتنعة الوجود.

وتجدر الإشارة أخيرا إلى أنّ التصنيف الثنائي (واجب- غير واجب) المقترح في (9) لا يتدافع مع التصنيف الثلاثي (ضروريّ- ممكن- ممتنع) المقترح في (10) لأنّهما ينتميان إلى مستويين مختلفين من نفس المقولة. ولمّـا كان التصنيف الثنائيّ أكثر تجريدا أمكن أن نجعله في المستوى الأعلى من المشجر الذي يلخّص التصافح المنطقيّ النحويّ بين الجهات الصدقيّة والمعاني النحويّة وواسماها من النواسخ الحرفيّة (المشجّر عدد 2) :



المشجر عدد 2 : تصافح الجهات الصدقيّة ومعاني النواسخ الحرفيّة

4 - خاتمـــــة

قدّمنا في هذا البحث مثالين لإعادة البناء المقوليّ الأول متعلّق بالمقولات التركيبيّة تبنّينا فيه التصنيف الثلاثي إلى مقولات معجميّة ووظيفيّة وشبه معجميّة واقترحنا فيه تصوّرا -ولو جزئيا- لمحتوى المقولات شبه المعجميّة في العربيّة يشمل الموجّهات شبه المعجميّة المتكوّنة من أفعال المدح والذمّ ومن النواسخ الفعليّة والنواسخ الحرفيّة.

ثمّ اقترحنا مثالا لإعادة البناء الدلالي دافعنا فيه عن التجانس المقولي للنواسخ الحرفيّة وبيّنا فيه أنّ وحدة عملها الإعرابيّ ليست سوى تعبير رمزيّ عن وحدة دلالتها الجهيّة. ثمّ قدّمنا الأدلّة النظريّة والاختباريّة التي تثبت أنّ النواسخ الحرفيّة هي موجّهات صدقيّة تعبّر عن قيم المثلث الجهيّ : ضروري، ممكن، ممتنع. وهي تتوزّع كالآتي : النواسخ الحرفيّة ذات النون المضاعفة تتضمّن كلّها معنى التقرير والتأكيد وتعبّر عن الوجوب أو الضرورة وألحقنا بها لا النافية للجنس باعتبارها نقيضا سالبا لـــ **إنّ** يفيد توكيد النفي ويعبّر عن ضرورة العدم. والناسخ الحرفيّ **لعلّ** هو واسم الإمكان و**ليت** هو واسم الامتناع وكلاهما يعبّر عن عدم الوجوب. وبذلك نكون قد حاولنا أن نقدّم صورة للانتظام الدلاليّ الداخلي لعائلة النواسخ الشبيهة بالفعل وهي من حيث حوافزها الدلاليّة تبدو في الظاهر مختلفة عن حوافز المقوَلَة الإعرابيّة عند النحاة لكنّها ترسّخها في واقع الأمر.

ومن خلال إثباتنا دلالة النواسخ الحرفيّة في العربيّة على الجهات الصدقيّة نكون قد أثبتنا حقيقة تتجاوز حدود اللسان العربيّ مفادها أنّ اللغات الطبيعيّة يمكن أن تمثّل الجهات الصدقيّة بوسائل معجميّة تركيبيّة أي بمقولات شبه معجميّة وأنّ الجهات الصدقيّة ليست جهات منطقيّة خالصة لا وجود لها في الواقع اللغويّ كما ذهب إلى ذلك الكثير من الفلاسفة واللسانيّين في هذا العصر.

مراجع البحث

1 - المراجع العربيّة

- الأنباري، عبد الرحمان، أسرار العربيّة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1997.

- الجرجاني، عبد القاهر : كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، العراق، 1982.

- العوامل المائة النحويّة في أصول علم العربيّة، تحقيق البدراوي زهران، الطبعة الثانية، دار المعارف مصر، د ت.

- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، جامعة القصيم، العربيّة السعوديّة.

- الحازمي، شرحألفية ابن مالك، الموقع الالكتروني : http : //shamela.ws/browse.php/book-36130#page

- الرمّاني، أبو الحسن علي بن عيسى، معاني الحروف، دار الشرق، جدّة، ط 2، 1981.

- الشيرواني، علي، التمهيد في علم المنطق، دار العلم، طهران.

- ابن عصفور الإشبيلي، مثل المقرّب، تحقيق صلاح سعد محمد المليطي، دار الآفاق العربيّة, ط1، القاهرة.

- الزجاجي، أبو القاسم، حروف المعاني، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، إربد الأردن، ط2، 1986.

- الزناد، الأزهر، 2005 : الإشارات النحويّة، بحث في تولّد الأدوات والمقولات النحويّة من الأصول الأحاديّة الإشاريّة في اللغة العربيّة، منشورات كليّة الآداب والفنون والإنسانيات منوبة، تونس.

- الشريف، محمد صلاح الدين، 2002 : الشرط والإنشاء النحوي للكون، بحث في الأسس البسيطة المولّدة للأبنية والدلالات، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس.

- الفارابي، أبو نصر، الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي، الطبعة الثانية، دار المشرق، بيروت، لبنان.

- المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات الآفاق الجديدة بيروت.

- المسعودي، عبد العزيز، 2013 : المعاني الجهيّة والمظهريّة، بحث لسانيّ في قضايا المقْوَلة، منشورات كلية الآداب بسوسة.

- مصطفى، إبراهيم، 1992 : إحياء النحو، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ط2.

- ابن هشام، جمال الدين الأنصاريّ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، 1998.

- ياقوت، أحمد سليمان، 1984 : النواسخ الفعليّة والحرفيّة، نظريّة تحليليّة مقارنة، دار المعارف، القاهرة.

2 - المراجع الأجنبيّة :

- Bairan, B. P. 2005 : An introduction to syllogistic Logic, Katha Publishing, Co, Inc. Makati City.

- Blachère, R. Gaudefroy-Demombines, M. 1952/1975 : Grammaire de l'Arabe classique, Maisonneuve & Larose.

- Chomsky, N. 1970 : Remarks on nominalization, In Jakobs, R. and Rosenbaum, P. (eds.) Reading in English Transformational Grammar, Waltham.

- Corver, N.& Riemsdijk,V.H. 2001 : Semi-lexical Categories, Mouton De Gruyter.

- Dascal, M. 2010 : The practice of reason : Leibnitz and his Controversies, John Benjamins Publishing Company.

- El-Bizri, Nader, 2000 : The phenominological Quest between Avicenna and Heidegger, Global Publication Binghamton University.

- Emonds, J.1985 : A unified theory of syntactic categories, Dordrecht : Foris.

-Von Fintel, K. 2006 : Modality and Language, in Borchert D. M., Encyclopedia of Philosophy 2nd ed. Detroit MacMillan, USA.

- LeQuerler, N. 1996 : Typologie des modalités, Université de Caen.

- Muysken, P. 2001 : Functional categories, Cambridge University Press.

- Nuyts, J. 2001 : Epistemic Modality, Language and Conceptualization, John Benjamins Publishing company.

- Palmer, F. R. 1990 : Modality and the English modals, Longman.
- 2001 : Mood and Modality, 2nd ed. Cambridge UniversityPress
- Proudfoot, M. & Lacey,A. R. 2010 : The Routledge Dictionary of Philosophy, Routledge, 4th ed. 1976 / 2010.
- Raugh, G. 2010 : Syntactic Categories, their Identification and Description in Linguistic Theories, Oxford University Press.
- Riemsdijk, H.V. 1998 : Categorial feature magnetism : The endocentricity and distribution of projection, in *Journal of Comparative Germanic Linguistics* 2 : 1-48, Kluwer Academic Publishers.
- Ross, J-R. 2004 : Nouniness, in Aarts & alii, Fuzzy grammar, Oxford University Press.
- Sher, G. & Wright, C.D. 2007 : Truth as a normative modality of cognitive acts, in Greimann D. & Siegwart, G. eds. Truth and speech acts, Studies in the Philosophy of Language, Routledge.
- Tsangalidis, A. &Facchinetti, R. 2009 : Studies on English Modality, Peter Lang.
- Zeller, J. 2001 : Lexical particles, semi-lexical pospositions, in Corver, N. & Riemsdijk, V. H. : Semi-lexical Categories, Mouton De Gruyter.

اللغة وبناء المفاهيم
في الفكر اللساني الحديث

ذهبية حمو الحاج
جامعة تيزي وزو، الجزائر

موجز البحث

لا يخفى على أحد من الباحثين في اللغة، أنّ المفاهيم هي الأساس في جميع النّظريات، التي تسعى إلى وصف اللغة واستعمالها، فقد خاض الباحثون إشكاليات اللغة انطلاقا من مفاهيمها الأساسية، فوظّفوا أدوات تارة ارتبطت باللغة في ماهيتها وبنيتها الأساسية، من حيث هي: صوت وتركيب ودلالة ومعجم، وتارة أخرى ارتبطت باللغة في توظيفها،ومن حيث ربطها بالذّات الإنسانية وإنتاجها وتأويلها، وبين هذا وذاك اشتغل بعض الباحثين بدور الذّهن في بناء المفاهيم سواء اللغوية أو غير اللغوية (اللسانية أو التّداولية) مركّزين على عنصر أساس هو اللغة، فيبدو أنّ للغة والمفاهيم علاقة حاولت كثير من النّظريات ضبطها باقتحام الجانب التركيبي، أو الفطري، أو الذّهني، أو التّفاعلي.

الكلمات المفاتيح: اللسانيات المعرفية، الذهن البشري، التّداولية، المعارف.

لقد شكّلت المفاهيم الرّكيزة الأساس في كلّ النّظريات اللسانية والأدبية على السّواء، فمنذ أن حاول الإنسان فهم ذاته وفهم المحيط، الذي يعيش فيه لجأ إلى اللغة كونها الوسيلة الأمثل لذلك، وربّما الوحيدة. والمفاهيم، التي كان يبحث الإنسان عنها أصبحت من أسس وصف اللغة واستعمالها، وهو ما يقرّبها من النّقطة الفاصلة بين اللغة وإدراك الواقع.

إنّ الإشكالات التي نرغب طرحها في هذا المقام، لا تخرج عن كيفية إدراك الواقع لغويا، إذ تراودنا بعض الأسئلة من قبيل: كيف يتوصل الإنسان إلى فهم واقعه، وبماذا

يتوصّل إلى ذلك ؟ ما مكانة اللغة في الاشتغال الذّهني ؟ وكيف تتشكّل هذه المفاهيم ؟يؤكّد عدد من الباحثين على تسوية مسألة بناء المفاهيم في حال توفّر منهج استقرائي مضبوط، استنادا إلى عملية التّكرار، التي تعلّم الإنسان أسماء المسمّيات، إلاّ أنّ الاكتساب الذي يتمّ بهذه الطّريقة لا يحمي المتعلّم من الجهل، والسؤال المطروح ههنا هو: هل يوجد منهج استقرائي صحيح ؟ يبدو أنّ وجود هذا المنهج في الوقت الرّاهن غير ممكن، وربّما يستحيل وجوده حتّى في المستقبل. وإلى جانب ذلك نجد فكرة جيري فودور Jerry Fodor البسيطة التي تثير الطّابع الفطري للغة في الإنسان، إذ يولد البشر بمفاهيم فطرية (*). لا تشكّل إلاّ جزء من لغة الفكر، ومن الملاحظ أنّ الأمور ليست بالبساطة التي نتصوّرها، وقد أُثير جدل حول وجود لغة فطرية للفكر، إذ كيف نُفسّر المفاهيم التي لا نكتسبها عن طريق التّجربة، علما أنّ المفاهيم الأكثر اتّصالا بالحياة اليومية تفوق ما توفّره التّجربة، وكيف نبرّر وجود المفاهيم المرتبطة بالتكونولوجيا الحديثة، ونحن لم نشهد وجودها بعد ميلادنا ولا مدّة زمنية بعده، ونقدّمها على أنّها فطرية ؟ وبتعبير آخر كيف يمكن التنبّؤ بوجود هذه المفاهيم وهي غير موجودة بعد ؟ ومن هذا المنطلق يشير علماء النّفس إلى الضّبابية أو الغموض، الذي يكتنف المفاهيم، وبالتّالي تبرز صعوبة القول بفطريتها (*)، ولكن ينبغي أن نعرف أنّ المفاهيم رغم هذه الصفات، التي تُصعّب من تحديديها،فالحلّ قد يكون في معرفة أنّ المفهوم يبنى من مفاهيم أخرى، والتّجربة تفضي أيضا إلى تجارب أخرى مماثلة.

إنّ الأمل في إمكانية شرح اللغز، الذي هو الإنسان، نجده في ميادين وأزمنة مختلفة، وبالخصوص في اللسانيات المعاصرة، وأكثر تحديدا عند تشومسكي N.Chomsky، الذي قام باستقصاء الخصوصيات المرتبطة باللغات الطبيعية، فهو الذي يقول:" إنّ دراسة خصوصيات اللغة الطبيعية وبنيتها وتنظيمها واستعمالها يمكن أن يفيدنا في فهم المميّزات الخاصّة بالذّكاء الإنساني، وفي ذلك أمل في أن نتعلّم شيئا ما حول الطبيعة الإنسانية، شيء ذو مغزى، إذا كانت القدرة المعرفية للإنسان هي الخصوصية الأكثر تمييزا في الجنس

*) تتطابق هذه الفكرة مع فرضية فودور J.Fodor الكبرى، باستثناء فرضيته القائلة بوجود لغة كونية للفكر، وهو ما يسمى بفرضية الملكات.

*) يقول سوسور بسديمية الفكر، وهي المرحلة، التي أطلق عليها بالمرحلة ما قبل وجودية، حيث طُرحت أسئلة حول بداية الحدث اللساني في أعماق الوجدان.، وهو الأمر الذي يربطه بالطابع التجريدي الخالص.

البشري"[1] (تشومسكي، 1981: 13).أمّا فيما يتعلّق بطبيعة الذّهن، فتُثار قضيةالاكتساب اللغوي،حيث من الصعب تجاهل الفرضية العقلية، أين تكون آليات الاكتساب مخصّصة، بمعنى أنّها مختلفة عند كلّ مجال معرفي، قابل لتشكيل صنف طبيعي من البنى المعرفية المتطوّرة في الذّهن.

المقاربة الوحداتية ومعارضوها

تعدّ المقاربة الوحداتية للذّهن فرعا نظريا من النّزعة العقلية، التي تدفع ببعض الفرضيات المرتبطة بالذّهن إلى مقتضياتها الطبيعية. إنّ هذه المقاربة تنطلق من فكرة أنّ الذّهن ليس نظاما عاما للمعارف،حيث يطبّق على كلّ ميدان معرفي يهتمّ به الإنسان، وبذلك تختلف عن مقاربة التجربيين الذين يحتقرون هذه الفكرة ولا يردّون لها الاعتبار، فهم يؤمنون بكفاية بعض المبادئ العامّة لشرح كلّ المعارف المكتسبة من قبل الفرد في مسار حياته، وفي هذا المقام يبدو التّغاير الكبير والظّاهر على مستوى المعارف المكتسبة غير مهم، فهي نتاج المبادئ، التي تبقى ذاتها رغم مختلف التميّزات، التي تمرّ بها، يقول دافيد هوم David Hume (وهو من التّجريبين) في هذا الصّدد: " لأوّل وهلة، ليس هناك ما يتّصف بالحرية أكثر من الفكر البشري الذي ينفلت عن كلّ سلطة وعن كلّ سيطرة بشرية. لكن هذا لا يتضمّن حدود الطّبيعة وحدود الواقع، فيمكننا إدراك ما لم نشاهده وما لم نسمع به قطّ (وهذا ما ذكرناه في البداية). ليس هناك ما هو أعلى من سلطة الفكر...ولكن حتّى إن بدا الفكر مالكا للحرية اللانهائية، نجد أنفسنا نتفحّصه من قريب ونجده محصورا في حدود ضيّقة، وكلّ هذه السلطة الإبداعية تُعزى إلى ملكة التركيب والتغيير في المواقع، وتوسيع وتقليص الوسائل التي تقدّم لنا المعنى والتّجربة"[2] (هوم، 2003: 64–65). أمّا في المقاربة الوحداتية، وبالتّحديد عند تشومسكي فقد تمّ اقتراح إدراك الذّهن باعتباره مشكّلا من عدّة أنظمة متميّزة، وكلّ نظام يتكفّل بمجال معرفي خاص، يقول: " الذّهن نظام يشمل مجموعة من الأنظمة الفرعية المتميّزة ولكن في تفاعل"[3] (تشومسكي، 1985: 30)، أو يمكن القول أنّ عمل كلّ وحدة يكمن في تشكيل

---

1) N.Chomsky, Réflexions sur le langage, Editions Flammarion, Paris 1981, P 13.

2) D.Hume, Enquête sur l'entendement humain, Editions Flammarion, Paris 2003, P 64-65.

3) N.Chomsky, Règleset représentations, Editions Flammarion, Collection Nouvelle bibliothèque scientifique, Paris 1985, P 30.

البنى المعرفية أو المرتبطة بمجالها، ، ويقول أيضا:" فعلا، يمكننا أن ننظر إلى الذّهن، على أنّه نظام من "الأعضاء الذّهنية" O. mentaux، ولأحد هذه الأعضاء ملكة اللغة، ولكلّ عضو من هذه الأعضاء بنيته ووظائفه الخاصة...ويقيم علاقة تفاعلية مع الأعضاء الأخرى المحدّدة بيولوجيا، وهو ما يقدّم الأساس لحياتنا الذّهنية"[4] (تشومسكي، 1985: 30)، إذن ينبغي لملكة اللغة أن تسمح للفرد بتطوير النّحو، الذي يسمح له بفهم اللغة واستعمالها.وفي هذا المقام، ينبغي التنبيه إلى أن التّجريبيين لم يرفضوا فكرة وجود الوحدات المعرفية المتميّزة، ولكنّهم يفترضون أنّ البنى المعرفية التي يطوّرها الفرد هي نتاج مبادئ متماثلة من مجال إلى آخر، ويتحدّث هوم Hume هنا عن التّشابه والتّجاور في المكان أوالزّمان، وفي العلاقة السببية ذات الأثر، إلاّ أنّ تشومسكي يعتبر وجود المبادئ من الأمور غير المحتملة، وترتكز فرضيته على فكرة أنّ المبادئ التي تدخل في وضع البنى المعرفية فريدة وخاصة بكلّ وحدة.

إنّ مثل هذا التّصوّر بحاجة إلى الابتعاد عن بعض الوضعيات، التي تزعم التموقع بين النزعة العقلية والنزعة التجريبية، وهو ما نجده في النّزعة البنوية لجون بياجي J. Piaget، الذي يعتبر أن تشكيل مختلف البنى المعرفية ليس وليد المبادئ الخاصة بكلّ بنية، ولكنّها ترتكز على البناء المتواصل والنّاشئ انطلاقا من التّصورات الحسية-الحركية للحدث، فيقول جون بياجيه:"وأكثر من ذلك، لا يشكّل الذّكاء ذاته صنفا قابلا للعزل عن العمليات المعرفية، فهو ليس بناء ضمن أبنية أخرى: إنّ الذّكاء هو شكل من التّوازن الذي تميل إليه جميع الأبنية، حيث يتمّ البحث عن التّشكيل انطلاقا من الإدراك، ومن العادة ومن الآليات الحسية-الحركية الأوّلية. ينبغي أن نفهم أنّه إذا كان الذّكاء ليس ملكة،فهو يؤدي إلى استمرارية وظيفية جذرية بين الأشكال العليا للفكر ومجموع الأنواع الدنيا من التّكيف المعرفي أو الحركي. طبيعيا هذا لا يعني أن يتمثّل الاستدلال في ربط الأبنية الإدراكية، أو أنّ الإدراك يعود إلى الاستدلال اللاواعي...لأنّ الاستمرارية الوظيفية لا ترفض تنوّع البنى ولا تغايرها [...] وبالتالي يكون الذّكاء مصطلحا نوعيا يقوم بتعيين الأشكال العليا لتنظيم أو لتوازن الأبنية المعرفية"[5] (بياجي، 1967:12-13). فحسب ما جاء به

4) Ibid, P 226.

5) J.Piaget, La psychologie de l'intelligence, Librairie Armand colin, Paris 1967, P12-13.

بياجيه J. Piaget [*]، فإنّ وجود الاستمرارية الوظيفية في البنى المعرفية العليا، والأنواع المعرفية الأولية، لا ينفي اختلاف هذه البنى، وهذا في حدود اختلافها فيما بينها، وفي مقابل البنى الأولية التي تشكّلت منها. إنّ مثل هذه المقاربة تحاول شرح اختلاف البنى المعرفية دون الرّجوع إلى فرضية الوحدات، وإنّما ترتكز في بناء مؤسس على الأحداث الحسية الحركية.

المقاربة الوحداتية والطبيعة الفطرية

لقد شكّلت الطبيعة الفطرية موضوع اختلاف بين التّجريبيين والعقلانيين، فالتّجريبيون يرفضون كلّ شيء فطري، في حين يدافع العقلانيون عن الفرضية، ونجد في هذا الصدد دافيد هوم (وهو من التّجريبيين)، الذي يأخذ بحدّ أدنى من الفطرية، فيقول: " يمكن في علوم الهندسة، والجبر والحساب أن نكتّف مسائل هذا النّوع، عن طريق العملية الفكرية، دون ربط ذلك بأيّ شيء من هذا العالم"[6] (هوم، 2003: 85). فالملاحظ أنّ رفض ترشيح أقلّ الخصائص الفطرية، يعدّ بالنسبة إلى تشومسكي نوعا من الدوغماتية أو اليقينية في الوصول إلى الحقائق، ففي ميدان التّعليم – مثلا - ينبغي اعتبار بعض الآليات النفسية فطرية، سواء تعلّق الأمر بالاستراتيجيات العامة للتعليم أو بالمبادئ الأكثر تخصّصا. اكتسبت مسألة الفطرية أهمّيتها في مقابل المقاربة الوحداتية، في حدود ما تمثّل البنى المعرفية المتطوّرة (حسب تشومسكي) مبادئ أساسية ذات توظيف مختلف، وهنا تثار مشكلتان: مشكلة البنية الفطرية ومشكلة الوحدات. إنّ المشكلتين لا ترتبطان فيما بينهما على الأقل من الجانب المفهومي، لأنّ البنى الفطرية قليلة، ولا يتطوّر في ذهن أيّ شخص إلاّ نظام متجانس متشكّل انطلاقا من المبادئ العامة التي سوف تكوّن الجهاز الفطري...وبشكل عكسي يحدث الاعتقاد أنّ أنظمة ذهنية مختلفة منظّمة حسب مبادئ جدّ مختلفة، يؤدي طبيعيا إلى استنتاج تحديدها، وأنّها ليست نتاج آلية عامة للتعلّم والنّمو، ونستشف أن تشومسكي يطرح فرضية وحداتية الذّهن، مثلما يفترض أنّ الحالة المبدئية للذّهن محدّدة منذ الولادة.

---

*) يمكن استحضار الدّراسات التي قام بها جان بياجيه Jean Piaget وتلامذته عندما عادوا إلى مراحل نموّ الذّكاء عند الطفل، وحدّدوا أنّ الذّكاء قادر على معالجة التّصورات التي يقوم بها الإنسان في تعامله مع الواقع الخارجي، وقد اعتبر القاعدة الوراثية أهمّ عملية من عمليات النّمو المعرفي، إضافة إلى دور البيئة.

6) D.Hume, Enquête sur l'entendement humain, P 85.

ولكن ينبغي أن نُشير -في هذه المسألة بالذّات- إلى أنّ الوضعيات الفطرية، تنقسم إلى ما يدعى بفطرية المحتوى وفطرية الشّكل[7] (مونيي، 2010: 42)، وهذه الحالات ليست خاصة وموجودة بالتّناوب، فيمكن أن نجد فطرية المحتوى وفطرية الشّكل في الآن ذاته، دون أن يحدث ذلك خللا في الانسجام. ويبدو في هذا التّصوّر بعض الرّكاكة، إذ من الصّعب تحديد موضع الفكر، لذلك نجد جيري فودور يعاتب تشومسكي من حيث التّخلي عن فطرية الشّكل على حساب فطرية المحتوى، ويجيب فودور Fodor بقوله : " يكمن الاعتقاد الفطري لتشومسكيفي بمجموع المعلومات، بمعنى أنّ الطفل يُولد وهو على علم ببعض الأشياء حول الخصوصيات العالمية للغات الإنسانية المحتملة، إنّ تفاعل هذه المعرفة الفطرية مع مدوّنة من المعطيات اللسانية الإنسانية، هي التي تُفسّر تطوّر القدرات اللسانية"[8] (فودور، 1986 : 15)، فحسب فودور، عندما يتحدّث تشومسكي عن وضع أوّلي ثري ومتعدّد، فهو لا يعيّن إلاّ نوعا من المحتوى المعلوماتي، ويحاجج فودور في ذلك، ويركّز على حجّة أساسية، حيث إنّ معارف الطّفل الفطرية تدخل في تفاعل مع المعطيات اللسانية الأوّلية عن طريق نظام احتسابي، فيقول: " إنّ مصير المعلومة الفطرية هي التّفاعل مع المعطيات اللسانية، التي يملكها الطّفل، وعلى هذا التّفاعل أن يكون احتسابيا"[9] (فودور، 1986 : 15). يظهر من خلال ما ذُكر، أنّ كلّ وضع ذهني قصدي يتضمّن تمثّلات رمزية مالكة لخصوصيات تركيبية ودلالية.

إنّ النّظام الاحتسابي يباشر العمليات التّركيبية، التي تحتفظ وتعدّل المحتوى الدّلالي، فقدرة الأنظمة الاحتسابية على التّأثير في العلاقات الدّلالية أو التّركيب، هي التي تؤكّد لفودور أنّ ما هو فطري في النّظرية الذّهنية لتشومسكي ليس إلا المحتوى الاخباري، ما دامت العلاقات الدّلالية تنشأ فقط من خلال الحالات الذّهنية التي تحتمل محتوى جمليا.

وحتّى نتحقّق من فرضية جيري فودور، من حيث أن الإنسان يولد مزوّدا بمفاهيم فطرية، نتصوّر أنّ الكلمات التي نطلقها في مقام معيّن تحمل دلالة محدّدة، وذلك رغم عدد الاحتمالات الممكنة، لأنّ إدراك الواقع تحدّده في حقيقة الأمر القدرات الإدراكية

7) D. Meunier, Rationalisme et schématisme : Deux versants de la pensée chomskyenne, Université du Québec à Trois rivières, Québec 2010, P 42.

8) J. Fodor, La Modularité de l'esprit, Les Editions de minuit, Paris 1986, P 15.

9) المرجع نفسه، ص 15.

والمفهومية، فقد يحصل أن تحتمل الكلمة مجموعة من الدّلالات في سياق ما، مثلما تنفي احتمالات أخرى في السياق ذاته، ويمكن القول ههنا بسلّمية الدّلالة، إلاّ أنّ مثل هذا التّصوّر لا يفضي إلى الكشف عن مقاربة استقرائية للمفاهيم واللغة، سواء تعلّق الأمر باللغة الأم أو بأيّة لغة أخرى أجنبية. وإن حدث تصنيف حسب النّوع أو الجنس أو المرتبة ... فيما يتعلّق بالكلمات ومفاهيمها، فهناك ما يدعى بحدسية التمييز وطبيعته بين الاستدلالات، التي يمكن أن نصادفها، منطلقين من معادلة قديمة جدا وهي أ = ب، ب = ج وهذا يستلزم أن أ = ج. بالإضافة إلى قدرة الإنسان على التمييز بين نتاج التّغيرات، التي تلحق الموضوعات ونتاج التّغيرات، التي تلحق الكائنات الحيّة. وهكذا من الضّروري الحديث عن عمليات تجريد المتصوّر(*) Conceptualisation، التي هي شاملة وفطرية، وبالتّالي تبدو فرضية جيري فودور مهمّة، إذ تؤكّد على وجود معارف مسبقة فطرية في الإنسان، تساعده على فهم العالم وما يحيط به. ومثل هذه المسائل ليست بغريبة عن الفكر اليوناني، وبالخصوص عن الفكر الأرسطي، فقد وُجدت الفرضية التي تنادي بـــ" طريقة الشروط الضرورية والكافية" ، وتتأسس على ضرورة توفّر عدد من المعايير،تقضي بانتماء شيء ما إلى ما يوافق المفهوم. تعرّضت هذه الفرضية إلى النّقد، إذ لا يمكن مقاربة هذه الفرضية في النّظام البشري، الذي يقرّ بوجود درجات للانتماء إلى مفهوم ما. ويمكن العودة هنا إلى ما يدعى بـــ"النموذج"، حيث تصنّف الأشياء بقدر مشابهتها للعنصر المركزي (النموذج)، وتقدّر درجة التّشابه بعدد الخصائص المميّزة الموجودة في الشيء، الذي نقارنه بالنّموذج.

وبما أنّ اللغة خاصة بالجنس البشري، فماذا تعلّمنا عن الفكر الإنساني ؟ وبشكل عكسي: كيف يبرز عمل أو اشتغال الفكر في اللغة ؟ هذه إشكالية اللسانيات التي تدعى باللسانيات المعرفية، وهو ما يوضّحه بوفيريس Bouveresse بقوله : " يتعلّق الأمر بشرح الأفعال اللسانية انطلاقا من حالات فرضية يفترض أنّها ناتجة سببيا عن نموذج ذهني"(10) (بوفيريس، 2001 : 17-34)، فإذا كانت اللسانيات الصرفة ترتكز على العلاقات بين الأشكال والمعنى، فـــ"اللسانيات المعرفية" ينبغي عليها أن تصنّف التّفكير حول قانون الدّلالات

---

*) تجريد المتصوّر هو القدرة على بناء المفاهيم وترتيب الموجودات في الكون وفق المقولات المناسبة.

10) J. Bouveresse, « Psychologie et Linguistique : qu'a-t-il de proprement mental dans la signification et la compréhension ? » in De Mattia, M et Al Editions, Paris 2001, P 17-34.

اللسانية في علاقتها بالمفاهيم، وبالتّالي يُطرح السؤال حول الصلة، التي تربط اللغة بالفكر، وهذا ما قال به لازارد Lazard من حيث أنّ الفكر الإدراكي مرتبط باللغة بطريقة دائمة، ومثل هذا السؤال قد طرحته الفلسفة، وكان محلّ التّطورات الجديدة في إطار العلوم المعرفية. لقد حدث اتّفاق بين عدد من الباحثين المنتمين إلى مشارب مختلفة في اعتبار اللغة ليست أداة ضرورية للفكر، فالفكر دون لغة ممكن مثلما تقول كاترين فوك Catherine Fuchs(2009)، ولكن يبدو أنّ اللغة حاملة لصفة خاصة بالفكر الإنساني، فهي، التي تسيّر عددا من العمليات. ونتساءل في هذا الإطار عن تموقع اللسانيات المعرفية من طبيعة هذه المواقف ؟

وللربط بين اللسانيات والذّهن، اقتُرِحت طريقتان مختلفتان في اللسانيات المعرفية، أوّلها طريقة تشومسكي في إطار النّزعة المعرفية، وثانيها طريقة النّزعة العملية، وتتمثّل في طريقة علم الدّلالة الإجرائي للذّكاء الصناعي، ثمّ النّحو المعرفي، وفي هذا المنظور يبقى مفهوم "التّمثيل" غير موحّد في كلا التّوجهين، ولهذا نجده معرّضا للنّقد من طرف أصحاب النّزعة المعرفية، الذين يعارضون فكرة النّسخ الثابت للبنى المنطقية المفهومية الإدراكية المشكّلة مسبقا، والمرتبطة بالمعلومات الآتية من الخارج ولكن يمكن أن تفهم في منظور النّزعة البنوية، حيث تُؤخذ اللغة باعتبارها نشاطا لبناء التّمثيلات الدّلالية، ومن ثمة يكون التّمثيل غير مناقض لما يدعى بـــ"العملية" أو الإجرائية.إنّ تاريخ اللسانيات في القرن العشرين قدّم لنا الكثير من الأمثلة التي اخترنا منها نظريتين من نتاج باحثين فرنسيين: النّظرية الأولى سابقة لتطوّر اللسانيات التي عرفت بالمعرفية، والنّظرية الثانية مستقلة عن هذا التّيار، ويتعلّق الأمر بالنّظرية النّفسية الآلية لغوستاف غيوم Gustave Guillaume (1889–1960)، ونظرية "العمليات التّلفظية لأنطوان كليولي Antoine Cullioli.

يستلزم النّشاط اللغوي بالنسبة لغيوم زمنين نظريين مختلفين: زمن اللغة وزمن الخطاب. تتطابق اللغة مع مستوى التّمثيل، بينما يتطابق الخطاب مع "العبارة"، ومثل هذا التّمييز لا يخصّ إلاّ الإنسان، لأنّ الحيوان في سلوكه الصوتي لا يقيم مسافة بين فعل التّعبير وفعل التّمثيل، ثمّ إنّ زمن الخطاب ما هو إلاّ زمن الحديث، الذي هو الحاضر، يقول بنفنست E. Benveniste : " كلّما استعمل المتكلّم الصّيغة النّحوية الدّالة على الحاضر جعل

الحديث مزامنا لحال الخطاب"[11] (بنفيست، 1966 : 73). إنّ الرّهان المعرفي يبدو بديهيا، إذ يتموقع ما يدعوه غيوم ب"فكر الفكر" في مستوى التّمثيل عن طريق اللغة. إن فكرة "فكر الفكر"" موجودة بصفة آلية ونهائية في الذّهن البشري، بينما يتواجد "الفكر المفكّر" في مستوى العبارة، التي تشكّلها الذّات المتحدّثة في خطاب[12] (فوك، 2009: 115-133)، وفي هذا المقام يؤكّد غيوم على أنّ الحقيقة الصحيحة لشكل ما (صيغة ما)، لا تتمثّل في الآثار المتعدّدة النّاتجة عن استعمالها، ولكن في عملية الفكر المتكرّرة باستمرار، التي تسبق تحديدها في الذّهن. وبهذا جاء المخطط، الذي ينتقل من العالمي إلى الفردي، وعكس ذلك، وهو ما مثّله غيوم بـــ" شرط قوّة الذّهن البشريّ"، بالتّحديد حركية الفكر المستمرّ المشكّل لدلالية اللغة، هي التي تؤسس للبناء النّظري، وعلى حركية الفكر التي تحوّل اللغة إلى خطاب، حيث تنتج آثارا معنوية مختلفة حسب السياق الذي تشتغل فيه.

تحتلّ اللسانيات مكانة لا تضاهيها أخرى في جزء كبير من الأعمال حول العلوم المعرفية، وهو الأمر نفسه بالنّسبة لعلم النّفس، وللفلسفة، وعلم النّفس العصبي، فهي تدرس النّشاط اللغوي مباشرة. ولكن الأمر صحيح أيضا بالنّسبة للأعمال التّجريبية، التي ترتكز على نشاطات معرفية أخرى، لأنّها تستخدم بطريقة أو بأخرى العبارة اللغوية لأشخاص محلّ الدّراسة، وبالتالي فهي بحاجة إلى تحليل النتاجات ووضعها إزاء النّشاط المعرفي الذي يهمّها. ومن جانب آخر، تتواجد اللسانيات باعتبارها تخصّصا بعيدا عن المركز، لأنّ عملها لا يتمثّل في دراسة العمليات المعرفية المرتبطة باللغة، إنّما العمل يكون أكبر أو أقلّمن هذه العمليات: أكبر عندما يكون هدف اللساني هو دراسة اللغات، التي يمكن اعتبارها معارف مستنبطة من قبل المتكلّمين، وتعدّ من أصول القدرات اللغوية للذّوات، وأقلّ لأنّ الطريقة التي يفضلها اللساني هي تحليل النّصوص والخطابات، التي ليست إلا نتاجات "متفرّعة" عن العمليات المعرفية في حالة عمل/ في إطار النّشاط اللغوي.

---

11) E. Benveniste, Problèmes de linguistique générale, T1, Editions Gallimard, Paris 1966, P 73.

12) Fuchs. C, La linguistique cognitive existe-t-elle ?, Quaderns de filologia 14 « New perspectives in cognitive linguistics », Paris 2009, P115-133.

وبذلك تبدو الأسس، التي بُنيت عليها النّظريات اللسانية في تفاوت مقارنة بحاجات الباحثين في التّخصصات الأخرى. وإذا أضفنا إلى هذا غزارة النّظريات وكثرتها وصعوبة فهم رهانات / خطورة الجدالات، التي نجدها عند مجموعة من اللسانيين، ندرك أنّ الباحث اللساني جدّ مترعج من هذه الوضعية، وبعد أن حاول البروز في هذا الزّخم النّظري، وجدناه يتبنى موقفا حذرا، يتمثّل في الانطواء حول أسسه الخاصة، مكتفيا ببعض الأفكار السّطحية حول المسألة ، مدركا أنّه حلّ غير كاف. ماذا بوسع اللسانيين أن يفعلوه لإنقاذ هذه الوضعية ؟ فتشعّب النّظريات مُبرّر بتعقّد الظواهر، التي يواجهها اللسانيون، وبالتّالي لا ينبغي الإنقاص من خصوصية كلّ مقاربة، بحجة تسهيل الدّخول لغير اللسانيين. إنّ الاجتهاد يجب أن ينصب على محاولة تصنيف التيارات اللسانية باختلافها، لا من حيث نظرياتها أو منهجيتها، ولكن من حيث نتائجها بالنسبة للعلوم المعرفية، ويتعلّق الأمر بتغيير المنظور ومساءلة النّظريات من خارج اللسانيات حول ما لديها أن تقوله في المسائل، التي تهم التخصّصات الأخرى. ومن بين هذه الأسئلة:

- ما هي العمليات التي تدخل في إنتاج الكلام وفهمه ؟ في أيّ إطار تكون هذه العمليات خاصة باللغة أو تتقاسمها مع نشاطات معرفية أخرى ؟
- كيف تكتسب اللغة من قبل الطفل، وما هي المكانة التي ينبغي أن تجعلها لآليات الاكتساب والتّعليم، والمؤهلات الفطرية في هذا الاكتساب ؟
- كيف تفسّر تعدّد اللغات، وما هي الحدود التي يعكس فيها هذا التّعدد الاختلافات في البنية المعرفية للأشخاص ؟

لم تركّز النّظريات اللسانية في طبيعة دراستها على هذه النّقاط بالذّات، فبالنّسبة لأغلبها،هناك بعض العوامل المساهمة في فهمها،ومن خلالها جاءت الرغبة في البحث في اللغة عن وظيفتها الأساس، وهي التّواصل، وفي كيفية بناء المفاهيم انطلاقا من تلك النّظريات، التي ركّزت على التّركيب إلى النّظريات المؤسسة على الجانب المعرفي بإثارة إشكالية تشكّل المفاهيم ذهنيا من حيث كيفية اشتغال الذّهن وإنتاجه المستمر.

1- **النّظريات التركيبية:** نجد على رأس هذه النّظريات النّحو التّوليدي، الذي تطوّر في أحضان مدرسة تشومسكي منذ أكثر من ثلاثين سنة، وممّا هو معروف، فإنّ هذه

النّظرية ليست نموذجا لإنتاج المعنى وفهمه، لأنّ تلك النّظريات التي تهتمّ بالإنتاج والتأويل تعدّ من صميم الكفاءة، في حين يتمثّل الموضوع الأساس عند تشومسكي في القدرة أو المعرفة اللسانية، التي يستبطنها المتكلّمون، زد على ذلك نموذج الملكة المرشّح من قبل تشومسكي، هو جهاز يتضمّن الصيغة المنطقية والصيغة الصوتية للملفوظ،انطلاقا من مخزون الوحدات اللسانية النّاتجة عن المعجم المكوّن لهذا الملفوظ، فيقول الأزهر الزناد:" ...فكلّ شخص ينتج ما لانهاية من الجمل ويفهمها وإن لم يسمعها من قبل في حياته، فهو يستبطن طريقة في التّوليف بين عدد محدود من العناصر المحفوظة في الذّاكرة، تلك هي الملكة اللغوية"[13] (الزناد، 2010 : 50-51). وعلى عكس ذلك، يجب على نموذج الكفاءة أن يفسّر كيف نتنقل من الصيغة الصوتية إلى الصيغة المنطقية والعكس صحيح، وما يهمنا هنا هو اعتبار هذا الجهاز نظاما احتسابيا موجّها إلى اللغة البشرية، ومن طبيعة تركيبية خاضعة لطبيعة مميّزة، لا نجد لها مثيلا في جزء آخر من النّظام المعرفي الإنساني.إن الصيغة الصوتية والصيغة المنطقية باعتبارهما نتاجا لهذا الحساب، هي توجيهات خادمة للحدّ الفاصل بين النّظام اللساني والنّظام النّطقي–الإدراكي، والنّظام الإدراكي الذّهني والقصدي.

مرّة أخرى، حتّى إن لم تدرك هذه النّظرية وحدة القدرة، وهي عند أحمد المتوكّل المعرفة، التي يختزنها المتكلم أو السّامع عن طريق الاكتساب، والتي تمكّنه من إنتاج وتأويل عددا لا متناه من العبارات السليمة[14] (المتوكّل، 2006 : 26)، كما يعتبرها قدرة منحصرة عند التيار الصوري في المعرفة اللغوية الصرف، من حيث هي مجموعة من القواعد الصرفية–التركيبية والدّلالية الصوتية[15] (المتوكّل، 2006 : 26)، فهي تستلزم بناء وحداتيا للنّشاطات الذّهنية المرتبطة باللغة، فإنّ فهم ملفوظ ما يمرّ بثلاث مراحل مستمرة: أوّلا معالجة الصيغة الصوتية (أو المكتوبة) بالنّظام الإدراكي يؤدي إلى الصيغة الصوتية، وتحقّق وحدة اللغة انتقال الصيغة الصوتية إلى الصيغة المنطقية، وفي الأخير يتمّ استثمار الصيغة المنطقية من طرف النّظام المعرفي المركزي. والمراحل الثلاثة نفسها تتحقّق بشكل عكسي في أثناء الإنتاج باستبدال النّظام الإدراكي بنظام آلي مطابق. إنّ مثل هذا التّصوّر يندرج في نظرية

---

13) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط 2010، ص50-51.

14) أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي الحديث، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط 2006، ص 26.

15) المرجع نفسه، ص26.

فودور Fodor حول وحدات الذّهن، فوحدة اللغة هي جزء من الوحدات المحيطة، التي تشتغل بطريقة مستقلة آلية وغير واعية، أمّا الصيغة المنطقية فهي التّعبير اللغوي عن الفكر. ولا ينبغي الاستهانة بهذه الصيغة لأنّها تشكّل وسيلة للعمليات المرجعية والاستدلالية، التي يؤديها النّظام الاحتسابي المركزي. ومن هنا، يبدو أنّ نظرية النّحو التّوليدي لتشومسكي ليست النّظرية الوحيدة المؤسسة على التّركيب، فقد شهدت العشرون سنة الماضية بروز نزعات شكلية (صورية) تحترم الاستقلالية الكاملة للتركيب.

2- **النّظريات التّفاعلية** : يمكن أن نصنّف عددا من النّظريات، التي تحتفظ بميزة التّركيب، ولكنّها تتقبّل في الآن ذاته إمكانية تأثير العوالم الدّلالية وحتّى التّداولية على البنى التّركيبية، ونشهد في هذه النّزعة الكثير من الأعلام والباحثين، ومن بينهم جيرولد سادوك J.Saddok، وشيبير وشابس Shieber et Shabes، ونخص بالذكر نظرية راي جاكندوف R.Jackendoff، التي نجد فيها أسبقية اقتراح بناء معرفي صريح لظواهر فهم اللغة وإنتاجها (جاكندوف 1997). إنّه بناء ثلاث مواز يشتمل على ثلاث وحدات "تمثّلية" من علم الأصوات والتّركيب والدّلالة.

تشتغل هذه الوحدات الثلاثة بالتّوازي، فبالنسبة لكلّ ملفوظ تشكّل الوحدات التّمثلية وبصفة عامة بنية (البنية الصوتية، التركيبية والمفهومية)، لكن قواعد التّركيب المطابقة خاضعة لقيود مصدرها وحدات تمثّلية أخرى، وبالتالي يحدث التّفاعل بين المستويات خلال مسار معالجة الملفوظ، يقول الأزهر الزناد : "والذّهن نظام معقّد من الملكات المتفاعلة يتكوّن من أعضاء ذهنية"[16] (الزناد، 2010 : 53)، وبذلك تشكّل الوحدة الدّلالية حدّا فاصلا مع الوحدات الأخرى من النّظام المعرفي المركزي، وتكون عملية الفهم والإنتاج تحت تأثير مجموع النّظام المعرفي بشكل دائم. يقابل هذا النّموذج نماذج أخرى من الدّرجة الأولى انطلاقا من تفاعله وتوازيه محافظا على بعض الخصوصيات،ويبقى هذا النموذج خاضعا لنظام الوحدة، ويثير معالجات أخرى حسابية وبإحداث بنى رمزية. أمّا بالنسبة لفان فالان ولا بولا Van Valin et Lapolla فيقترحان نموذجا يحتمل تركيبا مميّزا،

16) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية ، ص 53.

إذ نجد التّركيب مسيّرا بوساطة قواعد مميّزة، ولكن يبقى مستقلا: فمن جهة يكون في تفاعل مع التّمثّل الدّلالي، ومن جهة أخرى في تفاعل مع "البني الإخبارية" المنبعثة من اللسانيات الوظيفية(*) (أحمد المتوكل، 2006 : 27)، حيث تجعل مكانة للاعتبارات التّخاطبية والتّلفظية.

يعرض الباحثان الحدود الفاصلة بين المستويات على شاكلة"الرّبط الحسابي"، حيث يكشفان عن العوامل العالمية الصالحة لجميع اللغات، وبعض الخصوصيات المتغيّرة حسب نوع اللغة، إنّ بناء نظام فهم الملفوظات وإنتاجها عند فان فلان ولابولا قريب من النّظرية، التي تبنّاها جاكندوف R.Jackendoff، إلا أنّ الاختلاف بين النّظريتين كامن في الاهتمام، الذي انصب على الظواهر الخطابية التي تلعب دورا أساسيا في نظام المكوّنات التّركيبية وتنظيما.

3- **النّظريات الرّافضة لاستقلالية التركيب:** يمكن أن نجد في هذه الفئة مختلف النّظريات، التي تنتظم في ثلاث تيارات أساسية: تكوّن التّيار الأوّل من طرف اللسانيات الوظيفية، التي تعتبر أنّ القوّة الوحيدة لتنظيم اللغة، هي تلك التي ترقى إلى فعالية أفضل في التّواصل. وفي هذا الصدد نجد عند ميكائيل هاليداي M.Hallyday (1994) أو عند تالمي جيفون T. Givon (1995) فكرة أنّه ينبغي على الطريقة، التي تمارس بها اللغة أن تفسّر الطّريقة، التي تشكّلت بها أو بُنيت بها اللغات، مثلما ينبغي بالنسبة لبرنارد فيكتوري[17] B.Victorri (فكتوري، 2000 : 4-5) الانطلاق من القيود التّخاطبية لتحليل الملفوظ من جميع جوانبه، بما في ذلك بنيته التّركيبية. لا يمكن إذن أن نجد قيودا خاصة بالتّركيب تخضع لقيـــــــود تختلف في طبيعتها. وبكلّ بساطة، فالتركيب مثله مثل كلّ ما هو مرموز بنيويا، يتطابق مع كلّ ما هو ضروري لوظيفة التّواصل. أمّا التّيّار الثاني، فهو تيار اللسانيات المعرفية الذي يمثّله كل من جورج لاكوف G.Lakoff (1987) وروناالد لونقاكر

---

*) علما أنّه في التّيار الوظيفي لا يوجد تمييز بين القدرة النّحوية والقدرة التّداولية لأنّها قدرة تواصلية واحدة تنبني على معرفة النّظام اللغوي إضافة إلى معارف أخرى مرتبطة بالسياق بشتى أنواعه. أنظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر العربي، ص 27.

17) B. Victorri, Théories linguistiques et cognition, in cognito-revue Romane desciences cognitives, N°16, 2000, P 4-5.

Ronald Langaker (1991/1987) وليونـــــارد تالمي L.Talmy (1988) وجيل فوكونيي G. Fouconnier، فالبُنى التّركيبية بالنسبة لهؤلاء لا تمثّل نظاما مستقلا بذاته، ولا تمثّل أيضا مستوى تمثّليا خاصا. وعكس ذلك، نجد لونقاكر يدافع عن فكرة أن المعجم وعلم الصرف والتّركيب يشكّلونمجموعة اتصالية من الوحدات الرّمزية، تسهم في بناء المعنى وذلك في إطار علم الدلالة الموسوعي.

يتكوّن التّيار الثالث من اللسانيات التّلفظية المنبثقة من أعمال إميل بنفنيست (1974/1966)، ويمثّله كلاّ من أسوالد ديكرو O. Ducrot وأنطوان كليولي A.Collioli . أمّا نظرية كليولي فتدور حول البعد الما بين ذواتي للنّشاط اللغوي، مثلما تعرضنا إلى ذلك سابقا، فإنّ التركيب لا يحتمل أيّة استقلالية ما دامت العمليات التّلفظية المعبّر عنها بالاستعلام، والاستهداف، والبناءات المتقابلة هي، التي تكشف عن بنية الملفوظ(*)، إذ تقدّم كلّ لغة نظامها المعجمي النّحوي الخاص لتحقيق العمليات الأساسية.تتواجد العمليات التّلفظية ضمن مقاربة الاستعمال، التي تقوم بوجودها، في مقابل المفاهيم البنوية التي تتجاهل كلّ علاقة بين الاستعمال والتمثّل الذهني بالانتقال من الملفوظ إلى القاعدة، يقول الأزهر الزناد: " والرّموز بما فيها الكلم والتمثيلات الذهنية تقترن معانيها باعتماد مناسبتها للأشياء في العالم الخارجي، والمعنى مطلقا هو التناسب بين ما هو ذهني وحال الأشياء في الواقع" (18) (الزناد، 2010 : 140). إنّ تبنّي هذه الفكرة (مقاربة الاستعمال) هو الاعتراف أنّ قدرة المتكلّم ليست بحسابية، وليست من طبيعة شكلية، مثلما نجدها عند اللساني، وبذلك نستبعد أن تكون اللغة وسيلة للمكوّنات المحدّدة فقط، وإنّما تبرز كظاهرة اجتماعية ورمزية تحدّد فكرة الجماعة وتتحمّل الاتّساق الثّقافي. وفي هذا المنظور، لا يمكن أن نحصر النّشاط اللغوي في تبادل المحتوى الإخباري، ذلك أنّ كلّ فعل لغوي يمرّ عن طريق احترام الأوضاع الإجرائية المؤسسة على السّلم الاجتماعي وعن طريق مطابقة الرّموز للأوضاع التّلفظية، التي تتجدّد باستمرار.

---

*) إنّ الآليات في حالة عمل في النّشاط اللغوي، هي آليات معرفية عامّة سواء تعلّق الأمر بالاستعارة بمفهوم لاكوف، أو بالمزج في المساحات الذهنية بمفهوم فوكونيي. يمكن التّوصل إلى فكرة أنّ اللغة مرتبطة بمجموع القدرات المعرفية للمتكلمين في هذه النّظريات.

18) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص 140.

اللسانيات المعرفية والنّموذج الذّهني

في مقابل التّقليد الموروث من النّزعة التّوزيعية لبلومفيلد Bloomfield، وبالقطيعة الواردة مع النّحو المشكّل من النّزعة التوليدية لتشومسكي، يتشبّث أصحاب النّزعة المعرفية بإثبات إمكانية تجاوز التّقابل بين النّزعة الآلية والنّزعة الذّهنية، فإذا كانت العلامات اللسانية تحيل إلى العمليات الذّهنية وتشتغل حسب المنطق الرّمزي والتّركيبي الدّاخلي بالنسبة للغة، يبقى ذلك مرتبط بالتّجربة الفزيائية-الاجتماعية والمفهومية للكائنات البشرية التي يقومون بالترميز لها، والكّشف عنها. تولي اللسانيات المعرفية اهتماما كبيرا للفرضية الرّمزية من منطلق ما بعد سوسوري، لأنّها تثير الطبيعة الذّهنية والتّواضعية للعلامة اللسانية، التي لا تحتمل مرجعا موضوعيا في الواقع. إنّ المدلول والصورة الصوتية المرتبطة به هي جواهر أو كيانات ذهنية. والفرضية الرّمزية هي إجابة للمشكل الملح حول التّمثيل الذّهني للغة، ومثل هذا النّموذج يطرح إشكالية وجاهة المقاربة التّمثيلية، والفكرة التي بُنيت على أساسها المقاربة اللسانية على شكل تمثيل ظهرت مع النّحو المعرفي في الخمسينات من القرن الماضي، ونجد من أعلام هذا التّيار كلاّ من أ. تورينغ، وج. فون نيومان، ونعوم تشومسكي، وسيومن ومنسكي الذين ينطلقون من فرضية حصر المعرفة الإنسانية في حسابات مجرّدة متحقّقة على أساس تمثّلات رمزية، يفترض أن تتطابق مع مختلف أنواع المعالجات الذّهنية للمعلومة، فاللسانيات إذن محكومة بثلاثة مبادئ منبثقة من البنى التّركيبية التي نادى إليها تشومسكي في 1957 وفي 1965، وتتمثّل في:

1- اللغة نظام مستقل وفطري الحساب، حيث يتمّ التّحليل بعيدا عن الانشغالات المعرفية.

2- النّحو محصور في التّركيب، في حين تتواجد المكوّنات المعجمية الدّلالية في الجانب المحيطي.

3- لا توصف البنية الإدراكية للنّحو إلاّ عن طريق المنطق الصيغي.

ينطلق التّحوّل المعرفي الثّاني عندما يضع لونقاكر Langaker أسس النّحو المكاني، الذي سيأخذ تسمية ما يعرف اليوم بـ"النّحو المعرفي" وذلك في بداية الثّمانينات ، وتظهر من هذه اللحظة ثلاثة أسس جديدة تتمثّل في: اللغة ليست بكلية معرفية مستقلة، والمعرفة الإنسانية تابعة للاستعمال، والنّحو متصوّر وقابل للتصوّر في الآن ذاته. وبالتّقابل مع

التّقليد الموروث عن التّوزيعية الأمريكية لبلومفيلد، وبقطيعة مفتوحة مع النّحو التّوليدي لتشومسكي، يتشبّث المعرفيون بفكرة إبراز إمكانية تجاوز التّقابل الموجود بين الآلية (الكلام خاضع لشروط خارجية تسبق ظهوره) والذّهنية (الكلام هو أثر تفكير الذّوات المتحدّثة)، لأنّه إذا أحالت العلامات اللسانية إلى العمليات الذّهنية، وعملت حسب منطق رمزي وتركيبي داخل اللغة، فلن تبقى مرتبطة بالمكوّنات الأخرى بالتّجربة الاجتماعية الفزيائية والإدراكية للكائنات البشرية بالخصوص.

أمّا في إشكالية بناء المفاهيم، فيمكن للسانيات الأولية L.Primitive أن تعالج بمعزل عن قوّة التّصوير، وإذا كان هذا التّوجّه واردا ، فما هي اتّجاهية هذه القوّة ؟، تكمن المشكلة في المتكلّم، الذي يتمثّل بنية الجملة في الوقت، الذي لا يملك أيّ منفذ واع إلى هذه البنية حسب جاكندوف، فالتّمثّل يبقى إذن محدّدا، والمجهود الدّاخلي، الذي يقوم به المتكلّم غير كاف. ولكن هناك من يعتقد عكس ذلك، من بينهم غيوم ديزجوليي G.Desagulier إذ للمتكلّم منفذ من نوع استبطاني جزئي إلى نتاجه الرّمزي، وليس إلى البنية المعرفية اللسانية، وهنا يمكن تحديد الملكة بالقول أنّها "المعرفة اللغوية الباطنية للفرد، أي مجموعة القواعد، التي تعلّمها...فالملكة نظام عقلي تحتي قابع خلف السّلوك الفعلي، وعليه فإنّه غير قابل للدّراسة التّجريبية المباشرة، وهكذا فإنّ الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذا النّظام ودراسته هي الاستبطان"(19) (أحمد مومن، 2002: 210-211). لقد نُظر إلى التّمثيل على أنّه بنية رمزية إجرائية حاملة لمعنى، فمفهوم الدائرة مثلا ليس إلاّ مجموع القواعد المستعملة في الزّمان والمكان لرسم الدّائرة، فهي خاصة ولكن تملك مميّزات تشترك فيها كلّ الدّوائر. تتطلّب دراسة "الملكة اللغوية" عند الإنسان ثلاثة تخصّصات مختلفة:

1- اللسانيات: التي تهدف إلى تحديد الخصوصيات البنوية للغات الطّبيعية.
2- اللسانيات النّفسية: التي تستهدف تحديد المسار المعرفي الذي يسبق إنتاج الرّسائل وفهمها.
3- اللسانيات العصبية: التي تحاول أن تحدّد موقع الجوهر البيولوجي للغة والكلام في الدّماغ.

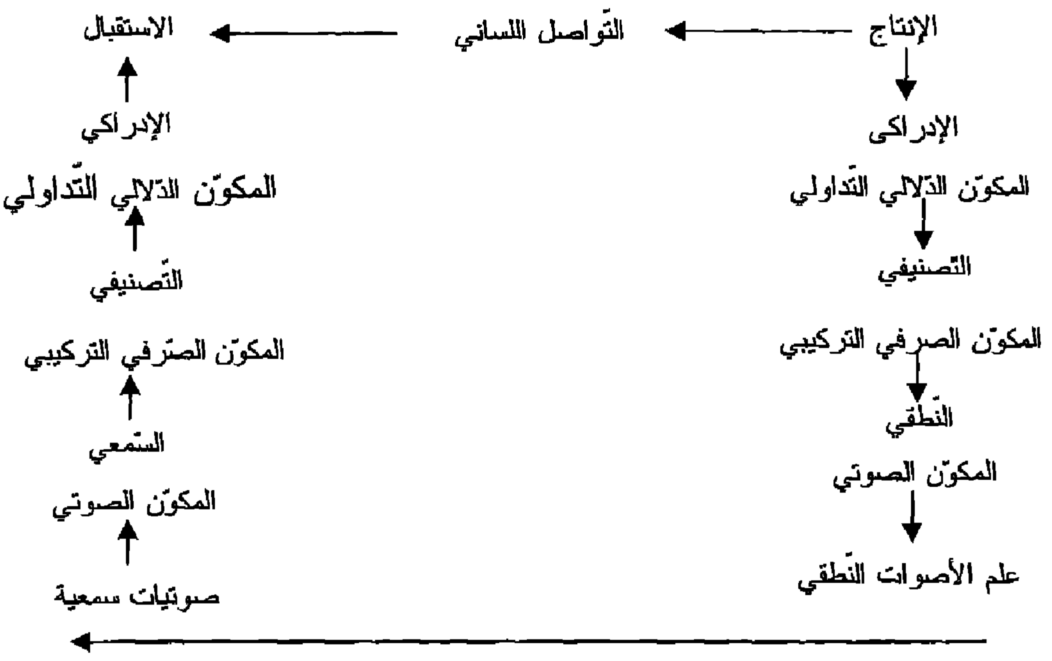
---

19) أحمد مومن، اللسانيات ، النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2002، ص 210-211.

تحاول اللسانيات السوسورية من خلال الأطر النّظرية المتعدّدة اعتبار الشّكل البنوي للغات، وهذا بمعزل عن معالجتها من قبل الدّماغ البشري، يقول غوستاف غيوم:" يبقى الفكر مستقلا عن اللغة-من حيث المبدأ-، التي لا تمثّل إلاّ القوّة التي تربطها بذاتها ومن أجل ذاتها"[20] (غيوم، 1985 : 38)، في حين تهتمّ اللسانيات النّفسية بنمذجة الاشتغال الحركي للنّشاط اللغوي، أوشكله الوظيفي بالرّجوع إلى الذّكاء الصناعي في بعض الأحيان. وتبحث اللسانيات العصبية في الكشف عن البنية العصبية، التي تسمح للإنسان بتوليد الرسائل المنطوقة وفهمها.يكمن الرّهان في المقاربات الثلاثة، كلّ بخصوصياتها المميّزة سواء على المستوى النّظري أو المنهجي، في الاحتفاظ بما يسمى بـ"الحالة الثّابتة" عند كلّ متكلّم وصل إلى قدراته المعرفية-اللسانية النّاضجة. ويكمن جوهر التّواصل في إيصال محتوى فكري بين المرسل والمرسل إليه (مفهوم شانون وويفر Schanon , Weaver 1964) أو بين المتكلّم والسّامع. لكي يتمّ تحويل هذا المحتوى إلى إشارة صوتية، ينبغي أن يتمّ ترميزه من قبل المتكلّم وفكّ رموزه منقبل السّامع قصد إعادة بنائه من جديد، وبعلاقة مشدودة بقدر الإمكان إلى المحتوى الأولي.والنمذجة التي يمكن ملاحظتها، التي تأتي مباشرة إلى الذّهنتفترض ثلاثة مستويات نراها متماثلة، متوازية أو متناظرة في إنتاج الرّسالة وتلقيها.

المستوى الأعلى هو التّمثّل المفهومي، الذي يتضمّن التّحفيز التّواصلي للمتكلّم،ونقصد بذلك المكوّن الدّلالي-التّداولي. والمستوى المتوسّط هو مستوى التّمثيل التّصنيفي (المكوّن المعجمي الصرفي)، والخطّي (المكوّن التّركيبي) للعلامات اللسانية، ونشير إلى أنّ هذين المستويين يمكن أن نعيّنهما بالمصطلحات نفسها في الإنتاج والاستقبال. تتمثّل المرحلة الأولى من التّلقي في عملية الكشف عن الإشارة النّطقية من قبل المستمع، وهو ما يؤدي إلى الكشف عن البنية الفونولوجية (من المفترض أن تكون متماثلة). وبعيدا عن مجال استعادة البنية الفونولوجية من المفترض أن تشتغل عمليات فكّ الرّموز والتّعرّف على محتوى الفكر، الذي تنقله رسالة المتكلّم إضافة إلى رغبته التّواصلية، على عكس عمليات التّرميز، وهوما يلخّصه المخطّط التّالي :

20) G. Guillaume, Leçons de Linguistique 1974-48 (vol.9), Lille, Presse universitaire de Laval, Québec1995, P 38.



اللسانيات النّفسية (*) :

تقترح اللسانيات النّفسية دراسة عملية إرسال/نقل الرّسالة اللسانية (in vivo)، وذلك في وضعية تلفّظية حقيقية، وهو ما يتضمّن اعتبار الموقف الجملي للمتكلّم، وفي هذا الإطار يكون الإنتاج التّواصلي الإنساني قد أثار في الثمانينات من القرن العشرين اقتراحات خصبة لنمذجة اللسانيات النّفسية. قد حدّدت بما "يربط الجهاز العصبي بالجهاز النطقي"[21] (صالح بلعيد، 2003،ص16-17). إنّ النّموذجين، اللذين سنتعرّض لهما هما: نموذج إنتاج الرسالة لقارات M.Garrett (1984)، من حيث مستوى تدخّل التّركيب والمعجم، ونموذج الإنتاج للوفيلت J.M.W.Levelt من حيث الحلقات الاستبطانية هما النموذجان الأكثر مناقشة مقارنة بالنّموذج الأول الذي تعرضنا له.

نموذج إنتاج الرسالة اللغوية لقارات M.Garrett (1984) : يختلف هذا النّموذج عن النّموذج السابق، من حيث اعتبار المكوّن الإدراكي بمثابة عمليات استدلالية، – وإن كان هذا التعبير يبدو غريبا من جانب الإنتاج–، ولكن هل يعني أنّ المتكلّم، الذي يتعيّن

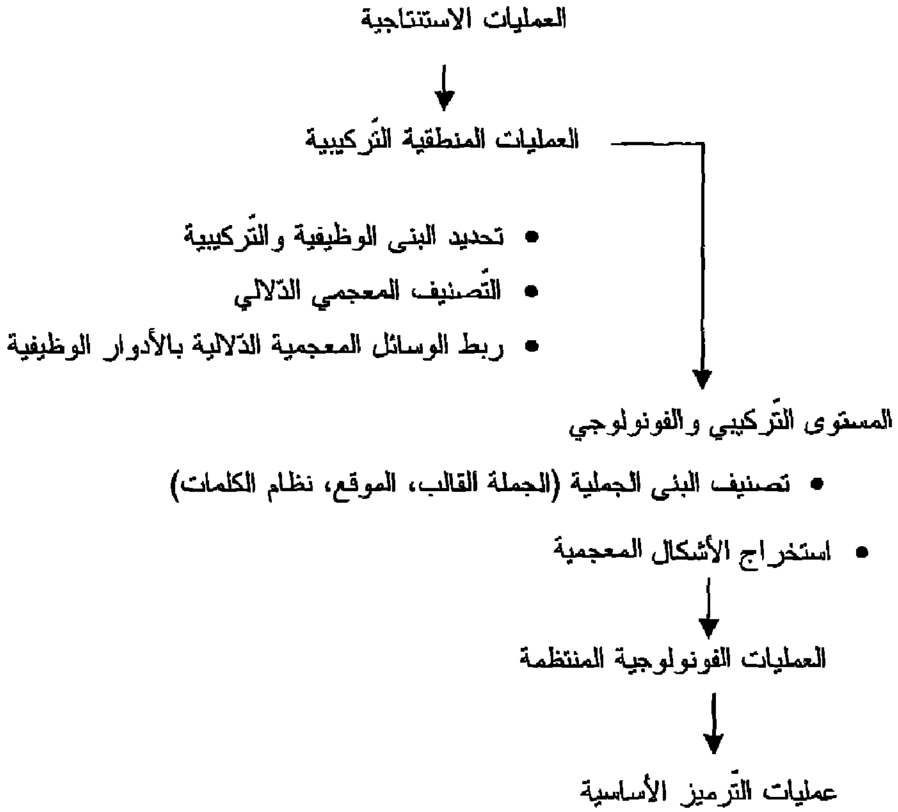
---

*) اللسانيات النفسية، هي إحدى التّخصصات اللسانية، التي برزت بقوّة في الدرس اللغوي الحديث، أنظر:سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنّشر والتوزيع، الاسكندرية 2003، ص 180.

21) صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر 2003، ص16-17.

عليه إرسال محتوى ما، يقوم بوضع الوسائل المفهومية الأساسية على شكل استدلالات ؟ ونتيجة لهذه العمليات الأولية، تعدّ التمثّلات على مستوى الرّسالة من طبيعية لسانية مسبقة.ما يميّز هذا النّموذج هو المكوّن التّركيبي الذي يظهر في مستويين متتابعين، أوّلهما هو مكوّن العمليات المنطقية والتّركيبية، وثانيهما هو مكوّن العمليات التركيبية والفونولوجية. يشير هذا التّقسيم لميدان التّركيب إلى مستويين: مستوى المنطق، ومستوى علم وظائف الأصوات، وهو التّمييز، الذي قام به ملشوك I.Melcuk في نظرية المعنى بين مستوى "التّركيب العميق" في علاقة مباشرة مع مستوى "الدّلالة السّطحية"، التي تتطابق مع "علم الدّلالة اللساني" ومستوى التّركيب السّطحي في مقابلة مع المستوى الصوتي.

إنّ المستوى الثّاني (أين يتدخّل التّركيب) هو المستوى، الذي تصنّف فيه البنى الوضعية أو بتعبير آخر التنظيم النّسقي للجملة، وفي هذا المقام يمكن أن تحتمل صياغات متعدّدة التّمثّل ذاته في المستوى الأعلى، وهذا يتضمّن بلا شك عمليات تصنيف بطريقة فاعلة، أو متوسّطة أو ثانوية، والنّتيجة ستكون حتما على المستوى الموضعي. أمّا بالنسبة للمعجم، فنجد أيضا مستويين للمعالجة: مستوى تحديدالمحيط الدلالي للكلمة اللاحقة، التي لم تتّضح بعد، ومستوى البحث المعجمي، أو ما يعرف باختيار الدّال. يجد هذان المستويان من المعالجة المعجمية صلاحيتهما اللسانية والنّفسية في ملاحظة الاختلافات النّطقية الموجودة بين المرضى: المصاب بالأفازيا هو، الذي لا يملك أيّ مشكل على المستوى الدّلالي (يعرف ما يريد قوله)، ولكنهيجد كثيرا من العوائق المطروحة في اقتحام الأشكال المعجمية، مثل أيّ متكلّم عادي أوبأكثر شدّة. وأخيرا نجد العمليات "الصوتية المنتظمة"، ونقصد بذلك العمليات التي تفضي إلى التمثّل على المستوى الصوتي، الذي يتطلّب تشغيل / تفعيل عمليات التّرميز الحركية، التي تنقل التوجيهات النّطقية حيث تضمن تحويل التّمثلات الصوتية إلى إشارات كلامية. وفي المصطلحات المقدّمة من قبل جاكندوف Jackendoff بعد ثلاث سنوات، يدخل النموذجان والنّموذج الأولي والتركيب والمعجم المرفوضين عند قارات M.Garrett في الصّنف نفسه، وهو صنف نماذج الإنتاج التّنازلية، أي الصنف الذي لا يتنبّأ بأيّة عملية تصاعدية معاكسة، وما جعل نموذج لوفلت Levelt يشتهر هو إقحامه في الإنتاج عمليات تصاعدية تنتج حلقاتموجّهة إلى الملاحظات التّجريبية، مثل التّصحيح الذّاتي المباشر أثناء إنتاج ملفوظ جملي.



نموذج إنتاج الرسالة اللغوية للوفيلت Levelt (1989): بالنسبة للوفلت Levelt (1989)، فالجديد هو إقحام نموذج أصغر إضافي للتّلقي موسوم بـــ "نظام فهم الخطاب" مثلما أورده نسبولوس وكارديبات[22] Nespoulous, & Cardebat (نسبيلوس وكارديبات، 2005 : 5-36).إنّه يوضّح أنّ المستوى الأعلى من المُدرك، يتطابق مع مستوى العمليات الاستنتاجية الموجود عند قارات Garrett، ويتطابق مع المستوى الدّلالي التّداولي للنموذج الأولي. وما يميّزه هو أنّه يعتبر بشكل صريح الوضعية (الإبهام، والموقف الجملي للمتكلّم)، والمعارف الموسوعية، ويتوقّع بالخصوص مراقبة داخلية لعملية الإدراك قبل أيّة صياغة لسانية، أمّا الحلقة الثانية للعمل الدّاخلي، فهي تعمل ضمن بناء الصّيغ، في عمليات التّرميز النّحوي والصوتي، إذ يتطابق التّرميز النّحوي مع المداخل المعجمية، بينما يصل التّرميز الفونواوجي إلى صيغ الكلمات، وتتدخّل عقدة العمل الدّاخلي بين هاذين التّرميزين.

22) Nespoulous, J.L, Rigalleau, F. & Cardebat, D, "La compréhension du langage par le cerveau/esprit humain : du rôle insuffisant de l'aire de Wernicke. *Rééducationorthophonique*, (2005), N°223, 5-36.

ومما ذُكر، يمكن القول أنّه رغم اختلاف النّظريات اللسانية حول النّقاط الأساسية، إلاّ أنّها تتّفق في ردّها البناء الذي يعزل التّمثّلات اللسانية حول الإطار العام الذي يتحقّق فيه النّشاط اللغوي بالالتفات إلى القصد التّواصلي أو الآليات المعرفية العامة، أو ذاتية التّلفظ، وكذا النّشاط التأويلي للموضوع. ويكمن فحوى هذه النّظريات في رفض وحداتية اللغة وذلك بإدماج المعالجة اللسانية للملفوظ في أوسع حركة، وباشتغال لولبي يولي الأهمية لتوقّعات القصدية للذّات المشاركة في بناء المعنى. يمكن لهذه النّظريات أن تتقاسم بعض النّقاط دون أن تتفاعل فيما بينها، لأنّ القواعد تتكرّر أحيانا من نظرية إلى أخرى، ولكن إذا اعتبرنا هذه النّظريات أجهزة معرفية من المعطيات اللسانية، فإنّها اقتحمت جميعها ما يتعلّق بفهم اللغة واستعمالها.

وفي إشكالية اللغة وكيفية بناء المفاهيم سواء على مستوى الذّهن أو من خلال التّجربة، يبدو من السّذاجة اعتقاد أنّ الذّكاء اللساني البشري يشتغل اعتمادا على تمثّلات بسيطة تصورية مخزّنة (سواء بطريقة فطرية أو مكتسبة) في كلّ عضو قابل للتّدخل في توظيف اللغة (هذا إن كان العضو موجودا حقيقة)، ففي نظر ديزجوليي Desagulier (2006) تشكل البناءات وحدات إجرائية تعالج وتقحم تمثّلات محدّدة في إطار مجتمعي، فهذه التّمثلات من طبيعة لسانية، وهذا ما يميل أغلب اللسانيين إلىتجاهله، ومهما تعدّدت النظريات والمعالجات يبقى الذّهن البشري علبة سوداء مركّبة تثير الكثير من الإعجاب والتّساؤلات، ومادام البحث متواصلا ومنقّبا في أعماق الذّهن البشري، ربّما نصل يوما إلى إدراك الشيء غير المدرك حول بنائه وآليات اشتغاله، وتفسير ما يقدّمه للبشر من قوّة تضمن وجوده.

مراجع البحث :

1 - المراجع العربية

الأزهر الزناد، (2010)، نظريات لسانية عرفنية، ، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط.

أحمد المتوكّل، (2006)، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي الحديث، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط.

أحمد مومن، (2002)، اللسانيات ، النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنّشر والتوزيع، الاسكندرية 2003، ص 180.

صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر 2003، ص16-17.

2 - المراجع الأجنبية

- Benveniste.E, (1966), Problèmes de linguistique générale, T1, Editions Gallimard, Paris.
- Bouveresse. J, (2001), « Psychologie et Linguistique : qu'a-t-il de proprement mental dans la signification et la compréhension ? » in De Mattia, M et Al Editions, Paris.
- Chomsky. N, (1981), Réflexions sur le langage, Editions Flammarion, Paris.
- Chomsky. N, (1985), Règleset représentations, Editions Flammarion, Collection Nouvelle bibliothèque scientifique, Paris.
- Fodor. J , (1986)La Modularité de l'esprit, Les Editions de minuit, Paris.
- Fuchs. C, (2009), La linguistique cognitive existe-t-elle ?, Quaderns de filologia 14 «New perspectives in cognitive linguistics », Paris.
- Guillaume.G, (1995), Leçons de Linguistique 1974-48 (vol.9), Lille, Presse universitaire de Laval, Quebec, P 38.
- Hume. D, (2003), Enquête sur l'entendement humain, Editions Flammarion, Paris
- Meunier.D, (2010), Rationalisme et schématisme : Deux versants de la pensée chomskyenne, Université du Québec à Trois rivières, Québec.
- Nespoulous, J.L., Rigalleau, F. & Cardebat, D, (2005) "La compréhension du langage par le cerveau/esprit humain : du rôle insuffisant de l'aire de Wernicke. *Rééducationorthophonique*, N°223.
- Piaget, J. (1967) La psychologie de l'intelligence, Librairie Armand colin, Paris.
- Victorri. B, (2000), Théories linguistiques et cognition, in cognito-revue Romane desciences cognitives, N°16.

في إعادة قراءة النحو العربي

محرز بودية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بتونس

مقدمـــة

كيف السبيل إلى قراءة النظرية النحوية العربية التراثية قراءة توفر لتاريخ العلوم عامة ولتاريخ اللسانيات البشرية مادة خاما تبين موقع هذه النظرية في التفكير الإنساني ؟ ولِمَ الاهتمام بهذه النظرية التراثية وقد ترسخت في المؤسسات العلمية سنن بحث لساني حديث يأخذ بالجديد من النظريات ويتقن إخراجها من منابع ولادتها إلى القارئ العربي؟ وما جدوى أن ندرس هذه النظرية وقد تجاوزتها النظريات اللسانية في رأي من رأى أنها نظرية أصبحت قطعة من قطع التراث تسرّ ناظرها ولا تنفع مستعملها ؟ وما جدوى أن نعيد ما قاله البعض ممن سبقنا إلى النظر فيها فجوّد القول وأنصف ؟ وما قيمة التأريخ لنظرية علمية مّا في إنتاج العلم ؟ وما قيمته إذا كانت النظرية قديمة ؟

كلّ ما تقدم هواجس متراكمة بعضها شديد الصلة بما ترسخ في الذهن زمن التحصيل وبما اكتسب في رحلة البحث في رحلة البحث المتواصلة من قراءات مختلفة أفدنا ممّا فيها من هنات بالقدر الذي أفدناه ممّا فيها من لحظات قوّة. ولاشك في أنّ التراكم الحاصل من هذه القراءات يفعل فعله بعد أن يستقرّ في الذهن فيرشح منه ما بقي نافعا حتى يصبح كأنّه شيء منك فتنسى أن نصيبك منه أنك قد أخرجته من حيز الوجود الذهني إلى حيز الوجود العلمي.

فلقد أوقفتنا جملة ما قرأناه من قراءات على أنّ اللحظة الراهنة تحتّم إعادة النظر في ما استقرّ من ثوابت عندنا وعند غيرنا من المهتمين بالاستشراق عامة وبالنحو العربي على

وجه الخصوص، نعرض في ما يلي نموذجين من قراءات بعض المستعربين، اخترناها من جملة دراسات ممكنة لكننا رأيناها ممثلة لخطّ من القراءات الماثلة في أذهان البعض منهم، الصادرة عن تصور متاهفت للنحو العربي.

1 - في نماذج من القراءات النحوية

قبل عــرض صورة من هذه القراءات لا بدّ أن نشير إلى أنّ ما قدمته أجيال المستشرقين عن النحــو العربي ذو بال، ولا يمكن التغافـــل عنه. فقد كانوا على قدر من الوعـــي بأنهــم ينشئون مستوى من مستويات النظرية النحوية العربية عبر عنه "بيار لارشي" Pierre Larcher حين وضع عنوانـــا لبحث له ميز فيه بين مستويات ثلاثة تتضمنها هذه النظرية، فشكل العنوان على النحو التالي : (Dérivation délocutive, (grammaire arabe,grammaire arabisante et grammaire de l'arabe) (لارشي، 1983) فإذا هي : النحو العربي ونحو المستعربَــة ونحو العربية. إن دارس النظرية النحوية العربية لا يمكنه أن يقصي هذا الجهــد الذي أنجزه المستعربون، وهو جهــد يقدر "لارشي" أنه بــدأ مع أنتوان إسحاق سلفستر دو ساسي ((Antoine-IsaacSilvestre deSacy (1758 – 1838) الذي عين أستاذا للعربية سنة 1795 وهو الذي " قد خطّ طريقــا ســار على دربــه المستعربون منذ ألف كتابــه "النــحو العربي" (النشرة الأولى 1810 والنشرة الثانيــة 1830) وهو نحو اللغة العربية الفصحى، وهذا الكتاب هو الذي استلهم منــه المستعربون نحوا هو "نحو المُستَعرِبَــة" (Une Grammaire Arabisante) في فرنســا وخارجها إلى يومنــا هذا" (لارشي، 1998، ص. 414). إنّ هذه اللمحة التاريخية التي ألمع إليها لارشي تضعنا بإزاء نظرية "موازية ". ولسنا نقصد بقولنا "نظرية موازية" أنها نظرية مخاصمة للأولى بل لعلها رافد لها. وهي في كل الحالات ذات خصائص متأتية من خصائص المهتمين بها.

وأول هذه الخصائص هوية الباحث، وقد تكفل "بيار لارشي"نفسه (في لارشي 1998) في بــحث لــه عــنوانــه :

La linguistique arabe d'hier à demain : tendancesnouvelles de la (recherché) بتوضيحها. فهو من جهة الوسم التاريخي مستشرق، وهو من جهة التخصص مستعرب،

هو لساني مستعرب : " لساني بالنسبة إلى المستعربين ومستعرب بالنسبة إلى اللسانيين وهو بذلك موسوم بالانفصام" (لارشي، 1998 ص.409). ولكن هذا الوسم ليس وصمة عار بل هو اختيار شخصي تحدث عنه "لارشي" في وصف لقائه الأول مع اللغة العربية، وانتهى من كل ذلك إلى تحديد مفهوم الاستشراق يقول : " إن الاستشراق؛ على عكس ما يظن البعض عن جهل أو على عكس ما يتظاهر به البعض اعتبارا لموقف إيديولوجي؛ لا يساير تاريخيا الاستعمار، بل يساير الترعة الإنسانية. إن الاستشراق هو ابن النهضة الأوروبية"(نفسه، 414) في حين يكون علم اللهجات "الابن الحقيقي للتوسع الأوروبي في القرن التاسع عشر وليس ابن الاستعمار أو الحركة الاستعمارية"(نفسه، 415) (1)، وعلى هذا الأساس يقر بفضل المستعربين "الذين قضوا قرونا – وقد خلوا إلى مكاتبهم- يقرؤون لغة ويكتبونها ولا يتكلمونها، وجاء الخلف الذين عاشوا في البلدان العربية فأضافوا إلى العربية التي سميت أدبية عربية سميت في البداية عامية ثم لهجية" (نفسه، 415)، على أن كل ذلك لم يمنع لارشي من التصريح بما يلقاه المستعربون من عنت وموقف عدائي تجاههم يقول : "لقد بدأنا مسيرتنا في الاستعراب منصتين لأساتذتنا المشارقة يتبرمون من رؤيتنا نتعلم اللهجات ونستعملها (وكأنهم هم أنفسهم يتكلمون شيئا آخر [غير اللهجات المحلية]) ولا نكاد نتم المسيرة دون أن نسمع من جديد (ذلك أن الاسطوانة ليست جديدة) من أصحاب اللحى يفسرون لنا أن العربية لغة الله وهو لا ينعم بها على الكفار ليعتنوا بها"(نفسه، 427).

لاشكّ في أنّ ما عبّر عنه لارشي صادر عن واقع صداميّ لعلّه مؤثّر بصفة ما في بعض المواقف العلمية التي توجه أصحاب هذه النظريّة الموازية. ونقدم قراءتين متباعدتين في الزمن لكنهما متقاربتان في التوجه، الغاية منهما إقامة الدليل على نوع من هذه القراءات التي مثلت عندنا وجها من أوجه الاهتمام بإعادة النظر في قراءة النحو العربي وفي تاريخ النظرية النحوية العربية.

القراءة الأولى صدرت سنة 1957 للمستشرق "هنري فلاش" (Fleisch Henri) بعنوان (Esquisse d'un historique de la grammaire arabe). رأى الباحث في الفصل

1) وكأنّ التوسع الأوروبي عند هذا الباحث ليس استعمارا.

الذي سماه "عرض نقدي لنشأة النحو العربي وتطوره" منذ البداية أن"أصول النحو العربي غامضة وذلك راجع لتطوره السريع في حين أن التقاليد النحوية في العادة لا تبرز ولا تنتج كتبا تأليفية إلا بعد وقت طويل من النقد والخصومات، غير أن الأمر مختلف في شأن كتاب سيبويه، ففيه جوهر اللغة العربية، ولذلك بحثنا عن التأثيرات التي قد تكون سارعت في هذا التطور"(فلاش، 1957، 4)، ثم يلخص التأثيرات في الفقرة التي عنوانها "البحث عن التأثيرات " وقد أرجعها إلى تأثيرين جسدهما رأيان :

- رأي فولرس (K.Vollers) القائل بالتأثيرات الهندية في الأصوات ونحو الهندية السنسكريتية لبانيني (Panini)
- رأي ماركس (A.Merx) منذ 1889 القائل بالتأثيرات اليونانية – وكان قيدي (Ign.Guidi) منذ 1877 وفر بعض الإشارات العامة في المسألة — أما ماركس فقد لخص تأثير المنطق اليوناني في النحو العربي في سبعة أوجه :
- القسمة الثلاثية للكلام : اسم وفعل وحرف
- أعرب وإعراب هما نقل للعربية لكلمتين يونانيتين : ((hellënidzein و((hellënismós
- التفريق في الجنس بين المذكر والمؤنث
- متصور "السعة" في الظرف يوافق اللفظ اليوناني (to aggîon)
- متصور الحال يوافق في اليونانية (héksis) و(diáthesis)
- مفاهيم الزمن : الحاضر والماضي والمستقبل
- مفاهيم : الفعل والفاعل والمفعول المتبلورة بتأثير المنطق[2].

---

2) لقد تكفل العديد من الدارسين بالرد على هذه الآراء بنفس يغلب عليه حماسة مفرطة لا نعتقد أنها تفيد تاريخ النحو العربي، لكننا نشير ونحن في إطار البحث الاستشراقي إلى ما كتبه M.G.Carter ردا على هذه الآراء في مقالة باللغة الانجليزية نقلها المبارك إلى اللغة الفرنسية، انظر :

Carter (M.G.) : Les origines de la grammaire arabe, in revue desétudes islamiques; (XL;1972) pp.69-97;traduction : Y.Moubarac

وقد عرضنا في بودية (2007/2011) "الآخر في المؤسسة النحوية " بعضا من آرائه.

ويخلص فلاش بعد ذلك إلى الحكم على الطبقـــة الأولى من النحاة، فهو يرى : "أن الخليل وسيبويه وكل الطبقة الأولى لم يفلسفوا النحو أي لم تكن لهم تلك الكفاءة في التفكير والتحليل والسيطرة على مجال بحثهم في سبيل البناء وهي أشياء توفرها ثقافة فلسفية[هم خلو منها] لقد انطلقوا من معطيات لاحظوها واشتغلوا تحت وطأة ما اجتلبوه من مفاهيم عامة دون أن يتخذوا بعدا منها فبقوا في مستوى تلك المعطيات فكان عملهم سطحيا. فمن بين الثغرات الدالة التي وقعوا فيها فقدانهم نظرية عامة للجملة فقد ميزوا بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية دون أن يفسروهما باستعمال اللفظين : فاعل (Sujet) ومسند (Prédicat)، ففي الجملة الاسميـــة يكون الفاعل (Sujet) أولا وسموه المبتدأ به، وفاعل (Sujet) الجملة الفعلية يتم الحدث هو الفاعل (Agent) (le fa' il). إنهم يجهلون المفهوم الخاص بالفاعل (Sujet) (فلاش، 1957، 5)[3]. فليس غريبا إذن أن يحكم على كتاب سيبويه – بعد أن اعتبره الحاوي لجوهر اللغة العربية – بأنه" ليس مؤلفـــا بيداغوجيا : فتنظيمه غير محكم وأسلوبه فقير وجمله غير متينة وغير واضحة، وليس لنا أن نرجع ذلك إلى أصل سيبويه الفارسي بل نرجع ذلك إلى صعوبة المادة : فهي أول مرة تعبر فيها اللغة العربية هذا الكون الجديد من المفاهيم النحوية فكان لزاما تطويع اللغة لهذه الأشكال الفكرية الحديثة، وليس لنا أن نطالب رائدا في هذا الميدان بأن يصل إلى الإتقان في نثر النحو "(فلاش، 1957، 15)، وينتهي الباحث بعد عرض أعمال بعض النحاة (الزمخشري فابن الحاجب فابن مالك فالسيوطي) إلى ما سماه : "نحو النهضة" فيتحدث عن كتاب" بحث المطالب وحـــث الطالـــب"للمسيحي الحلبي المروني (Germanos Farhat) (ت.1732) وما أفرزه من شروح أثرت في الكتب المدرسية في المشرق خاصة. أما الخاتمة فيبنيها على فكرة أساسية هي أن "النحاة العرب قد كرروا أنفسهم بشكل مملّ فكانوا ينسخون من بعضهم بعضا فسقطوا في كثير من التعقيدات التي لا طائل منها"(نفسه، 1957، 20)، فمع ابن جني حسب الباحث استوفت المؤسسة النحوية كل المواضيع الممكنة خاصة أن "النحاة العرب لم يعرفوا غير العربية ولم تكن لهم فكرة عن النحو المقارن أو التاريخي فضلا عن طريقة عملهم التي شدتهم إلى السطحيات وكانت تفاسيرهم بصفة عامة شكلية محضة فلم يعطوا

---

3) حرصنا على إدراج المصطلح الوارد في لغته الأصلية حتى تكون الترجمة موافقة لما قصده الباحث.

أهمية لدراسة الوظائف (يشير في الهامش : على سبيل المثال : المرفوع هو اللفظ الذي تلحقه ضمة سواء أكان اسما أو فعلا والمنصوب هو الذي تتصل بآخره فتحة اسما كان أو فعلا، هذا الإعراب طبق ماديا على الاسم والفعل دون الانطلاق من الوظائف حيث كان من الواجب التفريق بين الاسم والفعل) وبذلك فإن النحاة العرب لم يكن لهم قدرة على تطوير مادهم"(فلاش، 1957، 20).

ويبـــــدو أن هذا التناول للنظرية النحوية استمرّ في الزمن مجسّدا في دراسة صدرت سنة (2001) لمستشرق فرنسي آخر هو بحث جورج بوهاس (G.Bohas) وعنوالها (Le Rasoir d'Occam et la tradition grammaticale arabe) وموضوعها التقدير.

يشير الباحث إلى أن هذا الموضوع قد تناوله ابن هشام في كتابه"مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" وأضاف : "وهو نحوي متأخر في الزمن (ت761/1360م) أعجب به العديــــد، غير أنه من المنتحلين لأعمال غيره ممن عاش معه وخاصة في الجزء الأول من كتابه، وليس هاما أن يكون النص له أو لغيره بل المهم أن يكون شاهدا على التفكير النحوي العربي في العصر الوسيط"(بوهاس، 2001، 2). ويشير الباحث في الهامش إلى أن"ابن هشام معاصر لغيوم دي أوكام (Guillaume d'Occam) " (بوهاس، 2001، ص.2، هامش 7). وكلّ هذا وفر أرضية لبناء يستحضر مقومات البحث المقارني : مقارنة من الخارج بين منظومتين فكريتين متزامنتين من جهة فيكون الزوج (ابن هشام / أوكام) ومقارنة داخلية بين التنظير والتطبيق (ابن هشام / محيي الدين عبد الحميد)

يبني المؤلف بحثه على بحث سابق (بوهاس والقادري 1998) قوامه المبدأ التالي : "بقدر ما تكون العناصر المقدرة أقل عددا يكون الأمر أسلم، وهو المبدأ الذي صاغــــه ابن هشام بوضوح في المغني."(بوهاس، 2001، ص.2). وعلى هذا المبدإ يبني بوهاس البحث الحالي : إن النحوي إذا ما وجد نفسه بإزاء معطيات غامضة مطالب بأن يؤولها بأقل قدر من الفرضيات، ويضيف" لقد لاحظنا أن هذا المبدأ يقترب من استعمال أوكام للمبدإ الأرسطي المقتصد للتفكير والقائل بأنه لا يجب تكاثر الذوات دون الحاجـــــة إلى ذلك، وهــــذا مــــا تعودنــــا على تسميتــــه بنصل أوكام (Le rasoir d'Occam) (بوهاس، 2001، 4). وفي ضوء هذه الفكرة يتناول الباحث التقدير في مرحلتين : مرحلة أولى يتناول فيها نظرية

ابن هشام، ويتناول في مرحلة ثانية إجراء محيي الدين عبد الحميد محقق شرح ابن عقيل للتقدير انطلاقا من بيت من أبيات الألفية.

ففي المرحلـــة الأولى يبين بوهاس أن العناصر المقدرة قد تصل عند ابن هشام إلى خمســـة، وينتهي مما قدمه صاحب المغني إلى صياغة ثلاثة قيود غايتها تقليص العناصر المقدرة :

- قيد الاقتصاد : بقدر ما تكون العناصر المقدرة أقل عددا يكون الأمر أسلم
- قيد الانسجام الصوتي : من الأسلم أن نقدر عنصرا له نفس الخصائص الصوتية للعنصر الظاهر في الجملة
- قيد احترام الترتيب الأصلي.

أما في المرحلة الثانية فيقدم مثالا إجرائيا لمراقبة هذه القيود، فيختار تعليق محيي الدين عبد الحميد (محقق شرح ابن عقيل على الألفية) على بيت منها [4]، وينتهي إلى أن هذه القيود لم تحترم إجرائيا بحكم أن عاملا آخر يتدخل في التقدير وهو المحافظة على سلامة تناسق النظرية النحوية داخليـــا، وهذا ما قاد النحاة العرب إلى الإخلال بالقيود التي وضعـــت لتقليص العناصر المقدرة . ويعلن بوهاس في صياغة استعاريـــة أن"لحية أفلاطون قد انتصرت بسهولة على نصل أوكام" (بوهاس، 2001، ص15). ويرى الباحث أن حرص النحاة على احترام هذا التناسق الداخلي رغم صياغة القيود "خلف خيبة عند كل من حاولوا إصلاح النحو التقليدي أو تيسيره لوضع كتب مدرسية : لقد كانت نتائج كل ذلك أن الطلبة البؤساء لم يجنوا سوى بعض الصيغ والمهارات على قدر متفاوت من الجدوى في حين أن المبادئ والاستدلال وكيفياته قد غابت عنهم."(بوهاس، 2001، 18). ويختم في موقف لا يخلو من إحساس بمرارة : "تلك هي مأساة هذا النحو : إما أن تأتي عليه كله أو أن لا تظفر بشئ منـــه، لكن من منا القادر اليوم على أن يبذل الوقت الكافي ليكتسبه ؟" (بوهاس، 2001، 18) وهو بذلك قد أوصد كل الأبواب دون الوصول إلى فهم المؤسسة النحوية. فإذا ما أبحنا لأنفسنا أن نستعمل نفس الآلة الاستعارية التي انطلق منها

4) البيت هو : سواهما الحرف كهل وفي ولم فعل مضارع يلي لم كيشم.

ألا يحق لنا أن نقول : إن اللغة الواصفة وهي تبني بالاستعارة ما به تقارن قصد الوصول إلى عسر النظرية النحوية وتهافتها قد استعملت نفس النصل فحكمت على النحو العربي بأنه منظومة عسيرة على صاحبها، مريدها في بأس وطالبها في يأس.

إن هذين النموذجين يتفقان في الهدف الضمني وإن اختلفا في الزمان : تعلن اللغة الواصفة سلامة الطرح وشرعيته مهما يكن الموضوع، ثم تنعطف باحثة عن شيء ليس موجودا في الموضوع بل هو خارج عنه فتكون المقارنة سبيلا من السبل، ثم تنسلّ المواقف من الموضوع الأصلي فيتحول البحث إلى مراقبة سلامـــة المعتقد والبرهنة عليه حتى إن أدى ذلك إلى الإسراع في المواقف لأنها صادرة عن عين لا ترى غير ما تعودت رؤيته.

فليس من باب الصدفة أن نجد لارشي على سبيل المثال يحكم على النظرية النحوية العربية بأنها مبنية على وهم بما أنها مبنية على الإعراب – والقدامى قد سموا النحو إعرابا (الأستراباذي، ابن هشام مثلا)– يقول لارشي : " إن السنة النحوية العربية والتعلّميّة قد ساهمت في المحافظة على وهم عربية قديمة ثابتة، وحافظت إلى اليوم (وأحيل هنا على الكتب المدرسية المستعملة في التعليم الابتدائي) على وهم عربية لغةَ إعراب.إن أهم شيء يمكن أن نقوله في ما يخص الإعراب هو أن الشعر القديم قد يختل عروضيا إذا غضضنا الطرف عن الإعراب، والإعراب يؤخذ بعين الاعتبار عند تجويد القرآن"(لارشي، 1998، 412، 413). ثم تكون المقارنة سبيلا وهدفا في نفس الوقت فيعلن لارشي بأنّ " القول بهذا لا يعني أن الإعراب ليس هاما تركيبيا فلقد أفنى النحاة جهودهم في سوق أمثلة تبين ذلك (وهي أمثلة لا يصمد واحد منها حقا إذا فحصت) فنحن لا نجد نحويا واحدا من نحاة اليونان قد فعل ما فعلوا لسبب بسيط هو أن الإعراب في جملة مثل : ((Caesar pontem fecit هو الذي يشير علي بوظائف العناصر في الجملة في حين أن الإعراب في العربية الفصحى وحتى القديمة يكون على عكس ذلك : إن وظيفة العناصر في الجملة هي التي تملي عليّ إعرابها . ولأن الإعراب زائد ولم يعد له وجود في التطبيق فإن المدرسة حافظت عليـــه نظريا وتصدت إلى ما يوحي به القول المأثور "اجزم تسلم" من اختلافات" (لارشي، 1998، 427).

يخلص بنا ما سبق إلى أنّ مثل هذه القراءات الصادرة عن هواجس غير لسانية قراءات لا تختلف عن تلك التي صدرت عن إقرار ضمني أو صريح بأن النحو العربي نظرية

عصية على الأفهام، فكان أن كثرت الدراسات التي تسعى إلى تقديمها في سنة لغوية مبسطة، تخلص النصوص القديمة مما تختص به من منطق استدلالي يقتضي الاستطرادات والشواهد رآها أصحاب هذا التوجه زوائد فتخلصوا منها. ويمكن أن ندرج ضمن هذه الدراسات جملة حركات تيسير النحو، وقد عرض عبد القادر المهيري في (المهيري1993) وفي (المهيري 2008) جماع قراءاته لنماذج ممثلة من هذه الدراسات فأوضح ما تخوّلها من خلل في النظر والنتائج. وكان أن كثرت دراسات من نوع آخر حاولت أن تقارب بين آراء قديمة وآراء حديثة[5]. تقدّم هذه الدراسات مثالا لخطاب المقاربات عبر المقارنات، ويكون هذا الخطاب متسلحا بمسلمات لا تقبل الطعن ومنطلقات لا تقبل القدح، فضلا عن البعد التمجيدي المسيطر على خطابها العلمي، فتنتهي إلى التباهي بالقديم واعتباره قد بلغ المدى وليس للبحث الحديث من مزية ذات بال.

كلّ النماذج التي سبقت وقعت في هنات لأنها صدرت عن عدم استكمال مرحلة نعتقد أنها هامة لتمثل النحو العربي، هي مرحلة حسن التأريخ له. فمثل هذه الآراء التي قدمنا نماذج منها وأشرنا إلى نماذج أخرى لا يمكن أن تصدر إلاّ عن غياب تصور واضح لتاريخ النحو العربي، فهي تقتطع المعرفة من سياقها أو تخرجها من خصائصها النوعية فتسقطها على الراهن اللساني ونظرياته الحديثة، [6] وهو عمل لا يخدم النظرية النحوية العربية التراثية ولا يخدم الجهود اللغوية اللسانية العربية الحديثة، ذلك أن كل هذه القراءات صادرة عن تصور للتاريخ وللصيرورة التاريخية في حاجة إلى مراجعة. هي قراءات توافق ما نقله توماس كوهن Thomas S. Kuhn في (كوهن 1972) عن وايتهايد (Whitehead) المتباهي بأفضلية العلم القديم على العلم الحديث والقائل بأنّ"العلم الذي يتردد في نسيان مؤسسيه هو علم ضائع" (كوهن، 1972، ص.167). وإذا كان توماس كوهن قد رأى أن ما ذهب إليه وايتهايد سائر في "هذا الخط من التفكير غير التاريخي الخاص بالجماعات العلمية" وحكم

---

5) الأمثلة في هذا المجال كثيرة، نسوق منها مثالا معبرا لما فيه من مقومات نوعية، هو دراسة أنجزها وليد محمد مراد (1984) اختار لها العنوان التالي : "تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام" وأضاف في ما يكون بمثابة العنوان الفرعي : "تناول تطور مفهوم النظم عند قدامى العرب وصلة ذلك بالدراسات اللغوية المعاصرة"، وقد قدمت هذه الدراسة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في علم اللغة العام أشرف عليها المستعرب ميشال باربو.

6) انظر ما كتبه بيار لارشي مثلا في إقراره الضمني والصريح بما يوجد في النظرية النحوية العربية القديمة من عناصر ومقومات تضاهي ما قامت عليه النظرية التداولية

عليه بأنه"في هذا غير محقّ، ذلك أنّ العلوم شأنها شأن المؤسسات المهنية الأخرى تحتاج إلى بطل وتحفظ ذكرياتها " (كوهن، 1972، ص. 167) فإن الحكم على مثل هذه القراءات يصدق عليه حكم ت. كوهن. إنّ العلوم في حاجة إلى أن تصون رجالها ذلك أنّ"رجال العلم استطاعوا بدل أن ينسوا أبطالهم أن يراجعوا أعمالهم" (كوهن، 1972، ص.167) فيتعهدونها بما من شأنه أن يكون دافعا للعلم لا معطلا له، فالمواقف التي تتسم بطابع التفكير غير التاريخي تعطل المسار بل تبطله. وعلى هذا الأساس فإنّ حسن التأريخ للعلم هو شرط بنائه. إن النحو العربي في حاجة إلى إعادة قراءة، وفي حاجة إلى إعادة جل القراءات التي قدمت تصورا منبنيا على عدم تمثل واضح لتاريخ النحو العربي، وسبل إعادة القراءة مختلفة الأوجه، لعلّ أولاها به التأريخ لها. وهل التأريخ لأيّ علم يساهم في إنتاج العلم ؟ ما نفع التأريخ للعلم في جعل نظرية نحوية قديمة مساهمة في إنتاج علم جديد ؟

2 – في التأريخ للعلم

يرى الدارسون من أهل النظر مثل ألكسندر كواراي ((Alexandre Koyré في كتابه(études d'histoire de la pensée scientifique) (1966 / 1973)"دراسات في تاريخ الفكر العلميّ" أنّ "النظريّات تتغيّر وتتبدّل طوال وجودها التاريخي : كلّ كائن واقع تحت وطأة الزمن والتغيّر " (كواراي، 1973، ص. 38)، فهي مثل كلّ كائن أثبتت العلوم أنه متغير عبر الزمن، وتغيّره يقتضي مبدأ المحافظة على الخصائص النوعية له. فإذا أخذنا نظرية ن1 تطورت عبر الزمن إلى ن2 ثم إلى ن3 فإن بعض الخصائص المتحكمة في ن1 تتسرب إلى ن2 وإلى ن3. وإذا أخذنا عالما في زمن لنفترض أنه الحاضر يمثل ظهور ن3 فما هي أهمية ن1 بالنسبة إلى ن3 ؟ وكيف يمكن للعالم أن يصل إلى ن3 إذا لم يكن المؤرخ قد أمده بما يصلح من معطيات ؟ تبدو المسألة على قدر من الأهمية، وتبدو وظيفة المؤرخ حسب أهل النظر منطلق كلّ تطور فهو الذاكرة التي يستمدّ منها العالم محطات علمه يستثمرها من أجل الإضافة. يحدد توماس كوهن(Thomas S. Kuhn) فيكتابه (Lastructure des révolutions scientifiques) (1970 / 1972) "بنية الثورات العلمية " العلاقة بين ما يقوم به العالم ووظيفة تاريخ علمه على النحو التالي : "إذا كان العلم هو مجموعة الوقائع والنظريات والطرائق المجموعة في كتب سيارة فإن العلماء هم أولئك الذين اجتهدوا

لإضافة عنصر لمجموعة معينة سواء أوفقوا في ذلك أم لم يوفقوا. ويصبح التطور العلميّ أحقابا مجزأة تضاف فيها تلك العناصر بشكل منفصل أو بشكل غير منفصل إلى الرصيد المشترك للتطور العلمي المستمر الذي يكوّن التقنية العلمية والمعرفة العلمية. وبذلك يصبح تاريخ العلم الدراسة التي تعيد تسطير العلاقات المتعاقبة بين الحقب والعقبات التي أقلقت تراكمها في نفس الوقت (كوهن، 1972، ص16). هذا التصور الذي يضعه ت. كوهن لعلاقة واضع العلم بمؤرخ العلم يجعل عمل الثاني سابقا على الأول، وعلى هذا الأساس فإن كوهن يسند للمؤرخ مهمتين أساسيتين : فهو من جهة يحدد مكتشف كل حدث وقانون أو نظرية علمية والفترة الزمانية التي تم فيها ذلك، وهذا أمر بديهي، وهو من جهة أخرى يصف ويفسر حجم الأخطاء والأساطير والأوهام التي وقع فيها العلم وعطلت تراكم العناصر المكونة للمذهب العلمي الحديث (نفسه، ص.16). تبدو المهمة الثانية خاصة محفوفة بالصعوبات. لنفترض مؤرخا لعلم ما، ولنفترض أنه سيؤرخ لفترة زمانية ما، كيف يمكن أن يكون نافعا إذا لم يكن ملمّا بذلك العلم إلمام العالم به ؟ ولنقترب مما نحن فيه : كيف يمكن للناظر في مؤسسة نحوية قديمة أن يؤدي المهمة الثانية إذا لم يكن في نفس الوقت عارفا بها وعارفا بما وصلت إليه المباحث اللسانية الحديثة" ؟ على هذا الأساس نبّه ت. كوهن ومن قبله أ. كواراي إلى المطبات والهنات التي يمكن أن يقع فيها دارس نظرية قديمة بعيون حديثة. لقد أشار كواراي إلى وجوب "أن نقاوم الإغراءات التي يستسلم لها كثير من مؤرّخي العلوم حين يسعون إلى أن يجعلوا فكر القدماء المتصف بالغموض وعدم الوضوح والالتباس أكثر سلاسة وذلك بنقله إلى لغة حديثة توضّحه ولكنها في ذات الوقت تحرّفه" (كواراي، 1973، ص.14)، وهو ما وقعت فيه بعض الدراسات مما وصفنا. وهو في ما ذهب إليه يتفق مع ت. كوهن في أن مهمة المؤرخ أن يقف عند مواطن ضعف النظريات القديمة. فنحن اليوم " لا نعيش في عالم أفكار نيوتن ولا مكسوال، ومن ثمة يمكننا أن ننظر إليها من الداخل ومن الخارج، وأن نحلل أبنيتها وأن ندرك أسباب ضعفها " (كواراي، 1973، ص. 15). إنّ إدراك ذلك يعني الوقوف أولا عند قوة تلك الأفكار، وهذه القوة لا يتوصّل إليها إلاّ بإبراز المكونات التاريخية للعلم أو الأفكار، فعلى مؤرخي العلوم حسب ت. كوهن"بدل أن يبحثوا في العلم السابق عن مساهمته الدائمة في تطور الحاضر

أن يبرزوا المكونات التاريخية التي تكون هذا العلم في زمانه، فلا يطرحون أسئلة مثلا عن العلاقة بين آراء غاليلي وآراء العلم الحديث بل عما يربط بين تصوراته مقارنة بمجموعته : أساتذته ومعاصروه ومن أتى بعده مباشرة" (كوهن، 1972، ص.17).

إنّ هذه المكونات التاريخية لا يمكن أن تكون من قبيل التحقيق للوقائع، فهذا أمر لا يتعدى التوثيق. فليس تاريخ العلم وفق ما ذهب حمادي بن جاءبالله "مجرد تسجيل لما جد من أحداث فكرية قد تدلّ الألفاظ التي توسم بها بشكل أو بآخر على معنى علميّ [...] وهو لا يعني عندنا أيضا تأريخا لنشأة المؤسسات التي يوكل إليها مجتمع ما أمر العلم إنتاجا واستهلاكا وتوزيعا، وليس هو مجرد العناية بما قد يكون استحدث من تقنيات تبقى صلتها بالعلم غير محددة [...] بل إنّ ذلك التسجيل وذلك التأريخ وتلك العناية ليست كلها مجتمعة إلا شروطا ضرورية لكتابة تاريخ علم ما " (حمادي بن جاءبالله، 1995، ص. 27). فالمكونات شروط يجب الوقوف عندها والتحقيق فيها، ذلك أنّ "تاريخ العلم عامة ليس إذن تـآاريخ الوقائع، وإنما هو تاريخ منجزات العقل في التاريخ " (حمادي بن جاءبالله، 1995، ص. 114).

إذا صدقت الاعتبارات التي سقناها عن أهل النظر ممن قدموا أطروحات في شأن ما يدرج ضمن العلوم الصحيحة والتجريبية فهل يمكن أن تكون نافذة المفعول في شأن ما يدرج ضمن العلوم الإنسانية ؟ أ يمكن بسهولة أن نأخذ ببعض ما تقدم آلة نظر لمشروع بحث في علم لا يقوم على تجريب أهل الفيزياء وأهل علوم الحياة والأرض وأهل الفلك ؟ أيستقيم ما قدمنا مرتكزا نظريا للبحث في إعادة النظر في مؤسسة نحوية يقوم علمها على ما لا تقوم عليه جماع العلوم الأخرى إذ هو يتحدث عن موضوعه بنفس آلة موضوعه ؛ وهو ما أطلق عليه محمد صلاح الدين الشريف الالتغاء " (الشريف، 2008، ص.334) [7] ؟

إذا سلمنا بأن تاريخ العلم هو تاريخ منجزات العقل في العلم فإننا نسلم بأن منجزات العلم هي منجزات العقل في العلم، والعقل من جهة كونه الآلة المدبرة والآلة المنجزة للعلم هو في نفس الوقت الآلة المعبرة عن كلّ علم. فالعلاقة بين العقل والعلم في

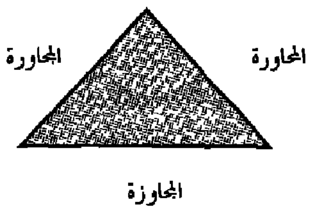
7) اقترح الشريف في (الشريف، 2008) الالتغاء مقابلا لما راج من ترجمات لمصطلح métalangage مثل "ما وراء اللغة" و"اللغة الواصفة"، وعلى عكس ما راج من مدلولات هذا المصطلح في أدبيات الغرب فإن هذه الخصيصة في اللغة عند الشريف هي "قدرة" وليست عملية طارئة ذلك أنها "أساس الدورة النحوية الخطابية المحققة لحركية البرنامج [النحوي] " (الشريف، 2008، ص. 334 – 335).

علوم اللسان هي من جنس العلاقة بين العقل والعلم في غير علوم اللسان، بل هي الأقوى بحكم ما في اللغة من قدرة الالتغاء.

ينبني على ما سبق أن يكون الأخذ بمقولات أهل النظر من المنظرين لتاريخ العلوم غير اللسانية أمرا مستقيما، خاصة أنّهم استطاعوا بما طرحوه من نظريات وفرضيات أن يؤصلوا لتأريخ العلوم التي اشتغلوا فيها، وهو ما لم تفعله اللسانيات العربية اليوم. فنحن أحوج من أي وقت مضى إلى أن نحسن التأريخ لعلوم اللسان عندنا حتى نحسن الوقوف عند منجزات العقل عندنا في التاريخ، فيكون حظنا في علوم اللسان اليوم ليس مجرد نقل رصيد ما أنتجه غيرنا.

إنّ شأن علوم اللسان عندنا اليوم مما أوضحناه في ما سبق لا يخلو من إسهامات بدأت تلقى عند الغير من العناية ما يجعلها فاعلة في النشاط اللساني، غير أنّ ما قدمناه يظلّ قليلا إزاء ما يمكن أن نقدمه إن نحن استطعنا أن ندرج منجزات التفكير النحوي في منجزات العقل في التاريخ.

إنّ ما قدّمه الجيل المؤسس للدرس اللساني في مدارج المؤسسات العلمية من إسهامات بكل ما حملته من تجويد نظر ومن هناتيكوّن مرحلة هامة من مراحل اللسانيات العربية، هي مرحلة مجاورة، وهي مرحلة تكون ما يمكن اعتباره ضلعا من مثلث متساوي الأضلاع : المجاورة والمحاورة والمجاوزة، فيكون رسمه على النحو التالي :



لقد اقتضت مرحلة مجاورة المفاهيم الحديثة في اللسانيات محاولة تمثل ما يقابلها أو يقترب منها في التراث النحوي. وكان من خصائص هذه المرحلة إلغاء البعد الزمني ممثلا في اقتطاع المفاهيم والمتصورات والأفكار من سياقاتها النصية قصد مجاورتها للمفاهيم الحديثة. وكان هذا العمل سعيا صادقا إلى أن يفهم ما يجدّ من مستحدثات لسانية بمجاورتها بما اكتسبه من معرفة. لم يكن عند جيل الرواد الممثلين لمرحلة المجاورة قصد

التأريخ للتفكير النحوي وإن لم تغب الدراسات المؤرخة للمدارس النحوية وللرجال، لكنه تأريخ منسجم وخصوصيات المرحلة.

أما الجيل الذي أتى بعد جيل الرواد فقد شرع في تجاوز مرحلة المجاورة بما قدمه من أبحاث ساهمت إلى حدّ ما في تغيير وجهة النظار إلى التفكير النحوي. لقد دخل بتأنّ وثبات وباحتراز من الوقوع في الزلل مرحلة محاورة الوافد من النظريات، فكان نتاج ذلك جملة من الأعمال الأكاديمية التي تلقى اهتمام الدارسين شرقا وغربا(8).

خاتمـــة

ليس من السهل في أي مشروع علمي أن تتعاقب المراحل دون أن تتوفر ما يمهد لذلك، أو لنعتبر بما أورده ت. كوهن عن شأن تطور العلم، وقد وضحها في كوهن (1972) ولخصها آلان شالمرز (Alan F. Chalmers) في الخطاطة التالية :

ما قبل العلم – العلم – علم سويّ – أزمة – ثورة – علم سويّ جديد – أزمة جديدة

(شالمرز، 1981/ 1991، نظريات العلم، ص.95)

وتبني هذه الخطاطة على فكرة النموذج. يرى كوهن أن "الفترة السابقة لتكوّن النموذج تتميز بوجود مناقشات متواترة وعميقة تخص الطرق المشروعة والقضايا والحلول المقبولة فضلا عن أنها تكون أصلح لتحديد المدارس من لم شتات الاجماع" (كوهن، 1972، 66) فإذا ما استقرّ النموذج تفطن إلى مشاكل فكانت الأزمة وهي التي بدورها تسلم إلى ثورة فنموذج جديد. غير أنّ المناقشات "لا تزول دفعة واحدة بمجرد ظهور النموذج. ورغم أنها قد تكون شبه زائلة في بعض فترات العلم السويّ فإنه قد يعاد إنتاجها بصفة منتظمة قبل وإبان الثورات العلمية حين تهاجم النماذج وتكون عرضة للتغير" (كوهن، 1972، 67). إنّ ما حصل بين جيل الرواد ممثل ما اعتبرناه "المجاورة" وجيل ما بعد الرواد ممثل ما اعتبرناه "المحاورة" شبيه بما رآه كوهن.فقد توفرت جلّ مقومات ما اعتبره أزمة ناتجة عن تراكم

8) نذكر في هذا السياق ما أنتجته الجامعة التونسية من أطروحات بإشراف الأساتذة الذين كونوا جيل الرواد، مثل أطروحة محمد صلاح الدين الشريف، وأعمال كل من الباحثين محمد الشاوش ومنصف عاشور والشاذلي الهيشري وعبد الله صولة وشكري مبخوت وعزالدين مجدوب وغيرهم.

قراءات بالخصائص التي وصفناها، أدت إلى تساؤلات جريئة غيرت وجهة التعامل مع تراكمات تراثية ولسانية حديثة ودراسات استشراقية أفضت إلى مواقف جديدة من البحث اللساني درسا وتدريسا، أفضت بدورها إلى جهود مساهمة في محاورة الراهن من النظريات. ونفس الصيرورة التي حكمت الجيلين وأحكمت ما أنتجا تفعل فعلها في ما نحن طرف فيه.

إنّ ما وصفناه من قراءات وما اقترحناه من ضرورة حسن التأريخ للنحو العربي وما أخذنا به من المنظرين لتاريخ العلوم هو حدوس توافق ما اعتبره ت.كوهن "أزمة"، لعلها هي أيضا حدس بأن اللحظة المرتقبة لاكتمال مرحلة بدأ يتهيأ للتمثل، وهو اكتمال يمهد "للمجاوزة".

مراجع البحث

1 - المراجع العربية

- ابن جاء بالله ؛ حمادي : (1995) : تحوّلات العلم الفيزيائي ومولد العصر الحديث، سراس للنشر، تونس
- بوديّة ؛ محرز (2007/ 2011) : الآخر في المؤسّسة النّحويّة، ضمن : صورة الآخر في الثّقافة العربيّة الاسلاميّة، صص.9 – 60، تونس.
- شالمرز؛ آلان ف. / بن سحبان؛ الحسين والصفا ؛ فؤاد [مترجمان] (1981 / 1991) : نظرية العلم، دار توبقال للنشر، المغرب.
- الشّريف؛ محمد صلاح الدين (2008) : أ وقد سألتمونيها، حوليات الجامعة التونسية، العدد 53، صص.331 – 389.

2 - المراجع الأجنبية

- Bohas ;G ;2001 : Le rasoir d'Occam et la tradition grammaticale arabe ;Arabica ;38
- Carter, M.G.,1972 : Les origines de la grammaire arabe,in : revue des études islamiques; (XL;1972 pp.69-97; traduction : Y.Moubarac
- Fleisch ; Henri ; 1957 : Esquisse d'un historique de la grammaire arabe ; Arabica ; 4
- Koyré ; Alexandre ; (1966/1973) : études d'histoire de la pensée scientifique
- Kuhn ; Thomas (1970/1972) : la structure des révolutions scientifiques
- Larcher, Pierre ; 1983 : Dérivation délocutive, grammaire arabe, grammaire arabisante et grammaire de l'arabe ; Arabica ; 30
- Larcher, Pierre ; 1998 : La linguistique arabe d'hier ădemain : tendances nouvelles de la recherche ; Arabica, 45 ; pp.409- 429

أثر المعلومة غير اللغويّة في إعادة بناء الخطاب

وسام العريبي
المعهد العالي للغات، قابس

تقديم

عمل اللّسانيّون المحدثون على تحليل المكوّن اللغويّ، سواء أكان وحدة معجميّة أم جملة، في جانبه الدّلاليّ، بالتركيز على المدلول، مثلا، مع دي سوسير، أو على المميّزات الدلاليّة مع كاتز، أو على الدلالة التأويليّة مع جاكندوف، بيد أنّ النظريّتين التداوليّة والعرفانيّة تقترحان تناولا جديدا لمحتوى ذاك المكوّن اللغويّ، ليكون لا قائما على "دلالة" أو على "معنى" فحسب وإنّما على "معلومة"؛ إذ أُدرجت تلك المعلومة في شبكة علاقات لغويّة وخاصّة غير لغويّة لتبيت متأثّرة بمقتضيات السّياق وظروف المقام كما لدى ديكرو والحالات السّلوكيّة والنفسيّة والاجتماعيّة وغيرها كما لدى ديكلي ومبادئ كالتعاون لدى غرايس أو المناسبة لدى سبربر.

تفرض إعادة النظر في المكوّن اللغويّ المراد تحليله، إذن، بتحوّله من تحليل الدلالة إلى تحليل المعلومة، إعادة بناء اصطلاحيّة وتمثيليّة ونظريّة وتطبيقيّة لموضوع الخطاب، تستدعي هي نفسها البحث في أثر المعلومة غير اللغويّة في إعادة بناء ذاك الخطاب الحادث بين المتخاطبين، وذلك على مراحل ثلاث : مرحلة أولى نميّز فيها بين صنفين من المعلومة، اللغويّة وغير اللغويّة، فمرحلة ثانية نقترح فيها هندسة المعلومة غير اللغويّة وقيودها، تمهيدا لمرحلة ثالثة نبيّن من خلالها كيف تتدخّل المعلومة غير اللغويّة في إعادة بناء الخطاب.

1 - المعلومة غير اللغويّة/المعلومة اللغويّة

نعيد في هذه الفقرة بناء العلاقة القائمة بين طرفي المقابلة "معلومة غير لغويّة/معلومة لغويّة"، نرمز إليها بـــ"مع غ غ/مع غ غ"، انطلاقا من محورين :

محور أوّل فيه علاقات تقابل فرضت من خلالها المقابلة "مع غ غ/مع غ" أو سُعي إلى فرضها، منها على سبيل التمثيل لا الحصر المقابلة "تداوليّة/لسانيّات"، إذ "تُعرّف التداوليّة بأنّها دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللّسانيّ الذي تُعنى به تحديدا اللّسانيّات" (موشلار وريبول، 21)، فعلى التداوليّة أن تنظر في طرق استعمال اللغة وحدودها وقيودها، وهي تتحوّل، وهي يُتخاطب بها، وعلى اللّسانيّات أن تدرس قواعد انتظام اللغة، وبناء وحداتها وتوليد جملها وطبقات دلالاتها.

وتبعا للمقابلة "تداوليّة/لسانيّات" تولّدت ثنائيّات تمييزيّة، من قبيل القول/الجملة، فـ"إذا كانت الجملة موضوع اللسانيّات فإن القول موضوع التداوليّة" (نفسه، 27)، ومن قبيل المعنى/الدّلالة، فـ"إذا كانت الدلالة مرتبطة بالجملة فإنّ القول لا ترتبط به الدلالة بل يرتبط به المعنى.. وينبغي أن نفهم دلالة الجملة هنا على أنّها نتاج إرشادات لغويّة ... وتحتسب بواسطة المكوّن اللغويّ. وفي المقابل فإنّ معنى القول هو دلالة الجملة تضاف إليها الإرشادات السياقيّة أو المقاميّة التي تحتسب انطلاقا من المكوّن البلاغيّ، والالتجاء إلى قوانين الخطاب هو اختصاص المكوّن البلاغيّ الذي يوافق ما ينتج عنه معنى القول" (نفسه، 27)، ومن قبيل القضايا غير اللغويّة/القضايا اللغويّة، إذ إنّ "مجال التداوليّة يرتبط بقضايا ليست لغويّة بالمعنى الضيّق للكلمة مثل قضايا الاستدلال والاستعمال التقريبيّ والاستعارات والفهم المرتبط بالسياق وقوانين الخطاب، إلخ" (نفسه، 12).

ويمكن تمثيل أطراف المقابلة الأولى "تداوليّة/لسانيّات" بالرسم (1) :

(1) <u>تداوليّة / لسانيّات</u>

استعمال اللغة / نظام اللغة

قول / جملة

معنى / دلالة

قضايا غير لغويّة / قضايا لغويّة

المقابلة الثانية هي "التخاطب/الخطاب"، ففي حين تُركّز دراسة الخطاب على الخطاب ذاته ومستوياته وطبقاته وبناه وقد تُتجاوز إلى الاهتمام بـ"المتكلّم" أو المخاطِب،

تُفرض في تحليل التخاطب دراسةُ ثلاثة أطراف، هي الخطاب المتخاطَب به، والمتخاطبون متبادلو ذلك الخطاب، والمؤثّرات المتدخّلة في "بناء" ذلك الخطاب.

فمن خلال دراسة التّخاطب "أضحى من الممكن أن نفسّر كيف نبلّغ من المعاني أكثر ممّا ندلّ عليه بقول من الأقوال" (نفسه، 22)، مقارنة بدور علوم اللغة الذي "لا زال مقصورا"، مثلا، على مراعاة "معن"، أي المعلومات، المراد تبليغها، في ذهن المخاطِب، دون مراعاة "معن" التي تمّ تبليغها والتي لم يتمّ تبليغها، في ذهن المخاطَب، وما يمكن أن يعيد المخاطَب، بل حتّى المخاطِب، بناءه من جمل وأقوال تحفظ العلاقة التفاعليّة التخاطبيّة المفترضة بينهما لغويّا وبالتّالي ذهنيّا، بله المؤثّرات الإحاليّة السياقيّة والمقاميّة لعمليّتي التبليغ والبلوغ، أمر قد يكون دفع بغرايس في كتابه "دراسات في طُرق الكلمة" إلى نقد الأعمال اللغويّة لدى أوستين وسيرل، فسمّاها "أعمالا محادثيّة" (GRICE 1991, 19).

المحور الثاني يتضمّن علاقات احتواء وانتماء، إذ يقتضي العرفان البشريّ توفّر مجموعة من "معن" ليست أحاديّة المجال بل متعدّدة المجالات، وبالتالي يفترض في اتّصال تلك المجالات العرفانيّة المتعدّدة بالتخاطب اللغويّ أن تمثّل اللغة أحدها، ونمثّل لتلك العلاقة بالدّالّتين الرياضيّتين التاليتين :

(2) (ء) معن خ ⊃ مع غ

(ب) مع غ ∈ معن خ

نعني بـــ(2ء) أنّ "معن خ"، أي معلومات تخاطبيّة، تحتوي "مع غ"، أي معلومة لغويّة، ونعني بـــ(2ب) أنّ "مع غ" تنتمي إلى "معن خ". تقتضي هتان الدّالّتان دالّة رياضيّة أشمل، هي التالية :

(3) ∀ معن خ ∑ مع غ

أي *لكلّ* "معن خ" *توجد* "مع غ"، أو أكثر.

وتنبغي الإشارة إلى أنّ قيمةَ "مع غ" رهينةُ قيمة مجال اللغة في علاقته بمجالات العرفان البشريّ لحظة التخاطب، وفق حالتين، في الحالة الأولى تتقلّص تلك القيمة باتّساع

المجالات العرفانية الموظّفة في تحليل التخاطب، ولتلك الحالة مظهران، هما إمّا التعالق بين قسمي المجالات "غ غ"، أي غير اللغويّة، و"غ"، أي اللغويّة، كما أكّد ذلك العرفانيّون، فقد بيّن بودي أنّ "الموازنة التي يمكننا اليوم صوغها حول البحوث المتّصلة بالمعالجة العرفانيّة للمعلومة اللغويّة تقود بالأساس إلى استنتاج عدم كفاية الاعتماد الكلّيّ على البنى النّصّيّة والتمثيلات النمطيّة ذات الطبيعة اللسانيّة في فهم النصوص وتخزينها. فلمعالجة أحد ما نصًّا، وجب عليه ألاّ يستدعي تمثيلات نمطيّة لبنية النصّ فحسب إنّما أيضا معارفَ حول المجال الذي يُمثّل فيه ذلك النصّ وحول وضعيّة التواصل" (BAUDET 1990, 45 يُنظر أيضا : FAUCONNIER 1991, 232)، وإمّا التماهي بين ذينك القسمين، كما أكّد ذلك موشلار وريبول عندما علّقا على "الأعمال الاجتماعيّة (لدى ريناتش) وهي التي أسماها أوستين أعمالا لغويّة" (موشلار وريبول، 46)، حينها يتركّز الدرس على النظر في استعمال اللغة؛ في الحالة الثانية تتّسع قيمة مجال اللغة بتقلّص مجالات العرفان البشريّ الموظّفة في تحليل الخطاب، وحينها يتركّز الدرس على النظر في نظام اللغة، أي اللّسانيّات، وهو ما تطبّقه العلوم اللسانيّة وتبحث فيه ضمن بنى الصوت والتركيب، مثلا.

بإمكاننا، إذن، تحديد المقصود لدينا بـــ"مع غ غ" و"مع غ"، ولنبدأ منهجيّا بطرف المقابلة الثاني.

أمّا فيما تعلّق بـــ"مع غ " فهي كلّ "مع" يوفّرها نظام اللغة أو يتيحها، فيُتحصّل عليها أو تُستفاد منه. ويمكن أن نتّخذ من "الهندسة الموازية" لجاكندوف و"الأعمال اللغويّة" لسيرل نموذجين مساعدين على تحديد ملامح "مع غ"، انطلاقا من المثالين التاليين (4ء) و(4ب) :

(4) (ء) Devour (افترسَ)

(ب) هذه سيّارة جيّدة

أمّا جاكندوف (JACKENDOFF 2002, 143) فيقدّم فعلا، من قبيل (4ء)، على أساس احتوائه بنية صوتيّة وبنية تركيبيّة وبنية دلاليّة، ويسمّي المعلومة فيه "خصيصة" ضمن هندسة توازي بين تلك البنى الثلاث؛ ومثاله هو [Devour]، ممثّلا تمثيلا صوتيّا، هو

[Devawr]، فتمثيلا تركيبيّا يحدّد انتماءه إلى المقولة [فعل]، فتمثيلا دلاليّا يبدو فيه ذاتُ الفعل موزِّعَ أدوار دلاليّة إلى موضوعين، هما [د] و[ذ]، مع تحديدهما التقييديّ بـ[وج]، أي وجوبا.

وأمّا سيرل فيعتبر في (4ب) "بالنسبة إلى كلّ جملة ج اُستعملت فيها "جيّدة" في معناها الحرفيّ، فإنّ حدوث ج مخصّص لإنجاز عمل مدح" (Searle 1962, 424)، فهو يميّز بين صنفين من الأعمال : (أو "الوظائف"، يُنظر : نفسه، 423) أعمال مباشرة وأعمال غير مباشرة (SEARL 1979, 30-57، يُنظر أيضا : موشلار وريبول، 67-68 و79-80)؛ فالعمل المباشر في (4ب) هو الإخبار بأنّ [هذه السيّارة جيّدة]، والعمل غير المباشر هو مدح هذه السيّارة الجيّدة، والإخبار والمدح معلومتان لغويّتان، غير أنّ الإخبار لم يكن "القصد" (الجرجاني 1994، 52، يُنظر أيضا : FILLMORE 1971, 380) من "نظم" (الجرجاني 1994، 15 يُنظر أيضا : PUTNAM 2001, 2) الجملة (2ب)، إنّما القصد هو المدح، لذلك كان أكثرَ مناسبة اقتراحُ المصطلحين "معلومة مقصودة" و"معلومة غير مقصودة" عوضا عن "مع غ" المباشرة و"مع غ" غير المباشرة.

وأمّا فيما تعلّق بـ"مع غ غ" فلا نقصد بها ما قصده موشلار وريبول فحسب، عند تمييزهما الاقتضائيّ بين ما ليس بلغويّ من القضايا وما هو لغويّ، لأنّ الاستدلال البلاغيّ، مثلا، منطلق فيه من اللغة، وهو يظلّ في اللغة لأنّ "مقاصد المتكلّم لا تحتاج من الدّارس أن يدخل في نفسيّة المخاطب، وإنّما هي معنى يُستدلّ عليه بمعنى اللفظ الذي في كلام المتكلّم" (المبخوت 2006، 29)، وكذلك الاستعارة والاستلزامات المحادثيّة ونحوها. فـ"مع خ" اليوم تبدو أكثر اتّساعا لانفتاح العلوم التداوليّة والعرفانيّة على أكثر من الاستدلال؛ والجملة، كما الوحدة المعجميّة، اليوم تبدو أكثر تعقيدا في تمثيلها وتأويلها والنظر في مراحل بنائها وإعادة بنائها، وهي تفرض نظر الدّارس اللغويّ والدّارس غير اللغويّ والمتخاطبين أنفسهم في نفسيّات المتخاطبين وثقافاتهم وانتماءاتهم وعلاقات تأثّرهم بـ"المحيط العرفانيّ" (SPERBER and WILSON 1995, 38) وتأثيرهم فيه، وقتئذ يمكن تنزيل سؤال روش عن طراز الغلال والردّ بـ"تفّاح" (MARGOLIS and LAURENCE 1999, 25) في إطار أنّهما يدلاّن على أنّ عمليّة الاستدلال إحاليّة بالضرورة مناسبة المكتسبات الذهنيّة

لدى المتخاطبين ومتأثّرة بذاك المحيط العرفانيّ، وهي أكثر من عمليّة لغويّة، إنّها "استعمال سلوكيّ عرفانيّ" (ROSCH 1999, 190) للمكوّنات اللغويّة التخاطبيّة.

ولا نجعل "مع غ غ" هي نفسها "مع غ" المتعلّقة بـ"الخلفيّة" السياقيّة لدى سيرل في مقابل "المعنى الحرفيّ" (يُنظر : SEARL 1979, 117-136) عند التمييز بين العمل اللغويّ غير المقصود والعمل اللغويّ المقصود، فإنّ "الخلفيّة" التي يذكرها سيرل متعلّقة بـ"مع غ" غير المقصودة، في حين أنّ عملنا مركّز على الخلفيّة أو الطبقة أو "مع غ غ".

ولا نقصر "مع غ غ" على "السياقيّة"، كما ذهب إلى ذلك أيضا موشلار وريبول (موشلار وريبول، 26) فحسب، أو نتردّد في تسميتها فنقول هي سياقيّة، أحيانا، مقاميّة، أحيانا أخرى (نفسه، 27)، إنّما نضمّ إلى السياق المقامَ بفضاءيه المكانيّ والزمانيّ وشخوصه الحاضرة فيه أو الغائبة المؤثّرة وندرجه في عمليّة التخاطب، كما ذهب إلى ذلك المبخوت لمّا أكّد "أنّ الاستدلال العفويّ رهين العناصر المستمدّة من السياقين المقاميّ والمقاليّ عند التخاطب" (المبخوت 2006، 20).

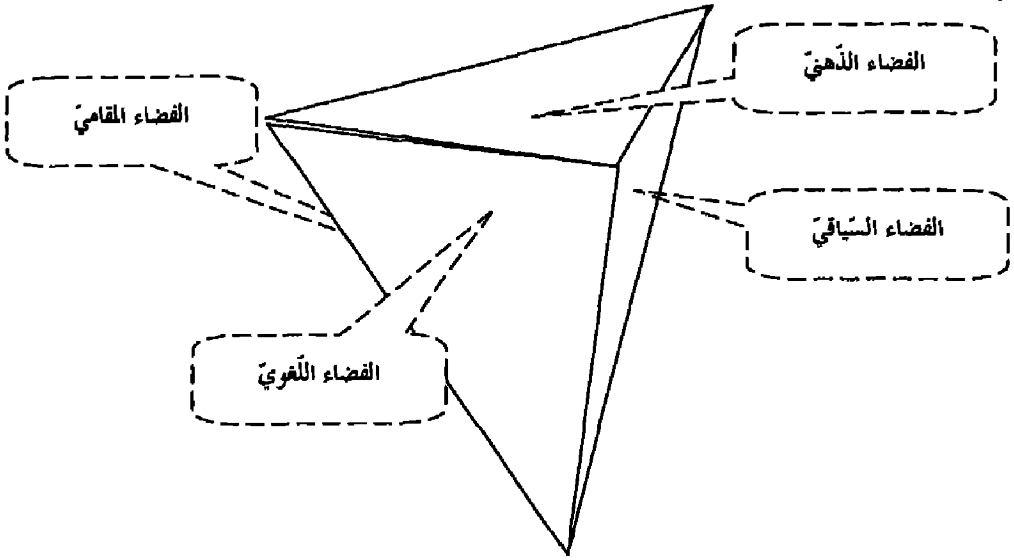
"مع غ غ"، إذن، هي المتوصّل إليها في التداول خصوصا بتطبيق قواعد الاستدلال البلاغيّ ونحوه، ممّا نختزله في المصطلح "إعادة البناء"، فهي ذات طابع "ذهنيّ" (MARGOLIS and LAURENCE 1999, 7، أيضا : FAUCONNIER and SWEETSER 1996, PUTNAM 2001, 24 و8) بالأساس، تعيد بناء مختلف المكتسبات العرفانيّة لدى المتخاطبين، وتعيد أيضا بناء المكتسبات السياقيّة والمقاميّة أنّى دار ذاك التخاطب فتولّدت الخطابات.

2 - هندسة المعلومة غير اللغويّة وقيودها

بناء على ما تقدّم ذكره في الفقرة السابقة، نركز عملنا على تقديم تمثيل لـ"مع غ غ"، أوّلا، فتقييده بقيود لازمة في هذا المستوى من البحث، ثانيا.

نقترح لهندسة "مع" تمثيلا مثلّثا رباعيّ الأوجه، بالتالي رباعيّ الحدود، هو التالي :

(5)



حيث تكـــــون "مع" في (5) خاضعة لأربعة فضاءات تخاطبيّة (يُنظر : CHARAUDEAU 2004, 20)، هي الفضاء الذهنيّ والفضاء السّياقيّ والفضاء المقاميّ والفضاء اللغويّ.

يضمّ الفضاء الذهنيّ مجموع "معن غ غ" و"معن غ""، أو "مع خ" أي المعارف، التي اكتسبها طرف تخاطبيّ قبل التخاطب أو التي هو في طور اكتسابها لحظة التخاطب، سواء أكانت "مع" نفسيّة أم اجتماعيّة أم لغويّة أم غيرها، وهو ما تؤكّده الدّالّة (4)، إذ يُنظر إلى التمثيل في المنوال العرفانيّ باعتباره "تمثيلا ذهنيّا" (FAUCONNIER and SWEETSER 1996, 10) يندرج ضمن إحدى "نظريّات الذاكرة الدلاليّة" (ROSCH 1999, 200)، وهو ليس خاصّا بـــ"معن" الذهنيّة لدى المتخاطِب أو المتخاطَب معه فحسب، بل هو شامل "معن" الذهنيّة لدى طرفي التخاطب سواء أكانوا فرادى أم جماعات؛ ويضمّ الفضاء السّياقيّ مجموع "معن غ غ" و"معن غ" الحاضرة في سياق التخاطب اللغويّ الشفويّ أو الكتابيّ التي قد تؤثّر في "مع غ"؛ ويضمّ الفضاء المقاميّ مجموع "معن غ غ" و"معن غ" الحاضرة في مقام التخاطب الزمانيّ والمكانيّ التي قد تؤثّر في "مع غ"؛ ويضمّ الفضاء اللغويّ مجموع "معن غ" الحاضرة في الخطاب بمختلف بناه الصوتيّة والتركيبيّة والدّلاليّة، مثلا، حيث تتمّ عمليّات إعادة بنائها.

وتجب الإشارة، تعليقا على ما سبق ذكره، إلى أمور، هي، أوّلا، أنّ الفضاءات الثلاثة الأولى – باستثناء الفضاء الرابع – غير لغويّة، سمّى موشلار وريبول "مع" فيها "معلومة خارج لسانيّة" (موشلار وريبول، 156) في مقابل "معلومة لسانيّة"، ثانيا، أنّ الفضاء الأوّل بمعلوماته أنانيّ يعود إلى الأنا المشاركة في عمليّة التخاطب، ثالثا أنّ الفضاءين الثاني والثالث بمعلوماتهما إحاليّان، متّصلان بالمحيط العرفانيّ، رابعا، أنّ اختيار الشكل (5) المثلّث رباعيّ الأوجه يؤكّد تعالق الفضاءات الأربعة ويضمن الاتّصال بين حدودها الأربعة غير اللغويّة واللغويّة، خامسا، أنّ "مع غ غ" يمكن أن لا تكون وليدة تخاطب لغويّ، إنّما وليدة تخاطب سيميائيّ، أمر قد يبرّر اهتمام غرايس بالمعنى وتمييزه فيه، مثلا، بين "المعنى الطبيعيّ" و"المعنى غير الطبيعيّ" في مثاله التالي (GRICE 1991, 291) :

(6) (ء) سُحب سوداء تعني هطول مطر

(ب) حركته عنت أنّه ضجر

فـ"الفعل" الأوّل في (6ء) حادث غير لغويّ ذو دلالة غير لغويّة منتجة "مع غ غ" هي [هطول مطر]، وهو يكتسب سمته الأنانيّة انطلاقا من إدراك الأنا إيّاه في علاقتها بذاتها وفي علاقتها بالموجودات التي تحيط بها في العالم الذي تعيش فيه، ضمن "بنية العالم المتصوَّر" (ROSCH 1999, 190)، وانطلاقا من عمليّـــة تسمّى "مقْولة العالم" (CHARAUDEAU 2004, 19)؛ و"الفعل" الثاني في (6ب) حادث غير لغويّ أيضا ذو دلالة غير لغويّة منتجة "مع غ غ" هي [هو ضجر]، وهو يكتسب سمته الأنانيّة انطلاقا من مقْولة الأنا أنا أخرى غيرها تقيم معها في العالم ومقْولة حركتها فأنسنتها بعملية المقْولة تلك. لذلك نرى أنّه من الواجب تقديم قيود تتحكّم في "مع غ غ" وفي أطراف "مع" الممثّلة في الشكل (5) تمهيدا لبيان دور "مع غ غ" في إعادة البناء التخاطبيّ؛ وتلك القيود هي :

(7) (ء) هناك أكثر من اللغة إذا تمّ تداول خطاب ما

(ب) يتواصل المتخاطبون إذا تبادلوا "معن" غالبا "غ غ"

(ج) تُستنفر "مع غ غ" ما إذا توفّرت "قوّة" تخاطبيّة ما

(د) تكون "مع غ غ" هي المقصودة إذا حصل التواضع بين المتخاطبين حولها

(هـ) تعدّ "مع" غ غ إذا لم تُمعجم بعدُ

أمّا القيد (7ء) فيقرأ كالتالي " هناك أكثر من اللغة إذا وفقط إذا تمّ تداول خطاب ما" لأنّ "المتصوّرات أكثر من مجرّد مقولات لغويّة، إنّها مقولات لغويّة وثقافيّة" (نفسه، 192، موشلار وريبول، 21)، إذن، هناك أكثر من "مع غ"، لأنّ اللغة وسيلة وليست هدفا، وهي مشدودة إلى التداول وإلى قوانين التخاطب أكثر ممّا هي تقعيد وتنظير، لذلك فإنّ "التواصل في بعض الحالات لا يمكن أن يكون حرفيّا فيُستدعى السياق" (نفسه، 25) أو المقام أو المكتسبات المخزونة في الذاكرة، فمثلا "موضوع البلاغة هو تحليل ما يشتمل عليه القول من اعتبارات مقاميّة.. بحسب منوال الدّالّة الرياضيّة على الصورة التالية :

(8) ق (م)

حيث "ق" رمز للمقام، و"م" رمز للكلام، ويكتسب المتغيّر "م" دلالته من الوظيفة "ق"، وتقوم بينهما علاقة تلازم تجعل خصائص "م" مقتضية لخصائص "ق" وتجعل "ق" مستلزمة لخصائص معيّنة في "م"" (المبخوت 2006، 25)؛ المقام، إذن، عنصر من عناصر الإحالة المتعلّقة بـــ"معن غ غ"، بالتالي يمكن لـــ(8) أن تكون (9) :

(9) ح (م)

حيث "ح" رمز الإحالة، و"م" رمز الكلام؛ ولتوضيح (9) نسوق المثال التالي (منيف 1986، 81) :

(10) كلّ شيء بوقته، يا زهوة، زين..

فإنّ المكوّن التخاطبيّ [زهوة]، مثلا، يتضمّن أكثر من "مع" أنّه اسم أو صفة أو أنّ الصائت الفتحة المصاحب للصامت الزاي يُمال إمالة خفيفة بسبب سمة الهمس في الصامت، أو غير ذلك، إنّه يتضمّن "مع" هويّة المتخاطَب معها التي قد تكون [حبيبة] أو [أخت] أو [مديرة عمل] أو [سائلة] أو [فَرَس] أو غير ذلك في علاقتها بالأنا. ثمّ إنّ "مع غ" ليست "مع خ" فريدة، إنّما هي "مع" ترافقها "معن" أخرى "غ غ" تنتقي منها الأنا$_1$ – أي الذّات منجزة الخطاب أو المتخاطِب – واحدة قد تناسب التي انتقتها الأنا$_{ن-1}$ – أي كلّ ذات شاركت في الخطاب سوى الأنا$_1$ – وقد لا تناسبها، فتكون "مع غ"، وغالبا ما تكون "مع غ غ".

وأمّا القيد (7ب) وهو " يتواصل المتخاطبون إذا وفقط إذا تبادلوا "معن" هي غالبا "معن غ غ"" فموافق لما ورد في الدّالّة الرياضيّة (2)، إذ يتبادل المتخاطبون "معن غ غ" ولا ينفكّون يتبادلونها، لأنّهم منشدّون إلى إحالة ما ذهنيّة، فمثلا "مدلول الكلمة "ماء" هو الصورة الذهنيّة للماء، لكن ما يمكن أن يكون مدلول "أمر"؟ أهو الصورة الذهنيّة للطلب ؟ أم محتوى النصيحة ؟ أم شكل التهديد ؟" (ASSARAF 2011, 111)، وقد يكونون منشدّين إلى إحالة خارجيّة، سياقيّة أو مقاميّة أو إلى كلتيهما.

فحوى القيد الثالث (7ج) هو أنّ "مع غ غ" ما تُستنفر إذا وفقط إذا توفّرت "قوّة" تخاطبيّة ما؛ و"لتكن الأقوال الأربعة التالية : (SEARLE 1962, 424، أيضا : ASSARAF 2011 ,112)

(11) (ء) آمرُ (أنا=جنديّ عاديّ) كَ (أنتَ=نقيب) بفعل ث

(ب) آمرُ (أنا=نقيب) كَ (أنتَ=نقيب) بفعل ث

(ج) آمرُ (أنا=جنرال) كَ (أنتَ=نقيب) بفعل ث

(د) آمرُ (أنا=جنرال) كَ (أنتَ= جنديّ عاديّ) بفعل ث

فكلّما كان لـــ"د"، أو الأنا$_1$، فارق موضعيّ (Δض) إيجابيّ مقارنة بـــ"ذ"، أو الأنا$_2$، كان لأمر د وزن وقوّة" (ASSARAF 2011, 112)؛ يمكننا، إذن، الحصول من خلال المثال المقدّم على الدّالة الرياضيّة التالية :

(12) قو=Δخ د ذ

حيث تُعتبر "Δخ" فارقا تخاطبيّا تعوّض "Δض" باعتبارها فارقا موضعيّا وتشملها.

وفي القيد الرابع (7د) تكون "مع غ غ" هي المقصودة إذا وفقط إذا حصل التواضع بين المتخاطبين حولها، حيث "مع غ غ" هي التي سمّاها سبربر وولسون "المعلومة المشتركة"" (SPERBER and WILSON 1995, 38) بين المتخاطبين مع شرط حصول المناسبة بين العناصر الإسناديّة، كما في (16) :

(13) رئيس الجمهوريّة التونسيّة المنصّب في 7 نوفمبر 1987 هرب

إذ تُعيّن "مع غ غ" العرفانيّة [زين العابدين بن علي] المشتركة بين التونسيّين، على الأقلّ، المقصود بـــ"مع غ" الواردة في (13)؛ إذن، يجب أن يكون هناك حدّ أدنى من

التواضع حتّى يحصل التواصل؛ يقتضي هذا القول أنّ هناك دائما اختلافا، هذا إن لم نقرّ ما أقرّه ستراوسن، حين قال إنّه "من الواضح أنّ أيّ أحد يقول الجملة "الحوت ثديّ" سيستخدم العبارة "الحوت" بطريقة مختلفة تماما عن الطريقة التي سيستخدمها أيّ أحد له فرصة جادّة لقول ذات الجملة" (STRAWSON 1950, 320).

و نضيف إلى القيود الأربعة المذكورة قيدا خامسا نراه ضروريّا، هو (7هـــ)، وفيه أنّ "مع" تعدّ "غ غ" إذا وفقط إذا لم تُمعجم بعدُ؛ هبْ أنّ الخطاب هو (14ء) أو (14ب) :

(14) (ء) غادرت عجّة الجانبون دون تسديد الحساب
(ب) ركبنا سفائن البرّ

فإنّ [عجّة الجانبون] في (14ء) كناية عن الزبون الذي طلب عجّة جانبون، وهي "مع" مشتركة بين النادل وصاحب المطعم، مثلا، فهي "مع غ غ"، ولم تبت لغويّة بعدُ، لأنّها لم تُمعجم بعد، أو لأنّها مُعجمت تداوليّا في المعجمين الذهنيّين للمتخاطبين و لم تُمعجم بعد قاموسيّا في المعجم الصناعيّ، في حين أنّ [سفائن البرّ] في (14ب) كناية عن الإبل التي هي مطايا شقّ البراري (مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة 2004، 434)، فهي "مع" تواضعت عليها العرب -- على الأقلّ - جميعا، فهي "مع غ" باتت لغويّة لأنّها مُعجمت.

تقيّد القيود المذكورة أثر "مع غ غ" في الخطاب المتداول بين المتخاطبين قبل بيان تدخّل "مع غ غ" في إعادة بنائه، وهو ما سنبحث فيه في الفقرة التالية.

3 - تدخّل المعلومة غير اللغويّة في إعادة بناء الخطاب

ذكرنا أنّ لـــ"مع" هندسة تحكمها فضاءات أربعة، حسب التمثيل (5)؛ والفضاءات لها علاقات مؤثّرة تأثيرا كبيرا في طريقة تمثّل "مع غ غ" باعتبارها هي نفسها تمثيلا للأنا وللعالم المحيط بالأنا، بذلك نفهم قول سبربر وويلسون : "كلّ البشر يعيشون في ذات العالم الفيزيائيّ، بيد أنّنا لا نقوم ببناء ذات التمثيل" (SPERBER and WILSON 1995, 38)، أي ذات الإدراك أو ذات المقْولة، أو، بتعبير أدقّ، إنّنا لا نبني تمثيلاتنا بل نعيد بناءها لسببين، أوّلهما أنّ التمثيل ذاته هو إعادة بناء ذهنيّ للأنا وللعالم المحيط بالأنا، والثاني أنّ ذهنيّة التخاطب سابقةٌ لغويّته، ففي الذهن "معن" مكتسبة خاضعة لسيرورة بناء قصيرة

الزمن، تخصّ سيرورة البناء تلك "مع1" المكتسبة في ذهن الأنا، أمّا إذا اكتُسبت "مع2" فسينطلق الذهن في عمليّة إعادة البناء(1)، وذلك وفق العلاقتيْن العامّتين التاليتين :

(15) (ء) هي–هي

(ب) هي–أخرى/أخريات

في العلاقة (15ء) تكون "مع" هي ذاتها لا تبديل فيها ولا تغيير، إذا حملت نفس صفاتها وخصائصها التمييزيّة دون التأثّر بالحالات النفسيّة الذهنيّة، ودون التأثّر بالمقتضيات الدلاليّة السياقيّة، ودون التأثّر بالظروف الزمانيّة والمكانيّة المقاميّة، بل حتّى دون التأثّر بدرجات النبر الصوتيّة اللغويّة، والعكس صحيح بالنسبة إلى العلاقة (15ب) إذ تتحوّل "مع1" إلى "مع2" أو "معن" وإن حُوفظ على بعض عناصرها، فيقدّم أحدها ويؤخّر الآخر، أو ينتقى منها واحد دون آخر، أو نحو ذلك، وبالتالي فإنّ عمليّات "البناء" هي في حقيقتها عمليّات إعادة بناء، فالصامت [م] لم يعد [م] في [ماما] إنّما هو [م+]، أي صامت مع علاقة تربطه بما يليه، إذا لم يكن هناك ربط مع ما قبله. بالتالي وانطلاقا ممّا ذكرنا، يمكن استخلاص الحدّ (16) :

(16) لا يكفّ المتخاطبون عن إعادة بناء معلوماتهم

و الحدّ (16) مرتبط ارتباطا وجوبيّا بفعل اكتساب "معن غ غ" – الغالبة – و"معن غ" أو التي هي في طور الاكتساب زمن التخاطب، والفاعل في إعادة البناء تلك هو الفضاءات الأربعة لـــ"مع" الممثّلة في (5).

فــ"بقول شيء ما نقوم بشيء ما" (AUSTIN 1962, 91)، ذلك القيام بشيء ما هو إعادة بناء للأشياء عموما، أي تمثيلها أو إدراكها أو مقْولتها.

فما الذي سنعيد بناءه ؟ وكيف ؟

---

1) خلال العمليّة التخاطبيّة يصعب التمييز بين من يبني ومن يعيد البناء، أي يصعب تحديد الجهة المؤثّرة في "البناء" وإعادة البناء، وهي مشدودة إلى ثلاثة : الأنا1 والأنان–1 والإحالة، فحضور ذاتين للتخاطب يجعل الذات الأولى "تبني" خطابا لكن هذا الخطاب يتأثّر بمكتسبات الأنا1 وبأفق انتظار الأنان–1 وبالظروف المكانيّة والزمانيّة الحافّة بلحظة التخاطب وما قبلها

"إنّنا، المتخاطبين، نعيد بناء الفضاء"؛ ذكرنا في (5) أنّ الفضاء التخاطبيّ رباعيّ، ذهنيّ وسياقيّ ومقاميّ ولغويّ، وكلّ فضاء من تلك الفضاءات الأربعة قابل لأن يُعاد بناؤه وفق توفّر "مع" وأثرها في إعادة بناء الخطاب بين المتخاطبين، سواء أكان ذلك الخطاب صادرا عن الأنا$_1$ أم صادرا عن الأنا$_{ن-1}$.

فبالنسبة إلى إعادة بناء الفضاء الذهنيّ (يُنظر خاصّة : FAUCONNIER and SWEETSER 1996, 8)، نرى أنّ في الذهن "معن" مخزّنة في ذاكرة قصيرة المدى ومتوسّطة وطويلة؛ تلك "معن" منها "معن غ غ" ومنها "معن غ"، وهي محكومة بحركة الأنا في العالم وبمكتسباتها النفسيّة والاجتماعيّة والدينيّة والسياسيّة والاقتصاديّة وغير ذلك وفق القيد (7ء)؛ في (11)، مثلا، تدلّ الإمكانيّات الأربع المذكورة على أنّ على المتغيّر (د) إعادة بناء خطابه ذهنيّا في (11ء) و(11ب) و(11ج) وفق الموضع الذي هو فيه إزاء المتغيّر (ذ)، وهو ما تؤكّده القوّة الموجودة في (12)، وحتّى إذا كان (د) ثابتا، كما هو شأنه في (11ج) و(11د) فإنّ عليه إعادة بناء خطابه ذهنيّا لأنّ (ذ) متغيّر، بل حتّى إذا كان (د) ثابتا وكان (ذ) ثابتا فإنّ على (د) إعادة بناء خطابه ذهنيّا، محكوما في ذلك بوجوب تقدّم الخطاب وتغيّره وبوجوب حركة (د) و(ذ) النفسيّة، على الأقلّ، أي بوجوب توفّر "معن غ غ" تساهم في عمليّات إعادة البناء تلك في الفضاء الذهنيّ المتغيّر، خذ مثالا على ذلك ما يلي (منيف1986، 81) :

(17) (ء) سألها :
(ب) كلّ شيء بوقته، يا زهوة، زين...
(ج) فلمّا تطلّعت إليه مستفسرة تابع :
(د) تركي يوم الرحيبة كان غير موجود، ويوم الجمرة كان الأوّل والتالي. وأنتِ نسيت الرحيبة وما عدت تذكرين إلاّ الجمرة. صحيح؟

فليس خطاب الأنا$_1$ في (17ب) هو ذاته في (17د)، إنّما هو متعلّق بعمليّات إعادة بناء تحكمها عمليّات اكتساب "معن غ غ" وتؤثّر فيها، وكذلك حال الأنا$_2$ النفسيّة، مثلا، إذ ليست، مع افتراض تضمنّها قوّة تخاطبيّة وفق (7ج) و(12)، هي ذاتها في (17ج)، رغم أنّ الأنا$_1$ والأنا$_2$ "ثابتتان".

وبالنسبة إلى إعادة بناء الفضاء السّياقيّ، فإنّ الخطاب سواء أكان مكتوبا أم مشافها منشدّ إلى تغيّر سياقه وتعدّده لأنّه خطاب متغيّر، وإذا كان السّياق متغيّرا، وبالتالي كان الخطاب متغيّرا، فذلك يعني أنّ الخطاب يشهد عمليّات إعادة بناء، وإذا كان الأمر كذلك فيعني أيضا أنّ سياقه المتعدّد، أو سياقاته، شاهد على عمليّات إعادة بناء قوليّة نصّيّة كتابيّا أو شفاهيّا، وبالتالي فإنّ صلة الخطاب بالسّياق تفرض وجود عمليّات إعادة بناء تحكمها "معن غ غ" المكتسبة، وفق القيد (7هـ)، والمعاد بناؤها حسب ظروف السّياق؛ وليكن مثالنا التالي (18) المنطلق (نفسه، 7) :

(18) (ء) أمّا حين خرج صوتُ أبو بكري بطيئا حزينا :

(ب) الله يشفيه ويطوّل عمره..

(ج) فإنّ هذا الجواب جعل حمود واثقا متأكّدا من استنتاجه.

يمكن استنتاج أنّ من "معن غ غ" السياقيّة هناك "مع" أنّ ضمير الغائب في [يشفيه] و[عمره] محيل إلى شخص مريض، لذلك "يسعى عدد كبير من الأعمال حول مواضيع لسانيّة محضة (مثل العائد الضميريّ) إلى التثبّت من الفرضيّات (اللسانيّة أو اللسانيّة النفسيّة) حول طبيعة العمليّات التي يقوم بها المتكلّمون لتعيين ضمير عائد، مثلا" (موشلار وريبول، 38). تلك العمليّات ليست إلاّ إعادات بناء لتعيين مكوّن لغويّ، فحسب، يمثّل الضمير الغائب، فما بالنا بالمكوّنات جميعا، بله العمليّات التي يُنطلق فيها من "معن غ غ" النفسيّة والاجتماعيّة ونحوها التي تؤثّر في إعادات بناء الخطاب بين المتخاطبين، كما رأينا في إعادة بناء الفضاء الذهنيّ؛ فالضمائر وحركتها والسياق وتغيّره عاملان مهمّان في إعادة بناء الخطاب، أي في إعادة بناء "مع غ"، كما في (17ب).

وأمّا إعادة بناء الفضاء المقاميّ ففيه أنّ المقام يحتوي متخاطبين وذواتا أخرى سوى المتخاطبين وأثاثا زمانيّا ومكانيّا يحيط بالمتخاطبين، أمّا المتخاطبون فيعيدون بناء تخاطبهم اعتمادا على "معن غ غ" و"معن غ" المكتسبة، وأمّا الذوات سوى المتخاطبين فقد يكون لها أثر في إعادة البناء تلك وقد لا يكون، إذ قد لا يتأثّر متخاطبان لوجود سحب في السماء، أو لتعوّدهما مرور سيّارات بجانبهما، فذلك الأثاث المقاميّ "لم يرق" لأن يمثّل "معن غ غ"، وقد يتأثّر متخاطبان عرفانيّا لوجود ذات ثالثة معهما، سمّاها شارودو "الثُّلُث

الحاضر-الغائب" (CHARAUDEAU 2004, 20)، فرديّة أو جماعيّة، بل قد يكون "الفراغ" الذي يملأ ذلك الفضاء مؤثّرا في إعادة بناء الخطاب.

ويمكن أن يتدخّل المقام، باعتباره محتويا "معن غ غ"، مرّتين في إعادة بناء الخطاب، مرّة بحركته، وأخرى بتسبّبه في حركة الخطاب، وقد يجمع القول "لكلّ مقام مقال" (يُنظر : الجاحظ، 376/3) بين الحركتين، فالمقام متحرّك، متغيّر، باعتبار "الفوضأة" (FAUCONNIER and SWEETSER 1996, 11) الزمانيّة والمكانيّة، والخطاب متحرّك بسبب تحرّك المقام باعتبار تأثّر المتخاطبين بالمحيط العرفانيّ التخاطبيّ المقاميّ، أمّا مثال الأوّل فهو (6ء)، وأمّا مثال الثاني فهو (6ب)؛ ولنأخذ مثالا آخر خاليا من الأعمال اللغويّة يقترحه سبربر وولسون (SPERBER and WILSON 1995, 42) :

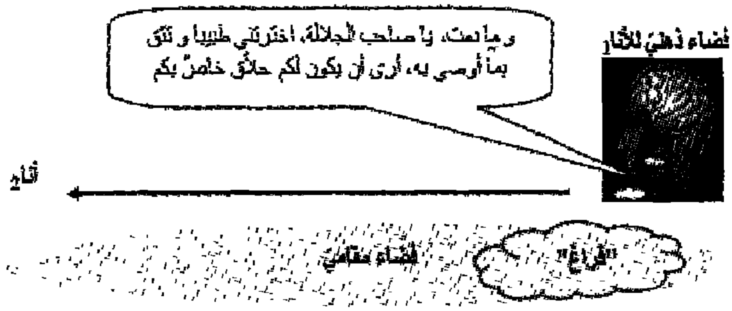
(19) (ء) يتشارك زيد وهند في ذات المحيط العرفانيّ
(ب) الهاتف يرنّ

أمّا (19ء) فهي معطى أو "معغ غ" تُؤطّر (19ب)، وأمّا (19ب) فيمكن اعتبارها حدثا غير لغويّ أو جملة قصصيّة تعبّر عن حدث، أو غير ذلك، وفي مختلف الإمكانيّات فإنّ (19ب) تعبّر عن عمل ما، وتحمل "معغ غ" ما، وهي "تابعة" لإحالة تحملها (19ء). تعيد "معغ غ" في (19ء)، إذن، بناء "معغ غ" في (19ب).

وأمّا بالنسبة إلى إعادة بناء الفضاء اللغويّ، فنذهب إلى أنّ الفضاء اللغويّ هو الفضاء الذي يشمل خطابا ما بمختلف مستوياته اللغويّة، الصوتيّة، مثلا، أو التركيبيّة، سواء أكان نصّا تامّا أم نصّا ناقصا، وسواء أكان جملة أم قولا؛ ولـــ"معغ غ" أثر في إعادة بناء الفضاء اللغويّ، وذلك انطلاقا من الإمكانيّات الثلاث التالية : أسبقيّة "معغ غ" عن "معغ"، ولاحقيّة "معغ غ" لـــ"معغ"، وتزامن "معغ غ" و"معغ".

أمّا الإمكانيّة الأولى فنعني بها أن يكون لتوفّر "معغ غ" في أحد الفضاءات الثلاثة الذهنيّ والسياقيّ والمقاميّ أثر قبليّ في إعادة بناء "معغ"، فإنّ "مع" وجود فراغ مقاميّ الواردة في (20) قبل إنجاز الخطاب في (20) دفعت الأنا1، وهي الحكيم، إلى أن تعيد بناء "معغ" للحصول على [النصيحة بتعيين صاحب الجلالة حلاّقا له]، ويمكن تمثيل ذلك بما يلي(يُنظر : منيف 1986، 89) :

(20)



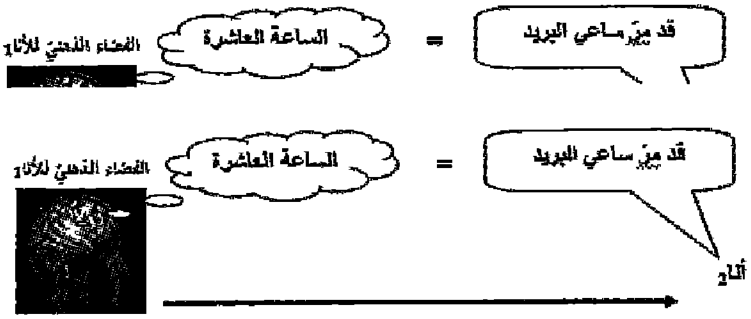
ففي الفضاء الذهنيّ للأنا$_1$ "معن غ غ"، هي، أوّلا، الأنا$_1$ باعتبارها حكيما، ثانيا، الأنا$_1$ تخاطب الأنا$_2$ باعتبارها صاحب الجلالة، ثالثا أنّ العلاقة الاجتماعيّة بين الأنا$_1$ والأنا$_2$ هي علاقة طبيب بمتطبّب خاصّ، هو صاحب الجلالة، تلك المعلومات الثلاث ذهنيّة "لا وظيفة تداوليّة لها"، لكن توفّرت "مع" إضافيّة جديدة مقيّدة بالقيد (7ج)، هي "معغ غ" مقاميّة أعيد بناؤها لتكون ذهنيّة قبيْل إنجاز الخطاب (20)، تتمثّل في أنّ الفضاء المقاميّ الذي يجمع الأنا$_1$ والأنا$_2$ موسوم بـ[فراغ] وفق القيد (7د)، سوى الأنا$_1$ والأنا$_2$ ؛ تلك "مع غ غ" الجديدة جعلت الأنا$_1$ "تعدل" عن بناء خطاب ما، أو عن إيصال "معغ" ما إلى الأنا$_2$، وتعيد بناء فضائها الذهنيّ بسبب توفّر تلك "مع" الجديدة المحوّلة من الفضاء المقاميّ؛ يمكن، إذن، اعتبار "معغ غ" المقاميّة هي القادحة للعدول عن بناء "معغ" قد تكون خطابا آخر، لملء ذات تخاطبيّة ثالثة، هي [صاحب الشرطة]، مثلا، الفراغ المقاميّ، إلى إعادة بنائها وفق مقتضيات المقام وما اكتسب ذهن الأنا$_1$ من "معن غ غ" منه وفق القيد (7ب) غيّرت حالتها النفسيّة من[-شجاعة]و[-إحساس بثقة الأنا$_2$]إلى[+شجاعة]و[+إحساس بثقة الأنا$_2$].

وأمّا الإمكانيّة الثانية فنعني بها أن يكون لتوفّر "معغ غ" في أحد الفضاءات الثلاثة الذهنيّ والسياقيّ والمقاميّ أثر بعديّ في إعادة بناء "معغ"، ومثالها هو (21) :

(21) (ء) كم الساعة ؟
(ب) قد مرّ ساعي البريد
(ج) العاشرة صباحا

في (21ء) "مع$_1$ غ" تتعلّق بـــ[طلب : تحديد الساعة الآن]، وفي (21ب) "مع$_2$ غ" هي [الاستجابة للطلب : الإخبار بمرور ساعي البريد الآن]؛ قد يبدو أنّ "مع$_2$ غ" لا تناسب "مع$_1$ غ"، لكن هات نرى ما حدث : تمّت إعادة بناء "معغ" في (21ب) اعتمادا على ما احتوته "معغ" في (21ء)، ففي (21ء) هناك طلب تحديد زمن ما، هو الآن، وفي (21ب) تمّ تحديد الزمن الآن بحدث مرور ساعي البريد، أيّ تمّ إنشاء علاقة مطابقة بين الزمن المطلوب وزمن حدوث فعل ما، من ثمّ يرى موشلار وريبول أنّه قد "لا تكون الإجابة ج (أي (21ب)) منسجمة (أو مناسبة) مع الاستفهام إلاّ إذا كان من البيّن للسائل والمجيب معًا أنّ ساعي البريد يمرّ في ساعة يعرفها كلاهما (مثلا على الساعة العاشرة صباحا)" (موشلار وريبول، 26)، فمدار جواب الاستفهام وعمليّات الإفهام والفهم والتدليل والاستدلال هو"معغ غ"المكتسبة لدى الأنا$_1$، أو المتخاطِب، والأنا$_2$، أو المتخاطَب معه، والمشتركة بينهما، أي "مع" المتواضع عليها، وفق القيد (7د)، بعد أن أُلقيت "مع" في

(22)



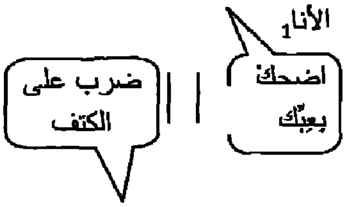
فلا تستطيع الأنا$_2$ أن تعيد بناء "معغ" إذا لم تكن تعلم أنّ الأنا$_1$ تعلم أنّهما متشاركتان في "معغ غ" التي ظهرت في الفضاء الذهنيّ للأنا$_1$ بعد أن أعادت الأنا$_2$ بناء "معغ" في (21ج) لتكون (21ب) بإجراء عمل استدلاليّ "غ غ" ترمز إليه العلامة [=]؛ إذن، إنّ لـــ"معغ غ" الذهنيّة أثرا بعديّا، يرمز إليه السهم في (22)، في إعادة بناء "معغ"، باعتبار أنّ الأولى لحقت الثانية لكن أثّرت فيها.

وأمّا الإمكانيّة الثالثة فنعني بها أن يكون لتوفّر "معغ غ" في أحد الفضاءات الثلاثة الذهنيّ والسياقيّ والمقاميّ أثر "متزامن"(2) مع إعادة بناء "مع غ"، ومثالها هو (23) (منيف 1986، 113) :

(23) (ء) قال له وهو يضربه على كتفه :
(ب) اضحكْ بعبِّك
(ب') شكرا لكَ

حيث تتزامن "مع غ غ" الواردة في (23ء) و"مع غ" الواردة في (23ب)، إذ في (23ء) "مع" هي [ضرب الأنا$_1$ كتف الأنا$_2$]، وفي (23ب) "مع" [مخاطبة الأنا$_1$ الأنا$_2$ بأمر الأولى الثانية بالضحك]، وتزامن المعلومتين في هذه الإمكانيّة الثالثة كائن بين أحوال المتخاطبين وأقوالهم، غير أنّ "مع غ غ" تبدو مؤثّرة في "مع غ"، لأنّ الأولى مصاحبة للثانية، فإذا كانت الثانية تعيّن فحوى القول الوارد في (23ب) فإنّ الثانية تعيّن فحوى حال الأنا$_1$، وبالتالي فإنّ (23ء) توجّه (23ب) نحو القيام بعملية استدلال مستنتجة من تعاضدهما للدلالة على معنى [سخرية الأنا$_1$ من الأنا$_2$] أو نحوها، ولا توجّهها نحو القيام بعمليّة استدلال مستنتجة من تعاضدهما للدلالة على معنى [استحسان الأنا$_1$ عمل الأنا$_2$] أو غيرها.

(24)



يتزامن في التمثيل (24) فعلا الأنا$_1$ القيام بالضرب على الكتف في (23ء) وبالكلام في (23ب)، ويتزامن أيضا فعلا الأنا$_2$ تلقّي الضرب على الكتف في (23ء) والكلام في

2) لا نعني بمقولة "التزامن" التزامن الكلّيّ، فذلك شبه مستحيل تخاطبيّا وخاصّة ذهنيّا، إنّما نعني به التزامن النسبيّ الذي فيه وقوع حدثين في "زمن واحد" على جهة التقريب لا جهة الإطلاق، لأنّنا نذهب إلى أنّ الذهن البشريّ لا يكتسب المعلومات مهما كان نوعها في زمن واحد ولا يُنتجها أو يعيد بناءها في زمن واحد أيضا، بل على مراحل، إذ إنّ الاستغراق الزمنيّ لإنجاز تلك العمليّات يكاد لا يلاحظ بالحواسّ المجرّدة

(23ب)، فتزامن "مع غ غ" في (23ء) و"مع غ" في (23ب) واقع لدى المتخاطبيْن الأنا1 والأنا2، إلاّ أنّ المعنى المتوفّر في "مع غ" يظلّ ناقصا إذا لم يُستكمل بتوفّر المعنى في "مع غ غ"، فــ"مع غ غ" متزامنة مع "مع غ" ومؤثّرة في إعادة بناء "مع غ" التي كان يمكن أن تكون (23ب') لا (23ب).

خاتمــة

وجب التمييز، إذن، بين "مع" التي تنتج عن فضاء غير لغويّ، ذهنيّ أو سياقيّ أو مقاميّ، و"مع" التي تنتج عن اللغة أي عن الخطاب المتوسّل فيه بوسيلة سيميائيّة هي اللغة، فالأولى "مع غ غ" يُتوصّل إليها بالاستدلال الذهنيّ، مثلا، انطلاقا من الفضاءات غير اللغويّة، والثانية "مع غ" يُتوصّل إليها انطلاقا من الفضاء اللغويّ.

فأنّى توفّرت "مع" في أحد الفضاءات الأربعة تتّصف بصفة الفضاء الذي توفّرت فيه، فهي ذهنيّة، مثلا، إذا توفّرت في الفضاء الذهنيّ، وأنّى كانت "مع" حاصلة لدى المتخاطبين أمكنت إعادة بناء الخطاب ولا تكفّ الذوات المتخاطبة عن إعادة البناء؛ لكن رغم لغويّة خطاب المتخاطبين إلاّ أنّ تلك الصفة لا تنفي أمرين، أوّلهما أغلبيّة "معن غ غ" على "معن غ"، وثانيهما أثر "مع غ غ" في عمليّات إعادة بناء الخطاب، وبالتالي في إعادة بناء "مع غ".

يبدو الربط، إذن، ضروريّا بين "مع غ غ" و"مع غ" باعتبار الثانية حاملة الأولى في الخطاب، وبينها وبين أعمال غير لغويّة، كالاستدلال باعتبار ذهنيّته، وبينها والقوّة والقصد والتواضع باعتبارها موجّهة عمليّة التخاطب، وبينها والفضاء الرباعيّ الذهنيّ والسياقيّ والمقاميّ واللغويّ، لتأكيد أثر "مع غ غ" في إعادة بناء الخطاب نتيجة العلاقات القائمة بين الأنا وذاتها والأنا والعالم، من جهة، ونتيجة المكتسبات المعرفيّة التي تحصّلها الأنا من تلك العلاقات، من جهة أخرى، مع محافظة عمليّات إعادة البناء على تخاطبيّتها عند تداول اللّغة.

مراجع البحث

1 - المراجع العربية

- الجاحظ (أبو عمرو) : *الحيوان*، دار الجيل، بيروت 1996.
- الجرجاني (عبد القاهر) : *دلائل الإعجاز*، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1994.
- المبخوت (شكري) : *الاستدلال البلاغيّ*، دار المعرفة للنشر، كلّيّة الآداب والفنون والإنسانيّات، منّوبة .
- مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة : *المعجم الوسيط*، ط4، مكتبة الشروق الدوليّة، مصر 2004.
- منيف (عبد الرحمان) : مدن الملح – الأخدود، ط 2، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت 1986.
- موشلار (جاك) وريبول (آن) : القاموس الموسوعيّ للتداوليّة، ط2، تر. عز الدين المجدوب وآخرين، المركز الوطنيّ للترجمة، تونس 2010.

2 - المراجع الأجنبية

- ASSARAF (Albert) : «Tous les performatifs en deux forces : Introduction au « système JP» » in la revue *Protée*, Université du Québec, UQAC, *vol. 39*, no 1, printemps 2011, pages 111-120
- AUSTIN J. L. : *How to Do Things with Words*, Oxford University Press, 1962
- BAUDET (Serge) : «Representation d'état, d'évènement et d'action », in *Langages*, 1990, v 25, n°100, pp 45-64
- CHARAUDEAU (Patrick) : « Tiers, où es-tu ? A propos du tiers du discours », in CHARAUDEAU (Patrick) et al. : *La voix cachée du tiers : des non-dits du discours*, l'Harmattan, Paris 2004, pp 19-41
- FAUCONNIER (Gilles) and SWEETSER (Eve) : «Cognitive Links and Domains : Basic Aspects of Mental Space Theory», in : *Spaces, Worlds and Grammar*, The University of Chicago, 1996, pp 1-28
- FILLMORE (Charles J.) : - « Types of Lexical Information » , in : STEINBERG (Dammy D.) and JAKOBOVITS (LEON A.) : *An Interdisciplinary Reader in Philosophy Linguistics and Psychology*, Cambridge University Press, 1971, pp 370-409
- GEERAERTS (Dirk) : « Grammaire cognitive et sémantique lexicale », in *Communications*, trad. Claude Vandeloise, 1991, v 53, n°53 « Sémantique cognitive», pp17-50
- GRICE (Paul) : *Studies in Ways of Words*, Havard University Press, 1991
- JACKENDOFF (Ray) : *Foundations of Language : Brain, Meaning, Grammar, Evolution*, Oxford University Press, 2002
- MARGOLIS (Eric) et LAURENCE (Stephen) : «Concepts and Cognitive Science», in MARGOLIS an d LAURENCE, : *Concepts, Core, Readings*, MIT Press, 1999, pp 3-82
- PUTNAM (Hilary) : *Representations and reality*, Cambridge, Massachusetts, MIT Press, 7th ed, 2001
- ROSCH (Eleanor) : « Principles of Categorization », in MARGOLIS and LAURENCE, : Concepts, Core, Readings, MIT Press, 1999, pp 189-206
- SEARLE (John R.) : - « Meaning and Speech Acts », in *The Philosophical Review*, vol 71, n°4, oct. 1962
- *Expression and Meaning : Studies in the theory of speech acts*, Cambridge University Press, 1979
- SPERBER (Dan) and WILSON (Dreidre) : *Relevance, communication and Cognition*, 2ed, Blackwell Publishers, Cambridge Massachusetts 1995
- STRAWSON (P.F.) : « On Referring », in *Mind*, New Series, vol 59, n°235, jul. 1950

ملاحظات في إعادة البناء والاشتقاق الطّوري

حيـــاة يفـــرني

مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول، منوبة

مقدمة

يكمن الهدف الأساسي في أعمال تشومسكي في تفسير كيفية اشتغال النّظام اللغوي، لذلك ما انفكّ يطوّر المقاييس اللغوية ليرتقي بها إلى مراتب الكفاية المناسبة، بغاية تفسير الفروق بين اللّغات. ويبدو ذلك جليّا منذ كتاباته الأولى مرورا بنموذج المبادئ والمقاييس ووصولا إلى مرحلة الأدنوية حيث ترسّخت نظريّته. والتّوليدية غنيّة بالآليات والظواهر التي تعمل على تفسير كيفية اشتغال النظام اللّغوي وآشتغال الذّهن بطريقة مثلى. وتُعدّ عمليّة "إعادة البناء" آلية من بين الآليات التي يمكننا القول أنّ ملامحها بدأت في الظّهور تركيبيّا منذ كتاب تشومسكي(1957)، وتبلورت خاصة في نظرية العمل والربط، وتواصلت إلى مرحلة الأدنويّة. واختلفت طرق تناولها في التّوليدية وتعدّدت تعريفاتها بتعدّد زوايا دراستها أو تطبيقاتها في مستوى التركيب. فيعرفّها "ابشتاين" على سبيل المثال، بأنها تعاملٌ مع عنصر من عناصر التركيب منقول داخل البنية الجمليّة، من خلال تأويل الموضع الذي كان يحتلّه في بداية اشتقاق الجملة تركيبيّا (ابشتاين، 2001، 192). ويقترب تعريف "لاسنيك" من التعريف السابق بصياغة مختلفة فيرى أنّ إعادة البناء، ظاهرة يتمّ فيها تأويل عنصر منقول داخل البنية التركيبية، في موضعه الأوّلي قبل نقله (لاسنيك، 2002، 433). ولسنا نرمي من خلال ما ذكرنا من تعريفات إلى جمعها أو إلى بيان أيها أصْوب، بل يتمثّل هدفنا من خلال بحثنا إبراز إعادة البناء في شكل من أشكال حضورها في التركيب.

وفي هذا البحث، ومواكبةلآخر النظريات التوليدية وأحدثها " نظرية الأطوار"، عرّفنا الطّور. تمّقمنا بتحديد مكان إعادة البناء تركيبيّا دخل الطّور، وأخيرا تحدّثنا عن الدّورية ودورها في إعادة البناء داخل كل طور.

1- مالطّور ؟ (Phase)[1]

أثرى العديد من اللسانيين ومنهم تشومسكي في برنامجه الأدنوي (1995) مفهوم الأثر بأن اقترح أن النقل التركيبي لمكون من مكونات الجملة أو المركّب، يترك نسخة مماثلة له في مكانه المحوري الذي انتقل منه. ومن ثمّ يتم تحليل ظاهرة إعادة التركيب كما لو أنها ناتجة عن نظرية النقل عن طريق النسخة. فيقترح تشومسكي وفقا لذلك وجود صلة وثيقة بين إعادة البناء والنقل. وفي كل مرة تظهر مظاهر إعادة البناء، إلا وتتّخذ عملية النقل مكانها في الاشتقاق. وبما أنّ النّقل من العمليات الأساسية في نظرية الأطوار، فكيف يحدث وأين تتمّ إعادة البناء داخل الطّور ؟

الأطوار، طريقة حديثة لنمذجة النظام الحوسبي للغة البشرية، أو ببساطة، الحوسبة في ما يتعلق بالمستويين التواجهيين في الاشتقاق الإعرابي، ومستويات التمثيل، والمعروفة باسم الشكل المنطقي والشكل الصوتي.

تعود الصياغة الأصلية لمفهوم الطور إلى تشومسكي(1999). وشهد هذا المفهوم تعـــديلات جدّيّة في كتابات تشومسكي اللاحقة للاشتقاق الطوري، خاصة منها مقالات "(2005) On Phases "و" (2005) "ThreeFactors in languagedesign" "و" (2007)Approaching UG frombelow ".

الطور، قسم فرعي من الاشتقاق قائم بذاته، يبدأ بتعداد وينتهي بتهجية.وعند الوصول إلى نقطةالتهجية، يتم إرسال رأس الطور "المحدّدله"إلى كلّ منمكوناتالشكل الصوتي والشكل المنطقي لتأويله.واعتبر أنّ مركّب الفعل الضامر المتعدّي، والمركب المصدري فقط هما مما يشكل أطوارا، بل وهما طوران قويان (تشومسكي، 2001، 12)

---

1) لقد استعملنا مصطلح "طور" لأن الجملة تتكون من أطوار مرصوفة الواحد فوق الآخر مثل الأطوار في التجارب الفيزيائية. وهو ما اصطلح عليه اللّسانيون المغاربة بالرّحيلة أو المرحلة.

وبناء عليه، تقطع بنية الجملة البسيطة إلى طورين، طور مركب الفعل الضامر[2] (vP) الذييعبّر عن القضية الأساسية، وطورالمركب المصدري[3] (CP) الذي يضيف كل المظاهر الأخرى للمعنى. واعتبر تشومسكي في مقاله (عن الأطوار، 2005) المركب التّعييني Determiner Phrase(DP)[4] طورا. وتنفذ في مستوى الطور، عمليتان أساسيتان هما: النقل إلى المستويين التواجهيين، والنظم بنوعيه الداخلي والخارجي.

2- مكونات الّطور

يتكون الطور من ثلاثة أجزاء : رأس، ومتمم، ومخصّص. ويمكن تقسيم الطّور إلى مجالين هما حيّز (The domain) وطرف (The edge). ويعتبر الحيّز الجوهر المعجمي للطور، حيث يعالج مسائل مثل بنية المحمول. أما طرف الطور، فيكون أعلى الحيّز، وتكمن وظيفته أساسا في أنه فضاء للنقل وللمظاهر التفسيرية غير النواتية (القوة، التبئير...). ويعتبر "م.مص" طرف الطور، الذي يتعامل مع التسوير والمتغيرات داخل الطور. أماحيّز الطور فهو موجود أسفل متمّم رأس الطّور يتعامل مع الخصائص المتعلقة بالمحمول. وما إن تنفّذ كل العمليات داخل طور، حتّى يصبح حيّز الطور (متمم رأسه) غير قابل للاختراق للقيام بعمليات تركيبية. وهو ما اصطلح عليه تشومسكي ب"شرط عدم اختراق الطور"[5] (Phase Impenetrability Condition). ويقود رأس الطور عملية النقل، فيدخل مقولة إثر مقولة، إلى أن يصل إلى نقطة يقف عندها. ويمكن أن يكون رأس الطور موضع المطابقة، فينتقي الزمن(T) ويعين له سماته المطابقية غير المقيّمة.

ويبين الرسم التّالي الخاص بجملة Maria studiedlaws مجالي الطّور:

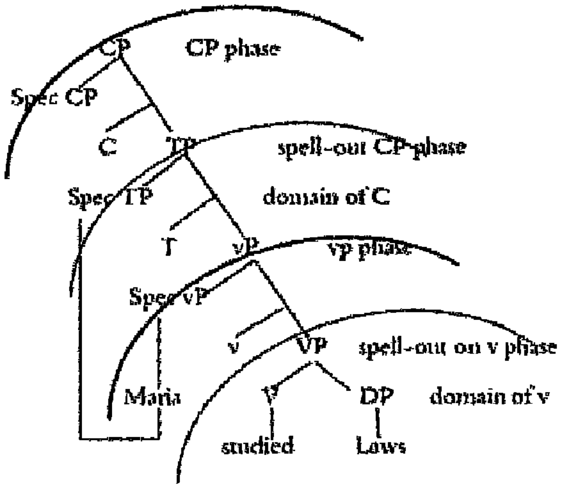
---

2) نرمز إلى الفعل الضامر بـــ " فـــ "

3) نرمز إلى المركب المصدري " م.مص"

4) نرمز إلى المركب التعييني "م.ت "

5) يعيد رادفورد صياغته في (2009 ص 380). حيّز التحكم المكوني لرأس الطور غير قابل للاختراق من مترشح خارجي، (هدف تم التحكم فيه مكونيّا من طرف رأس طور ليس قابلا للاختراق لأيّ مترشح يتحكم مكونيا في الطور)



studiedLaws (كراتزر، 2007، 104)

حسب التمثيل السابق، يمثّل الخطّ المنحني الغليظ حدّ طوريْ الجملة. ويمثّل متمّم رأس الطّور، مجال التهجية في الطّور الأدنى أي طور مركب الفعل الضامر. وتُسند التّهجية تمثيلا صوتيّا لعناصر"مجال التّهجية"(Spell-out domain) في كل طور وهو ما تمّ تحديده في الرسم بالخطّ المنحني الرّقيق. ويُعدّ متمّم رأس الطّور مجال التّهجية لكلّ طور. ويمثّل المركب الفعلي(VP) في التّمثيل، متمّم رأس الطّور الأدنى وهو الفعل الضامر(V)، وتأخذ التّهجية موقعها خلال طور مركب الفعل الضامر على المركّب الفعلي الذي يضمّ المفعول(laws) والفعل (V).

وفق الاشتقاق الطّوري، لكي يتم نقل عنصر أو عناصر من الطّور، فإن ذلك العنصر يجب أن يكون موجودا على طرف ذلك الطّور. ويكون ذلكإمّا بأن ينظم في المكان الذي سينقل إليه، وإمّا بنقله هناك. ويتم النقل إلى طرف الطّور بواسطة "سمة مبدأ الإسقاط الموسّع"(EPP Feature) التي تدفع بالمحمول ضمن حيّز رأس الطّور إلى الانتقال ليفحصها. ويفترض أن يكون النّقل دوريّا، إذا كانت ظاهرة إعادة البناء قائمة على وجود نقل تركيبيّ. وتمثل الدّورية آلية قوية لإظهار إعادة البناء المعتمدة على النقل التركيبي. كما تؤكّد ظاهرة إعادة البناء الفرضية القائلة أنّها تعمل بطريقة دوريّة تاركة خلفها نسخة للعنصر المنقول في كل موقع وسيط. وسنوضّح ذلك باعتماد الجملة التّالية:

What do youthink [$_{CP}$what [$_{C'}$that Mary boughtwhat]] ? (1)

انتقل المصدري (What) من آخر الجملة إلى المركب المصدري(CP) ثم انتقل إلى رأس الجملة. وكلما انتقل ترك وراءه نسخة لا تُؤوَّل في المستوى الصوتي.

سينقلناحديثنا عن دوريّة عمليّة النّقل، إلى الحديث عن الدّوريّة في نظرية الأطوار وعلاقتها بإعادة البناء.

3- الدّوريّة وإعادة البناء الطّوري

يمكن اعتبار الطّوريّة أو نظرية الأطوار، أحدث المناويل أو النظريات التوليدية التشومسكيّة، مجالا تظهر فيه آلية إعادة البناء في التركيب بوضوح. كيف ذلك ؟

اعتبر تشومسكي الدوريّة[6] (Cyclicity) من أبرز خصائص الأطوار، حيث أنّها تقلّص من تعقيد الحوسبة، إذ تحدّ من مجال البحث الذي يجب أن يعتمد الآليات اللسانيةّ(سفنونيوس، 2001، 7).

بعد أن كانت العمليات الحوسبية في النماذج التي سبقت الاشتقاق الطوري تنفّذ مرة واحدة في آشتقاق الجملة تركيبيّا، أصبحت تتكرر في بناء كل طور. وبذلك، تكون عملية اشتقاق الجملة تركيبيّا دورية، حيث يجري دخول المعجم دوريّا. كذلك عمليات الانتقال، والمطابقة، والتهجية. واعتبر الطور في حد ذاته دورة أو دوريّا. وسنتبين من خلال النّظر في دوريّة كل عملية من العمليات الحوسبية، أنّ كل عملية منها تنتهي مهمتها في الطور الأول لتعمل في الطور الموالي فتساهم في إعادة بنائه ؛ وهكذا إلى اكتمال بناء الجملة تركيبيا وتأويلها في المستويين التواجهيين.

1.3- الدخول الدّوري إلى المعجم

جعل تشومسكي، التعداد (Numeration) في برنامجه الأدنوي، مرحلة أولى من مراحل الاشتقاق، تتضمّن مجموعة العناصر المعجمية أي المفردات التي تتكون منها الجملة

6) cyclicity :تطبق العمليات التركيبية مثل المطابقة والنقل بطريقة دوريّة، في كل مرة يُنظم راس مركب إلى مكوّن آخر، تبدأ دورة جديدة للعمليات التركيبيّة.

لا يمكن دخولها إلا مرة واحدة. أما في نظرية الأطوار، فقد تم تقليص تعقيد الحوسبة، باستعمال جزء من السلسلة المعجمية.

وجزّأ تشومسكي لتحقيق ذلك، النسق المعجمي(Lexical Array) إلى سلاسل معجمية فرعية، للحدّ من تعقيد الاشتقاق، حتى تتمكن كل مجموعة فرعية من تزويد الطّور الخاص بها بعناصره المعجمية(شيوبارا، 2006، 1) ويبين تحليل تركيب الجملة الموالية، ما ذهبنا إليه :

There was arumour that a man was in the room (2)

تم تقسيم المجموعة المعجمية إلى أربع مجموعات فرعية، كالتالي(فنجر، 2008، 3) :

LA = {{C, there, T}$_4$ {be, a, rumour}$_3$ {C, that, T}$_2$ {be, a, man, in, the, room}$_1$}

ونوضح اشتقاق الجملة كالآتي (نفسه، 4) :

A. [$_{TP}$T$_{[EPP]}$be a man in the room] – *Merge*T
B. [$_{TP}$ a man was$_{[EPP]}$~~be a man~~ in the room] – *Move* a man *& check* EPP
C. [$_{CP}$ that a man was$_{[EPP]}$~~be a man~~ in the room] – *Merge* C/that
D. [$_{TP}$T$_{[EPP]}$ [be a rumour that a man was$_{[EPP]}$~~be a man~~ in the room]] – *Merge* T
E. [$_{CP}$ [$_{TP}$ there was$_{[EPP]}$~~be~~ a rumour that a man was$_{[EPP]}$~~be a man~~ in the room]] – Mergethere *& check* EPP

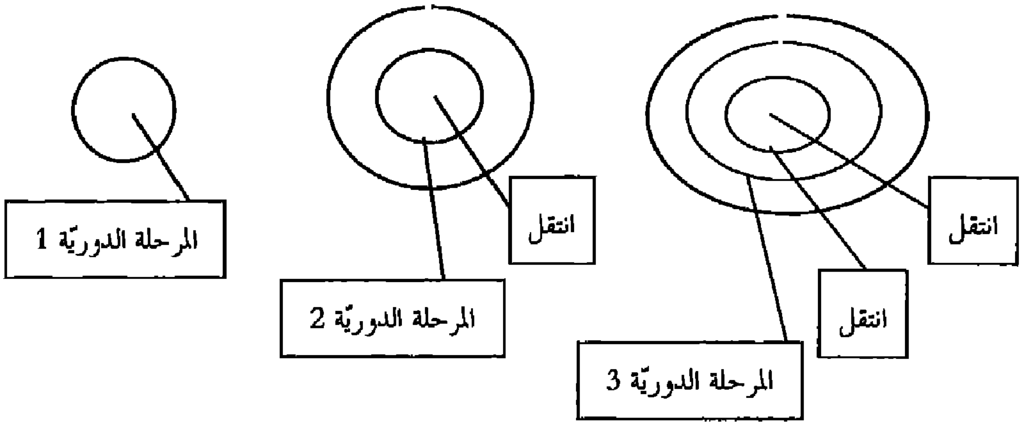
في الطور الأول تم نظم الزمن مع صيغة فعل الكينونة (be) ضمن المجموعة الفرعية الأولى. وفي مرحلة موالية، تم نقلُ المركب التّعييني(a man) وفحصُ مبدإ الإسقاط الموسع (EPP). إثر ذلك، تم نظم المصدري(that) فانتقل إلى رأس المركب. وتمّ نظم الزمن (T) فتصدّر المركب الزمني (TP) رأس الجملة. وفي مرحلة أخيرة، تمّ نظم المضمر(there)، فيُنقل إلى صدر الجملة ويُفحص مبدأ الإسقاط الموسع (EPP)[7]. ويكمن الهدف من وجود مكون زمني (T) في الحصول على مخصص، وهو نتيجة لحصول الزمن على سمة مبدأ الإسقاط الموسع، التي تفرض إسقاط مخصص.

7) هو مبدأ يفترض أنّ كل مكوّن زمني يجب أن يُوسّع داخل إسقاط مركب زمن (TP) له مخصص (رادفورد، 2004، 314).

وتتقدم الحوسبة طورا بعد طور، مع إمكانية الدخول المتكرّر إلى السلسلة المعجمية، أو بتحديد رأس الطور فقط، الذي يعتمد في النهاية المصدري أو الفعل الضامر، باعتبارهما الطورين الأساسيين. وما إن يكتمل الطور ما، حتى يُسَلّم إلى المستويين التواجهيين بواسطة عملية التحويل(غاليغو، 2007، 58).

2.3- الانتقال الدوري Cyclic Transfer

يمكن تمثيل الانتقال الدوري كالآتي:



(غاليغو، 2010، 41)

يبيّن هذا الرسم، كيف تتحرك الحوسبة من المرحلة 1 إلى مرحلة 2 ثم إلى المرحلة 3 حسب طريقة مرحلة-مرحلة. وما إن تكتمل الدورة الأولى وتنقل إلى المستويين المتواجهين، حتى ينتقل النظام ليعمل على الدورة الثانية ثم التالية، وهكذا.

يعتبر تشومسكي في مقاله (2005) أن الحذف جزء من النقل الدوري، الذي يمكنه أن يصيب فقط حيّز متمّم الطّور. وبالتالي يجب على السمات المطابقية أن تكون موجودة في الفعل والزمن. لأنها إن بقيت في المصدري وفي مركب الفعل الضامر المتعدي *V، لا يمكن تمييزها من السمات المؤوّليّة في مراحل اشتقاقية متتالية.

ويرى تشومسكي في "الاشتقاق الطوري" وفي "ماوراء الكفاية التفسيرية " أن الانتقال الدّوري يأخذ مكانه في الاشتقاق، في مستوى الطور، بأن يضفي قيمة على

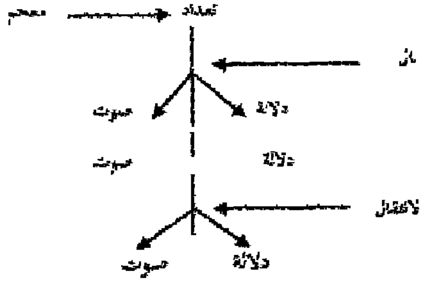
السمات غير المؤولية، ليتم محوها لاحقا. ولكن أين يوجد موقع الانتقال والمحو في الاشتقاق ؟

بعد أن ذكر تشومسكي، أن التقييم يتدخل قبل الانتقال الدوري بوقت قصير، كما يبينه الرسم التالي (غاليغو، 2010، 57) :

(المحو) الانتقال ←—— التقييم

أعاد النظر في ما طرحه في الاشتقاق الطّوري، ثم صاغ الفكرة كالآتي : يعمل التقييم والحذف للسمات غير المؤولية بالتوازي، باعتبارهما من الانتقال الدوري.

ولايدخل كل مستوى من المستويين التواجهيين، في منوال البرنامج الأدنوي، التركيب إلا مرة واحدة، في آخر الاشتقاق، بعد عملية التعداد. وبذلك تم الحد من عملية الانتقال. واقترح"ابشتاين" نموذج الانتقال المتعدد(Multiple-transfer) في نظرية الأطوار، كما يتبين ذلك من الرسم التالي :



(مارك ريشاردس، الأدنوية، 2009، 25)

يتحقق الانتقال المتعدد عند تجزئة النسق المعجمي في التعداد إلى سلاسل معجمية فرعية. ويتواصل الاشتقاق على أساس استنفاذ السلاسل المعجمية، الواحدة تلو الأخرى، مع اعتماد نقل واحد عند استنفاذ كل سلسلة معجمية. وتكون السمات غير المؤولية القادح للنقل كما قدمها تشومسكي في الاشتقاق الطوري، حيث تضم كل سلسة معجمية فرعية رأسا واحدا من رؤوس الأطوار، وهي المصدري أو الفعل الضامر. أما المفهوم الآخر للأطوار،فيستند إلى فكرة تقوم على اعتبار الانتقال الدّوري ضروريّا لإنتاج تراكيب مشروعة في المستويين التواجهيين.

وسواء اعتبرت الأطوار أم الانتقال الدّوري سلاسل فرعية أو مواضع للسمات غير المؤولية، فقد اعتبرها تشومسكي تبسيطا للحوسبة التركيبية (ايان لندو، 2003، 12). وذكر في مقاله(2007) أنّ الأطوار تسهم في التصميم الأمثل للّغة من خلال تنفيذصارم للدوريّة. وأكّد في مقاله (2005) على التخلص منالمستويين الداخلي، والدّورات الزائدة في الصورة المنطقية(والتعييناتفيالمستويين التواجهيين) التي تقدمها الأطوار، مما أسفر عن الدورة الواحدة (تشومسكي، 2005، 25).

3.3 – المطابقة الدورية Cyclic Agreement

تُعرفُ الدورات الملائمة للنقل الدوري المتعاقب، ضمن الأدنوية، على أنها أطوار. وتؤلف الأطوار بين الدوريّة والموضعيّة(Locality). وتمثل حاشية الطور(Boundary) حدّا علويّا على طول التنقل، ممّا يدفع بالنقل إلى الدخول دوريا بواسطة فتحة الهروب (hatch escape) الموجودة على طرف الطّور، الذي يكون مخصص مركب الفعل الضامر أو مخصص المركب المصدري. وسنوضح ذلك بالمثال التالي :

(3) a - What did John read ?
b - [$_{CP}$ what did [$_{TP}$ John T [$_{vP}$ *(what)* [$_{vP}$ *(John)* [$_{VP}$ read (*what)*]]]]]

يكمن الإشكال في : كيف يمكن للزمن(T) أن يرشح الفاعل(John) متجاوزا أثر أو نسخة أداة الاستفهام (What) في مخصص مركب الفعل الضامر, وتضم نسخة أداة الاستفهام نوع السمات التي يبحث عنها الزمن (T) المترشح، لذلك سوف تسعى إلى منع مطابقة(T) و(John) باعتبارها أقرب هدف إلى (T). فاقترح تشومسكي أن تُعتبر الأطوار أحيازا، وبالتالي تعمل كل العمليات ضمنها بالتوازي، وخاصة المطابقة والتحويل. لذلك يمكن لـــ (C) أن يرشّح(What) ويزيحها إلى مخصص المركب المصدري قبل أن ترشّح (T)(John) وهكذا يتم إبعاد العنصر المانع من المطابقة.

وترتبط المطابقة في الأطوار، بتطابق سمات المترشح المؤولية، مع سمات الهدف غير المؤولية، ضمن الطور المعني بالاشتقاق. وإثر المطابقة يتم محو السمات، ويصبح هذا الطور غير قابل للدخول في عمليات حوسبية أخرى. سنوضح ذلك بالمثال التالي :

(4) ماذا قرأ زيدٌ ؟

يعتبر المصدري "ماذا" مفعولا به، في الصورة المنطقية، ولكنه يتقدم إلى صدر الجملة، لأنه موضوع الاستفهام. وتحلل الجملة بالطريقة التالية :

[م.مص ماذا قرأ [م.ز زيدٌ ز [م.ف.ض(ماذا)[م.ف.ض (زيدٌ) [م.ف قرأ (ماذا)]]]]][8]

يتقدم المفعول على الفاعل في مرحلة أولى، ولكنه لا يتطابق معه، فينتقل إلى صدر الجملة. وفي نفس الوقت يتحرك الفاعل من موقع ليصبح متمما للزمن؛ وتتم هذه العمليات متوازية.

4.3 – التهجية الدورية Cyclic Spell-out

كانت عملية التهجية في البرنامج الأدنوي تطبق مرة واحدة، عند الانتهاء من اشتقاق الجملة، بعد التأكّد من سلامتها نحويّا. لكن في الأطوار، تتكرّرعملية التهجية كلما تم بناء طور. وظهرت فكرة تكرار عملية التهجية وسمّيت بالتهجية الدورية منذ مقال تشومسكي"بحوث أدنوية"(1998)، لكنها تأكدت في الأطوار(جوني بطلر، 2004، 187).

لقد ذهب تشومسكي، في برنامجه الأدنوي، إلى أنّ السمات المؤولية يتم محوها بعد أن تفحص قبل التهجية، لكن قالبها(Maitrix) يبقى موجودا. واقترح في "الاشتقاق الطوري" أنه عوض أن تحضىالجملةبتهجية واحدة، فإنّعملية التهجية تتكرر، فتصبح دورية، بمعنى أن السمات التي تمّ حذفها ستُمحى، لكن بعد أن تُرسل إلى المكون الصوتي، في مستوى الطور. وعليه، فان عملية التهجية الدورية ضرورية لفحص السمات. ويجب أن تكون قادرة على تحديد السمات غير المؤولية حتى يتم نقلها. وللعمل دون إعادة الاشتقاق، يجب أن تطبق عملية التهجية، بعد أن يتمّإسناد قيمة للسّمات غير المؤولية، بوقت قصير. وككل العمليات الحوسبية السابقة ، أصبحت عمليّة التّهجية دورية.

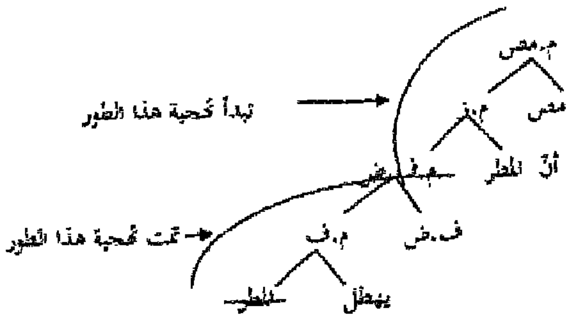
وسنمثل للتهجية الدّورية من خلال هذه الجملة :

---

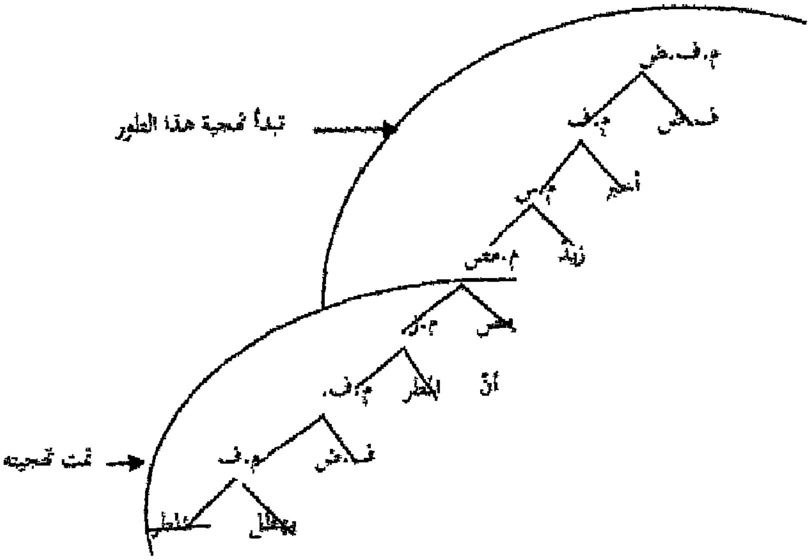
8) "م. ف.ض " = مركب الفعل الضامر، و(ماذا) و(زيد) = نسخا للعناصر الأصلية

(5) إنَّ زَيـــدًا أَخبَرَ أنَّ المطرَ يهطلُ

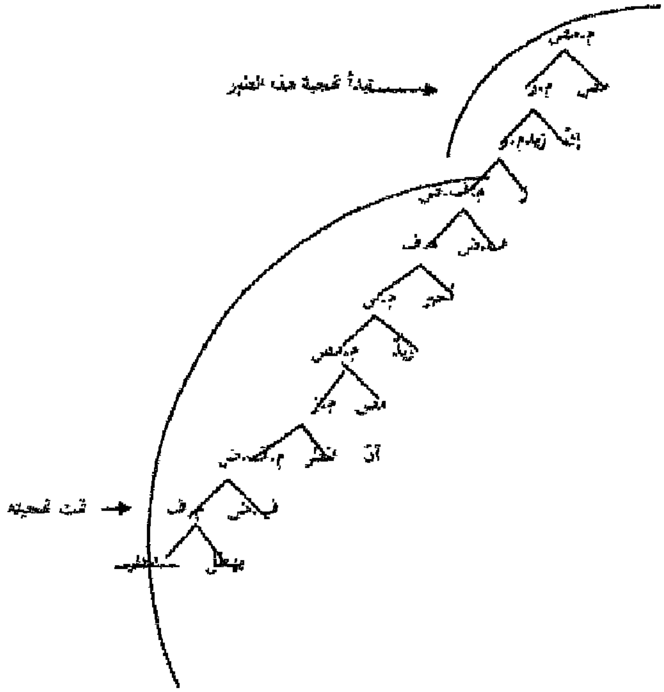
في الطور الأول، تمّنظم الفعل "هطل" مع الموضوع " المطر" لتكوين المركب الفعلي. بعد ذلك نُظم الفعل الضامر إلى الموضوع الخارجي" مركب الفعل". ثم تتمّ تمجية هذا الطور. ويتواصل الاشتقاق بنظم الزمن مصرّفا، وينتقل الموضوع الخارجي ليفحص الزمن. فينتهي بناء الطور الثاني بنظم المصدري، ثمّ تتمّ تمجية الطّور الأول. وبعد ذلك، تبدأ تمجية الطور الثاني حسب التمثيل التالي :



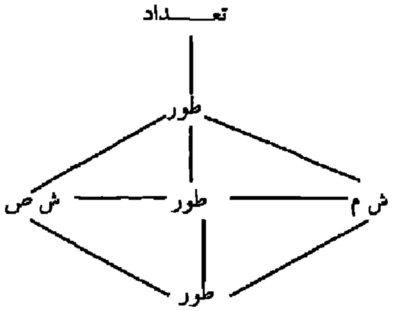
ويتواصل الاشتقاق، فينظم الفعل "أخبر" ثمّ فعله الضامر. وبعدها تتم تمجية مركب الفعل الضامر على النحو التالي :



ويتم نظم الزمن، ويُنقل "زيد" إلى مخصص المصدري. وأخيرا يتم نظم المصدري ليصبح صدر الجملة الفعلية المركّبة. وما إن تتم تمجية الطور الثالث حتى يبدأ الطور الأخير في التشكّل حسب التمثيل التالي :



ويمكن تمثيل دوريّة التهجية كالآتي :



كوك، 2008، 2

خاتمـــة

لقد حافظ تشومسكي في مناويله و مقارباته و نظرياته على آليات الاشتقاق التركيبي بمقتضى الطّور في بناء الجملة. وتُعتبر عمليّة إعادة البناء من بين الآليات

التّي تمظهرت بطرق مختلفة على مدى مراحل التّوليدية. وقد تناولها اللّسانيون من زوايا بحث مختلفة. وبما أنّ إطار بحثنا"الاشتقاق الطّوري"، فقد بحثنا في "إعادة البناء" من

خلال نقل العناصر من موضع إلى موضع آخر داخل الطّور الواحد، ومن ثمّ، انتقال عنصر معجمي داخل التشجير ليساعد على بناء الطور الموالي.

واعتبرنا الدّوريّة مظهرا من مظاهر "إعادة البناء" في توليد المركبات التي تسهم في تشكّل الجملة، حيث لم تقتصر على عملية حوسبيّة دون أخرى، بل طالت جميع العمليات الحوسبيّة بداية من دخول المعجم ووصولا إلى عملية التهجية، وتأويل كل طور في الصورة الصوتية والصورة الشكلية.

ونشير في الأخير أنّ تشومسكي في سعي مطّرد إلى البحث عن طريقة مثلى لتفسير اشتغال اللغة في الذّهن، لذلك نجده أحيانا كثيرة يعود إلى آليات أو فرضيات قديمة توليديّا، قد تمكنه من تحقيقه "مشروعه الكلّي".

مراجع البحث

- Butler,Johnny. 2004. Phase structure, Phrase structure and Quantification. theUniversity of York, departement of language and Linguistic Science
- Chomsky, Noam. 1995a. The Minimalist Program. cambridge,MA : MIT Press
- Chomsky, Noam. 2001. Derivation by Phase. Cambridge, MA : MIT Press
- Chomsky, Noam. 2005. On Phases.(MIT)
- Cook, V.J and Newson, Mark.2008.Chomsky's Universal Grammar : An introduction. Third edition . Blackwell Publishing
- Epstein, Samuel David and Norbert Norstein. 2001. working minimalism. Massachussets Institute of Technology
- Gallego, Ángel J. May 2007.PHASE THEORY AND PARAMETRIC VARIATION. UNIVERSITAT AUTÒNOMA DE BARCELONA
- Gallego, Ángel J. 2010. Phase theory. John Benjamens Publishing. TneNetherlads.
- Landau,Ian . 2003. Recent Minimalism: Chomsky (2000, 2001). MIT
- Kratzer, Angelika and Elisabeth Selkirk. 2007. The Linguistic Review 24 /p 93–p135 . Walter de Gruyter
- Radford,Andrew. 2004. Minimalist Syntax : exploring the structure of english. Cambridge, University Press, Cambridge
- Radford,Andrew. 2009. Analysing English Sentences A Minimalist Approach. University of Essex, University Press, Cambridge
- Richards, Marc. 2009. minimalism
- Shiobara, Kayono . May 18-20, 2006. A PF View of Phases.BunkyoGakuin University
- Svenonius, Peter. 2001. Locality, Phases, and the Cycle, University of Troms
- Wenger, Neven. 2008. Phases. SCIMS

تفاعل قيود الصواتة والصرف في بناء الفعل

محمد الفتحي

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بفاس، المغرب

تتناول هذه الورقة هندسة الأبنية في اللغة العربية من خلال دراسة تفاعل قيود الصواتة والصرف في بناء بعض أبنية الفعل، وهي دراسة تندرج ضمن اللسانيات التطبيقية، وتؤطرها فرضيات النظرية التوليدية الحديثة، تقوم على تصور نظري إجرائي لاينظر إلى قضايا المعجم والصواتة والصرف منفصلة عن بعضها البعض، بل تنطلق من فرضية تقاطعها وتفاعلها وفق حساب لساني صرف قابل للوصف والتحليل والتفسير بتوظيف أدوات نظرية وإجرائية حديثة.

محور الورقة، هندسة أبنية الفعل وانتظامها والعلاقات النسقية الرابطة بينها، انطلاقا من إشكالية أساسية نصوغها كالآتي :

كيف يتفاعل مستويا الصواتة والصرف في رسم هندسة أبنية الفعل في اللغة العربية وتحقيق سلامة بنائها ؟

تتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة :

ما مظاهر هذا التفاعل بين الصواتة والصرف ؟ ما السبيل إلى إبراز ذلك؟ أي أدوات نظرية وإجرائية من شأنها تيسير هذه العملية ؟ كيف تتشكل هندسة أبنية الفعل؟ وكيف تنتظم على المستوى الصواتي والصرفي ؟ ما هي القيود العاملة في سلامة البناء؟ وكيف تشتغل وتتفاعل ؟ ما طبيعتها وما العلاقات الرابطة بينها ؟ وما الآثار الناجمة عن تفاعلها ؟ ما نوع العلاقة بين أبنية الفعل وكيف يمكن رصدها ؟ إلى أي حد يمكن التعبير

عن سلامة البناء ومقبولية هندستها لسانيا ؟ أي دخل (Input) محتمل لعملية الإشتقاق وكيف يمكن المفاضلة بين الاحتمالات الممكنة على مستوى الخرج (Out put) ؟ وما هي التغيرات التي تطرأ على الأصل خلال هذه العملية صواتيا وصرفيا ومعجميا ؟

لمعالجة الموضوع ننطلق من مجموعة من الفرضيات تتعلق بالبنية المقطعية، بناء الجذر، انتظام الصيغ الصرفية وتفاعل العلاقة بين المستويات، وفق فرضية تفاعل القيود (Constraints Interaction) ونعتمد في تناول هذه القضايا نظرية المفاضلة (Optimality Theory) حول الإطار النظري

بلورت نظرية المفاضلة من خلال أعمال مكارثي mcCarthy,j، برينس، Prince,A سمولانسكي Smolensky P، Prince,A ، كاجر R kager.

وهي نظرية حديثة وفرت آليات جديدة لدراسة عدة قضايا من قبيل البنية المقطعية، توزيع القطع وانتظامها، عمل القيود وتفاعل المستويات، كما أنها ذات طابع كوني، لانطلاقها من فرضية أساسية تفيد أن النحو الكوني ينبني على قيود[1] كونية تضمن سلامة البناء، وأن الأنحاء الخاصة عرضة لمجموعة من البرامترات، وتوظف جهازا دقيقا وغنيا، كتفاعل القيود « Rank constraints »، العلاقات الهرمية « Dominance hiearchy » التقويم« Evaluation » الخرق« Violation » والانسجام « Harmony ». وتحدد سلامة البناء اعتمادا على نسق القيود باعتبارالتحليل السليم هو الذي يبدي استجابة أفضل لهذا النسق، يقوم هذا التصور على مبادئ أساسية[(2)] :

1) مكارثي وبرينس (1993 أ-د، 2002، 1995)، برينس وسمو لانسكي (1993)، كاجر (1999).
2) برينس ومكارثي (1991 : 5).

(1)

1 — الخرق : « Violation»

إن القيود قابلة لأن تخرق شريطة أن يكون ذلك في حدود دنيا

2 — الترتيب : « Ranking»

ترتب القيود في إطار الأنحاء الخاصة، ويحدد الخرق الأدنى حسب هذا الترتيب.

3 — التضمن : « Inclusiveness»

تقوم هرمية القيود بمجموع التحاليل المسندة للأشكال المرشحة للمفاضلة حسب عدة اعتبارات تخص سلامة البناء، وذلك دون اللجوء إلى القواعد الخاصة واستراتيجيات الإصلاح[i].

4 — الموازاة : « parallelism»

يراعي تحديد الإشباع الأمثل كل القيود المعنية بالعمل، وكل الأشكال والتحاليل المرشحة.

يحدد البند الأول وضع القيود وقابليتها للخرق، بينما يكشف البند الثاني عن العلاقة الرابطة بينها ويجسد ذلك مظهرا من مظاهر تفاعل الصرف والتطريز، كما يوضح البندان الأخيران بعض جوانب التقويم، . إذا كانت التوليدية المعيار قد اعتمدت آلية القواعد، وإذا كانت النظرية المستقلة القطع والنظرية العروضية وما تأسس عليهما من نماذج قد عالجت إشكالية التمثيلات، فإن نظرية المفاضلة تجعل تفاعل القيود محور اهتمامها، ومع ذلك لا تقيم قطيعة مع تلك النماذج باعتبارها أيضا نظرية توليدية،

ويعد هذا الإطار النظري إثراء للنظرية التطريزية المعيار ومحاولة لتجاوز قصورها فيما يخص كيفية إشباع القيود وتوضيح سبب خرق بعضها وصيانة أخرى، وعدم كشفها بدقة، مظاهر التفاعل بين الصرف والتطريز، مما جعل تصورها غير مكتمل، فأصبحت تقليدية في حين :

"تقدم نظرية المفاضلة معالجة جديدة لمبادئ نظرية الصرف التطريزي"

وأفضت مراجعة تلك المبادئ إلى إعادة النظر في العلاقة بين الصرف والتطريز، فأصبح المكون التطريزي حاكما للمكون الصرفي : [3]

وأصبح السؤال الأساسي هو : كيف يمكن لمسائل الصرف والتطريز أن تلتقي وتتفاعل مع نظرية المفاضلة لتقديم فهم جيد لكيفية تفاعل هذين المستويين، فصرح مكارثي وبرينس[4].

– التحليل وبناء النحو من منظور نظرية المفاضلة :

توظف نظرية المفاضلة مفهومين أساسيين عليهما يتأسس بناء النحو، يتمثلان في ثنائية الدخل/الخرج، التي تقترب من مفهومي التمثيل السطحي والتمثيل العميق في النظرية التوليدية المعيار، لكن إذا كانت العلاقة بينهما في ذلك النموذج تقوم على قواعد إعادة الكتابة، فالأمر هنا مختلف حيث يقترن الدخل بوظيفة مولدة « Function Generator » تستخرج منه عدة أشكال تخضع لتحاليل مختلفة، ويرتبط الخرج بوظيفة تقويمية « Function Evaluation » تعمل على تقويم تلك التحاليل والأشكال المرشحة « Candidate » لعملية المفاضلة.

وإذا كان التحليل عملية حرة فإن التقويم يتقيد باعتبارات سلامة البناء، فتختلف أطراف المفاضلة باختلاف استجابتها للقيود، تبعا لذلك تحدد معمارية النحو([5]).

(2) مُوَلّد (دخل أ) ⟵ (خ1، خ2.....خ ن)

مُقَوِّم (مرشح 1، مرشح 2 ....) خرج محقق

للوظيفة المولدة ثلاث خصائص : حرية التحليل، التضمن وثبات المكون.

تفيد الخاصية الأولى أن الوظيفة المولدة تقترح كل البنيات الممكنة بحرية وتزودها بمكونات قطعية ومقطعية، وتقتضي الخاصية الثانية أن يكون الدخل ممثلا في كل خرج،

3) مكارثي وبرينس (1993 : 102).
4) فصل 7 من عمل مكارثي وبرينس (1993
5) يراجع مكارثي وبرينس (1993، 1993د) برينس وسمو لانسكي (1993).

وحسب الخاصية الثالثة فإن الخصائص الفونولوجية للمورفيمات والقطع والمورات وغيرها لا تتأثر بهذه الوظيفة.

أما الوظيفة الأخرى فتحدد درجة انسجام كل بناء مقترح، فيصبح الاحتمال الأمثل الشكل الذي يشبع بشكل جيد نسق القيود :

يتم ترتيب الاحتمالات الإشتقاقية الممكنة وفق نوعية تجاوبها مع القيود وأن أفضلها هو الواقع في أعلى سلم الترتيب، بهذه الآليات الإجرائية تنقل النظرية الاهتمام من نطاق العمليات إلى نطاق سلامة البناء ومن التوليد إلى التقويم والتفسير، وتعوض مصطلح سلامة التكوين، « Well formed » بمفهوم الانسجام « Harmony ».

- أسس التقويم وإجراءاته :

تعتمد عملية التقويم طريقة المفاضلة لتحديد الخرج الأمثل فتقوم بالموازنة بين الإمكانيات المتاحة وفق ترتيب هرمي للقيود والانسجام، باعتماد ثلاثة أنواع من العلاقات الهرمية :

- هرمية صوتية : « Phonetic Hierachy »

لهذا الصنف من العلاقات طابع صوتي، يعتمد في تشكيلها على سلم الجهارة ويعبر عنها بعلامة أكثر (: >) وأقل (: <)، فالثنائي "u>a" يفيد أن الفتحة أكثر جهارة من الضمة.

- هرمية انسجامية : « Harmonic Hierarchy ».

تمثل هذه العلاقة نسبة انسجام كل تحليل وتشير إلى اختلاف درجات انسجام التحاليل التي يخضع لها كل مرشح للمفاضلة، فالنواة المقطعية التي تشغلها الفتحة مثلا أكثر انسجاما من تلك التي تشغلها الضمة.

- هرمية التحكم : « Dominance Hierarchy »

تختلف القيود من حيث القوة والضعف لهذا تختلف مواقعها، فيصبح لهذا النمط من العلاقات بعد ترتيبي يشار إليه بعلامة " << "، فإذا كان قيد الصدر يحكم قيد النواة وكان أولى منه رتبة تتخذ العلاقة بينهما الشكل التالي :

ويمدنا سلم الجهارة بترتيب قطعي اعتمادا على معايير صوتية تؤخذ بعين الاعتبار في عملية التأليف بين الأصوات، فتراعي عملية التقويم الإطار العلائقي للعناصر المرشحة ولا تنظر إليها بمعزل عن بعضها البعض.كما يقتضي ترتيب انسجام كل تحليل مقارنته بمجموع التحاليل المقترحة وأن يرصد كل قيد في علاقته بباقي القيود فتصبح عملية التقويم نسبية.

تصنف القيود التي تقترحها نظرية المفاضلة وفق ثلاث مجموعات : [6]

– قيود بنيوية، قيود مطابقة وقيود موازاه.

تؤطر هذه القيود فرضية اساسية تفيد تفاعل قيود التطريز وقيود الصرف، وتتم معالجة هذه العلاقة في نطاق مفهوم التنازع « Conflict » وثنائية "الإشباع/الخرق. يضاف إلى ذلك أن هذه العناصر لا تختلف فيما بينها من حيث الرتبة وكيفية الاشتغال فقط، بل تختلف من حيث طبيعتها أيضا، فهناك قيود ثنائية وأخرى غير ثنائية، فالأولى لا تقبل سوى نوعين من الاستجابة هما الإيجاب أو السلب، نذكر كمثال قيد ملء الصدر، فبما أنه ثنائي يستجاب له بوضع علامة الخرق في خانته إن كان صدر المقطع شاغرا، أو بالاستغناء عنها إن كان مملوءا، خلافا لقيد انسجام النواة الذي يقبل عدة احتمالات بما أنه ليس ثنائيا.

إن تتبع عمل قيد الصدر يتطلب معاينة كل العجر المقطعية في الشكل المرشح، وتوضع علامة (*) إشارة إلى كل تلك التي لا تتوفر على صدر، وكلما تعددت مثل هذه العجرات تعددت العلامات، فإذا كان "أ"، "ب" خرجين لدخل مفترض يشار بالعلامة (*) إلى كل مقطع منهما يخرق قيد الصدر، ويعتمد التقويم للموازنة بين الطرفين لاختيار أيهما يضم أقل عدد من هذه العلامات، فيتحدد الانسجام وفق نوعية الاستجابة للقيود.

---

6) مكارثي وبرينس (1993 : 101).

حسب هذه الشرط يرجح الخرج "أ" على الخرج "ب" إن كانت صدوره أكثر انسجاما من صدور الآخر، يصاغ ذلك كالآتي :

(4)	أ > ب إذا كانت صدور "أ" >صدور "ب"

أما إن كانت بينهما علاقة تماثل فإن هذه المعادلة تتغير لتصبح :

(5)	أ = ب إذا كانت صدور "أ" = صدور "ب"

حيث "إن العمود الذي لا يضم علامات الخرق أكثر انسجاما من ذلك المملوء بها :

Ø " > * * C"

ينطبق هذا الحكم على القيود الثنائية فإن لم تكن كذلك كقيد أقصى الطرف وقيد انسجام النواة فإن عملية التقويم تراعي تفاوت انسجام أنوية المقاطع، فيصبح الحديث عن عمل نسبي للقيود عوض القول بشروط مطلقة لسلامة البناء كما تناط بالنحو مهمة جديدة :

"ليست مهمة النحو في نظرية المفاضلة هي قبول أو رفض دخل، بل هي إسناد البنية المثلى لكل دخل"(7).

لقد تغيرت وظيفة النحو وفق هذا التصور فأصبح يولد ويقوم، يصف ويفسر، كما تغير مفهوم النحو ذاته، فصار عبارة عن مجموعة من القيود الراعية لسلامة البناء والعاملة على تقويم الأخراج والتحاليل لتصطفي أيها أفضل، فصار من مهام النحو الربط بين عمليتي التوليد والتقويم.

يولد الدخل احتمالات عدة تعمل القيود على تقويمها، تجسد الجداول الآتية بعض مظاهر المفاضلة وآثار اشتغال هذه العناصر :

---

7) مكارثي وبرينس (1993 : 175).

(5)

الاحتمالات	القيود أ	القيود ب
☜1		
2	*	*

يعالج هذا الجدول إمكانيتين بالنظر إلى قيدين، حيث الاحتمال الأول ينضبط لهما معا، بينهما تخرقهما الإمكانية الأخرى فأعطيت الأولوية للأول.يقدم الجدول (6) نفس المعطيات، لكن يكمن اختلافه عن السابق في كيفية استجابة الإمكانية (2) لقيد "أ"، فبعد أن انتهكته سابقا تستجيب له في هذه الحالة. غير أنها حافظت على خرق القيد "ب" فتمسكت بأفضليتها.

(6)

الاحتمالات	القيود أ	القيود ب
☜1		
2		*

أما في الجدول (7) فالاحتمال الأول يحافظ على نفس استجابته للقيد، في حين يخرق الثاني "ب" مما جعله أقل انسجاما من منافسه، لأنه كلما اختلفت استجابة التحاليل والأشكال المرشحة للحصول على الأولوية اختلفت درجة انسجامها وسلامة بنائها.

(7)

الاحتمالات	القيود أ	القيود ب
☜1		
2	*	

تربط بين القيود علاقة تفاعل يتعذر معها أحيانا اختيار الشكل المفضل بسهولة، ويزداد الأمر صعوبة عند ما يكون تنازع بينهما تنازع وصراع، فينجم عن الاستجابة لقيد خرق آخر، كما يظهر من خلال الجدول :

(8)

الاحتمالات	القيود	
	أ	ب
☞1		*
2	*	

يوضح (8) صعوبة تحديد الخرج السليم لأن كلا المرشحين ينتهك قيدا وينضبط لآخر، هذه الوضعية تكرس تنازع "أ" و"ب"، وإذا افترضنا أن الأول يمثل الخرج السليمفإن الأسبقية ستكون لقيد "أ" فيكون حاكما :

بموجب هذه العلاقة فإن اختيار الاحتمال الأولى رهين ب "أ" بينما يصبح "ب" ثانويا لوجوده في رتبة دنيا في هرم القيود.

(9)

الاحتمالات	القيود	
	أ	ب
☞1		*
2	*!	

يلون ضلع "ب" دلالة على عدم أهميته في حسم المفاضلة فيراعى الضلع الأول فقط وتوضع علامة (!) أمام المرشح (2) للإشارة إلى أن هذا المعطى هو الذي بث في عملية الموازنة.

يستفاد من هذه المعطيات أن القيود تتنازع عندما لا تتفق حول اختيار الاحتمال الأمثل، فيتم اللجوء إلى الترتيب لفضه، ويتخذ هذا التنازع مظاهر مختلفة.

. إن القيود في نظرية المفاضلة قابلة للخرق شريطة أن يتقيد

بالحدود الدنيا، ونظرا لنسبيته، تقاس درجته اعتمادا على مبدإ المقارنة، فالاحتمال الذي لا يخرق القيد أفضل من الذي يخرقه مرة واحدة، وهو أفضل من الذي ينتهكه مرتين أو عدة مرات، والذي لا يضحي بأي واحد أفضل من الذي يخرقه وهذا أفضل من الذي ينتهك عدة قيود، نعبر رمزيا عن هذا التفاعل :

{ * } < { * * } < { * * * } < ...

- قيد التجزئ : « Parse »

يمثل صنفا من القيود تقتضي أن يكون كل مكون –نواة، صدر، مورة، مقطع – مجزأ، وأن إعماله يبعد بقاء أي عنصر غير مجزإ، مشترطا أن تصبح كل قطعة أو أي عنصر تطريزي محكوما بعجرة ملائمة في الشجرة التطريزية،

تتفرع عن هذا القيد العام عدة قيود، كقيد تجزيء القطعة، « Parse segment » الملزم لها بالاقتران ببنية مقطعية، وقيد تجزئ المورة « Parse mora » الذي ينص على انتمائها إلى بنية محكومة بالعجرة "μ" بالإضافة إلى قيد تجزئ المقطع : « Parse Syllable » المؤكد على على ضرورة إشراف التفعلة أو الكلمة التطريزية على المقاطع، وعليه فإن كل مكونات الهرم التطريزي عرضة لهذا القيد :

(10)

كل القطع والمكونات التطريزية عرضة للتجزيء وإلا بقيت شاردة وكان مصيرها الحذف

- قيد الملء « Fill »

توظف النظرية مجموعة أخرى من القيود تحمل اسم ملء« Fill » وتنص على ضرورة ملء كل الأحياز وعدم تركها شاغرة.

(11)

كل المواقع المقطعية يجب أن تملأ بمادة قطعية ولا تترك شاغرة : *□

تحكم العجرة (σ) صدرا يشرف على صامت ونواة تشرف عادة على مصوت ويجعل خرق القيد أحد هذين المكونين حاكما موقعا شاغرا، عنه يتفرع قيدان، قيد ملء الصدر وقيد ملء النواة.

- قيد الصدر : « Onset » :

ينتمي بدوره إلى مجموعة القيود البنيوية، ويفيد ضرورة توفر كل مقطع على صدر، صاغه برينس وسمولا نسكي على النحو الآتي :

كل مقطع يجب أن يتوفر على صدر :   vσ[*

يعد المقطع الذي يبدأ بمصوت خارقا لهذا البند، وإذا كانت لغة ما تجير مقاطع بدون صدور فإن هذا القيد سيحتل أسفل الترتيب، وإن كانت لا تجيزه احتل رتبة عالية.

- قيد النواة :

(12)

كل مقطع يجب أن يتوفر على نواة

- قيد انسجام النواة : « Harmony Nuc»

يراعي سلم الجهارة، فالنواة ذات الجهارة العالية أكثر انسجاما من النواة الأقل جهارة.

إذا كانت /X/ > /Y/ فإن نواة /X/〉 نواة /Y/

تعبر هذه القاعدة عن كون جهارة« X »أعلى من جهارة« Y »فينجم عن هذا الاختلاف كون النواة« X »أكثر انسجاما من النواة« Y »والخلاصة أن :

(13)

النواة المثلى هي النواة الأكثر جهارة

- قيد – قفل : « Coda -» :

هو قيد بنيوي، يؤكد الامتثال له أن البنية المقطعية عبارة عن سلسلة من المقاطع على شكل ".ص مص." وهي بدون أقفال، لهذا فاللغات التي لها بنية مقطعية على هذا النحو تجعل (– قفل) في أعلى الهرم، وإن كانت تضع مقاطع مخلقة فإنها تجعله في أسفله.

(14)

يجب ألا تضم المقاطع أقفالا :

* .ص مص ص.

الفرضيات الصرفية :

ننطلق في تحديدنا لطبيعة الصيغة من فرضية كونها ذات طبيعة مصوتية :

(15)

الصيغة وحدة صرفية تتكون من مصوتات محققة وأحياز صامتية شاغرة وأن احتياجها للفاء والعين واللام ضرورة مقطعية وصرفية.

فما تتميز به كل صيغة عن غيرها في أبنية الفعل الثلاثي المجرد مثلا، هو المصوتات أما الفاء والعين واللام فقاسم مشترك بينها ومقابل للأصل والمادة التي هي بمثابة جوهر تصنع منه عدة أشياء [8]، أما البناء في حلقته الأولى فهو حصيلة التأليف بين هذه المادة والصيغة، لذا إن كان الجذر صامتيا والصيغة مصوتية فإن عملية الاشتقاق تنبني عليهما معا، تبعا لهذا الشرط، للصيغة دور محوري في عمليتي التحليل والتوليد، [9]' بما أن الكلمة تنشطر إلى مادة وصيغة، لكن إذا كانت الصيغة تتألف من مصوتات وأحياز صامتية مجردة لماذا تظهر فيها الفاء والعين واللام ولا تتحقق بدونها ؟ بدون هذه القطع تبقى المواقع الصامتية شاغرة.

يشكل ذلك في إطار نظرية المفاضلة خرقا فاذحا لملء الصدر فيتم اجتلاب " ف ع ل، للإستجابة لهذا القيد الذي يحتل مكانة هامة في هرم القيود. لهذا ليست هذه الحروف من مكونات الصيغة بل توظف لغرض صرفي وتطريزي، يتكون البناء إذن من مادة وصيغة وتبقى عناصر أحدهما بمعزل عن عناصر الآخر متنافرة، لأنها لا تنتمي في تلك الحالة لبنية تطريزية ما دام المقطع لا يتشكل من الصوامت فقط أو من المصوتات فقط

8) ابن يعيش (شرح الملوكي : (19–20)).
9) يحيى هلال(1992) مجلة التواصل اللساني العدد .

فيخرق قيد التجزيء، فتلتحم الصوامت بالمصوتات (: الجذر والصيغة) ليصبح بوسعنا القول : مادة "كتب" مثلا عوض مادة : الكاف والتاء والياء وصيغة " فَعَل" عوض الفتحتين والسكون، فكل مكون يصبح قابلا للتلفظ به بانتمائه إلى بنية مقطعية، فظهور الفاء والعين واللام في "فَعَل" استجابة لقيد التجزيء وقيد مر، ودخول المصوتات على الجذر، استجابة للتجزيء وملء النواة : " الفتحة والكسرة والضمة زوائد يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به"[10].

وبالإضافة إلى الدور التطريزي فإن الصوامت (الجذر) تقدم المعنى العام الذي تعمل المصوتات على تشخيصه وتنويعه.

"الصوامت وهي مادة الكلمة تحمل المعنى الأصلي وأن الحركات تشخص المعنى"[11]

وبما أن الصيغة تربطها بالبناء علاقة تناظر إذ ظهور " ف ع ل" استجابة لقيد آخر صرفي وتطريزي هو قيد الموازاة لأن عملية الوزن توجب محاذاة الأصول بالأصول والزوائد بالزوائد

يستفاد من هذه الظاهرة أن البناء يتم توسيعه لإشباع رغبة الوزن، ذلك أن التمثيل عند القدماء قائم على التناظر بين الطرفين، وهذا ما نعده مجال اشتغال قيد المطابقة حيث يكون لكل قطعة في البناء مقابل في الوزن فتصبح هذه العلاقة عرضة لعدة قيود. فلو كان وزن "جلبب" "فعل" لخرق قيد الموازاة وقيد المطابقة لكون البناء يتكون من أربعة صوامت في حين يضم الوزن ثلاثة فقط.

(16)

الاحتمالات	المطابقة	الموازاة
جلبب – فعل ☜جلبب – فعلل	*	*

10) سبويه (الكتاب : 379/II).

11) عبد الصبور شاهين (المنهج الصوتي للبنية العربية : 45).

إن الطابع المصوتي للصيغة يجعلها مرتبطة بأنوية المقطع وهي عرضة لقيد الملء، وإذا كانت النواة في حاجة إلى صدر لتكون مقطعا فإن المصوت في حاجة إلى صامت يحمله ليتأتى رسوه. لقد تطرقت عدة أعمال لبنية الجذر وعدته في العربية [12]، ورصدت استراتيجيات مختلفة لتوسيعه، لكن تبرير هذه العملية وعلاقتها بالصيغة لم يحظ بالاهتمام، في هذا النطاق ننطلق من فرضية أساسية تنبني على أن توسيع الجذر تمليه ضرورة الصيغة، ونركز على التكرار والاجتلاب كآليتين أساسيتين لهذا الإجراء.

خضعت "وعد" يئس، قول، بيع دعو" للتوسيع بواسطة الاجتلاب بغية توفير العماد لعناصر الصيغة لأن بدونه نحصل على اشكال تضم مواقع فارغة تجعل بعض عناصر الصيغة تبقى عائمة.

(17) 1 - □ ¯ عد □¯ يئس

2 - ق¯ □ ¯ ل ب¯ □ ¯ع

تبقى حركة فاء الكلمة في (1) عائمة نظرا لغياب العماد فيتعذر النطق بذلك الشكل، نفس المصير تلقاه حركة العين في (2). هذه الضرورة تحكم توسيع الجذر بالتكرار كذلك، فبدوره استجابة للصيغة وتوفير للعماد في إطار التفاعل بين الساكن والحركة وبين الجذر والصيغة.

يفرض التأليف بين مادة "ج ر " وصيغة رباعية "فعلل" والتأليف بين مادة " م، د" وصيغة ثلاثية "فعل" تكرار الجذر ككل أو تكرار بعض عناصره وذلك حسب عناصر الصيغة وأحيازها، وإلا بقيت بعض مكوناهما غير راسية، الشيء الذي ينعكس على سلامة البناء، والخلاصة أن عدة الجذر لبنية الصيغة وأن توسيعه ضرورة صيغية تضاف إلى الضرورة التطريزية.

وتنتظم الصوامت والمصوتات على المقاطع بكيفية تجعل البناء أكثر انسجاما من احتمالات أخرى مثل : "فَعَل" "فعِل".

---

12) كرينبورك (1950)، بوهاس (1991)، مرمرجي (1937)، بوهاس الشكيري (1991)، الشدياق (سر الليالي في القلب والإبدال).

(18)

الإحتمالات	انسجام النواة	منع الثقل
فُعُل		*
فِعُل	*	*
☜ فَعُل		

فالخرج المناسب " لفَعُل " من بين الإحتمالات المرشحة لذلك هو " يفعُل " باعتبار حركة العين وقيد الانسجام .

(19)

الاحتمالات	انسجام النواة
☜ يفعُل	
يفعِل	*
يفعَل	*

يمثل " يفعُل " الاحتمال الأولى ويجسد الحلقة الوحيدة من سلم انسجام التناوبات المصوتية الذييعتمد التناوب دون حدوث تغير في جرس المصوت المعني[13]. لذا فإن " فعُل / يفعُل"عرضة لتناوب مصوتي منسجم، ينضبط لمجموعة من القيود من بينها ملء النواة، انسجام النواة ومنع الثقل وأنه من هذه الناحية كباقي الأفعال.

- بناء فعَل

اهتم القدماء بهذا البناء أثر من اهتمامهم بغيره، فأفردوا له مصنفات عديدة، ورصدوا معانيه وخصائصه ونسبةاستعمالا[14]. في هذا النطاق إذا كان "فعُل" خاصا بما لا يتعدى وإذا كان قليل الإستعمال فإن فعَل أكثر الأبنية استعمالا وعددا، فاعتبره الطيب بكوش الفعل الحقيقي لدلالته على العمل والحركة، فانتهى إلى ما قرره القدماء :

13) سجرال (1996) شكيري وشير (1996) كورسل ولونستام (1995 أ، ب) وأيضا كريلوكز Kurylowicz (57.58.61)
14) أبو إسحاق الزجاج (فعلت وأفعلت)، مصطفى أحمد النحاس (صيغة أفعل بين النحويين واللغويين).

" فعَل أكثر الأفعال عددا لأنه الفعل الحقيقي الذي يدل غالبا على العمل والحركة والفعل، فهو أكثر الأفعال تصرفا إذ تقابله ثلاث صيغ في المضارع "(15)

نقيم المقارنة بين " فعُل، وفعَل" اعتمادا على قيد انسجام النواة.

(20)

الاحتمالات	انسجام النواة
فعُل	ضمة
فعِل	كسرة
☜ فعَل	فتحة

باعتبار هذه المقارنة الجزئية فإن "فَعَل" أجود من غيره بما أن نواة المقطع المعني تشغلها الفتحة التي هي أكثر استجابة لقيد انسجام النواة بالنظر إلى خاصية الجهارة.

وتتوزع المادة المعجمية لهذا البناء، من خلال معجم ديوان الأدب للفارابي، على عدة أبواب :

الصيغة	الماضي		المضارع	
	حركة العين	العدد	حركة العين	العدد
فعل	فتحة	525	ضمة	525
	فتحة	509	كسرة	509
	فتحة	401	فتحة	401

ورد في هذه الصيغة 1435 فعلا سالما وزع على ثلاثة أبواب :

- فعَل / يفعُل

اعتبره الفرابي " أحد الأبواب الثلاثة التي هي دعائم الأبواب" (16)

ويستخلص من الدرس الصرفي القديم صعوبة التنبؤ بما يقابل " فعَل " في المضارع كما يتأكد من خلال هذا النص :

15) الطيب بكوش (التصريف العربي : 89).

16) الفرابي (ديوان الأدب : 138/2)

" طفت في عليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن هذا الباب صغيرهم وكبيرهم لأعرف ما كان فيه بالضم أولى ومن كان منه بالكسر أولى فلم أجد لذلك قياسا، إنما يتكلم به كل امرئ على ما يستحسن ويستخف لا غير ذلك "[17]

أحس المحدثون كذلك بتلك الصعوبة، إذ اعتبر الطيب بكوش أن مشكلة هذه الصيغ راجعة لكونها سماعية لاتخضع مبدئيا لقواعد مضبوطة [18]. والواقع أن عملية اشتقاق مضارع هذا الفعل ليست عشوائية ولاترتبط بالخفة فقط، بل تعود إلى الحس اللغوي الذي يمكن التعبير عنه بحساب لسان صرف، اعتمادا على مباديء وقيود محددة تعمل على ترجيح الخرج الأمثل، لأن التناوب مشروط باحترام سلم التناوبات المصوتية، وأن تكون النواة منسجمة مع ما يقابلها في الماضي وأن تتسم بالخفة. في هذا النطاق نشير إلى أن حركة العين تحظى بوضع متميز عن باقي حركات البناء، فإن لم تكن مناسبة قد يخرق قيد أمن اللبس أو يتم الخروج عن وحدة الباب.

في إطار نظرية المفاضلة يمكن إسناد عدة أخراج لدخل واحد بعد ذلك تتم عملية التقويم واختيار الشكل الأولى. بناء عليه تفرز " كتب " عدة امكانيات تقوم بالموازنة بينها والإحتكام إلى القيود.

(21)

الإحتمالات	وحدة الباب	انسجام النواة
يَكْتَبُ	*	*
يَكْتُبُ	*	*
يَكْتِبُ	*	*
☜يَكْتُبُ		

يعتمد الشكل الأول التناوب بين الفتحة والمصوت الصفر (Ø)، فخرق انسجام النواة كما خرقه الشكل الثاني، نفس المعطى ينطبق على "يكتب" مما جعل هذه التناوبات غير منسجمة، ويلاحظ أن الإمكانيات الثلاث لاتستجيب لقيد وحدة الباب.

---

17) السيوطي (المزهر : 138/1).
18) الطيب بكوش (التصريف العربي : 89).

ورغم أن الفتحة والكسرة أكثر انسجاما من الضمة فإن الإحتمال الأخير حظي بالأولوية، فانسجام النواة، وحدة الباب ومنع الثقل قيود تجعل "يفعِل" خرجا مناسبا "لفعَل" لكن أليس "يفعِل" بدوره خرجا سليما ؟

- فعَل / يفعِل

يحتل الرتبة الثانية من حيث الكم بعد "فعل يفعل " إذ رصيده المعجمي 509 فعلا. فقرر الفارابي كونه : " مثل الباب الأول في أنه أحد أعمدة الأبواب الثلاثة، وأنه سالم يقوم بنفسه، ويوجد في مذاهب الأبواب جميعا"

يضم إلى جانب السالم عددا مهما من الأفعال المعتلة والمضعفة والمهموزة، وتكمن أهميته في الرصيد المعجمي الذي يمتلكه، واعتماده المخالفة بين الماضي والمضارع وإن كان ينتج تناوبا مصوتيا غامضا[19] « Opaque » بالنسبة لسلم التناوبات، مما جعل ظاهرة ينتهك قيد انسجام النواة الذي ينص على أن الفتحة لايجب أن تتناوب إلا مع الضمة وأن الإنتقال من فتح إلى كسر غير جائز.

من خلال هذه الأبنية نرصد تنازع انسجام النواة ووحدة المقطع، فكلاهما يرشح للعمل . لكن الأولوية للإنسجام، بينما يخرق وحدة المقطع لتصبح العلاقة بينهما علاقة تحكم.حيث : انسجام النواة » وحدة المقطع.

هرمية الدخل ومستوياته :

ننطلق من فرضية الأصل الصامتي حيث يمثل الجذر كصريفة غير قابلة للتجزيء إلى صريفات أصغر، أساس بناء الكلمة، وأنه محوري في عملية الاشتقاق القائمة على التأليف بينه وبين الصيغة.

مستلهمين آراء بعض المحدثين الذينتبنوا هذه الفكرة، إذ اعتبر تمام حسان الكلمة عند النحاة شقين أحدهما سماه "أصل الاشتقاق" وهو الجذر والآخر "أصل الصيغة" وإن

---

19) شكيري وشير (1996).

كان التقاطع بينهما ليس دائما منتجا، فتعود كل أبنية الفعل إلى الجذر اعتمادا على عملية التحليل، حيث الجذر دخل البناء المجرد وكون المزيد مشتق من المجرد.

(22) المستوى الأول للدخل : [الجذر] = الدخل 1

انتهى كوهن (1970) من خلال تفكيكه الصريفي للكلمة في اللغات السامية إلى أنها ليست دائما ناجمة عن تقاطع جذر وصيغة، مشككا في الفرضية القائمة على التفريع الثنائي للكلمة، ملاحظا أنها لا تنطبق على كل الأبنية، فبعضها يتضمن إلى جانب صريفة الجذر وصريفة الصيغة، زيادة تضيف معنى وظيفيا إلى معنى الأساس الذي تدخل عليه ليصبح البناء المزيد حاصل التأليف بين ثلاث صريفات على الأقل.

تبعا لذلك يتم التمييز بين بناء يتكون من جذر وصيغة فقط وآخر يضيف إليهما صريفة الزيادة.

وهذا التحليل يبدو متعارضا مع فكرة كونتنو(1950)، إن ما قاله القدماء فيما يخص فرضية الأصل الصامتي يسري على المرحلة الأولى من السلك الاشتقاقي حيث كل بناء في هذا المستوى ناجم عن تقاطع الجذر والصيغة.

رغم اعتماد الصرفيين ثنائية الأصل / الفرع في بناء الألفاظ فإن أغلب الأبنية عندهم تشتق من أبنية أخرى، فميزوا بين نسقين اشتقاقيين مختلفين. اعتمادا على هذه المعطيات أقام بوهاس (1982) الشجرة الاشتقاقية حيث الأفعال المجردة أصل المزيدة.

(23) المستوى الثاني للدخل : [البناء المجرد] = الدخل 2

يشكل البناء المزيد مستوى آخر من مستويات الدخل، فاشتقاق أبنية الفعل المزيد لا يتم دائما من بناء مجرد، ذلك أن المزيد بدوره يصبح عرضة لعمليات اشتقاقية، ومجال اشتغال الوظيفة المولدة، في هذا النطاق يندرج اشتقاق "تفعل".

"تفعل تكون متعدية وغير متعدية... ولهما ثمانية معاني : أحدهما أن تكون مطاوعة ل "فعل" كقولك، "كسرته فتكسر" و"قطعته فتقطع"[20].

---

20) ابن عصفور (الممتع في التصريف : 183/1).

كما تنطبق نفس الآلية على " تفاعل" *كبناء مشتق من آخر مزيد، قال ابن جني :*
"وأما تفاعل فهو مطاوع فاعل " [21].

يقود تنوع هذه المستويات إلى التمييز بين العناصر المزيدة من الناحية القطعية والصريفية، من هذه الناحية نظر ابن عصفور إلى تلك الصريفات انطلاقا من ثنائية الاتصال والانفصال، فإذا كانت تشكل مجتمعة بناء متراصا، لا يرى مانعا من النظر إلى كل مورفيم على حدة اعتمادا على مفهومي الأصل والزيادة فأكد أن : " التاء قسمان : زائدة وأصلية : فالقسم الذي يحكم عليه بالزيادة : التاء في أوائل أفعال المطاوعة نحة قولك " كسرته فتكسر " و" قطعته فتقطع" و" دحرجته فتدحرج " والتاء في أول تفاعل نحو " تغافل " و"تجاهل" و"ما تصـــرف مـــن ذلك"[22].

تمثل هذه التاء إذن صريفة زائدة بالنسبة لدخل عبارة عن بناء مزيد مما يعطي مستوى آخر من مستويات الدخل :

(24) المستوى الثالث للدخل : [البناء المزيد] = الدخل 3

تتكون بنية الفعل المزيد من أصل صامتي تجسده الحروف الأصول التي عبروا عنها بالفاء والعين واللام والتي تدل على المعنى العام وتتسم بالثبات إلا لعلة عارضة، ومن المصوتات باعتبارها صريفة ذات وظيفة صرفية وتطريزية، والزيادة كصريفة تلحق البناء، تكون على شكل حركة أو ساكن أو مركب وتكون متصلة أو منفصلة[23].

تبعا لذلك فإن هذا البناء حاصل التأليف بين ثلاث صريفات على الأقل، ترسو على قالب تطريزي يحدد انتظامها، فمن حيث الكم أقصى ما تكون عليه عدة الفعل ستة صوامت وأقلها ثلاثة، تنتظم تطريزيا في مقاطع على شكل سلسلة من ص مص. لا تتعدى ستة ولا تقل عن ثلاثة.

---

21) ابن يعيش (شرح الملوكي في التصريف : 77).

22) ابن عصفور (الممتع في التصريف : 272/1).

23) ابن عصفور : الزيادة تكون متصلة ومنفصلة فقال : " أما الذي تلحقه ثلاث زوائد فلا يخلو أن تجتمع فيه أو تتفرق أو يجتمع منها إثنان خاصة، (الممتع : 457/11).

وتضبط القيود عملية الاستواء على القالب وكيفية ملء الأحياز فلا تتوالى أكثر من ثلاثة مقاطع جميع أحيازها مملوءة، بينما يجوز ذلك إذا تضمنت حيزا شاغرا، ولا بد من تحقيق الانسجام في عملية التأليف بين الصوامت والمصوتات، مراعاة لقيد انسجام النواة وانسجام الصدر، فلا يمكن الخروج مثلا من مصوت ثقيل إلى آخر.

أثقل، وانسجاما مع هذه البنية تحدثنا عن ثلاثة أنواع من الدخل تربط بينهما علاقة هرمية موازية لتعاقب مستويات بناء الفعل المزيد التي نصوغها وفق الخطاطة التالية :

(25) مستويات البناء

بناء مجرد	بناء مزيد	
([جذر] دخل 1)	([جذر] صيغة دخل 2)	([بناء] زيادة دخل 3)

لهذه الخطاطة بناء هرمي يفيد أن الجذر يمثل الدخل الأول والبناء المجرد يمثل الدخل الثاني أما البناء المزيد فإنه يمثل الدخل الثالث، وهي بمثابة حلقات كل واحدة تؤدي إلى التابعة لها، تبعا لذلك قد تمثل حلقة معينة دخلا وخرجا في الآن ذاته.

يرتبط هذا التعاقب الدوري بتعاقب مستويات توليد البناء، فالبناء المجرد كخرج عمل الوظيفة المولدة في الدخل الأول (الجذر) يصبح دخلا لاشتقاق المزيد.

لا تخضع عناصر الخطاطة لترتيب صارم فقد لا تمر عمليتا التحليل والتوليد حتما بنفس المراحل، وقد يكون بعضها افتراضيا أحيانا، فليس لكل مزيد بناء مجرد وليس لكل مجرد مزيد مستعمل[24]، حيث إن بناء "انفعل" من هـــ. ر. ب. يفرز تقاطعا غير منتج بحصولنا على * (انهرب) مادامت العربية أهملت هذا اللفظ الموجود بالقوة ولم يوجد بالفعل.

وقد يؤدي التقاطع بين الجذر والصيغة إلى بناء محقق في التمثيل العميق فقط، نحو / قوَل / الذي يتحول من خرج إلى دخل عند الانتقال إلى [قال]. فالزيادة إذن تعاقب مستويات، وعدم إشارة القدماء إلى الحركات كزوائد عند حديثهم عن الأفعال المزيدة

24) إن عملية التوليد سلكية غير مطردة، فالترتيب ليس صارما كما أن الأسبقية هنا افتراضية فقط.

واكتفائهم بالإشارة إلى ما تتضمنه من حروف زائدة كاعتبارهم "أفعل" مزيدا بالهمزة فقط، لا يتناقض مع ما ذكرناه في الفصل الأول حول كون الحركات عدت زوائد عند البعض ما دامت المسألة متعلقة بهذا التعاقب، فبموجبه تكون الحركات زائدة في السلك الأول وتصبح بمثابة الأصول في السلك الموالي، باعتبارها تشكل إلى جانب الصوامت دخلا متماسك المكونات، يغدو الفصل بينها افتراضيا فقط.

ومما يعطي هذا التماسك وحدة عضوية إفراز الصريفتين معا معنى موحدا ناجما عن الانصهار بعد أن تحشى صريفة الجذر ويستويان على بنية تطريزية محكمة الانتظام

لقد واكبت الزيادة القطعية زيادة صريفية، إذ عوض صريفتان أصبح لدينا ثلاثة. وواكبتها زيادة تطريزية تتجلى في زيادة مقطع في أقصى اليمين بالنسبة لانفعل، وزيادة مقطع بعد المقطع الاستهلالي في " فاعل "، بيد أن من مظاهر الاختلاف بين الحالتين، نوعية استجابة المقطع الزائد لمجموعة من القيود.

حيث خرق (1) قيد ملء الصدر وقيد أقصى الهامش إذ "الأصل أن تقع الزيادة في أول الفعل" بينما امتثل (2) لهذين القيدين وخرق قيد ملء النواة.

(26)

الاحتمالات	ملء الصدر	ملء النواة	أقصى الطرف
فاعل	*		ف —
نفعل		*	Ø

غير أن الفرضيات التي ننطلق منها والمتعلقة أساسا بتفاعل القيود، هرمية الدخل، تعاقب المستويات الصرفية وبنية القالب تقودنا إلى تبني تصنيف مختلف، ذلك أننا اعتبرنا القالب التطريزي للبناء عبارة عن سلسلة من المقاطع على شكل .ص مص. وبموجب ذلك نعتبر شكل الزيادة بدوره على هذه الهيئة، ونعزي ما قد يطرأ عليها من تغيرات على مستوى الخرج فتظهر الزيادة على شكل صامت أو مصوت فقط، إلى تنازع القيود وتفاعل المستويات.

تفضي هذه الفرضية إلى التمييز فيما يخص الثلاثي المزيد بين المزيد بمقطع والمزيد بمقطعين، وخلاصة هذه المعطيات أن البناء المزيد تقاطع صريفي لمستويي الأصول والزيادة من جهة، وتقاطع صرفي تطريزي من جهة ثانية في إطار التفاعل بين البناء والقالب.واعتمادا على فرضية الشكل التطريزية للزيادة فإن " فعل " مشتق من " فعل " بواسطة زيادة [ص مص] تقع بعد المقطع الأول، متيحة عدة احتمالات. فقد يتحقق المقطع الزائد ككل وقد يتحقق صدره أو نواته فقط.

ينتج كل احتمال بناء محددا، يتميز كل واحد باستجابة خاصة بمجموعة من القيود.

يبدو جليا تنازع مجموعة من القيود ما دام إشباع طرف يسبب خرق الطرف الآخر، غير أن نوع ذلك الخرق يرجح أفضلية البناء الثاني عن الأول، لأنه لا يخرق سوى قيد واحد لكون نواة أحد مقاطعه فارغة. أما الأول فلا يتمثل لقيد انتظام المقاطع وتتعذر فيه الخفة لتوالي مقطعين متماثلين، أو ما عبر عنه القدماء بتوالي المثلين، وإن كان يستجيب لمقتضيات الملء و" — قفل"، هذه الموازنة ترجح الاحتمال الذي لا يخرق القيود أو يخرقها خرقا طفيفا، وعليه يتوفر هذا الشرط في الشكل الثاني الذي استجاب لكل القيود و لم يخرق سوى واحد في حدود دنيا. ورغم كونه طفيفا إن تم في المقطع الاستهلالي استبعدت أفضليته لأن الحسم رهين بنوع الخرق وعدده[25].يلخص الجدول هذه المعطيات :

(27)

الاحتمالات	أمت اللبس	انتظام المقاطع	منع النقل	الملء	-قفل
فَعَعَل		*	-ععل-		
☜فعَّل				*	
فَعْلَلَ	*!		-ععل-	*	

يولد " فاعل" بنفس الآية، وذلك بزيادة مقطع بعد المقطع الأول، لكن عملية تشغيل حيزيه تؤدي بدورها إلى عدة افتراضات تتفاوت درجات انسجامها واستجابتها للقيود.بتشغيل المقطع الزائد ككل نحصل على " فَعَعَل" فتخرق عدة قيود وبتشغيل الحيز

25) برينس وسمولانسكي (1993)، مكارثي وبرينس (1993).

الصامتي فقط ينتج "فَعَعل" وهو بعيد عن شكل البناء المستهدف، لكن بملء الحيز المصوتي فقط نحصل على "فاعل" السليم البناء لاستجابته لمعظم القيود العامة

في إطار فرضية الألقاب .ص مص. وفرضية البناء الصرفي للدخل والخرج نعبر عن تلك العلاقات بواسطة التمثيلين الآتيين :

تفعل : [جذر] [[جذر] صيغة] ← [[بناء] زيادة] ← [[بناء مزيد]+ زيادة] ←

ب- تفاعل : [جذر] [جذر [صيغة]] [[بناء] زيادة] [[بناء مزيد] زيادة]

هناك تماثل بين البناءين على مستوى البنية الصريفية والتطريزية وعلى مستوى تفاعل القيود، إذ تتفاوت الاحتمالات المولدة من حيث استجابتها للقيود،

فمعظمها يخرق أمن اللبس ولا يستجيب لقيد الملء، بالإضافة إلى أن بعضها يخرق قيد الموازاة وقيد التجزيء. ويبدو أن الاحتمال الأفضل هو الذي يستجيب بشكل أفضل لنسق القيود.

نفس التنازع يظهر عند معالجة الاحتمالات المتنوعة المشتقة من "فعل"، فالتحليل يفضي إلى عدة إمكانيات تتفاوت استجابتها أيضا للقيود المعنية.

ترتبط الهندسة الصرفية لأفعال المزيدة انطلاقا ببنية قالب المقطع. ص مص. وفرضية الشكل المقطعي للزيادة مع مراعاة تعاقب المستويات الصرفية بالنظر إلى ثنائية الدخل / الخرج، حيث نستخلص مجموعة من النتائج :

- خضوع "فاعل" و"فعَّل" لآلية موحدة تستجيب لضرورة الملء.
- كلاهما مشتق من "فعَل" بزيادة على شكل مقطع .ص مص. يخضع تحققه لعدة احتمالات ترجح القيود أفضلها.
- تمثل قضايا هذه الأبنية اختبارا للآلية المستقلة القطع، حيث يتجلى قصورها في الاكتفاء بالوصف دون محاولة التفسير.
- يمثل "أفعل" خرج عمليات خضعت لها الحلقة الثانية من الدخل، وأن بينه وبين "افتعل" تطابقا صوريا يتجلى في انتظام الصوامت والمصوتات وفي شكل الزيادة والقالب التطريزي، وإن اختلفا فيما يخص نوع الزيادة وموقعها.

- إن ربط الدلالة على المطاوعة ببناءين تعميم فيه تجوز كثير، فبالعودة إلى المعطى المعجمي يتأكد أن "افتعل" ليس دائما تعويضا عن تعذر بناء انفعل لاعتبارات فونولوجية وصرفية.
- يرتبط "تفعل وتفاعل" بالبناء الهرمي للدخل، فهما مشتقان من بناء مزيد.
- في إطار تعاقب المستويات، يعد "استفعل" خرجا لفعل عبر زيادة مركبة.
- للموازنة أبعاد مختلفة، ومظاهر مرتبطة بالبعد القطعي والصريفي والمقطعي.
- لاشتقاق هذه الأبنية مظهر تطريزي وصرفي وآخر أپوفوني وأن هذا المجال يحدده نوع القالب ووضع القيود، فضلا على أن التناوبات المصوتية تتأثر بعدة عوامل.

لقد أفاد التحليل المقترح أن اشتقاق هذه لأبنية يفرز عدة احتمالات متفاوتة الانسجام، تعمل القيود على اختيار أجودها على مستوى سلامة البناء، وتعمل على تفسير التغييرات الطارئة.

نتائج دراسية

نستخلص انطلاقا من الأبنية المدروسة أن عملية انتظام الصوامت والمصوتات والتأليف بين الصريفات والمقاطع تراعي شرط سلامة البناء الذي يقتضي إيثار الأخف ومنع الثقل، حيث يفضل "فَعَل" مثلا على "فُعُل" و"فِعُل"، في هذه الحالة يساند قيد انسجام النواة قيد منع الثقل بما أن الفتحة أكثر جهارة من الكسرة والضمة.

كما يساعد قيد وحدة الباب انسجام النواة في ترجيح "يكتُب" على "يكتِب" و"يكتَب" :

(1)

الاحتمالات	انسجام النواة	وحدة الباب
☜ يكتُب		
يكتِب	*	*
يكتَب	*	*

ويتكامل أمن اللبس ووحدة الباب في ترجيح "ضَرَبَ" على "ضَرْبَ" :

(2)

الاحتمالات	أمن اللبس	وحدة الباب
☜ضَرَبَ		
ضَرْبَ	*!	*

تفيد المعطيات اللغوية إمكانية تنازع وحدة المقطع وانسجام النواة ووحدة الباب كما يظهر من خلال الجدول :

(3)

الاحتمالات	وحدة المقطع	انسجام النواة	وحدة الباب
☜يفضَل	*		
يفضُل		*	*
يفضِل	*	*	*

فيوضع قيد وحدة المقطع في أسفل هرم الترتيب :

انسجام النواة، وحدة الباب >> وحدة المقطع

ويبدو أن انسجام النواة ومنع الثقل يساند أحدهما الآخر :

(4)

الاحتمالات	انسجام النواة	منع الثقل
☜ينحَر		
ينحُر	*	*
ينحِر	*	*

يبرر الجدول (5) تنازع ملء الصدر وقيد المقطع. ص مص. وقيد الحد الأدنى وقيد أمن اللبس، ذلك أن اعتماد حيز شاغر ينقذ هذه القيود باستثناء قيد ملء الصدر.

أما الاستغناء عنه في مثل (-عَدَ) فإنه يمكن من حفظ هذا القيد لكنه يعرض القيود الأخرى لخرق فاذح، وإن تركت القطعة غير مجزأة انتهك أمن اللبس والحد الأدنى رغم إنقاذ قيد الملء وقيد المقطع . ص مص.، لذا فضل الاحتمال الذي يتمثل لكل هذه القيود التي تبدو متكاملة في تحقيق سلامة البناء :

نستخلص أن للعلاقة بين هذه القيود أبعادا مختلفة، فقد تتخذ شكل تنازع أو تكامل، وقد تتسم بالحياد. وأن وضع القيد رهين بهذه العلاقات، لذا لا تخضع القيود لترتيب صارم، ومع ذلك تبدو متفاوتة من حيث القوة والضعف إذ يمكن ترتيبها حسب علاقة التحكم وفق ما تؤكده الوقائع اللغوية المدروسة كما يلي :

(5) هرم ترتيب القيود

أمن اللبس، المقطع .ص مص.، انتظام المقاطع، قيد الصدر، قيد النواة، التجزيء >> انسجام النواة، وحدة الباب، منع الثقل>> الموازاة، المطابقة، الطرف، ملء الصدر، ملء النواة>> وحدة المقطع.

كما يستخلص أن البناء حصيلة التأليف بين مجموعة الصريفات وتعاقب مجموعة من المستويات، باعتباره تقاطع مجالين أساسيين لأولهما طابع تطريزي يعبر عنه بالقالب القائم على أحياز تنتظم في بنية مقطعية، وللثاني طابع صرفي يتجسد في العدة القطعية التي تنتظم في صريفات، وأن عملية التأليف بين المكونين تراعي سلامة البناء التي تضبطها مجموعة من القيود الصرفية والتطريزية.

ويستفاد أن عملية اشتقاق هذه الأبنية قائمة على البناء الهرمي للدخل الذي يوازيه تعاقب مجموعة من المستويات الصرفية .

حيث يمثل كل مجال حلقة اشتقاقية، فضلا على كون الدخل يولد عدة احتمالات ترشح لتغيرات صرفية وتطريزية مختلفة.

باعتماد فرضيات محددة انتهينا إلى تقاطع مجموعة من المستويات في تشكيل البناء، تنتظم في بعدين أحدهما صرفي والآخر تطريزي، ولكليهما نطاق اشتغال مجموعة من

القيود. فلاحظنا في هذا الإطار أن القالب كمفهوم تطريزي يفرض تعديلا البناء بتحكمه في عمليات متنوعة كالاجتلاب والاستغناء وترخيص خرق بعض القيود واستلزم الامتثال لأخرى، بالإضافة إلى تحكممه في كيفية انتظام الصوامت والمصوتات، في المقابل أكدنا تأثير التغيرات الطارئة على البناء بواسطة الحذف أو الزيادة على حجم القالب وبنيته المقطعية وعلى القيود التي تضبطه، فأبرزنا التفاعل بين الصرف والتطريز.

إن بدا من خلال المقارنة الجزئية بين القيود تحكم قيد تطرزي في آخر صرفي أو حصول العكس، فإن هذا الحكم لا يطرد على سائر القيود، إذ لا تؤكد الوقائع اللغوية تحكما مطلقا للصرف في التطريز ولا تحكما مطلقا للتطريز في الصرف، بل نستخلص وجود تفاعل بين الطرفين.

لكن هناك تبادل للتأثير والتأثر على شكل تحكم نسبي للصرف في التطريز، وتحكم نسبي للتطريز في الصرف.

لقد مكنت الأشكال المدروسة من رصد البنية الصرفية والتطريزية لأبنية متنوعة ومعانية التغيرات الطارئة عليها، استخلصنا من خلاله معالم تصور لشروط سلامة البناء الصرفية والتطريزية وكيفية استخلاص الاشكال المثلى باعتماد آليات دقيقة في عملية التقويم من خلال فرضية التفاعل بين الصرف والتطريز.

مراجع البحث

1- المراجع العربية

- الفارابي، إبراهيم (1984) ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر.
- ابن القطاع، كتاب الأفعال، طبعة حيدر أباد سنة 1360، ط 1.
- إبن القوطية، الأفعال الثلاثية والرباعية، طبعة ليدن 1894.

2- المراجع الأجنبية

- McCarthy , J.(1979) « Formal problems in semitic phonology and Morphology » .D. Dissertation , M.I.T , Cambridge Massachussets.
- McCarthy ,*J.* & Alan prince (I993a»> prosodic Morphology : constraint Interaction and satisfaction», Rutgers university center for cognitive science.
- Prince, A&.. Smolensky. (1993) « optimality theory : constraint interaction in Generative Grammar». Rutgers university center for cognitive science.
- René Kager.1999 « Optimality theory». Cambridge university press.
- McCarthy , J.(2002) « a thematic guide to optimality theory». Cambridge university press

البنية الدّاخليّة للفونيم : من التصوّر الكلاسيكي إلى التصوّر الهندسي

محمد العلْوي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز بفاس، المغرب

0 - تمهيـــــد

ظهرت نظرية السمات المميزة كواحدة من النتائج الكـــبرى والهامـــة للـــسانيات الحديثة. فقد أصبح من المسلم به، منذ عدة عقود، أن الفونيمات ليست المكونات النهائية للتحليل الصواتي، وأنها قابلة لأن تحلل إلى خصائص مميزة صغرى متزامنة تسمى سمـــات. وبفضل نظرية السمات، أصبح العدد الضخم، ظاهريا، للأصوات اللغويـــة الموجـــودة في لغات العالم مجرد تحققات سطحية لعدد محدود من تأليفات مجموعة صـــغيرة جـــدا مـــن السمات تربو على العشرين. كما وفرت هذه النظرية إثباتا قويا لصالح تصور أن اللغات لا تختلف بدون حد، وأنها تعكس نسقا عاما واحدا متجـــذرا في القـــدرات الفيزيائيـــة والمعرفية للجنس البشري[1].

ومع نشأة الصواتة التوليدية في نهاية الستينيات، تم التخلي عن مـــصطلح الفـــونيم phoneme المعتمد في الصواتة التقليدية واعتماد مصطلح القطعة Segment بديلا لـــه مـــع احتفاظه بالمفهوم نفسه. وتعتبر الصواتة التوليدية بنماذجها وتياراتها المختلفة أن الـــسمات

(1 Clements, G.N (1985) : The geometry of phonological feature ، ص225. وكذلك :
Clements, G.N. (1993) : Lieu d'articulation des consonnes et des voyelles : une théorie unifiée. ص1

هي الوحدات الأساسية في التمثيل الصواتي، وهذا ما جعلها تهتم كثيرا بماهية هذه السمات وتحديدها، مما أسهم كثيرا في تقدم دراسة المظهر الصواتي للغات الإنسانية.

وإذا كان واضحا بالنسبة لجميع النظريات الصواتية البنيوية والتوليدية إلى حدود بداية الثمانينيات أن السمات هي المكونات النهائية للكلام، فإن ما لم يكن واضحا بالمرة هو الكيفية التي تنتظم بها هذه السمات داخل الفونيم أو القطعة باصطلاح النظريات التوليدية. ولقد أدى النقاش العميق حول البنية الداخلية للقطعة وطريقة انتظام السمات، والذي ابتدأ في بداية الثمانينيات، إلى انبثاق نظرية جديدة للسمات الصواتية هي التي تسمى"نظرية هندسة السمات". وتنكب هذه النظرية على مسألتين أساسيتين هما : كيف تصنف السمات المميزة المختلفة من طرف السيرورات الصواتية ؟ وما هي طبيعة البنية أو "الهندسة" المقترحة لتمثيل مركبات السمات داخل القطعة ؟

1 - التصور الكلاسيكي لبنية الفونيم (القطعة)

إن التصور الذي كان سائدا في اللسانيات البنيوية — سواء الأوربية أو الأمريكية- هو أن الفونيم عبارة عن مجموعة غير مبنينة من السمات. وهذا التصور يعكسه بوضوح وصف بلومفيلد المشهور للفونيم بأنه "حزمة Bundle" من السمات؛ ذلك أن مفهوم الحزمة يوحي بانعدام نظام ملازم وبالافتقار إلى بنية معينة[2]. ووفقا لهذا التصور، عالجت الأبحاث الصواتية في الأدبيات الياكبسونية والتوليدية المعيار الفونيمات (أو القطع) بوصفها صفوفا Columns أو مصفوفات Matrices من السمات بدون أية بنية داخلية[3].

إن الملامح الصواتية، كما تقدمها الصواتة التوليدية المعيار في تمثيلاتها غير منظمة وغير مرتبة، فهي مصففة بشكل عشوائي واحد تحت الآخر في المصفوفات. فالقطعة / ب/، مثلا، تمثل على النحو التالي :

2) Clements, G.N (1985)، ص225.

3) Clements, G.N and Hume, E.V (1993) .The internal organizationofspeech، ص1.

(1)

+ صامتي
- مقطعي
+ شفوي
+ مجهور
- مستمر
...إلخ

إن التأويل الدقيق لشكلية المصفوفة، كما يقول كليمنتس (1985)، يمنع إمكانية أن تتمكن السمات من التداخل في المستوى ما قبل الأصواتي للوصف، أو أن يكون لتخصيصات السمات، بوصفها وحدات المصفوفة، تنظيم هرمي داخلي من أي نوع. ورغم النجاح الكبير لنموذج المصفوفة في توفير صورة بسيطة وجلية عن تمثيل السمات، وذلك على نحو يجعلها قابلة لمعالجة تحليلية ومعلوماتية بسهولة، فإن هذا النموذج قد قدم دعما ضمنيا لفكرة أن السمات الصواتية متزامنة وغير مبنية على المستوى الصواتي، وأن أي تداخل للسمات في المستوى السطحي يجب أن يحلل على أنه نتيجة للتحقيق الأصواتي(4).

إن نظرية التمثيل القطعي المقدمة من طرف تشومسكي وهالي (1968) تفكك كل قطعة إلى لائحة بسيطة من السمات المميزة الثنائية القيمة. ورغم إقرار هذه النظرية بأن التمييزات المختلفة تتراصف بشكل طبيعي في مجموعات أو مقولات تصنيفية مثل "سمات الفصائل الكبرى"، [جهير]، [مقطعي]...)، "سمات الموضع" ([طرفي]، [متقدم]، ...) "سمات كتلة اللسان" ([عال]، [منخفض]، و[خلفي])، و"سمات نمط النطق" ([مستمر]، [أنفي]، [جانبي]...)، فإن هذا التصنيف الوسمي (نسبة إلى السمة) لا يقوم على أي أساس صواتي، ولا يقوم بالتالي بأي دور في صياغة التعميمات الصواتية.

ومن جهة أخرى، فإن السمات المحددة لقطعة ما تكون، وفقا للتصور التوليدي المعيار وتصورات النماذج السابقة أيضا، في علاقة مقابلة نظيرية Bijective relation مع تلك القطعة. ذلك أن كل قيمة تميز قطعة واحدة فقط، وكل قطعة تميَّز بواسطة قيمة

4) ص ص 225-226.

واحدة من كل مقولة وسمية. والنتيجة الحتمية لهذه العلاقة (علاقة عنصر بعنصر) هـي أن السمات لا يمكنها أن تمتد على مجالات أكبر أو أقل من قطعة واحدة[5]. وهـي نتيجة طبيعية للطريقة التي تم بها تصميم نظام التمثيل. وفضلا عن ذلك، فإن صف أو مصفوفة السمات في تصور تشومسكي وهالي (164 : 1968-165) دالة Function تعين وحدة ما أو فونيما لمجموعة من المقولات الأصواتية التي تحدد خصائصه الفيزيائية. أما مفهوم "تـداخل السمات Feature overlap" فلا يعني شيئا داخل هذه الرؤية. إن السمات ليست وحدات، مع القدرة على الامتداد أو الانكماش ضمن صف معين، وإنما هي مقولات تعـيَّن لها وحدات[6].

2 - الصواتة المستقلة القطع وبنية السمات الصواتية

جاءت الصواتة المستقلة القطع كرد فعل تجاه النماذج الخطّية وتجاه النمط الأحادي المستوى في التمثيلات. وقد أثبتت، من خلال إقرار تعددية المـستويات واسـتقلاليتها، كفاءتها وقيمتها في معالجة الوقائع النغمية وسيرورات التناغم والتأثيرات عن بعد. غير أنه، وإلى حدود الثمانينيات، تركت التمثيلات المستقلة القطع السمات الـصواتية منفـصلة بعضها عن بعض، ولم تقترح أي تفسير للسيرورات المتعددة التي تستلزم سلوكا مقرونـا بعدة سمات. وبذلك لم يُنظَر بعين الاعتبار إلى الترابط Solidarité بين بعض المجموعات من السمات في عدة إواليات[7].

لكن النتائج الهامة التي توصلت إليها النظرية المستقلة القطع دفعت بعض الصواتيين في مرحلة متقدمة من مراحل تطور هذه النظرية إلى التفكير مليا في بنية السمات الصواتية. ونذكر من بين هذه النتائج ما يلي[8] :

---

5) Clements, G.N and Hume, E.V (1993)، ص225.

6) Clements, G.N (1985)، ص226.

7) Rialland, A et Laks, B (1993) : Présentation : Architecture et géometrie des représentations phonologiques ص18 .

8) Blevins, Juliette 1994) : "A place for Lateral in feature geometry"، ص302.

أولا، تبين أن للسمات القطعية وضعا مستقل القطع، كما هـو الحـال بالنـسبة للسمتين [أنفي] و[تقدم جذر اللسان] مثلا.

ثانيا، تم اعتبار السمات القطعية مرتبة داخل القطعة، خصوصا ما تعلق منها بالقطع المزجية والمؤنفة قبليا حيث تُسْنَد إلى هذا النوع من القطع قيمتان مختلفتان لنفس المقولـة الوسمية ([-مستمر]، [+مستمر] بالنسبة للمزجيات، و[+أنفـي]، [-أنفـي] بالنـسبة للمؤنفات القبلية).

ثالثـا، تم النظر إلى قواعد المماثلة والمخالفة بوصفها، علـى التـوالي، امتـدادا Spreading مستقل القطع وفكا لربط Delinking سمة أو حزمة سمات.

وهكذا، قامـت بعـض الأعمـال (ثراينـسن (1978)، كولـدسميث(1981)، موهنان(1983)، مسكارو (1983)، على وجه الخصوص)، والتي يمكن اعتبارهـا بـوادر وإرهاصات أولى لنظرية هندسة السمات، بدراسة التفاعل بين مجموعـات مختلفـة مـن السمات في سيرورات صواتية أهمها المماثلة. وقد وجـدت هـذه الأعمـال أن بعـض المجموعات من السمات تتصرف بتساوق Consistently كوحدة في بعض الأنـواع مـن قواعد المماثلة والتحويل، واعتبرت ذلك سببا وجيها لافتراض أن هذه السمات تـشكل وحدة في التمثيل الصواتي بصرف النظر عن عمل القواعد نفسها، وذلك على غرار ما هو مقرر في التركيب Syntax حيث تشكل المركبات التي تشتغل كوحدة واحدة في القواعد التركيبية مكونات هرمية في تحليل بنية الجملة[9]. وتتوفر الصواتة المستقلة القطـع علـى الآليات التي تمكنها من التعبير عن هذه العلاقة بين السمات بطريقة طبيعية، حيث تتـيح التمثيلات المتعددة الطبقات المعتمدة إمكانية إسناد السمات المفردة وكذلك مجموعـات السمات التي تشتغل كوحدة إلى طبقات منفصلة. وكما هو معلوم من خـلال الوقـائع النغمية والتناغمين المصوتي والأنفي، مثلا، فإن القواعد قد تؤثر في قطع على طبقة معينـة دون التأثير في قطع على طبقات أخرى. وعلى هذا الأساس، فإن جمـع مجموعـة مـن

---

9) Clements, G.N (1985)، ص226.

السمات في طبقة واحدة يمنحها، في الواقع، إمكانية التصرف كوحدة وظيفية في السيرورات الصواتية (المماثلة، الحذف، ... إلخ) [10].

وقد خلصت الأعمال المذكورة أعلاه إلى ضرورة إعادة بناء جذرية لنظرية السمات المميزة المقدمة في تشومسكي وهالي (1968)، وذلك على نحو يمكنها من التعبير عن العلاقة بين السمات الصواتية التي تبدي سلوكا واحدا وموحدا في سيرورات صواتية مختلفة في لغات مختلفة. ونظرية السمات التي سيعاد بناؤها وتشكيلها ابتداء من منتصف الثمانينيات هي التي ستسمى "نظرية هندسة السمات"، والتي سيعلن عن ميلادها بشكل رسمي وصريح في مقال كليمنتس الرائد الموسوم بـ : "هندسة السمات الصواتية The geometry of phonological Feautures" الذي صدر سنة 1985. وستصبح هذه النظرية، بعد استوائها واكتمال معالمها، مكونا فرعيا مستقلا من مكونات الصواتة غير الخطية، وستظهر اهتماما أكبر بالظواهر القطعية، خصوصا ظواهر المماثلة، لكن دون أن تقتصر عليها.

3 – التصـــور الهندسي لبنية القطعة (الفونيم)

3–1 قام كليمنتس في عمله الطليعي (1985) بتطوير اقتراحات موهنان(1983) ومسكارو (1983) وآخرين، وعمل على وضع اللبنات الأولى لنظرية هندسة السمات. وقد فتح هذا العمل المجال لأعمال أخرى أسهمت بدورها في بناء صرح النظرية وإرساء دعائمها (ساجي (1986)، ماكارثي (1988)، هالي (1989)، كليمنتس (1989، 1993) من بين أخرى).

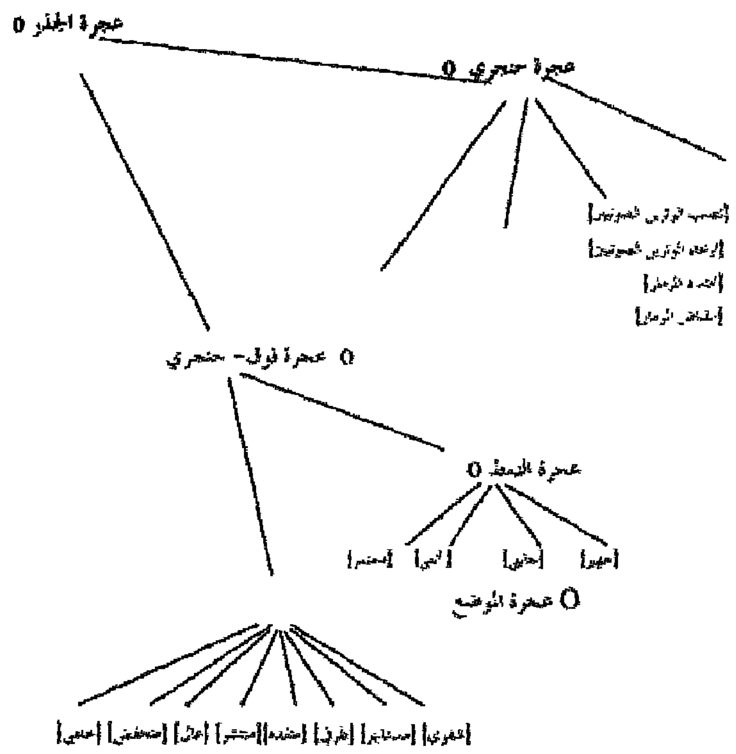
لقد استنتج الصواتيون المؤسسون لنظرية هندسة السمات، بناء على ملاحظة سيرورات صواتية مختلفة في لغات كثيرة لا قرابة بينها، أن بعض المجموعات من السمات تشكل فصائل طبيعية. وحجتهم في ذلك نزوع هذه السمات إلى المشاركة مجتمعة، وعلى نحو مطرد، في السيرورات الصواتية. وحثهم هذا الاستنتاج على اقتراح نموذج عام لتنظيم السمات يتم فيه تجميع السمات التي تشتغل كوحدة (فصائل السمات) في مكونات

10) نفسه، ص227.

يسمونها عجر الفصائل class nodes. وهكذا، فإن نظرية هندسة السمات تمثل القطع بواسطة تشكيلات من العجر المنظمة هرميا، ويكون ذلك عادة ضمن شجرة تسمى شجرة السمات. وتمكن هذه الشجرة من التعبير بوضوح عن علاقتي التبعية والإشراف القائمتين بين السمات والعجر. ففي أعلى مستوى توجد عجرة فصيلة تسمى- تبعا لموهنان- عجرة الجذر Root node هي التي تُربط مباشرة بالهيكل أو طبقة ص مص . وتشرف عجرة الجذر على مجموعة من عجر الفصائل أو المكونات التي تشرف بدورها على عجر ختامية تتشكل من السمات.

يفترض كليمنتس (1985)، على سبيل المثال، وكاقتراح أولي، أن العجر التي تمثل المحتوى الأصواتي لقطعة ما هي : عجرة الجذر Root node، عجرة حنجري laryngeal node، عجرة فوق حنجري Supralaryngeal. N، عجرة الموضع Place. N.، وعجرة النمط Manner N.. وتنتظم هذه العجر بالشكل الهندسي التالي :

(2)



إن نموذجا من هذا النوع، كما يقول كليمنتس (1985)، يتطابق مع ملاحظة جوهرية تتعلق ببنية جهاز التصويت الإنساني. ذلك أن أهم خاصية لإنتاج الكلام هي أنه مكوّني Componential أصلا، يستخدم تنسيقا بين الحركات النطقية Gestures المتزامنة والمتداخلة جزئيا، وهذه الحركات تبدي درجات متفاوتة من الاستقلال التعاوني Mutual independence (11).

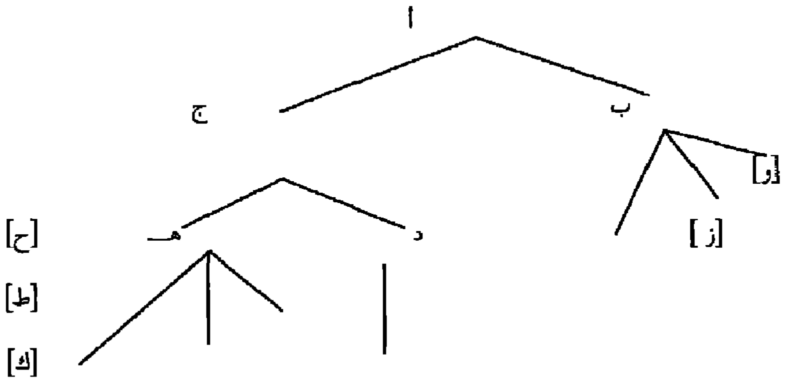
يتضح، إذا، من خلال (2) أن السمات الصواتية التي تكون الأصوات اللغوية لم تعد مجرد قائمة بسيطة غير منظمة، وإنما أصبحت تمتلك بنية هرمية. وإذا كانت السمات تشكل العجر الختامية Terminal nodes لشجرة السمات الممثلة أعلاه، فإن الفصائل أو المكونات تشكل عجرها الوسيطة. ويقول كليمنتس وهيوم (1993) عن التنظيم الهرمي للسمات : **«إن كون البنية الداخلية للقطع منظمة بشكل هرمي ليس أمرا مفاجئا في حد ذاته، وذلك على اعتبار أن البنية اللسانية هرمية في جميع مستويات التمثيل الأخرى (التركيبي والدلالي والصرافي)»**(12).

إلا أنه خلافا للخطاطات الشجرية المعتادة في النظرية التركيبية، فإن العناصر الختامية في شجرة السمات الصواتية غير مرتبة، بمعنى أن كل عنصر منها يحتل طبقة منفصلة(13).

2-3 – التمثيل الهرمي للسماتووظيفة سطور الاقتران

تنتظم مجمل الهرميات المقترحة لتنظيم السمات الصواتية بالشكل العام التالي :

(3)



11) ص228.

12) ص48.

13) نفسه، ص4.

وتمثل العناصر الموضوعة بين معقوفين، في هذا التمثيل الصوري، العجر الختامية المكونة من السمات الصواتية، في حين تمثل العناصر الأخرى المكونات أو عجر الفصائل.

ولسطور الاقتران Association Lines في مثل هذا النموذج وظيفة مزدوجة. فهي تصلح، أولا، لتدوين التداخل الزمني والتناسق فيما بين العناصر التي تضمها التمثيلات مثلما هو الحال في الصواتة المستقلة القطع[14]. إذ لما كان النموذج الهرمي لتنظيم السمات يتألف، هو الآخر، من عدة طبقات كان من الطبيعي توقع مزامنة بين هذه الطبقات التي تمثلها عجر الفصائل والعجر الختامية. وعلى هذا الأساس، وبافتراض أن للقطع مدة داخلية وبنية داخلية أيضا، فإن سطور الاقتران تشير إلى تداخل عناصر التمثيل في الزمن. وهذا التداخل يتم عن طريق ربط العجر الختامية (السمات) من خلال عجر وسيطة (عجر الفصائل) بعجرة عليا تجسد المحتوى الأصواتي للقطعة. وهذه العجرة هي عجرة الجذر التي تقترن في النهاية، بما هي أعلى عجرة في الهرمية، بحيز زمني (أو وحدة من وحدات الهيكل أو طبقة ص مص).

أما الوظيفة الثانية لسطور الاقتران، فهي تحديد مجموع أعضاء المقولة[15]. إنها تجمع العناصر التي تشتغل بوصفها وحدات واحدة في القواعد الصواتية في مكونات[16]. ففي الخطاطة (3)، مثلا، تشير سطور الاقتران التي تربط **ب** بـ[و] و[ز] و[ح] إلى أن هذه الأخيرة أعضاء للمقولة أو المكون **ب**. والشيء نفسه يقال عن [ك] و[ل] و[م] في علاقتها بالمكون **هـ**.

وفي الخطاطة (2)، مثلا، التي تصور نموذج كليمنتس (1985) لتنظيم السمات، تشير سطور الاقتران التي تربط العجرة حنجري بالسمات الختامية [تصلب الوترين الصوتيين]، [ارتخاء الوترين الصوتيين]، [امتداد المزمار]، و[انقباض المزمار] إلى أن هذه السمات الأربعة هي التي تشكل مجتمعة المكون "حنجري" في شجرة السمات. وبتعبير آخر، فإن سطور الاقتران تدون علاقات الإشراف بين المكونات وتوابعها. وهكذا، ففي الخطاطة

14) Sagey, E.C (1986) : The representation of features and relations in non-linear phonology, p.285.

15) Phillips, Colin (1994) "Are Feature Hierarchies Autosegmental Hierarchies.204ص ،?

16) Clements, G.N and Hume, E.V (1993) , p.p. 4 – 5.

(3) أعلاه، يقال عن العجرة أ التي يفترض أنها تمثل عجرة الجذر، إنها تشرف إشرافا مباشرا على ب وج، وإن ب وج بنتان Daugthers أو تابعان للعجرة أ. وما داما كذلك فهما تشكلان عجرتين أختين Sister nodes. كما أن ج تشرف إشرافا مباشرا على العجرتين الأختين د وهـ، في حين تشرف عليهما العجرة أ إشرافا غير مباشر. وأخيرا، تشرف العجر ب، د وهـ على العجر الختامية (السمات) التي تميزها. وإذا كانت العجرة هـ، مثلا، مميزة بالسمات [ك] و[ل] و[م] فستكون العجرة أ (عجرة الجذر)، بوصفها أعلى عجرة في الهرمية، مميزة بكل سمات التمثيل. وبناء على هذا، يمكن تعريف قطعة أصواتية بأنها عنصر من عناصر طبقة ص مص (أو الهيكل) بالإضافة إلى كل السمات التي تميزه (17).

وبارتباط مع علاقات الإشراف والتبعية هذه، لا بد من الإشارة إلى مسألة هامة في إطار نظرية هندسة السمات المعتمدة للتنظيم الهرمي، وهي أن وجود سمة تأكدت تبعيتها كونيا لعجرة معينة في التمثيل الهرمي يستلزم ويستتبع بالضرورة وجود هذه العجرة وحضورها أيضا. وبالمقابل، فإن مد هذه العجرة أو فك ربطها في سيرورة من السيرورات الصواتية يستلزم بالضرورة أيضا مد أو فك ربط السمة (أو السمات) التابعة لها.

3-3 - التعليل الأصواتي والصواتي لتنظيم السمات

حاولت الهرميات المقترحة للسمات الصواتية، إضافة إلى تحديد السمات المميزة المكونة للقطعة، تحديد العجر المفترض أنها كونية في التمثيلات، وكذلك تحديد مكان تموقع هذه السمات والعجر في شجرة السمات. وبغية إنجاز هذه المهمة الإمبريقية على نحو أمثل، تحرص كل النماذج المندرجة في إطار نظرية هندسة السمات على تقديم تعليلات أصواتية وأخرى صواتية لتصنيف السمات في برامترات نطقية مثل : "حنجري"، "موضع"، "نمط" ...إلخ. وهذا يعني أن تنظيم العناصر الصواتية في الهرميات ليس اعتباطيا، وإنما يرتكز على عوامل مثل فيزيولوجية الجهاز المصوت، والأكوستيكا أحيانا، التي تعلل التنظيم أصواتيا. كما يرتكز على تفاعل هذه العناصر مع العمليات والقيود الصواتية

---

17) Clements, G.N (1985)، ص248.

الأساسية في السيرورات الصواتية، والذي يعلل تنظيم السمات صواتيا. ونعني بالعمليات والقيود : الامتداد، فك الربط، وتأثيرات مبدإ النطاق الإجباري OCP على وجه الخصوص.

3-3-1- التعليل الأصواتي لعجز الفصائل

تقول ساجي (1986) : « إن الإنسان يُحدث كلاما باستعمال أعضاء نطق خاصة في الجهاز المصوت، وهذا الكلام يحدث تأثيرات مميِّزة على الصورة الموجية الأكوسية، وتدرك الصورة الموجية وتعالج من طرف النظام السمعي للإنسان. وسيكون أمرا مفاجئا إذا لم تؤثر هذه الإوالية الفيزيائية للكلام في البنيات والتمثيلات والسيرورات وقوائم القطع الموجودة في الصواتة »[18]. وبالنظر إلى هذا التأثير الذي يمارسه التركيب البنيوي للأعضاء Anatomy والأكوستيكا على الصواتة، والذي لا يمكن لأي نظرية أن تنكره، تعتبر ساجي أيضا أن أحسن فهم للصواتة وأفضل نظرية صواتية تفسيرية ينشآن عن البحث في الصواتة يدا بيد مع الأصواتية[19].

إن أحد المظاهر الأخاذة لنظرية هندسة السمات - كما يقول بادجت (1995) - هو تعهدها بأن تمكّن من فهم أحسن لعلاقة الصواتة بالأصواتية. ولذلك تحاول كل النماذج المقترحة لتنظيم السمات في إطار هذه النظرية أن تنظم السمات في تمثيل هندسي يطابق إلى حد ما تمثيلا مبنيا على التشريح الوظيفي للجهاز المصوت، أي على معايير الاستقلال النطقي[20].

وإذا عدنا مثلا إلى هرمية الملامح المقترحة من طرف كليمنتس (1985) الممثلة في (2) نجدها تتكون من برامترات نطقية يبدي كل واحد منها درجة عالية من الاستقلال عن الآخر، وهذه البرامترات هي :

(4) أ- التشكيلة الحنجرية.
ب- درجة تضييق التجويف الأنفي (مفتوح/ مغلق).
ج- درجة تضييق التجويف الفموي ونوعه.

---

18) ص17.
19) نفسه.
20) Padgett, J (1995) : " Structure in Feature geometry "، ص ص 13-14.

د- ثنائية العضو النطقي النشيط وغير النشيط[21].

ويشير كليمنتس (1985) إلى أنه داخل كل واحدة من هذه المقولات، من الصعب، وأحيانا من المستحيل، الاحتفاظ بحركة نطقية على الرغم من تغـــيير أخـــرى بحريـــة. إذ يصعب، مثلا، ولو أنه ليس مستحيلا، الجمع بين تشكيلة مزمارية ممتدة (النفسية) وبـــين الجهر. فهذان الملمحان للمقولـــة (4أ) ينـــزعان إلى التوافق في أغلب فصائل الأصوات في أغلب اللغات[22]. كما يرى كليمنتس أن المقولات المتباينة لـــ (4) ليست مستقلة بصورة متساوية بعضها عن بعض. ففي حين أن مقولة التشكيلة الحنجرية تتغير بحرية تامة بالنظر إلى المقولات الثلاثة الأخرى، فإن هذه الأخيرة تبدي درجة هامة من الاستقلال التعاوني. فالأنفية، على سبيل المثال، ليست تعارضية في الأصوات الحلقية، والإرخاء الجانبي Lateral release ليس تعارضيا في الأصوات الشفوية...إلخ [23].

إن هذا التصور لإنتاج الكلام مجسد، في نظر كليمنتس، من طرف النموذج الذي في (2). وهذا الأخير يزعم أن درجات الاستقلال المتفاوتة بين السمات الأصواتية يمكـــن التعبير عنها بواسطة تصنيف هرمي حيث تميل المقولات المتفرعة العليا إلى أن تكون أكثـــر استقلالا من المقولات المتفرعة السفلى. وبتدقيق أكبر، فإن الاستقلال النسبي لأي سمتين أو فصيلتين وسميتين متضايف مع عدد العجر التي تفصلهما. وهكذا، فإن هندســـة(2) تقـــر بأعلى درجة من الاستقلال بين السمات الحنجرية وباقي السمات، وبالدرجـــة الأعلـــى الموالية بين سمات النمط وسمات الموضع[24]. ورغم أن كليمنتس (1985) قد اعتبر أن (2) يعكس بدقة كبيرة التصنيف (4)، فإنه قد تنبه بعد ذلك إلى أنه يختلـــف عنـــه في نقطـــة واحدة، وهي عدم إقرار تمييز هرمي بين الأنفية وسمات النمط الأخرى[25]. وهذا "النقص" هو من الأشياء التي عملت ساجي (1986) على استدراكها في نموذجها حيث أضـــافت عجرة فصيلة تحت عجرة فوق-حنجري مجاورة لعجرة الموضع، وهذه العجرة هي عجرة

---

21) ص229.

22) ص ص229-230.

23) ص230.

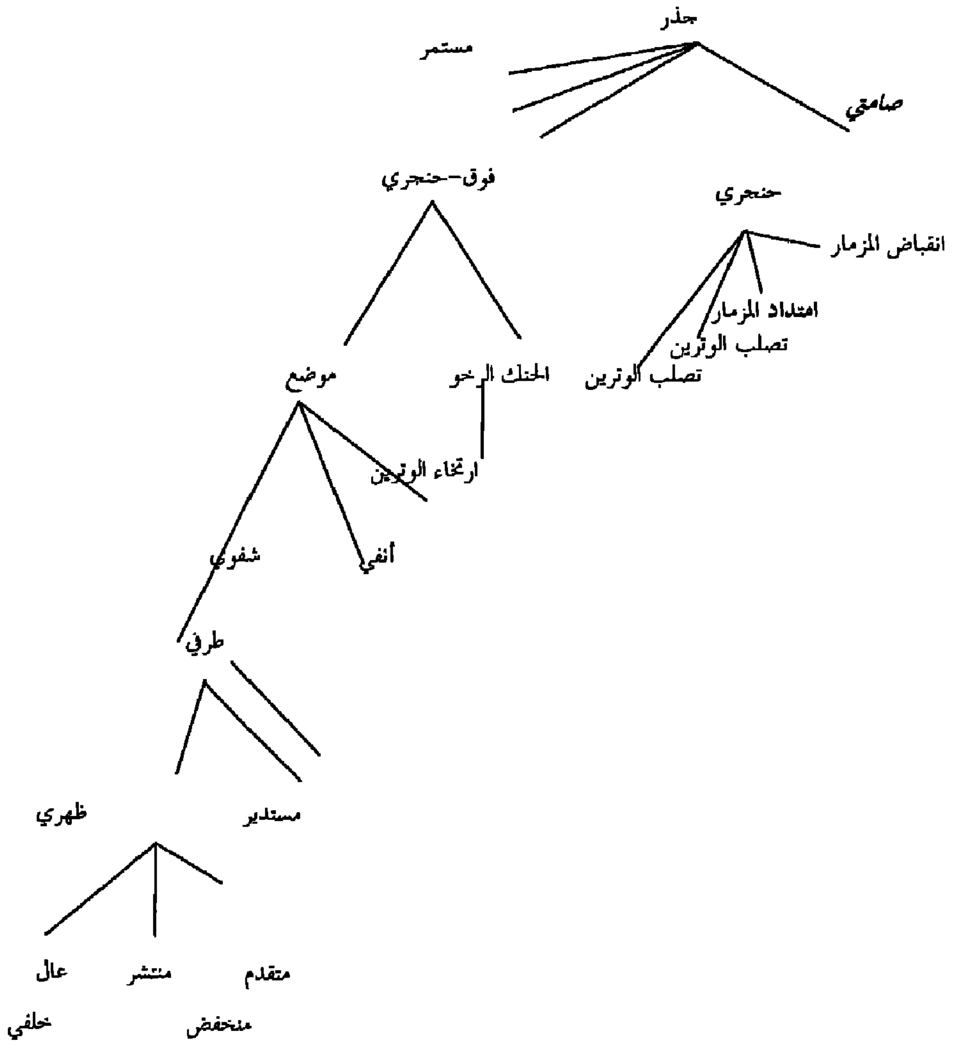
24) نفسه.

25) ينظر : ص 230.

الحنك الرخو Soft Palate التي تشرف على سمة الأنفية. ذلك أن الهرمية المقترحة من طرف ساجي تخصص عجرة فصيلة لكل عضو ناطق يشتغل بشكل مستقل في الجهاز المصوت. وبما أن الحنك الرخو عضو مستقل، كان لا بد من أن تخصص لـــه عجـــرة فـــصيلة في الهرمية[26].

إن المتأمل لهرمية ساجي (1986) يجدها، كما تصرح هي بذلك، مبنية على أساس الأصواتية Phonetics. فالملامح مجمعة وفقا للعضو الناطق الذي يؤديها في الجهاز المصوت. وتجمَّع الأعضاء الناطقة بدورها وفقا لتأثيراتها على بنية المشكِّل The Formant Structure. وقد جاءت هذه الهرمية منظمة على النحو التالي :

(5)



26) ينظر : ص2وص ص 47-48.

إن معظم السمات الختامية، في هذه الهرمية، مجمّعة على المستوى الموالي في الشجرة في مكونات تمثل العضو الناطق Articulator الذي ينجزها. فالسمات [عال] و[منخفض] و[خلفي]، على سبيل المثال، مجمّعة تحت المكون ظهري dorsal لأنها تنجز بظهر اللسان أو كتلته. وهكذا، فإن أسفل مستوى من العجر غير الختامية في الشجرة يمثل الأعضاء الناطقة : حنجري، الحنك الرخو، شفوي، طرفي وظهري[27]. وهذه الأعضاء الناطقة مجمعة بدورها في مكونات في مستوى أعلى. فشفوي وطرفي وظهري، مثلا، مجمعة تحت المكون "موضع النطق" Place of Articulation الذي يعتبر برامترا أساسيا في الصواتة ومعترفا به منذ عهد بعيد. غير أن تجميع هذه السمات في مكون موضعي لم يكن اعتباطيا أو مصادفة، وإنما هو ناشئ عن الإوالية الفيزيائية للكلام. فسمات الموضع- حسب ساجي (1986)- هي تلك السمات التي تسبب نوع التغييرات في بنية المشكّل الناجمة عن تغييرات في شكل المرنان Resonator، في مقابل الأنفية Nasality التي تغير المشكّلات عن طريق إضافة مرنان ثان، وفي مقابل السمات الحنجرية التي لا تغيّر أشكال المشكّل بأية حال. وهكذا، فإن الأصواتية يمكنها أن تفسر، مثلا، لماذا توجد وحدة "موضع النطق" في الصواتة[28].

2-3-3 - التعليل الصواتي لتجميع الملامح في مكونات

رغم أهمية الإوالية الفيزيائية في بناء هندسة السمات الصواتية، فإن التعليل والتسويغ النهائيين لتنظيم الملامح يجب أن يستخلصا من السيرورات الصواتية والأصواتية التي تبين تفاعل عناصر التمثيل (السمات والعجر) مع العمليات والقيود الصواتية الأساسية. وقد صرح كليمنتس (1985) وماكارثي (1988)، من بين آخرين، على وجوب إعطاء الأولوية للاعتبارات الصواتية أكثر من الاعتبارات الأصواتية، المتعلقة بالتركيب البنيوي للجهاز المصوت، في بناء هندسة السمات. بل إن كليمنتس (1985) حرص على اتباع المبدإ العام الذي ينص على وجوب تعليل المقولات والمبادئ المقترحة لأي مستوى لساني بدليل ملائم لهذا المستوى وخاص به. وهي إشارة إلى ضرورة استقلال الصواتة عن الأصواتية الذي يقارنه بـ"فصل المستويات" المتبع في اللسانيات البنيوية، وبـ"استقلال

---

27) ينظر : Sagey, E.C (1986)، ص15.

28) ص ص17-18.

التركيب" عن الدلالة والتداوليات وغيرهما في اللسانيات الصورية (التوليدية)[29]. ووفقا لذلك، قدم كليمنتس (1985)، على سبيل المثال لا الحصر، التعليل للبنية (2) من خلال دراسة التعميمات عبر- اللسانية المتعلقة بالأنواع العامة من السيرورات الصواتية. وهي بنية تعكس، في نظره، على نحو صحيح أنواع الاستقلال الصواتي ودرجاته الموجودة فيما بين السمات الأصواتية[30]. ذلك أن بعض السيرورات يمكنها أن تستخدم، مثلا، السمات الحنجرية دون التأثير في السمات فوق- الحنجرية كقواعد مماثلة الجهر والنفسية Aspiration وقاعدة فك النفسية Desaspiration. كما يمكن لسيرورات أخرى أن تؤثر في السمات فوق-الحنجرية دون التأثير في السمات الحنجرية. ولذلك يشير المشتغلون في إطار نظرية هندسة السمات عادة إلى بعض أنواع هذه السيرورات أثناء عرضهم للهندسة العامة للسمات عند تعليل وجود عجر أو تبعيات معينة.

إن الاعتقاد الراسخ والمسلم به في نظرية هندسة السمات هو أن نزوع مجموعة من السمات إلى التصرف أو الاشتغال بشكل موحد ومطرد بمعزل عن السمات الأخرى في سيرورات صواتية يعتبر دليلا صواتيا على كونها تشكل فصيلة واحدة من السمات، الشيء الذي يستوجب جمعها في مكون مستقل تخصص له عجرة مستقلة في شجرة السمات. فمثلما أن مجموعات القطع التي ترد معا في السيرورات الصواتية يمكن أن تعتبر فصائل طبيعية natural classes من القطع (العلل، السوائل، الحلقيات، ...إلخ)، كذلك فإن مجموعات السمات التي ترد معا في السيرورات تعتبر فصائل طبيعية من السمات (السمات الحنجرية، سمات الموضع...إلخ)[31].

4 - خاتمة

يمكن القول، إذا، إن كل هندسة مقترحة للسمات الصواتية تحاول أن تعكس بأقصى درجة ممكنة من الدقة هندسة الجهاز المصوت؛ وكلما كان التطابق تاما بين الهندستين كلما كان التعليل الأصواتي لهندسة السمات أكثر إقناعا. وإذا استحضرنا مسألة

29) See : p : 230 & Roca, I (1994) : Generative Phonology. p : 102.

30) ص230.

31) Sagey, E. C (1986)، ص25.

وجوب إعطاء الأولوية للاعتبارات الصواتية أكثر من الأصواتية في بناء هندسة السمات، فإنه يمكن اعتبار نظرية هندسة السمات أحد مظاهر أو إحدى نتائج الالتقاء بين الصواتة والأصواتية وتفاعلهما.

مراجع البحث

- Blevins, Julliette (1994) : A place of lateral in the feature geometry. J. Linguistics 30 (1994), Cambridge University Press. pp : 301-348.
- Clements, George. N (1985) : The geometry of phonological feature. phonology yearbook 2 (1985). pp : 225-252.
- Clements, George. N (1993) : Lieu d'articulation des consonnes et des voyelles : une théorie unifiée. Dans : "Architecture des représentations phonologiques". Sous la direction de B. Laks et A. Rialland. CNRS Editions 1993. pp : 101-145.
- Clements, G.N & Hume, Elizabeth. V (1993) : The internal organizationof speech sounds. Version of 1 september, 1993, pp : 1-63.
- McCarthy, John. J (1988) : Feature geometry and dependency : A review. Phonetica 43 : 1988. pp : 84-108. Editor : Kiel Kohler.
- Padgett, Jaye (1995) : Stricture in feature geometry. Dissertations in linguistics.CSLI Publications. Stanford, California.
- Phillips, Colin(1994) : Are Feature hierarchies autosegmental hierarchies? MIT working Papers in linguistics 21.Papers on phonology and Morphology.1994. pp : 173-226.
- Rialland, Annie et Laks, Bernard (1993) : Présentation : Architecture et géometrie des représentations phonologique. Dans : "Architecture des représentations phonologiques". CNRS Editions. Paris 1993. pp : 9-23.
- Roca, Iggy (1994) : Generative Phonology. Linguistic theory Guides. Edited by Richard Hudson.Routledge.
- Sagey, Elizabeth. C (1986) : The representation of features and relations in non-linear phonology. P.H.D Thesis. MIT.

اللسانيات ودورها في إعادة بناء الجملة العربية : اللسانيات التوليدية نموذجا

محمد الغريسي
جامعة مولاي اسماعيل بمكناس، المغرب

تمهيد

تحتل اللسانيات اليوم مكانة هامة ومتميزة في سلم العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولعل من أهم العوامل التي تؤكد هذه الأهمية ارتباطها بأهم موضوع في حياة الإنسان ووجوده، ألا وهو موضوع اللغة، ومن ناحية أخرى شكلت اللسانيات في الحقبة الأخيرة، وتحديدا مع بداية القرن العشرين، ثورة علمية ومنهجية على صعيد النظر إلى الظاهرة اللغوية وكيفية التعامل معها.

وقد تبوأت اللغة العربية مكانة هامة في الدرس اللساني الحديث، حيث ظهرت العديد من النماذج اللغوية والمناهج اللسانية التي تتناول إشكالية اللغة بصورة أعمق وأشمل بغية تحديد قضاياها ومستوياتها اللسانية، وهذه المناهج كانت تهدف إلى بناء وصف لساني نسقي شامل للغة العربية، كما استهدفت وصف ظواهر لغوية متعددة شملت المعجم والأصوات والصرف والتركيب والدلالة والتداول.، ويمكن تقسيم الدراسات اللسانية التي تناولت اللغة العربية إلى نمطين : أنماط صورية تعتبر أن اللغات الطبيعية أنساق مجردة يمكن دراسة بنيتها بمعزل عن وظيفتها في التواصل داخل المجتمع المستعمل لها، وتعتبر اللسانيات التوليدية نموذج الذلك.

في مقابل ذلك هناك لسانيات وظيفية ترى أن بنية أي لغة طبيعية لا يمكن فصلها عن وظيفتها التواصلية كما هو الشأن مع اللسانيات الوظيفية.

سيركز هذا العمل على اللسانيات التوليدية من خلال توضيح إسهامها ودورها في إعادة تحليل وبناء الظواهر اللغوية، وفي مقدمة ذلك إعادة بناء الكلمة بصفة عامة وبناء الجملة على وجه التحديد.

المداخلة مقسمة إلى محورين اثنين : الأول منهما سنخصصه لتحديد طبيعة الجملة العربية، حيث سنعرف الجملة، ونحدد أشكالها، ونشير إلى الإشكالات التي تثيرها الجملة.

أما المحور الثاني فسنحاول فيه أن ندرس الجملة العربية دراسة لسانية دقيقة وشاملة، وسيتم في هذا المحور توضيح كيف استطاعت اللسانيات التوليدية إعادة النظر في بناء الجملة العربية من خلال صياغة قواعد تركيبية ودلالية تساهم بشكل دقيق ومضبوط في بناء الجملة، وأن خرق هذه القواعد يقود حتما إلى توليد جمل غير مقبولة، وسيتم توضيح ذلك من خلال نماذج توليدية بدءا من نموذج المعيار، مرورا بنموذج المبادئ والوسائط، وصولا إلى البرنامج الأدنوي، وتوخيا للإيجاز سيتم التركيز في هذه المداخلة على مجموعة من القواعد التركيبية والدلالية التي صاغتها اللسانيات التوليدية بغية إعادة بناء الجملة في اللغة العربية.

1- الجملة والكلام عند القدماء : معايير التمييز

تناول النحاة القدماء قضية الجملة والكلام بشكل مستفيض وعموما يمكن التمييز بين فريقين على النحو التالي :

• بمدلول (الكلام هو الجملة، ويستخدم مصطلح الكلام) فريق يرى أنّ مصطلح الجملة)، ولا يفرق بينهما، ومن هؤلاء ابن جنّي (ت 392هـ)؛ حيث يقول : "أمَّا الكلام فكل لفظٍ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يُسمِّيه اللُّغويون : الجمل[1]".

1) ابن جني، الخصائص، ص : 20.

ومن هذا الفريق أيضا الزمخشري (ت : 538هـ)؛ حيث يقول : "والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتّى إلاّ من اسمين كقولك : زيد أخوك، وبشر صاحبُك، أو من فعل واسم، نحو : ضُرِب زيدٌ، وانطلق بكرٌ، ويُسمَّى جملة"[2].

وأمَّا الفريق الثاني من النُّحاة، فقد فرَّق بين مصطلح الجملة ومصطلح (الكلام)، واعتبر الجملة أعمُّ من الكلام؛ حيث يشترط في الكلام أن يتضمَّن إسنادًا، وأن يكون مفيدًا أي يمكن السكوت عليه، والجملة – عندهم – ما تضمَّنت الإسناد، سواء أفادتْ معنى تامًّا أم لم تُفِد.

ومن هذا الفريق : ابن هشام (ت : 761هـ)؛ حيثُ يقول : "الكلام هو القول المفيد بالقصْد، والمراد بالمفيد : ما دلَّ على معنى يَحسن السكوت عليه[3]، "والجملة : عبارة عن الفعل وفاعله، والمبتدأ والخبر، فهما ليسا مترادفَين كما توهَّم كثيرٌ من الناس، وهو ظاهر قول صاحب المفصَّل، والصواب أنَّها أعم منه؛ إذ شرط الكلام الإفادة بخلافها[4].

وقد اختار السيوطي (ت : 911هـ) ذلك؛ حيث يقول : "والصواب أنَّها أعمُّ منه"[5].

أما رضيُّ الدين الأَسْتَرَاباذيُّ (ت : 686هـ)، فقد فرَّق بين الجملة والكلام تفرقةً أخرى من حيث القصد وعدم القصد، فالجملة عنده ما تضمَّنت الإسناد الأصلي، سواء أكانت مقصودة لذاتها أم لا، وهذا يشمل جملةَ الخبر والصلة والصِّفة وغيرها، والكلام عنده، هو ما تضمَّن الإسنادَ الأصلي، وكان مقصودًا لذاته"[6].

---

2) أبو القاسم الزمخشري، المفصل، ص : 6.
3) ابن هشام، مغني اللبيب، ص490.
4) نفس المرجع والصفحة.
5) السيوطي، همع الهوامع، ج1، ص : 12.
6) رضي الدين شرح الكافية، ج1، ص : 33.

يتبين من خلال هذه التعريفات التي قدَّمها النُّحاة للجملة والكلام أنها لم تستطع أن تعرف الكلام ولا الجملة تعريفا دقيقا، وإذا أردنا أن ندقق النظر في هذه التحديدات نلاحظ أنها تُراعي اعتبار الشكل أو ما يعرف بالتركيب، واعتبار المعنى، أو الجانب الدلالي ؛ فمن حيث التركيب لا بُدَّ للجملة والكلام أن يتضمَّنا إسنادًا أو تأليفا بين كلمتين؛ يقول الزمخشري : "والكلام هو المركب من كلمتين أُسنِدت إحداهما إلى الأخرى[7].

ومن حيث اعتبار المعنى، أو الدلالة فالجملة قد تفيد وقد لا تفيد، بخلاف الكلام الذي يشترط فيه أن يكون مفيدا.

1-1 - أنواع الجملة عند نحاة العربيَّة القدماء

من القضايا الأساسية التي شغلت النحو العربي القديم، تنميط الجمل، فقد ميز النحو العربي القديم بين نمطين من الجمل : جمل فعلية وجمل اسمية وهما النمطان الأساسيان في العربية، وجمل ظرفية وشرطية وهما متفرعان عنهما [8]، كما ميز النحاة وخاصة ابن هشام بين الجمل الصغرى والجمل الكبرى، والجمل ذات وجه واحد والجمل ذات الوجهين[9] وقد اعتمدوا في تنميط هذه الأنواع على معايير لسانية منها معيار الصدر ومعيار الأصل[10]، إذ أن الجملة بحسب صدرها قد تكون :

أ : اسمية وهي التي صَدْرها اسم؛ كزيد قائم، وهيهات العقيق.

ب : فعلية، وهي التي صدرها فعل؛ نحو : قام زيد، وضُرب اللص، ويقوم زيد، وقم..

واعتمادا على معيار الصدر تكون الجملة أيضا ظرفية، والجملة الظرفية هي التي تتصدر في الأصل بظرف أو ما يشبه الظرف وهو الجار والمجرور[11].

---

7) المفصل، ص : 6

8) للتفاصيل أنظر : المفصل للزمخشري ومغني اللبيب لابن هشام

9) للتفاصيل حول هذه الانماط من الجمل انظر ابن هشام، مغني اللبيب .

10) من اللسانيين الذين اعتمدوا على معايير لسانية للتمييز بين أنواع الجمل نجد عبد العزيز العماري، أنظر : الجملة العربية دراسة لسانية، ص : 13

11) نفسه، ص : 492.

ومن الناحية التركيبية، تكون الجملة كبرى، أو جملة صغرى، فكلما كانت الجملة متصدرة بمبتدأ وجاء خبره عبارة عن جملة فإن النحاة يسمون الجملة الواقعة خبرا جملة صغرى، بينما الجملة التي تتضمن المبتدأ وخبره الذي جاء عبارة عن جملة تسمى ككل جملة كبرى ويمثلون بجمل من قبيل :

خالد [أبوه قائم]

فالتركيب ككل هو جملة كبرى، وقد جاء الخبر فيها عبارة عن جملة اسمية (أبوه قائم) وهو عبارة عن جملة صغرى، والمعيار الذي اعتمد عليه القدماء للتمييز بين الجملة الكبرى والصغرى هو معيار الحجم .ومصطلح كبرى وصغرى تعبر عنه اللسانيات بمصطلح البساطة والتعقيد، حيث تميز اللسانيات الحديثة بدورها بين الجملة البسيطة والجملة المركبة، إذ يرى المتوكل " أن الجملة البسيطة هي التي تتضمن حملا واحدا، بينما الجملة المركبة هي كل جملة تضمنت أكثر من حمل واحد.

أما عن بناء الجملة فقد اهتم النحاة القدماء ببنية الجملة وعناصرها، حيث تناولوا هذه القضية في حديثهم عن الارتباط بين عناصر الجملة : الفعل والفاعل مثلا، أو المبتدأ والخبر، ولاحظوا أن العلاقة بينهما علاقة قوية، وقد عبروا عن ذلك بأن الفاعل جزء من الفعل، أما عن الجملة الاسمية فقد ناقشوا العلاقة بين المبتدأ والخبر واعتبروها علاقة ضرورية، ولا يمكن حذف أحدهما والاكتفاء بواحد منهما، فكيف يمكن استثمار هذه القضايا في ضوء اللسانيات الحديثة، وما هو الجديد الذي جاءت به اللسانيات في ما يتعلق بناء الجملة، وخاصة اللسانيات التوليدية ؟

2 - بناء الجملة في اللسانيات التوليدية

حاولت اللسانيات معالجة الظواهر من منظور جديد، حيث أصبح تمثل اللساني للظواهر اللغوية تمثلا جديدا. وبمعنى آخر إن تمثل الظواهر اللغوية التركيبية والدلالية ومبادئ تأليفها لم يعد كما كان سابقا[12]، إذ أن قواعد البناء أصبحت شفافة ودقيقة، ولم

12) انظر الفاسي الفهري، البناء الموازي، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء . المدخل.

تعد عفوية عشوائية تقريبية، فكل شيء في اللسانيات أصبح يبرر، وأن القواعد المرتبطة ببناء الجملة أصبحت تندرج ضمن أنساق صورية محددة المعالم والخصائص[13].

ومن اللسانيين الكبار الذين اهتموا ببناء الجملة من منظور لساني جديد العالم [14] اللساني عبد القادر الفاسي الفهري، رائد اللسانيات التوليدية في المغرب، فقد خصص عبد القادر الفاسي الفهري كتبا عديدة لإعادة النظر في بناء الكلمة وبناء الجملة من منظور لساني توليدي جديد، ومن هذه الكتب " البناء الموازي نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، إذ حظي بناء الكلمة وبناء الجملة في هذا الكتاب بأهمية كبرى . يقول الدكتور الفاسي الفهري[15] في شأن بناء الكلمة مثلا : " **قليلة هي الدراسات التي تعالج مشكل طبيعة الكلمة العربية وصورها، والمبادئ التي تضبط سلامة تكوينها، وهذه الثغرة في علم العربية (من ضمن ثغرات كثيرة في علم العربية) يوازيها كثيرا من الخلط وعدم الوضوح في التنظير للكلمة في البحث اللساني الحديث بصفة عامة، وكذلك عدم الاتفاق على المسلمات في خصوص التمثيل لها**".

لقد اهتمت اللسانيات التوليدية بقيادة الفاسي الفهري ببناء الكلمة والجملة، ويظهر ذلك من خلال مناقشة أهم الإشكالات الهامة المرتبطة ببنية الكلمة وببنية الجملة .كما يظهر ذلك أيضا من خلال صياغة جملة من القواعد المسؤولة عن بناء الكلمة وبناء الجملة، وتوضيح الكيفية التي يتم من خلالها التمثيل لهما وتوخيا للإيجاز سنقتصر على دراسة بناء الجملة، وسنركز بالأساس على الجملة الفعلية، وتوضيح إسهام اللسانيات التوليدية في إعادة بنائها وفق قواعد لسانية دقيقة ومضبوطة.

2-1- بناء الجملة من خلال نماذج توليدية

حظيت الجملة في اللسانيات التوليدية بعناية كبرى، لأن الجملة تشكل محور التركيب، ومن هنا اهتمت اللسانيات التوليدية بالجملة في كل النماذج التي مرت بها، وصاغت في كل نموذج قواعد متنوعة خاصة ببناء الجملة ابتداء من نموذج تشومسكي

---

13) الفاسي الفهري، المرجع السابق، ص : 9.

14) انظر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، وانظر أيضا الدكتور محمد الرحالي، تركيب اللغة العربية : مقاربة جديدة.

15) الفاسي الفهري، عبد القادر (1990)، البناء الموازي.

(1957) مرورا بنموذج النظرية المعيار والمعيار الموسعة ونظرية المبادئ والوسائط وصولا إلى نظرية البرنامج الأدنوي .

2-1-1 - بناء الجملة في نموذج تشومسكي (1957) ونموذج النظرية المعيار (1965)

حاول تشومسكي في نموذج (1957) ونموذج النظرية المعيار صياغة مجموعة من القواعد المرتبطة بالجملة تطلق عليها قواعد الكتابة، وهي قواعد لسانية ذات طبيعة تركيبية توليدية تأخذ رمزا وتعيد كتابته من جديد، واعتمادا على هذه القواعد حاولت اللسانيات إعادة النظر في بنية الجملة، مستثمرة نوعين من القواعد : قواعد مقولية وقواعد معجمية، فالقواعد المقولية عبارة عن مجموعة من الرموز التوليدية، بينما القواعد المعجمية عبارة عن ملأ للقواعد المقولية بوحدات من المعجم .

واعتبرت النظرية التوليدية الجملة وخاصة في نموذجي (1957)[16] ونموذج النظرية المعيار، عبارة عن رمز لساني يرمز إليه بالحرف (ج) ويتكون بدوره من مركب اسمي ومركب فعلي على الشكل التالي :

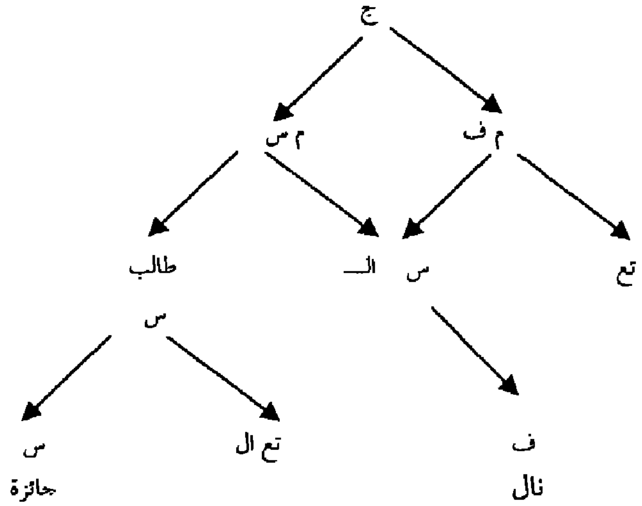
ج ⟵ م س +م ف

وتقصد بالرمز (ج) الجملة، و(م س) المركب الاسمي، و(م ف) المركب الفعلي.

و(م س) بدوره قد يحلل إلى أداة التعريف واسم، بينما (م ف) يحلل بدوره إلى (فعل)، و(م س)، وعليه فالجملة التالية مثلا :

الطالب نال الجائزة تم إعادة بنائها على الشكل التالي :

16) انظر على سبيل المثال تشومسكي، 1957، البنى التركيبية.



وفي إطار تبسيط القواعد، من جهة ومن جهة ثانية ربط اللغة العربية بلغات أخرى حاولت مجموعة من الدراسات التوليدية[17] الحديثة إرجاع ما يسمى عند النحاة القدماء بالجمل الاسمية إلى جمل فعلية رابطية على غرار ما هو موجود في اللغات الرومانية والجرمانية، وبذالك تكون اللغة العربية حسب هذا التصور من اللغات التي تضم نمطا جمليا واحدا هو الجمل الفعلية لنتأمل الجملة الآتية :

الطالب مجد

ففي مثل هذه الجملة وغيرها قدر الفاسي الفهري[18] فعلا رابطيا (كائن) مزودا بدلالة الزمن والجهة وعليه يكون أصل الجملة السابقة هو :

كان الطالب مجدا

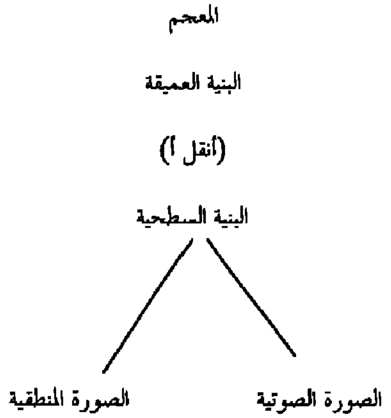
لقد كان قصد الفاسي الفهري من هذا التصور الرابطي، فيما يبدو، رد الجمل الاسمية جمل فعلية، وبناء على ذلك تكون للجمل الفعلية والجمل الاسمية في هذا التصور بينية عميقة واحدة بالرغم من اختلافهما الشكلي في البنية السطحية.

17) الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية ص : 31، 53، 81.

18) نفس المرجع، وانظر أيضا الفاسي الفهري، البناء الموازي .

2-2 - بناء الجملة في ضوء نظرية المبادئ والوسائط

نظرية المبادئ والوسائط نظرية لسانية توليدية ظهرت بوادرها في إطار ما يعرف بنظرية الربط العاملي لتشومسكي (1981) [19] وتمثل مرحلة متقدمة في النحو التوليدي، وتقوم هذه النظرية [20] على أربعة مستويات للتمثيل النحوي : مستويان داخليان هما البنية العميقة والبنية السطحية، ومستويان خارجيان هما الصورة الصوتية والصورة المنطقية ويمكن توضيح ذلك على الشكل الأتي :



يزودنا المعجم بالوحدات المعجمية التي تقحم من خلال سيرورة الملء المعجمي. أما الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية فيتم عن طريق عملية النقل الوحيدة (أنقل أ).

وتؤول البنية السطحية تأويلا صوتيا في مستوى الصورة الصوتية، كما تؤول تأويلا منطقيا أو دلاليا في الصورة المنطقية.

وتعتمد نظرية المبادئ والوسائط على قوالب فرعية أو نظريات[21] متفاعلة فيما بينها تساهم في تحقيق سلامة تكوين العبارات اللغوية، ومن أهم هذه القوالب قالب

---

19) انظر تشومسكي 1981.
20) انظر على سبيل المثال الفاسي الفهري، البناء الموازي، وأنظر أيضا كتابه : المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي.
21) حول كيفية اشتغال هذه النظريات انظر : المرجعين السابقين.

الإعراب، القالب العاملي[22].كما تعتمد على قيود توليدية تضبط العلاقات التركيبية بين المركبات الاسمية منها قيد التحكم المكوني وقيد السبق السلسلي .

من جهة أخرى ترتكز هذه النظرية على نمطين من المقولات[23] : مقولات وظيفية ومقولات معجمية، وتحظى هذه المقولات بأهمية كبرى في تحديد بنية الجملة.

2-3 - المقولات المعجمية والمقولات الوظيفية وبناء الجملة في اللغة العربية

ضمن الإشكالات الهامة في بنية الجملة في ضوء نظرية المبادئ والوسائط تحديد طبيعة وعدد المقولات الوظيفية الصرفية التي ترأسها، وكيف تسقط أو تضم وما ترتيبها بالنظر إلى بعضها البعض في البنية العميقة والبنية السطحية. وفي الأدبيات التوليدية وخاصة قبل البرنامج الأدنوي ميز العديد من الباحثين في إطار النحو التوليدي بين نوعين من المقولات : مقولات معجمية ومقولات وظيفية، وقد اهتمت أبحاث توليدية عديدة [24] عاملة في إطار نظرية المبادئ والوسائط بطبيعة المقولات الوظيفية والمعجمية والدور الذي تلعبه في تحديد بنية الجملة، كما اهتمت هذه الأبحاث بمحتوى هذه المقولات وعلاقتها بالسمات الإعرابية، ودورها في تحديد رتبة الفاعل والمفعول.

2-4 - المقولات المعجمية وإعادة البناء.

أعادت اللسانيات التوليدية النظر في طبيعة المقولات التقليدية وخاصة : الاسم والفعل والصفة والحرف، فهذه المقولات أصبحت تسمى في ضوء نظرية المبادئ والوسائط بالمقولات المعجمية في مقابل المقولات الوظيفية أو الصرفية، والمقولات المعجمية ثم إعادة بنائها في نسق تشومسكي (1970، 1986ب) على السمات [+س، + ف]، حيث يرمز (س) إلى الاسم، بينما يرمز (ف) إلى الفعل. وهذه السمات تمكن من تحليل المقولات التقليدية : (اسم، فعل، صفة، حرف)، فالاسم أعيد بناؤه كما يلي : [+ س، + ف]، أما الفعل فأعيد

---

22) للتفاصيل أكثر حول هذه القوالب أنظر البناء الموازي، الفصل الأول.

23) للتفاصيل أكثر حول هذه المقولات أنظر الفاسي الفهري، المرجع السابق وأنظر أيضا لحسن السعيدي، المقولات الوظيفية دراسة صرف تركيبية.

24) انظر على سبيل المثال الفاسي الفهري والدكتور عبد القادر كنكاي، والدكتور محمد خيري والدكتور محمد الرحالي من بين اخرين.

بناؤه كالتالي : [+ ف، - س]، أما الصفة فأعيد بناؤها كما يلي : [+ س، + ف] أما الحرف فأعيد بناؤه كالتالي : [- ف، - س].

5-2 – المقولات الوظيفية ودورها في بناء الجملة

تتفق جل الأبحاث التوليدية العاملة في إطار نظرية المبادئ والوسائط على أن بنية الجملة في اللغة العربية تتضمن المقولات الوظيفية التالية [25] :

" مص – موجه – نفي – وجه – تط – زمن ..الخ."

فكيف ترصد النظرية التوليدية إذن رتبة المكونات الوظيفية، وما علاقتها بالمقولات المعجمية، وكيف يساهمان في بناء الجملة ؟

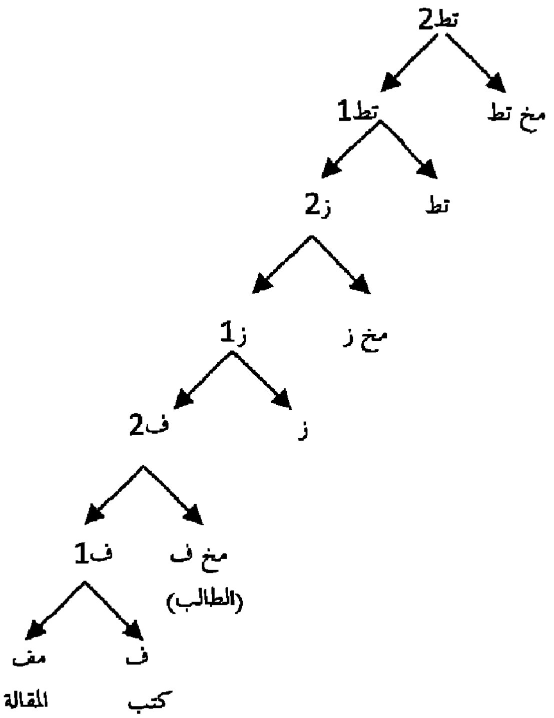
يفترض الفاسي الفهري[26] أن لهذه العناصر الوظيفية رؤوسا لإسقاطات تركيبية وأن رتبتها تعكس مباشرة العلائق العميقة أو السطحية في الشجرة، وبما أن الزمن عبارة عن حركات داخلية تشارك في تكوين الجذع، فإن من الطبيعي أن نفترض أنه أسفل إسقاط في الشجرة، أو بالأحرى هو أسفل إسقاط وظيفي يعلو إسقاط الجذر، الذي يتضمن العناصر المحورية (الدلالية)، (وبالمقابل فإن التطابق أعلى من الزمن لأنه لاحقة (Suffix) في الماضي، وسابقة (Prefix)، ولاحقة في المضارع، ولا ينتمي إلى الجذع الأصلي، والوجه يأتي بعد التطابق.

كما تتفق جل الأبحاث التوليدية على أن الفاعل يولد في موقع مخصص الفاعل، وأن الفعل والمفعول به يشكلان مركبا فعليا، وعليه تكون البنية العميقة لجملة من قبيل : **كتب الطالب المقالة** في نموذج المبادئ والوسائط تأخذ التمثيل الشجري التالي :

---

25) نقصد ب (مص) المصدري، كالاستفهام، نقصد بالموجه، حروف التسويف، كسوف، ونقصد ب(تط) التطابق ونقصد ب (ز) الزمن .

26) انظر الفاسي الفهري، البناء الموازي، ص : 53



ففي هذه التشجيرة [27] يولد الفاعل في مخصص المركب الفعلي، ولتوليد جملة رتبتها (ف- فا مف) ينتقل الجذر الفعلي في البنية السطحية إلى الزمن ليأخذ تصريفه وينتقل إلى التطابق بواسطة قاعدة نقل الرؤوس ويتحكم مكونيا في الفاعل، حيث يعمل فيه، ومن تم يتمكن من أن يسند إليه الإعراب، كما يسند الفعل إعراب النصب إلى المفعول لأنه يعمل فيه كما يتحكم فيه تحكما مكونيا، فينتج عن ذلك الترتيب الذي نرومه، وهذا يدل على أن بناء جملة في نموذج المبادئ والوسائط يمر عبر بنية عميقة، وحيث تولد المقولات المعجمية والوظيفية في مستوى عميق، وبينة سطحية يتم عبرها انتقال مقولة من المقولات من المستوى العميق إلى المستوى السطحي لأسباب صرفية وإعرابية.

ثم تنطبق القواعد الصرفية والصوتية على خرج البنية السطحية (أي ما يشكل الصورة الصوتية).

27) يتم بناء التمثيلات الشجرية على أساس نظرية س خط وقواعد البنية المركبية، بحيث كل مركب من المركبات يتفرع إلى رأس وفضلة، على أن هناك إسقاطا أقصى وأخر وسيط وثالث أدنى (رأس)، والمواقع التي تتضمنها هذه الإسقاطات تدخل في علاقات بنيوية كالإشراف والتآخي والتحكم المكوني.

ولتوليد جملة رتبتها (فا ف مف) فإن الفاعل ينتقل من مكانه العميق (مخص المركب الفعلي) إلى موقع مخصص التطابق مرورا عبر مخصص الزمن.

وإذا كان انتقال الفعل لتوليد جملة رتبنها (ف فا مف) يرجع إلى أسباب تصريفية، فإن انتقال الفاعل في الجمل التي رتبتها (فا ف مف) تعود إلى أسباب إعرابية، أي ليأخذ الفاعل إعرابه عبر علاقة (مخص – رأس).

6-2 – قواعد دلالية وصواتية أخرى تتحكم في بناء الجملة

ركزنا في نموذج المبادئ والوسائط على الجانب التركيبي، إلا أننا نشير إلى أنه ليس الجانب التركيبي وحده هو المسؤول عن بناء الجمل بل هناك قواعد دلالية وصواتية تتحكم في بنية الجملة، وهذا يدل على أن الدلالة والصواتة هي الأخرى تحظى بأهمية كبرى في بنية الجملة وقد تنبه تشومسكي بدوره، منذ نموذج النظرية المعيار إلى قيمة الدلالة بعدما لاحظ أن نموذج (1957) نموذج قد يولد جملا مقبولة تركيبيا وغير مقبولة دلاليا، فكيف يمكن أن تساهم الدلالة في بناء الجملة ؟.

تحظى الدلالة بأهمية كبرى في الوصف والتفسير اللساني، ذلك أن كثيرا من الجمل رغم أنها تحترم البناء التركيبي والبناء الصرفي فقد تكون لاحنة وغير مقبولة ويمكن توضيح ذلك من خلال المقارنة بين الجملتين :

1 : جاء القاتل مسرعا

2 : جاء المقتول مسرعا (لحن)

فالجملة الثانية غير مقبولة، ويمكن تعليل لحنها لأسباب دلالية، وهذا يعني أن البناء الصرفي والبناء التركيبي يخضعان للدلالة، ذلك أن الفعل " جاء " و" المقتول " لا يرتبطان دلاليا، لأن من سمات " جاء " الدلالية [+ متحرك]، وهو ما لا يتوفر في المقتول الذي من سماته الدلالية [– متحرك]، ويؤكد هذا التحليل ظاهرة الترابط الصرفي والتركيبي للجملة ودلالتها.

كما أن المقولات المعجمية، وخاصة الفعل، تساهم في تغيير المحتوى الدلالي للجملة، ذلك أننا كلما غيرنا الفعل، باعتباره مقولة معجمية، في بينة تركيبية كلما تغير مضمون الجملة من الناحية الدلالية كما يظهر من المقارنة بين الجمل الآتية :

أحب خالد العمل

كره خالد العمل

2-7 - قواعد صواتية تتحكم في بناء الجملة

يحظى المستوى الصوتي أيضا بأهمية كبرى في تحديد بناء الجملة وتحديد مقبوليتها أوعدم مقبوليتها، ويمكن توضيح ذلك من خلال المقارنة بين المثالين الآتيين :

1 : اطلع الطالب على دروسه

2 : *طلع الطالب على دروسه (لحن)

يعود لحن الجملة الثانية إلى ضرورة استبطان استعمال القواعد الصواتية، حيث جاور صوت قوي صوتا ضعيفا في" اطتلع " فتحول الصوت الضعيف إلى صوت قوي يماثله في " اطلع "، ثم استدعى البناء الصوتي الداخلي عملية الإدغام في اطلع، وقد أدت هذه التطورات الصوتية إلى انتقاء الفعل " اطلع " محيطه التركيبي في الجملة الأولى بواسطة قبوله أن يكون جزءا من هذا المحيط مع عدم إمكان استبداله بفعل آخر نحو :

3 : طلع التلميذ على دروسه (لحن)

4 : استطلع التلميذ على دروسه

5 : تطلع التلميذ على دروسه

3 - بناء الجملة في البرنامج الأدنوي

يمثل البرنامج الأدنوي مرحلة جد متطورة بالنسبة إلى نموذج المبادئ والوسائط، والجديد في هذا النموذج هو تقليص مستويات التمثيل، ففي مقابل نموذج المبادئ والوسائط فإن اشتقاق جملة في البرنامج الأدنوي يقتصر على بناء مستويين تمثيليين : الصورة الصوتية والصورة المنطقية.

أما من حيث الوحدات المعجمية، فبخلاف نظرية المبادئ والوسائط يفترض تشومسكي في البرنامج الأدنوي (1995)[28] أن الكلمات تخرج من المعجم وتلج التعداد وهي تامة التصريف .

وبمعنى آخر إن المقولات المعجمية والمقولات الوظيفية في البرنامج الادنى تدخلان النسق الحاسوبي تامة التصريف[29] Full inflected أي حاملة لكل اللواصق، أما الرؤوس الوظيفية فإنها تصبح حاملة لسمات تصريفية معينة، وينتقل الرأس المعجمي للتحقق من مدى مطابقة السمات التي يحملها الرأس الوظيفي، وعندما تتطابق سمات الرأس المعجمي مع سمات الرأس الوظيفي يتم الفحص وتحذف السمة، ففحص السمات تمليه متطلبات التسويغ.

أما النقل في البرنامج الأدنوي فيختلف حسب اللغات الطبيعية، فبعض اللغات تنقل وحداتها المعجمية قبل التهجية، فيسمى النقل ظاهرا (Overt Movement) ، وبعض اللغات تنقل وحداتها المعجمية بعد التهجية في الصورة المنطقية فيسمى النقل خفيا[30] (Covert Movement)، ويرجع الاختلاف في عملية النقل إلى اختلاف الأنساق الصرفية لهذه اللغات؛ ذلك أن المركب المنقول لا ينتقل إلا إذا وجدت سمات قوية في الرأس الوظيفي تجتذبه،

ويعود الفرق بين اللغات إلى أن هناك سمات قوية تفحص قبل التهجية وسمات ضعيفة تفحص بعد التهجية.

أما من حيث الإعراب فبالمقارنة مع نظرية المبادئ والوسائط نلاحظ أن تشومسكي عوض مفهوم الإعراب أو الإسناد الإعرابي بمفهوم الفحص الإعرابي.

وقد اهتم تشومسكي ببناء الجملة في البرنامج الأدنوي حيث جاء بمجموعة من المصطلحات الجديدة، كالتعداد، الانتقاء، الضم ..الخ

---

28) للتفاصيل أنظر تشومسكي (1995).

29) انظر الفاسي الفهري : المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، ص : 22.

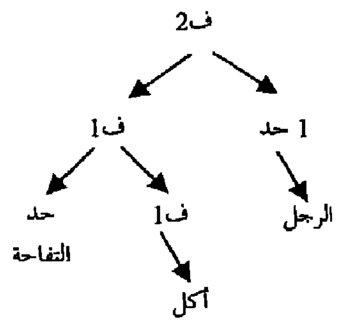
30) انظر الرحالي وحمد، بعض الخصائص الحاسوبية للغة العربية، مجلة أبحاث لسانية، المجلد : 13، ة العدد 1 و2 دجنبر 2008، : 82)، وانظر أيضا تشومسكي، (1995أ).

ولبناء جملة من الجمل من قبيل " أكل الولد التفاحة " في هذا البرنامج الأدنوي فإن ذلك يقتضي المرور عبر الخطوات التالية :

أ : التعداد : ويقتضي حصر أو جمع الوحدات المعجمية التي تمثل اللبنات الأولى لبناء الجملة.فالتعداد (أو المعدودة) يتضمن إذن : [أكل]، [الرجل]، التفاحة، و[زمن].

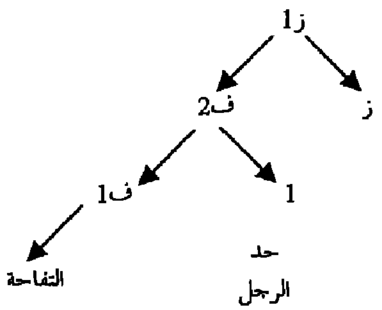
ب : الانتقاء : أي من بين المجموعة المعدودة يتم انتقاء كلمة مثل (أكل)أو (التفاحة)..الخ.

ج : الضم : أي بعد انتقاء (أكل)، وانتقاء (التفاحة)، يمكن ضم التفاحة إلى أكل، مما يؤدي إلى إحداث بنية مسقطة لأكل، وبذلك يتم انتقاء " الرجل " وضمه إلى المركب الفعلي، مما يؤدي إلى خلق بنية كالتالي :



تمثل (ف2) المركب الفعلي، ويضم الفعل والفاعل طبقا لما سبق أن اقترحه كيرودا (1995).

وبعد ذلك، وإتماما لبناء الجملة يقع انتقاء الزمن، مما يؤدي إلى تكوين المركب الزمني (الصرفي) على الشكل التالي :



وبعد أن يتم بناء الجملة في البرنامج الأدنوي عبر جميع العناصر الموجودة في المعدودة تتدخل عملية النقل التي تمكن من تسويغ السمات الموجودة في الوحدات المعجمية.

إن الجديد في البرنامج الأدنوي هو أن الوحدات المعجمية توجد تامة التصريف في المعجم، ولا تكون عبارة عن جذور، أي أنها تكون حاملة لجميع العلامات التي تحتاج إليها الكلمة لبنائها ككلمة سليمة البناء، ويقوم التركيب بتسويغ هذه السمات الموجودة مما يضطر الكلمة إلى الانتقال في الشجرة.

خاتمـــــة

تناولنا في هذا العمل في محور أول جملة من القضايا المتعلقة بالجملة، وقدمنا بمجموعة من المعايير التي يمكن اعتمادها لدراسة أنواعها وأشكالها.

أما في محور ثان فقد تناولنا قضية الجملة من منظور اللسانيات الحديثة وبينا كيف أن اللسانيات وخاصة التوليدية حاولت أن تعيد النظر في بناء الجملة حيث وضحت قواعد مسؤولة ومضبوطة لإعادة بناء الجملة.

وقد استنتجنا أن إنتاج وبناء تراكيب لغوية سليمة يقتضي معرفة دقيقة بالقواعد التركيبية والقواعد الدلالية والقواعد الصوتية والصرفية، وهذا يدل أن المستويات اللسانية تترابط وتتكامل في بناء الجملة وتحديد درجاتها من حيث المقبولية وعدمها.

مراجع البحث

1 – المراجع العربية

– ابن جني، أبو الفتح عثمان " الخصائص" تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت.

– ابن يعيش، أبو البقاء شرح المفصل للزمخشري، دار الكتاب بيروت.

– الأستراباذي، رضي الدين، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، تحقيق المجموعة، دار الكتب العلمية، بيروت 1979.

– السيوطي، جلال الدين همع الهوامع، في شرح الجوامع، في علم العربية، تصحيح محمد بدر الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

– العماري، عبد العزيز، الجملة العربية، دراسة لسانية، سلسلة من النحو إلى اللسانيات.

– الفاسي الفهري، عبد القادر، البناء الموازي، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء

– .الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر .

- الفاسي الفهري، عبد القادر، 1985، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء .
- المتوكل، أحمد، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط 1988.
- الرحالي، محمد، تركيب اللغة العربية : مقاربة جديدة دار توبقال للنشر، الدار البيضاء .المغرب.
- الرحالي، محمد، بعض الخصائص الحاسوبية للغة العربية، مقال ضمن مجلة أبحاث لسانية، المجلد : 13، والعدد 1 و2دجنبر 2008).

2- المراجع الأجنبية

- Chomsky.N1981-Government and Binding Théry Dordrecht Foris publication.
- Chomsky.N1995 tHe Minimalist Program Cambridge.Mass M.I.T press.

اللّغة الدّاخليّة وحوسبة البنية النحويّة

سرور اللحياني
كليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس

مقدمة :

شهد العقدان الأخيران تطورا نوعيّا في مجال البحث اللساني التّوليدي، نتج عنه فهم أعمق للجهاز اللّغوي وهندسته الداّخليّة. ومثّل المنوال الأدنويّ (Chomsky1995-2005) الذي نتبناه إطارا نظريّا علامة بارزة في هذا التطوّر لاهتمامه بدراسة طبيعة هذا الجهاز وسعيه إلى الاستدلال على أطروحة كليّة اللّغة وقدرتها على التعبير عن الفكر.

ندرس في هذا المقال "اللغة الدّاخليّة وحوسبة البنية النّحويّة"، ونستند في مقاربة هذا البحث إلى فرضية أساسيّة مفادها أن البنية النّحويّة في شكلها البسيط أو المركب عملية حركيّة قصديّة منتظمة تتعالق وتتمازج في أشكال تكراريّة تختزن المعنى في كلّ عملية نظم لطور من أطوار اشتقاق البنية. وتتعيّن خصائصها من خلال البحث في كيفيّة اشتغال اللّغة الدّاخلية (لد) (Internal Language) باعتبارها فضاء ذهنيا مجرّدا تتحكّم فيه علاقات تركيبيّة داخليّة.

تتفرّع عن هذه الفرضيّة فرضيتان.الأولى تعتبر أنّ اللّغة الدّاخليّة تفسّر تفاعل النّظام الحسي-الحركي (Sensorimotor) مع النظام الإدراكي-القصدي (Conceptual-Intentional (C-I)) والتواجه بين الصورة الصوتميّة والصورة المنطقيّة. فتتجلّى علاقة البنية التركيبيّة بالبنية الدلاليّة بحثا في كيفية انتظام هذه الأنظمة في الذّهن.

الفرضيّة الثانية تعتبرأنّ البحث في هندسة البنية النحويّة وحوسبتها يمكّن من تفسير خصائصها التّصوريّة ومساءلة طبيعة الجهاز اللّغوي وأنظمة اشتغاله لتعميق البحث في ماوراء الكفاية التفسيريّة.

وجّهت تصوّرنا لفرضيات البحث إشكالية أساسيّة تتعلّق بمدى قدرة اللّغة على نقل مضمون الخطاب باعتبارها تضطلع بوظيفة تمثيلية هي: كيف يدرك القصد والمضمون الدلاليّ في التركيب ؟

لقد نزع البحث في هذه الإشكاليّة شيئا فشيئا ليؤكد تواجه اللّفظ والمعنى، فتجلّى هذا التواجه بين الصورة الصوتميّة والصورة الدّلاليّة بحثا في مدى دلالة المبنى على المعنى وفي إمكانية اشتقاق المعنى من المبنى.

نعرّف، في هذا المقال، بطبيعة الجهاز اللّغوي من خلال البحث في إمكانية حوسبة اللّبس لأنّ التركيب الواحد يمكن أن يقبل أكثر من تأويل. ونختبر مدى قدرة اللّغة الدّاخليّة على تأويل القصد، ونعيّن تبعا لذلك عمليات البناء ومقتضيات الحوسبة في اللسان العربي. ثمّ نعرض في القسم الأخير أهمّ المقاييس (Parameters) التي تستوجبها الحوسبة (Computation) حتى يتمكّن الدّارس من فحص هندسة البنية النحويّة واختبار صحتها.

1- اللّغة الدّاخليّة والأنظمة المتحكمة فيها

ميّز شمسكي (شمسكي، 1995) بين نظريّة الحالة الأولى التي توافق النحو الكليّ (Universal Grammar) ونظرية حالة اللّغة التي توافق النحو (Grammar)[1]. واعتبر ملكة اللّغة حالة أولى (Initial state) متماثلة لدى البشر مرّت في تطورها الطبيعيّ بعدّة أحوال متعاقبة لتصل إلى حالة ثابتة (Steady state) تتميّز بكونها ثريّة بما يكفي لتصف كلّ الألسنة الخاصّة (شمسكي، 1995، ص ص1- 11).

ترتّب على ذلك التمييز بين خصائص الحالة الأولى باعتبارها مشتركة بين البشر، وخصائص الحالة الثابتة لملكة زيد إذا خُصّ زيد بإنجاز الخطاب. فقدرة زيد اللّغوية تتحدّد بما يفعله بتلك المعرفة المشتركة. لذلك أمكن الفصل بين قدرة زيد (Competence) وإنجازه (Performance).

1) We call the theory of the state attained its grammar,and the theory of the initial state UG(Chomsky ,1995,p14).

افترض هذا الباحث أنّ الملكة اللّغوية تتوفّر على ثلاثة أنظمة متشارطة هي الداخليّ (Internal) والفرديّ (Individual) والقصديّ (Intensional) [2]. يعالج النّظام الدّاخليّ الحالة الذهنيّة لزيد (باعتباره منجز الخطاب)، ويتعلّق النّظام الذاتيّ بالخصائص الاشتقاقيّة للسان مخصوص. أمّا القصديّ، فيعيّن قصد زيد من إنتاج الخطاب (نفسه، ص ص 15).

تختزن هذه الأنظمة العمليات التركيبيّة ودلالاتها، والقول بمركزية التركيب لايعزل الدّلالة لأنها داخليّة قصديّة مسجّلة في الذّهن بل يستوعبها. كما أنّ القول بأنّ الذّهن يسجّل في التركيب كلّ مكوّنات النّحو الصوتميّة والصرفميّة والمعجميّة والدّلاليّة (التصوّريّة)، يعني أنّ البنية النّحويّة المجرّدة تختزن الدّلالة والقصد ويتحكّم فيها جهاز لغويّ داخليّ منتظم يربط بين العمليات التركيبيّة والدّلالية. ويفترض التحقّق الصوتمي تلاؤم هذه الأنظمة وانسجامها، وبمقتضى ذلك يمكن التمييز بين بنية سليمة وبنية لاحنة.

2 - الحوسبة وتأويل القصد

الحوسبة[3] صياغة صوريّة للأنظمة اللّسانيّة تتشكّل من مجموعة من الرّموز الشكليّة الضابطة لخصائص النظام. تتحدّد بفضلها العلاقات الدّلاليّة الممكنة الجامعة بينها، وتوفّر إمكانات تأويل الظّاهرة اللّسانيّة. توجّه هذه الصياغة قيود توليف بين المقولات والسّمات مخزّنة في الذّهن تشتق منها البنى اللّغويّة على اختلافها عبر أطوار اشتقاقيّة، ولاتكتمل الحوسبة إلا بتهجية هذه الأطوار التي تفرز بنية نحويّة تامّة. تساعد هذه الآليّة على شكلنة المعطيات اللّغويّة لاشتقاق نظام قادر على وصف البنى اللّسانيّة في اللّغات الطبيعيّة.

---

2) نلاحظ في الترجمة العربيّة ترددا بين "قصدي" أو "مفهومي" إذ أنّ المفهوم يكتب تارة بـــ"s" في (Intensional) وطورا بـــ" t"(Intentional).

3) الحوسبة ليست معالجة آليّة للّغة، فقد ارتبط هذا المبحث خاصّة بصناعة المعاجم التي يتمّ فيها تحويل المادّة المعجميّة المخزّنة إلى برامج داخل الحاسوب يسهل التعامل معها لإنتاج اللغة آليا من خلال إجراء عمليّة تحويل الرموز إلى بيانات قابلة للقراءة والفهم.

اقترن هذا المبحث عند اللّسانيين المحدثين بالنّحو التوليديّ الذي حرص على رصد الخصائص التصّوريّة للنماذج اللّسانيّة(4). تجلّى من خلال حرص نعوم شمسكي بداية من التّسعينات من القرن الماضي على تمثيل البنى اللّغويّة تمثيلا مجرّدا بشكل خوارزمي صوريّ قابل للقراءة يحاكي القدرة اللّغويّة والكفاية الذّهنيّة.

يقتضي تمثّل هندسة البنية النحويّة وحوسبتها دراسة إمكانات اشتقاق مكوّناتها ونَظمِها. تقدّم البنية المنجزة صورة عن تفاعل المقولات الوظيفيّة والمقولات المعجميّة فيما بينها، وتعرّف بالكيفيّة التي تتركّب بها هذه البنية والعلاقات النحويّة الرّابطة بين عناصرها والقيود المتحكّمة فيها. ويوافق تراتُبها أطوار اشتقاق مكوناتها التي تمدّنا بصورة عن حوسبة اللّسان البشريّ.

وتندرج في البنى الحوسبيّة ظواهر متنوعة نذكر منها ظاهرة اللّبس في اللّغة التي يمكن معالجتها في المستوى الصوتميّ والصرفميّ والمركبيّ والدلاليّ والتواصليّ. وحوسبة اللّبس ليست إلاّ عمليّات ذهنيّة قادرة على تفسير خصائص الملكة اللغويّة وإن أوحى التعالق بين الحوسبة واللّبس بتضارب بين اعتبارت الحوسبة الاقتصاديّة التي تسعى إلى بلوغ البساطة القصوى واللّبس الناجم عن تعدّد إمكانات التأويل.

لقد بيّن بولوك أثناء بحثه في قضايا اللّبس البنيوي (Ambiguité Structurale) في إطار دراسته لخصائص اللّغة الدّاخليّة أنّ العمليات الحوسبيّة تضعنا أمام إمكانيات متعدّدة لتأويل التركيب الواحد، واستدلّ على ذلك بالبنية التالية :

(1) Marie frappera l'homme avec un parapluie (Pollock, 1997, p5).

يفهم من هذه البنية معنيان على الأقل نحو (2أ) و(3أ) :

(2) a - C'est l'homme que Marie frappera avec un parapluie.

(3) a - C'est l'homme avec un parapluie que Marie frappera (Pollock, 1997, p5).

---

4) سعى نعوم شمسكي إلى الكشف عن آليّات التوليد في اللّغة باعتبارها نظاما معقّدا من النّاحيّة البنيويّة والوظيفيّة لتفسير الظّواهر اللّغويّة. فعرّف بداية من الخمسينات من القرن الماضي بخصائص المستويات التمثيليّة للّغة (المكوّن الصوتمي، المكوّن الصرفميّ، المكوّن المركبيّ، والمكوّن الدلاليّ) وكيفيّة انتظامها. وتواصل هذا الاهتمام ليتشكّل في منوال العمل والربط (Government and Binding) والبرنامج الأدنوي(Minimalist Program) خاصّة.

ولّد تغيّر رتبة المفردات في (2أ) و(3أ) اختلافا دلاليّا، ويستفاد من ذلك أنّ دلالة البنية مستمدة من دلالة مكوّناتها ومن تراتبها.هي أطروحة تعتبر أنّ كلّ دلالة هي دلالة تركيبيّة (Sémantique d'une syntaxe)، وهي ترتبط بمبدإ أساسيّ قامت عليه المقاربة التوليديّة مفاده أنّ التّحكّم في اللّغة هو تحكّم في مقاييس فهم بنى اللّغة.

وبما أنّ التحويلات تقوم بدور أساسيّ في نحو شمسكي، يمكن أن نشتق من (2أ) البنيتين التاليتين :

(2b) - Quel homme Marie frappera t-elle avec un parapluie ?
(2c) - L'homme a été frappé avec un parapluie.

ويمكن أن نشتق من (3أ) البنيتين التاليتين :

(3b) - Quel homme avec un parapluie Marie frappera t-elle ?
(3c) - L'homme avec un parapluie a été frappé.

لا يقوم التحويل بدور وصفيّ فحسب، بل يضطلع بدور تفسيريّ كالتمييز بين بنية أسند فعلها إلى الفاعل نحو(1) وبنية أسند فعلها إلى المفعول نحو (2ج) و(3ج)، وبين بنية إنشائية طلبية نحو (2ب) و(3ب) وبنية خبريّة نحو(1).

تتوفّر اللّغة على آليات داخليّة قادرة على رفع اللّبس تميّز بين (2أ) وما تولّد عنها من بنى و(3أ) وما تولّد عنها من بنى. فيستفاد من البنية (2أ) أنّ "ماري ستضرب الرجل بالمطرية"، ومن البنية (3أ) أنّ"ماري ستضرب الرجل صاحب المطرية". فكيف يمكن رفع اللّبس ؟

تساعـــد التأويلات الدلاليّة المتعدّدة للبنية الواحدة على تفسير القصد من البنية. وقد بيّن بولوك أنّ الإنسان يتميّز بقدرة لغويّة تمكنه من تحديد المكوّنات المباشرة للبنية اللغويّة وتأويلها بكيفيّة ترفع كل إمكانات اللّبس. ويمكن، تبعا لذلك، التمييز بين (2أ) و(3أ) دون الوقوع في أي ضرب من ضروب اللّبس التركيبيّ فالدلاليّ. فتفيد (2أ) (4)، وتفيد (3أ) (5).

(4) [[Marie] [frappera] [l'homme] [avec un parapluie]].
(5) [[Marie] [frappera] [l'homme avec un parapluie]].

يُمكّن الفصل بين المكونات المباشرة للبنية (1) من فهم معناها. وقد دلّت مكونات البنية (5) أنّ البنية تشتمل على المركبات الممثّلة في (6) :

(6)[[ماري] [ستضرب] [الرجل بالمطرية]].

تفيد السلسلة المعجميّة الممثّلة للمركب الاسمي (الرجل بالمطريّة) "الرجل صاحب المطريّة أو "الرجل حامل المطرية".وتقبل هذه السلسلة التجزئ إلى مكونين هما "الرجل" و"بالمطرية"فنحصل على البنية (7) التي توافق البنية (4) :

(7)[[ماري] [ستضرب] [الرجل] [بالمطرية]].

يتغيّر المعنى فتفيد "بالمطرية" وسيلة الضرب، وتصبح "المطرية" أداة الضرب بعد أن كانت صفة محدّدة للرّجل الواقع عليه الضرب.يدرك القصد، تبعا لذلك، بفضل العلاقات التركيبيّة الرّابطة بين مكوّنات البنية.

يعدّ هذا المثال نموذجا حوسبيّا ناقلا لقدرة اللّغة الدّاخليّة على رفع اللبّس وتأويل المعنى. تشتمل البنية على قرائن لغويّة قادرة على رفع اللّبس تحددها العلاقات التركيبيّة بين العناصـــر التي تمّ انتقاؤها ونظمها، والرّوابط اللّغوية والتركيبيّة الجامعة بينها.تفسّر هذه القرائن نظاميّة اللّغة الدّاخليّة وانتظام الخطاب المنجز.

تتوفّر الحوسبة، باعتبارها عمليات ذهنيّة مجردة منتظمة قادرة على انتقاء المقولات وفحص سماتها وتأويل بنيتها التركيبيّة، على شروط المقبوليّة (Acceptability) التي تمكّن من رفع اللّبس وبلوغ المعنى. وتشترط في كلّ عملية بناء لسلسلة معجميّة أو مركب أو طور اشتقاقيّ وجود تناسق بين الصورة الصوتمية والصورة الدلاليّة.

تأوّل الدلالة في مستوى النّظام التصوّريّ القصديّ، وتشمل الخصائص الدلاليّة [5] خصائص مرتبطة بالخطاب فهي :

<<**سمات إضافيّة تحملها الرؤوس**>>(الرحالي، 2013، ص63).

ويضيف محمد الرّحالي :

<< **هي معبّرة عن الاختيارات التأويليّة الناتجة عن فحص سمة الظهور بواسطة الضم الدّاخلي** >>(نفسه، ص67).

---

5) الخصائص الدلالية هي خصائص البنية الحديّة (تمثلها علاقة الفعل بحدوده)، وخصائص البنية المحوريّة (تمثلها علاقة الفعل بالأدوار الدلاليّة التي ينتقيها)، وخصائص الحيّز (يمثلها حيّز المركب الإستفهامي)، وخصائص مرتبطة بالخطاب (ينظر : الرحالي، 2013، ص ص 60- 67).

وأفضل معبّر عن دور التركيب في التعبير عن القصد نص لشمسكي مأخوذ من مقاله "عن الأطوار" نقله محمد الرحالي إلى العربيّة يقول :

<<تستعمل اللّغة الضّم الدّاخليّ بدل آليات أخرى يمكن وضعها للتعبير عن الخصائص الدّلالية (...) وهنا أيضا يمكننا أن نعدّ هذه الملاحظات بمثابة افتراض تجريبي عن طبيعة النسق ت–ق، ينبغي البحث فيه بمصطلحات مستقلة عن اللغة.الافتراض هو أنّ النسق ت–ق يتضمن دلالة ثنائية، تعدّ البنية الحمليّة المعمّمة أحد مكوّناته، ويتمثّل المكوّن الآخر في الخصائص المرتبطة بالخطاب وبالحيّز. وتسعى اللّغة للاستجابة للثنائية بطريقة مثلى متحاشيّة أدوات إضافيّة للتعبير عن هذه الخصائص، فيؤدي الضّم الخارجي وظيفة، ويؤدي الضّم الدّاخلي وظيفة (6)>>

(الرحالي، 2013، ص 138-139).

3 – عمليات البناء ومقتضيات الحوسبة في اللّسان العربي

لقد استفاد البحث اللّساني العربي كثيرا من التّطوّر الذي بلغته المقاربة التوليديّة في التعامل مع البنية النحويّة، واتخذ المنوال الأدنويّ منطلقا لشرح العلاقات الجامعـــــة بين العناصر المعجميّة في البنية الواحدة واختبار المقاييس التي تفسّر الجمل الممكنة وتحويلاتها المتشابكة.

يدرك هذا المسعى بتحليل بنى نحويّة مختلفة ومواد لغويّة متنوعة من اللّسان العربي، وتفسير أشكال بنائها لتكون منطلقا لتوليد بنى جديدة. والتوليد تعبير عن قدرة المتكلّم والمستمع المثاليّ الفطريّة على إعادة البناء من جديد. وإعادة البناء اشتقاق وفق مقاييس منتظمة لعدد لا نهائي من البنى اللّغويّة الممكنة التي يعبّر بها الفرد عن ما يريد.تمثّل هذه المعرفة الناقلة لجوهر عمليّة البناء الدّاخليّ للبنية اللغويّة نحو اللّغة التصوريّة الذي تسيّره مبادئ كليّة ومقاييس محدّدة لخصائص الألسنة البشريّة.

تتشكّل البنية النّحويّة في منوال الاشتقاق الطوريّ (Derivation by Phase) عبر سلسلة من العمليات المجرّدة المترابطة التي تتفاعل في ذهن المتكلم للتعبير عن أفكاره ومقاصده هي التّعداد والانتقاء والنّظم والفحص والنّقل أو التّجاذب والتّهجيّة.يتمّ

6) Chomsky ,2005 ,p7.

اشتقاقها في طورين تركيبين هما المركّب المصدريّ (Complementizer) والمركّب الفعليّ الضّامر (Light Verb) (هورشتاين، 2005، ص ص 345-351). ويفترض تمثيلها أن يعلُوَ المركّب المصدري المركّب الفعليّ الضّامر، ويعلُوَ المركّب الفعليّ الضّامر الرّأس المعجميّ. ويخصّص الزمان هذه المقولات بحكم علاقته بها وحضوره في مختلف الأطوار.

يقترن تطبيق مقاييس حوسبة البنية النحويّة على اللّسان العربي بمجموعة من التساؤلات أهمّها :

هل يحتاج اللّسان العربيّ إلى موقع للمركّب المصدريّ في البنية ؟ إذا وضعنا في اعتبارنا وجود أصناف كثيرة من البنى.

هل تقتضي البنية العربّية مركبا فعليّا ضامرا ؟ خاصّة أنّ اللّسان العربيّ يميزّ بين بنى مصدرة برؤوس فعليّة تامّة وأخرى مصدّرة برؤوس فعليّة ضامرة. والرؤوس الضّامرة بخلاف المنوال الأدنويّ تشمل الرّؤوس الدّالّة على الجعليّة والرّؤوس المساعدة .

هل يحتاج اللّسان العربيّ إلى معبّر عن الزّمان ؟ خاصّة أنّ رأس الأساس الفعليّ في العربيّة زمانيّ، وهو يسوّغ سمة التّطابق مع العناصر التيّ يتعلّق بها.

نختار للإجابة عن هذه التساؤلات وتفسير العلاقات الرّابطة بين طوري اشتقاق البنية المركب المصدريّ والمركب الفعليّ الضامر شعارا من شعارات الثورة الممثّل في البنية التّالية :

(8) ارحل

أفادت البنية "ارحل" (Degage) الطلب على وجه الإلزام بين طرفين مخاطِب ومخاطَب. يعبّر الطلب عن قصد المخاطب الممثّل في الشعب النّابع من رفض الواقع بحثا عن حياة مغايرة تتنفي فيها كل صفات المخاطَب.يوافق المخاطَب الظّالم أو المستبدّ وكلّ من اتصف بتلك الصفات فيشمل الرئيس أو الحاكم. وقد يتّسع المعنى ليشمل النّظام ذاته لكونه معبّرا عن سلوكات السلطة الحاكمة في مقابل الشعب.

تستفاد من هذه البنية بنية ثانية مشارطة للأولى "الشعب يريد ان ترحل" وفيها تتجلّى علاقة المخاطِب بالمخاطَب وهي علاقة ممثّلة لإرادة الجماعة في مقابل سلوك الفرد وتوافق علاقة الشعب بالنّظام. تتولّد من هذه البنية بنية ثالثة "الشعب يريد أن يَسقُط النّظام" فبنية رابعة

هي "**الشعب يريد سقوط النظام**" وبنية خامسة "**الشعب يريد أن يُسقِط النّظام**" فسادسة "**الشعب يريد إسقاط النّظام**". ويتواصل الاشتقاق ليشمل عددا كبيرا من البنى النّحويّة.

لخّصت هذا الشعار علاقة بين "من" و"ماذا" تتشكّل في "من يفعل ماذا ؟" أو "من يريد ماذا ؟ " بفضلها يتجنّب المتكلّم أو المستمع كلّ أشكال اللّبس التي يمكن أن تظهر في البنى التّالية :

(9) من يريد ماذا ؟

(10) أ – من يريد النّظام أن يَسقط ؟

ب– *من يريد الشعب أن يَسقط ؟

ج – من يريد أن يَسقط ؟

(11) ماذا يريد ؟

أ – ماذا يريد الشعب ؟

ب – ماذا يريد النّظام ؟

(12) أ – ماذا يريد الشعب ؟

ب – الشعب يريد أن يَسْقط النظام.

ج – الشعب يريد سُقوط النّظام.

د – الشعب يُسقط النّظام.

هـ – الشعب يريد أن يُسْقِط النّظام .

و – الشعب يريد إسقاط النّظام.

ز – الشعب يريد أن يجعل النّظام يَسْقط.

ح – الشعب يطلب إسقاط النّظام.

ط – الشعب يطلب جعل النّظام يسقط.

ي – الشعب يطلب جعل النّظام يرحل.

ك – الشعب يؤكد رحيل النّظام.

ل – ارحل.

م – * الشعب يريد أن النّظام يسقط.

(13) أ – ماذا يريد النّظام ؟

ب – *النظام يريد أن يَسْقُط الشعب.

ج – *النظام يريد أن يَسْقُط النّظام.

يتمّ تعداد العناصر المعجميّة (أراد-أسقط- الشّعب- النّظام)، وبفضل عمليّة النّظم تفحص السّمات المقوليّة الفعليّة والاسميّة، وتفحص السمات التصريفيّة لاحتياج الفعل في علاقته بالاسم إلى مقولة المطابقة.كما تفحص السمات التركيبيّة لتعيين وضع العناصر المعجميّة التركيبي فتتجلّى العلاقة بين "من يفعل ماذا" في المكوّن التركيبيّ .

يمكّن النّظام الدّاخليّ الذاتيّ والقصديّ من جعل المتكلّم ينتج جملا نحويّة ويميّز بين (12هـ) السليمة و(13ب) و(13ج) اللاّحنتين.

(12) هـ – الشعب يريد أن يُسقط النّظام.

(13) ب – *النظام يريد أن يَسْقُط الشعب.

(13) ج – *النظام يريد أن يَسْقُط النّظام.

يمرّ اشتقاق البنية (12هـ)عبر أربعة أطوار[7] :

(14) **الطور الأوّل**

يتمّ في الطّور الأوّل نظم العناصر المكوّنة للمركب الفعليّ "أسقط" و"النّظام"، وهو يوافق السلسلة المعجميّة الفرعيّة الأولى التي تدخل التّعداد. تقترن في هذا الطور سمات المطابقة بالاسم في حين تكون خفيّة مع الفعل، ويتمّ إثر ذلك تهجية الزّمان فتتشكّل البنية (15) :

(15) [يُسقِط [النّظام]].

(16) **الطور الثاني**

يقع في الطور الثاني نظم عناصر السلسلة المعجميّة الثانية "الشعب" و"يسقط النّظام"، ويضاف المركب المصدريّ إلى المكوّنات المنظومة، ثمّ تتمّ تهجية المركّب الزمانيّ. فتتشكّل البنية (17) :

7) استبدل شمسكي مصطلح مراحل (Stages) بمصطلح أطوار (Phases) سنة 1999، معتبرا أنّ البنية النحويّة تتشكّل عبر أطوار ضبطها من خلال منوال الاشتقاق الطوري.

(17)[الشعب[أن[يُسقط النّظام]]].

(18) الطور الثالث

تضاف في هذا الطور مرحلة المركب الفعليّ الضامر إلى مرحلة المركب المصدريّ، وينتقي الفعل الضّامر سماته عبر التّطابق مع المركب المصدريّ.وباجتماعهما تتشكّل البنية (19) :

(19) [الشعب [يريد[أن [يسقط [النّظام]]]]].

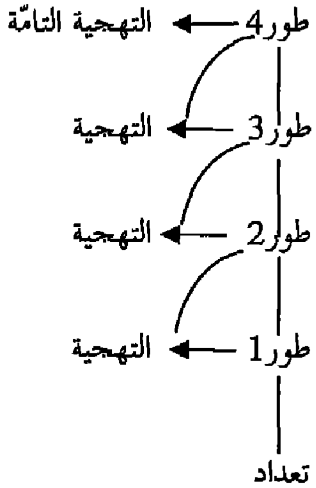
(20) الطور الرابع

تتكوّن البنية في الطور الرّابع من المركّب المصدري (CP) والمركب الفعلي الضامر (vP) والمركب الفعلي المعجمي. يقع إدخال المركب الزّماني إلى كامل الشّجرة، فينتقي سماته وينتقي المخصّص سماته. وتنتهي بذلك عملية الاشتقاق. وتتشكل البنية (21) :

(21) [م مص مص [م ز الشعب [م ف ـ ز [ف ـ يريد [م مص مص أن [م ف يسقط[ز النظام]]]]]]].

تبيّن الأطوار الأربعة في هذه البنية للدّارس أنّ التصميم الأمثل للبنية يتمّ طورا بعد طور. ونمثل لعمليّة الاشتقاق الدورية (Cyclic) في البنية (21) بالشكل (22) :

(22)



بيّنا أنّ العمليات الحوسبيّة التي بفضلها تشكلت البنية (12هـ) دوريّة تتكرّر في كلّ طور.لكنّ خصوصيّة اللّسان العربيّ تقتضي أن نميّز بين"سقط" المجرّد و"أسقط" المزيد لتجنب اللّبس الدّلالي.فـ"سقط" تعني "وقع وغاب وزال" (المعجم الوسيط، ص435)، و" أسقط" تعني أوقع وأنزل (نفسه، ص435)، وتختزل صيغتها معنى الجعل فتفيد "جعل يُسقط".

وتقتضي خصوصية اللّسان كذلك، لتجنب اللّبس التركيبي، أن نميّز بين مقولة الظهور ومقولة الضمور لاندراجهما في المقولات النظاميّة النحويّة الكليّة التي تتجاوز اللّسان العربيّ لتتعلّق بمختلف الألسنة البشريّة .

يقتضي هذا المقياس في التصنيف أن نضبط خصائصه فنبيّن أنّ مقولة الظهور تشمل الأفعال الظاهرة اللاّزمة والمتعدية التّامة والنّاقصة (إذا كانت البنية بسيطة). أمّا مقولة الضمور فتشمل الأفعال المساعدة (Auxiliaries) أو الناقصة والأفعال التي تقبل النقل فتفيد الجعليّة . وننبّه إلى أن اللّسان الإنجليزي يخلط بين هذه التّصنيفات فيعدّها تارّة رؤوسا مساعدة، وطورا رؤوسا خفيفة. هذا التداخل يعود بالأساس إلى ورود هذه الأفعال في بنى مركّبة تشتمل على أكثر من إسناد واحد تقوم فيها بدور الوسيط بين الإسناد الأصليّ والإسناد الفرعيّ [8]. كما ترد الأفعال النّاقصة في اللّسان الإنجليزي تارّة رؤوسا تامّة

---

8) يمكن أن نتعرّف على الفرق بين الأفعال الضّامرة والأفعال المعجميّة التامّة من خلال دلالة البنية (1) و(2) :

(1) Anjum let Sadaf write a letter.

(2) Nadia Wrote a letter.

إن جاعل"Sadaf" يكتب الرّسالة في (1) هي"Anjum" لذلك اشتملت البنية على فعلين الأوّل هو الفعل الضّامر "Let"والثاني هو الفعل التامّ "Write". وقد حدّد الفعل الضّامر الفاعل في (1) وهو القائم بفعل الكتابة " سداف " وإن كانت " أنجام " هي الجاعلة الأصليّة لذلك الفعل باعتبارها المتسبّبة فيه .

اشتمل (2) على فعل واحد هو"كتب"، وقد اقترن هذا الفعل في البنية الممثّلة بفعل آخر هو" Take" استمد معناه من دلالة الحدث المنجز من قبل " نادية" وترتّب عليه حدث " الكتابة ". إنّ"نادية " في (2) هي الجاعلة لحدث الكتابة والقائمة به في نفس الوقت. ويفيد " كتب " "جعل يكتب"، وهو معنى مضمّن في بنية الفعل يقوم بدور الواسم المظهريّ له.

وطورا رؤوسا مساعدة [9]، ويرجع هذا الخلط إلى عدم توفر تصنيف واضح للرؤوس قادر على الفصل بينها للتعرّف إلى خصائصها البنيويّة والوظيفيّة والدّلاليّة[10].

إن إمكان اقتران البنية النحويّة بفعل ظاهر أو فعل ضامر يفيد وجود علاقة وثيقة بين الخصائص المعجميّة المستفادة من الفعل الظّاهر والخصائص الوظيفيّة المستفادة من الفعل الضّامر. والجامع بينها تعالق أساسه التّشارط بين المقولات المعجميّة والمقولات الوظيفيّة.

نميّز بمقتضى هذا التصنيف بين " أراد" و"سقط" و"أسقط" في (12ب) و(12د) و(12هـ) و(12ز).

(12) ب - الشعب يريد أن يَسْقط النظام.

(12) د - الشعب يُسقِط النّظام.

(12) هـ - الشعب يريد أن يُسْقِطَ النّظام.

(12) ز - الشعب يريد أن يجعل النظام يسقط .

تكوّن المركب الفعلي "يريد أن يَسقُط"في (12ب) من الفعل الضامر (أراد) والفعل المعجمـــي (سقط). تَختزِل البنية (12د) الفعلين في صيغة "أسقط"، لتفيد نفس المعنى. وتكوّن المركب الفعلي "يريد أن يُسقِط" في (12هـ) من (أراد) و(أسقط). يفيد " أسقط"

---

9) نمثّل لذلك بفعل "To Be"في (3) :

(3) The ice cream was melted(سالت المثلجات)

تفيد هذه البنية معنيين : الأوّل أنّ " شيئا أسال المثلجات"(Something melted the ice cream)، ويعدّ الرّأس " سال " فعلا تاما. والثّاني أنّ " المثلجات كانت سائلة " (The ice cream was mostly liquid) ويعدّ الرّأس " كان " فعلا ناقصا.

يمكن أن يكون فعل"Be" في اللّسان الإنجليزي تارّة رأسا تامّا وطورا رأسا مساعدا . يشبه هذا الرّأس المساعد عددا كبيرا من الأفعال مثل "Do"و "Have" وغيرهما. ويمكن التمييز بينها كما بيّنا من خلال دلالة البنية .

10) كان هذا المبحث مجال دراسة من قبل اللّسانيين المحدثين نذكر منهم خاصّة :

- Grimshaw Jane and Mester Armin 1988, Lights Verbs and Θ- marking , Linguistic Inquiry 19(2) : 205- 232.
- Rosen Sara,1990, Argument Structure and Complex Predicates, New York,Garland Publications.
- Butt Meriam and Gillian Ramchand , 2005,Complex aspectual Structure in Hindi / Urdu, in the Syntax of Aspect, Nomi Ertischik-Shir and Tova Rappaport (eds),p p11-53,oxford university Press.

واتّسع الاهتمام به في السنوات الأخيرة ليشمل الدراسات اللّسانيّة التوليديّة العربيّة وكأن كلّ بنية تتضمّنه ولا تتشكّل إلا به (للتوسع في هذا المبحث ينظر : اللحياني، 2013، ص ص 61-69).

"جعل يسقط"، ويستفاد من ذلك بنية تتشكّل من ثلاثة أفعال هي (أراد أن يجعل يَسْقُط) الممثلة في (12ز). "أراد" فعل ضامر يستفاد من دلالته المعجميّة الطلب والجعل فـ" راد الشيءَ " تعني "طلبه (المعجم الوسيط، 2004، ص381)، و"رادت الدّابة "تعني "جعلها ترود أي تَجُول" (نفسه، 2004، ص381). و"جعل" فعل ضامر ثان مستمد من دلالة البنية " أفعل" على الجعليّة في " أَسْقَط". ويختصّ هذا الصنف من الأفعال بكونه يفيد حركة معبّرة عن الحالة النّفسيّة للمُريد تستفاد من دلالة الطلب ودلالة الجعل.

يوافق" يُسقِط" في "جعل يُسقِط" في (12هـ) الفعل المعجميّ، وتفيد البنية "يريد أن يُسقِط" تأكيد الطَلب" اسقط" بتكرار عنصرين معجميين يفيدان الجعل في (12ز)، الأوّل هو "أراد" والثاني مستمد من صيغة "جعل يفعل". وبهذه الكيفية يمكن اعتبار "أراد" فعلا ضامرا مثل "جعل"، واعتبار " أسقط" فعلا تامّا [11].

تفيد (12ز) (12ط) أو (12ي) :

(12) ز – الشعب يريد أن يجعل النّظام يَسْقُط.

(12) ط – الشعب يطلب جعل النّظام يَسقُط.

(12) ي – الشعب يطلب جعل النّظام يَرْحَل.

ويختزل هذا الطلب على وجه التأكيد الممثّل في (12ك) في (12ل) :

(12) ك – الشعب يؤكد رحيل النّظام.

(12) ل – ارحل.

توافق "أراد يجعل النّظام يسقط" إذن "جعل جعل يسقط" أو "طلب طلب يسقط". ويندرج هذا الصنف من الأفعال، ونعني بها "أراد" ومثيلاتها، في قائمة الأفْعَالِ الذّهنيّة المعبّرة عن الحالة النّفسيّة التي تختزن باعتبارها من الأفعال الظّامرة دلالة التأكيد وتفيد الطلب.

---

11) يمكن أن يفيد "أراد" معنى "كاد" فيأخذ موضعه ويعمل عمله في مثل قول ابن منظور في اللسان : << وقال : بلغوا الأمر الذي كادوا (يقاربونه)، يريد طلبوا وأرادوا >> (ابن منظور12/200 كيد). لذلك يمكن أن نعدّه فعلا مساعدا، والأفعال المساعدة هي أفعال ضامرة كما بينا.

تقتضي خصوصية اللسان كذلك أن نحدّد موقع المركب المصدري في البنية ونحلّل علاقة النّظم الداخليّ بين المترشّح (Probe) والهدف (Goal).

إنّ علاقة المترشّح بالهدف علاقة جمعيّة بين المصدريّ وصلته تقوم على التّشارط البنيويّ. يشمل المركب المصدريّ البنية المركّبة من الموصول الحرفيّ وصلته، وتعبّر مقولة المصدريّ الممثّلة في[أن] في البنية (12هـ) عن درجات في الإثبات تستمدها من دلالاتها.وتكمن حاجتها لصلاتها في كونها تتمّ بها اسما [12] (ن : سيبويه، 1990، 3 / 119-120).هذا المعنى مستمد من دلالة الحرف على معنى في غيره في النّظرية النّحويّة العربيّة. وللاستدلال على اسميته يمكن تعويضه بمصدر[13]، وبمقتضى ذلك سميت الحروف الموصولة حروفا مصدريّة، وفي هذا المعنى يقول سيبويه :

<<أَنْ مع الفعل الذي يكون صلة بمنزلة المصدر (,,,) ألا ترى أنّك تقول : أنت الرجل أن تُنازِلَ أو [أن] تُخاصِمَ، كأنّك قلت نِزالاً وخصومةً، وأنت تريد المصدر الذي في قوله فَعَلَ ذاك مخافةَ ذاك . ألا ترى أنّك تقول : سكتّ عنه أن أجترّ مودته، كما تقول : اجترار مودته>> (سيبويه، 1/ 390).

يتبيّن لنا من هذا الشاهد أنّ اقتران الحرف المصدري"أن" بصلته "يَسْقُط" في (12ب) يمكن أن يعوّض بالمصدر"سقوط"في (12ج)، وأنّ اقتران الحرف المصدري"أن" بصلته "يُسْقِط" في (12هـ) يمكن أن يعوّض بالمصدر"إسقاط"في (12و).

(12) ب – الشعب يريد أن يَسْقط النظام.

(12) ج – الشعب يريد سُقوط النّظام.

(12) هـ – الشعب يريد أن يُسْقِطَ النّظام.

(12) و – الشعب يريد إسقاط النّظام.

---

12) الحروف الموصولة في النظريّة النحويّة العربيّة تكوّن مع صلاتها أسماء(ن : سيبويه، 1990، 3 / 119-120).

13) مثّل سيبويه لهذه العلاقة بـ (1) التي تفيد(2) :

(1) لا يلبث أن يأتيك

(2) لا يلبث عن إتيانك (نفسه، 155/3)

يتبّن لنا من هذا المثال أن اقتران الحرف المصدري "أن" بصلته "يأتيك " يمكن أن يعوّض بالمصدر "إتيانك ".

تتولّد من بنية (12ب) بنية ثانية لا تختلف دلالتها عن البنية الأولى هي(12ج)، كما تتولّد من البنية (12هـ) بنية (12و).يدرك هذا التّوافق الدّلالي من تشكّل البنية ذاتها. فالمصدر يدلّ لفظه على الفعل وعلاقته بالمضاف إليه تؤوّل بالمركب المصدريّ، وفي هذا المعنى يقول المبرد في كتابه " المقتضب" :

<<إلا أنّ معناها (المصادر) إذا وقعت على فعل مستقبل أنّها تنصبه، وذلك الفعل لما لم يقع ولا يكون للحال وذلك قولك أن تأتيني خير لك ويسرّني أن تقول يافتى وإن وقعت على فعل ماض كان مصدرا لما مضى تقول سرّني أن قمت >>(المقتضب، 3/ 5).

يجمع بين السلسلتين المعجميين " يَسقُط النظام " و"سقوط النظام" والسلسلتين المعجميتين " يُسقط النظام" و" إسقاط النظام " تشارط تركيبيّ مستمد من دلالة الإضافة المعنوية في " إسقاط النظام".

إن بنية الإضافة (مصدر- مضاف إليه) تشارط بنية ثانية هي (أن + فعل) لأنّ المصدر في هذه السلسلة المعجمية مشتق يجري مجرى الفعل، لذلك ماثلت بنية الإضافة الوارد رأسها مصدرا بنية ثانية هي بنية المصدري (المركب الموصولي الحرفيّ : أن + صلته) (العيساوي، 2004، ص ص 376-384).

يختار المصدريّ في هذه السلسلة المعجميّة رتبة العناصر المكوّنة للبنية الإسنادية الحمليّة التي ينتقيها فضلة له وهي : ف فا (يسقط النظام) لأنّ المجاورة تفحص إعراب الرفع وسمة التطابق (الفهري، 2010، ص 152-153).

إنّ وجود المركّب المصدري داخل البنية باعتباره رأسا للإسناد الثّاني لا ينفي إمكان حضوره في رأس البنية الممثّلة للإسناد الأوّل. فهو محل قابل للتعجيم لإمكان تصدّره للبنية الاسميّة [14] نحو(23) و(24).

(23) أن يسقط النّظام مطلب شعبيّ

(24) سقوط النّظام مطلب شعبيّ

14) يتصدر المركب المصدريّ البنية الاسميّة نحو : "أن تصوموا خير لكم" [آية 184/ البقرة] (سيبويه، 3/ 153)، أفادت " أن تصوموا " المتكوّنة من المصدريّ والفعل المتّصل به معنى البنية : الصوم خير لكم (سيبويه، 3/ 153)

4 - مقاييس حوسبة البنية النحويّة

تفترض دراسة أشكال التمثيل الذهني المجرّد للمعطيات اللّغويّة وحوسبتها تحديد مقاييس بنائها باعتبارها ممثلة في عمليّات تركيبيّة تقبل النّظـــم. هذه المقاييس تنقل التجربة الخاصّة باللّسان وتفسّر كيفية اشتغال النّظام اللّغويّ. لذلك نعيّن في هذا العنصر أهمّ المقاييس التي تستوجبها الحوسبة في اللّسان العربي لخصوصيّة اللّسان اشتققناها من اشتغالنا على المنوال الأدنوي وممّا لمسناه أثناء تطبيق هذا المنوال على العربيّة من إشكاليات لايتّسع البحث إلى تقديمها. وتعتبر هذه المقاييس قيودا ضروريّة تسيّر عمليات الحوسبة لتحقيق النجاعة التي تفترض قدرا كبيرا من الاقتصاد مع الانسجام فيتجلّى الوضوح والبساطة، وبمقتضاها يمكن توليد مختلف أصناف البنى النحويّة. تشكّل هذه القيود نظاما من المعطيات يقوم على الاقتصاد ويعتمد على آلية الاشتقاق الأقل كلفة لتحقيق الجدوى والمقروئية يُقَدَّم في شكل توجيهات متراتبة مشروطة قابلة للبناء وإعادة البناء من جديد.

تتعلّق هذه المقاييس بمبحثين متعالقين : الأوّل هندسة البنية النحويّة المجرّدة باعتبارها ممثّلة لتصميم أمثل للّغة يختزن كلّ المحلاّت الوظيفيّة والمعجميّة، والثاني اشتقاق هذه البنية الذي يشترط الجدوى والاقتصاد.

المقياس1 : تتشكّل البنية النحويّة المجرّدة من محلاّت قابلة للتعجيم تختزل في :

- رابط [9] يقبل التوسّع في مستويات مختلفة يمكن أن يعجّم بمختلف أصناف الأدوات(15) .

- محل المركب المصدري يقبل رأسه التعجيم بمقولة المصدري.
- محل المركب الفعليّ الضامر يقبل رأسه التعجيم بفعل ضامر.
- محل المركب الفعليّ المعجميّ يقبل رأسه التعجيم بفعل معجميّ.

تكتسي هذه المحلاّت قيمة موجبة أو سالبة، ويُمكّن التمييز بين مقولة الظهور ومقولة الضمور من تمثيل مختلف أصناف الرؤوس الفعليّة.

15) الرابط : محل واوي في البنية استندنا في تحديده إلى منوال الإنشاء النحوي للكون لمحمد صلاح الدين الشريف.

المقياس2 : تتشكّل كلّ بنية من مقولات معجميّة تتحكّم فيها مقولات وظيفيّة وتوجّهها سمات نحويّة (السّمات الزمانيّة، والسّمات الصرفيّة، والسّمات الإعرابيّة، والسّمات الدلاليّة)، وتنتظم هذه المقولات في إسقاطات متراتبة بفضلها تتجلّى مختلف العلاقات التركيبيّة والدّلاليّة الممثّلة للعناصر المعجميّة المعجّمة.

المقياس3 : يحتاج اشتقاق مكوّنات البنية النحويّة وحوسبتها إلى العمليّات التركيبيّة التاليّة :

3-1- النظم (Merge) : يتعلّق نظم مكوّنات المقولات بمستويين :

- **نظم المقولات الوظيفيّة** : تخضع المقولات الوظيفيّة للتراتب في العمليات التركيبيّة. ويشترط في تشكّل البنية أن تتحكّم مقولة المصدري في بقية الإسقاطات الوظيفيّة، وأن تتحكّم مقولة الزّمان في التأويل الزماني للسلاسل المعجميّة التي تمّ نظمها.

- **نظم المقولات المعجميّة** : يتمّ تأليف عناصر معجميّة لامتناهية من عناصر صوتية متناهية وتأليف سلاسل معجميّة لامتناهية من مجموعة متناهية من العناصر المعجميّة عبر عملية توليف ثنائيّ بين المركبات.

3-2- المطابقة (Agree) : هي مقولة تفحص موقع العناصر داخل البنية، وتتشكّل عبر تأليف بين سمات يتحكّم في التأليفات الواقعة بين العناصر التي تمّ نظمها في البنية النحوية يحكمه شرط المقبوليّة (Acceptability). ويتمّ الفحص عبر تقييم مدى التجانس المحقّق بين العناصر المشكّلة للسلسلة المعجميّة في كل طور.

3-3- النقل (Move)[16] : عمليّة بناء العناصر المعجميّة داخل السلاسل المعجميّة (نظم داخليّ). ويتدخّل النّقل عند كلّ عمليّة نظم لسلسلة معجميّة فرعيّة وتهجيتها.ثمّ يحذف أثر العنصر المنقول لكي لا يخضع للعمليات الحوسبيّة.

3-4- التهجية (Spell out) : التهجية دوريّة (Cyclic Spell Out) إذ تتمّ في نهاية كلّ طور عبر التوافق بين الصورة الصوتيّة (PF) والصورة المنطقيّة (LF).

---

16) "انقل α" تحولت إلى عمليّة تتجاوز الوحدات المعجميّة لتتّصل بنقل السّمات النّحويّة.

المقياس4 : الاشتقاق توليد تكراري قصديّ لمجموعة لامتناهية من البنى اللّغوية من مجموعة متناهية من العناصر يحكمها قيد المقروئية. ويمرّ عبر أطوار تشكّل مراحل في عملية نظم السلاسل المعجميّة.

ويستفاد من هذا المقياس الشروط التّالية نعرضها متراتبة :

- يشكّل كلّ طور موضعا تجري فيه عمليّة تركيبيّة فرعيّة.
- تنتظم العناصر المعجميّة الخاصّة بكلّ طور في سلاسل معجميّة اشتقاقيّة فرعيّة.
- تقوم كل سلسلة على علاقة بين مكونين : الأوّل المترشح ويمثل رأس المركب نمثّل له بـــ α، والثاني الهدف نمثل له بـــ β بحيث تتحكّم α مكوّنيا في β وتجانس α β.
- يكون رأس المركب مقولة وظيفيّة أو مقولة معجميّة، وينتقي سماته ويتحكّم في حدوده، ويقود عمليّة النّظم والنّقل.
- تتراتب المركّبات في البنية وتتمّ تهجيتها.

تساعد المقاييس التي عيّناها على تقديم تصوّر لحوسبة اللسان العربي واللّغة البشريّة عموما. فهي تمكّن من اختبار مدى قدرة البنية المحوسبة على توفير التصميم الملائم وتعيين مختلف العلاقات الجامعة بين المقولات والسّمات. وتُفسّر كيفيّة اشتغال الجهاز اللّغوي وتفحص أشكال انتظامه باعتباره محكوما بنظام حوسبيّ، يختزل كلّ أصناف المركّبات، قادر على اشتقاق كلّ أشكال البنى اللّغويّة.

إنّ البحث في مقاييس حوسبة البنية النحويّة كما تجلّى في هذا العمل هو بحث في ماوراء الكفاية التفسيريّة وإن كان منطلقه اختبار قدرة المنوال الأدنوي على تحقيق الكفاية التفسيريّة.

خاتمــــة

نجمع خلاصة هذا البحث في الملاحظات المختصرة التاليّة :

- استندنا في مقاربة مبحث"اللّغة الدّاخليّة وحوسبة البنية النّحويّة" إلى هندسة البنية النحويّة أوّلا وآخرا لبيان القصد وتأكيد العلاقة الثابتة بين اللّفظ والمعنى.

- بيّنا أنّ كلّ عمليّة بناء لسلسلة أو طور من أطوار اشتقاق البنية تشترط وجود تناســق بين الصورة الصوتيّة والصورة الدلاليّة، وأكّدنــا أنّ الدّلالة تشتقّ من الانتظام الدّاخليّ المخزّن في الذّهن .
- مكّن التطبيق الإجرائي على العربيّة من إثارة إشكاليّات متّصلة بخصوصيّة اللّسان تجلّت من خلال صلة مقولة المصدريّ بمقولة الفعل الضامر ومقولة الفعل المعجميّ، وكانت الغاية من البحث في الخصوصيّات إثراء الكليّات.
- تختزن البنية النّحويّة شبكة من العلاقات المتشارطة تربط بين مكوناتها.يكشف هذا التشارط قدرة فائقة على التأليف تدرك إجرائيا عند تحليل العلاقات الرّابطة بين العناصر المعجميّة في اللسان المدروس ومقاييس اشتقاقه.
- تحتكم مختلف العمليّات الحوسبيّة المجرّدة إلى مقاييس بنيوية دقيقة تساهم في تحقيق خطاب لغويّ سليم.

مراجع البحث

1 – المراجع العربية

– **ابن منظور** (محمد) : لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988 (18مج).

– **الرحالي** (محمد) : اللسانيات التوليديّة، من التفسير إلى ماوراء التفسير، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2013 (196ص).

– **سيبويه** (أبو بشر عمرو بن عثمان) : الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس، 1990، (5 أجزاء) .

– **الشريف** (محمد صلاح الدين) : الشرط والإنشاء النحوي للكون، بحث في الأسس البسيطة المولّدة للأبنية والدلالات، منشورات كليّة الآداب، منوبة، بتونس، 2002 (جزآن).

– **عاشور** (المنصف) : دروس في أصول النظرية النحويّة العربيّة من السمات إلى المقولات أو لوليّة الوسم الموضعي، مركز النشر الجامعي، 2005 (425 ص).

– **العيساوي** (عبد السلام) : التأريخ النّصي للنحو العربيّ من خلال مفهوم الإضافة، كليّة الآداب بمنوبة ودار سحر للنشر، 1998(419ص).

– **غاليم** (محمد) : النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحاليل جديدة، دار توبقال للنشر، 2007، (171 ص).

– **الفهري** (عبد القادر الفاسي) : ذرات اللغة العربيّة وهندستها، دراسة استكشافية أدنوية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2010 (190ص).

– **اللحياني** (سرور) :

– خصائص الرأس الفعلي وظواهر من انتظام المعجم، كلية الآداب واالفنون والإنسانيات بمنوبة، 2010 (400 ص).

- الرّأسية العامليّة في اللسان العربي، مقاربة نحويّة لأشكال تمثيل البنى اللّسانيّة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، 2013 (240 ص) .
- المبرد (أبو العباس) : المقتضب، تحقيق حسن محمد واميل يعقوب، منشورات دار الكتاب العلمية، بيروت، (5 أجزاء) .
- **المعجم الوسيط**، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، مكتبة الشروق الدوليّة، ط4 (2004).

2 – المراجع الأجنبية

- **Brody** (M) : Lexico-Logical Form : A Radically Minimalist theory, Mit press,Cambridge, 1996 .
- **Butt** (M) : The light verb Jungle, Workshop on Multi Verb Constructions, Trondheim, June26-27 , 2003 (24p).
- **Chomsky** (N) :
  - The Minimalist Program, Cambridge, Mit press, 1995.
  - Minimalist inquiries/ the framework ,Mit Occasional Papers,in linguistics 15.
  - Derivation by phase in M.kenstowicz(ed.),ken Hale : A life in language , Cambridge, MIT Press, 2001,pp1-52.
  - On phases, Massachusetts Institute of technology, Cam bridge, 2005b.
- **Cook** (V.J) and **Newson** (M) : Chomsky's universal grammar : An Introduction,Third Edition, 2007, Blackwell Publishing (338p).
- **Foli** (R)and**Ulbrich** (CH) : Interface in Linguistics, New research Perspectives, Oxford Studies in theoretical Linguistics, 2011 (435p).
- **Hornstein** (N) et Autres : Understanding Minimalism, Cambridge University Press, 2006 (405p).
- **Kremer Marietti** (A) : Langage et Cognition, Edition du site web WWW. DOGMA.
- **Lasnik** (H) : Minimalist investigations in linguistic theory, Routledge, New york, 2003 (192 p).
- **Levin** (B) : Semantic Prominence and argument Realization VI , The Dative Alternation and the Ranking of Recipients,goals, and Themes, Course 123, MIT 2005 (17 p) .
- **Pustejovsky** (J) : The Generative Lexicon, Massachusetts Institute of Technologie, MIT Press, 1998 (288 p) .
- **Pollock** (J-y), 1997, Langage et cognition, Introduction au programme minimaliste de la grammaire générative, Paris, PUF (241p).(p p 23-24).

في اقتباس روايات نجيب محفوظ التّعبيريّة : علامات متمكّنة وعوالم ممكنة

أحمد القاسمي
كليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس

مدخل

تمثّل الرّواية، ذلك النّظام الرمزيّ الذي يتولّى الوساطة بين الإنسان والوجود الخارجي، علامة ثلاثيّة المستويات. فهي ممثّل(Re) (Representamen) مداره على مستوى الإمكان المحض المعزول عن كلّ سياق وهي موضوع(O) (Objet) يغدو عبره هذا الإمكان حقيقة متمكّنة ووجود فعليّا متحقّقا في الفضاء والزمن محدّدين. وتكون ثالثا عند قارئها مؤوّلا (I (Interprétant) يحيل على الموضوع (O) فيختزله ويمنحه بعدا مفهوميّا في مستوى عالم الواجبات والقوانين. وليس هذا المؤول شخصا يتملّى العلامة ويقوم بتأويلها. وإنما هو تأويل ناشئ عن وضع مستوى الممثّل منها(Re) في علاقة بالموضوع (O). فيرد في شكل تقرير صحفي حولها أو تلخيص أو تجسيد عبر العرض. ولكونها علامة وظيفتها الأساسيّة الوساطة، فهي تتولّى إيقاف سيرورة الوعي عند حالة معيّنة فتمنحه بعدا موضوعيّا قابلا لأن يُحاكى أو يُحاور أو يُرفض. وتتدخّل في العالم، على نحو غير واع، فتكشف عن كيفيّة مّا يرتبط بها النّظام الثّقافي بأنظمته التّواصليّة وأشكاله الرمزيّة. ولا يتحقّق هذا الرّبط إلاّ من خلال افتراض متقبّل ضمنيّ يسنّن الأثر ثقافيّا فيُكسبه احتمالات وفقا لكفاياته الموسوعيّة وتجاربه في الحياة.

تنتهي مصادراتنا هذه إلى أن الفيلم المقتبس عن أثر أدبي مؤوِّل (I) يضع مستوى الممثّل (Re) من هذا الأثر في علاقة بالموضوع (O) ويكون الإخراج وسيلته في التأويل. وضمن السيرورة السيميائيّة (Sémiosis) يتحوّل هذا المؤوّل(I) بدوره عند متفرّجه إلى ممثّل (Re) لا يتحوّل إلى موضوع متمكّن (O) وحزمة أضواء تُسقط على الشّاشة الفضّية إلاّ من خلال مؤوّل جديد، بما يعني أنّ تحويل الحكاية من الوسيط الأدبي إلى الوسيط السّينمائي إعادة بناء لهذه العلامة وزجّ بها في سيرورات دلالية وسيميائية جديدة تعيد ضبط أدوار المنشئ والمتقبّل على حدّ سواء فتؤثر عميقا في احتمالات معانيه.

من هذا المنطلق نبحث في حبك روايات نجيب محفوظ التعبيريّة "السّمان والخريف" و"الطّريق" و"الشّحاذ"(محفوظ، 1991)[1]. فنبحث فيما يطرأ على الحكاية، عند إعادة حبكها سينمائيّا، من تحوّل في احتمالات المعنى، ونتقصّى أسبابه، وسائطية كانت أو تداوليّة، آملين في الوقوف على شيء من الثّابت القار من إعادة بناء العلامة أوان عبورها من الوسيط الأدبيّ إلى الوسيط السينمائي.

تفيد الحبكة معنى تتابع الأحداث وتسلسلها وصولا إلى ذروة التّأزّم تمهيدا لحلّها. وقد شاع بين الدّراسات تصنيف كرين(Crane) لثلاثة أنواع منها، أولها الحبكة الخاصّة بالأحداث وثانيتها الحبكة المتعلّقة ببناء الشّخصيات وثالثتها على انتظام الأفكار. ويرتقي بها ريكور إلى مستوى النّظام والطّراز فيعرّفها بكونها "تنظيما بين عناصر متنافرة تقوم على إيجاد قصّة واحدة من خلال عناصر متعدّدة"(ريكور، 1983، ص 79).

ولكونها طرازا، شملت الحبكة فنون القصّ على اختلاف أنماطها وأنظمتها السيميائيّة ووحّدت بينها. فصرفت دراستها إلى بناء أحداثها وقانون التّعالق بينها ووجوه تعليلها ومسار نموّها والعلاقة الرابطة بين بداية حكاياتها ونهايتها. ولئن تراجع الاهتمام بها على أيّامنا، باعتبارها بحثا في القواعد التي تقيّد حيويّة الإبداع وباعتبار ادّعاء بعض صنّاع الحكايات تهميش الحبكة، فإننا نعود إليها من منطلقين مغايرين هما البحث في مقوّمات إنشائها للعوالم الممكنة والخوض في سبل ضبطها لفاعليات القراءة والتّأويل. فلا يغرب عنّا

---

1) نشير إلى الآثار الأدبيّة وفق الرّموز التالية "السّمّان والخريف" (س1) و"الطّريق" (ط1) و"الشّحاذ" (ش1) ونشير إلى الآثار السينمائيّة تباعا وفق الرّموز التالية " (س2) و(ط2) و(ش2).

ونحن نتقصّى تاريخ هذا المفهوم، بداية من "فنّ الشعر" اعتمادها آليّة تضبط الأدوار التي يريدها النص لمتقبّله الضّمنيّ وتخلق مؤثرات بعينها لدى المتقبّل كالتعاطف مع بعض الشّخصيات أو النفور منها أو إثارة الخوف والشّفقة...

1 - البناء في روايات محفوظ التّعبيريّة

1- 1- تهميش الحبكة السّردية

تنتظم أحداث (س1) و(ط1) و(ش1) على خطّ الزّمن في شكل مسار وتتدرّج وفق بناء ثلاثي من البدايات الهادئة إلى الأحداث القادحة التي تدفع بالعقد إلى ذروة التأزم وصولا إلى وضعيات ختام ينحلّ فيها الصّراع ويتراخى. وتترابط منطقيّا فتتجانس النتائج مع أسبابها الدّافعة. ولا تخلو هذه الحكايات من مفارقات تمنح السّرد طرافته. فتكشف عن كاتب يحاكي التّجارب الذّائعة في ابتكار القصص[2]. فيعيد تصوير التّجربة الزمنيّة ويفيد من قوانينها النّاظمة مستخرجا المعقول من العارض والكونيّ من المفرد[3]. ولكنّ من المهم بالنسبة إلينا أن نعلن أنّ البحث في انتظام الوقائع المفترضة في عوالمها الممكنة ليست هدفا لدراستنا هذه. فما يعنينا إنما هو الخطاب، ذلك المستوى التلفظيّ من الحكاية. نقصد كيفيّة انتظام الأحداث والأفكار والمشاعر على مستوى أديم النصّ ومن خلال أنسجته اللّغويّة الدّاخليّة. ولمّا كنّا نهدف إلى البحث في قوانين البناء في عامة مدونتنا فإننا نحرص على نصدر في إحالاتنا على نماذج، نقدّر صبغتها التّمثيليّة للآثار المدروسة ولقانون تحبيكها..

تترابط الأحداث، وحالات الروح الباطنة والأفكار على مستوى الخطاب في روايات نجيب محفوظ التعبيريّة وفق قانونين :

---

2) يشير محمد حسن عبد الله إلى بناء حكاية الشحاذ ذاكرا "هذه الرّواية تبدأ - كالمسرحيّة الكلاسيكيّة - والحوادث توشك أن تصل إلى قمّة تأزمها، ومن ثمّ تكون مصائر الأشخاص قد تحدّدت بصورة قاطعة تقريبا ــ ولم يعد أمامها إلاّ أن تحقّق ما أريد لها، أي ترتطم بالحائط في نهاية المنحدر لتتناثر شظايا". لمزيد التوسع أنظر(عبد الله، 1978، ص 256).

3) يجد ريكور في تأليف الحبكة القصصية تجسيدا لطراز مستمدّ تأمّل المعيش وتجريده في شكل قانون فيذكر" يعني تأليف حبكة استخراج المعقول من العارض والكونيّ من المفرد والضروري أو المحتمل من الأيبسودي"(ينظر : ريكور، 1983، ص 85) . ونعرّب (épisodique) التي تفيد المتتالي جريا على ما درج عليه معربو أرسطو.

- تجاور بين الأحداث والمشاعر يبدو، في الظاهر على الأقلّ، وليد الصّدفة المحض، فتغرورق عينا صابر الرحيمي بالدموع وينتبه فجأة إلى ما أصاب جسم أمه من النّحول والهزال (ط1، ص 185). ويتحدّث عمر إلى مصطفى عن شهرته ثمّ يتذكّر عثمان القابع في السّجن (ش1، ص 323). ولهذا التّجاور أن يستغرق الزمن أو الفضاء أو يستغرقهما معا كحدث مواراة جثمان الأم في القبر والتقاط أنف صابر لرائحة التّراب أو تشممه هذه الرائحة وذكر السّارد لانتشار رائحة العرق من أجساد الرّجال المحيطين بالنّعش(ط1، ص185).

- أو انتقال فجئي ينفصل وفقه الحدث عمّا يسبقه من الأحداث وما يلحقه. فيوحي ظاهر النصّ بألاّ قانون يجمع بينها غير العلاقات الانضماميّة. من ذلك انتقال عيسى الدبّاغ من التّفكير في حجم الفراغ الذي تركته السّياسة في قلبه إلى الاندهاش من سوء حالة ريري (س1، ص 82) أو عبور صابر من تخمين ما يدور في خلد المعزّين من الأفكار والمشاعر إلى تساؤله عن سبب إبعاد أمه له عن محيطها إلى تبرّمه من مذاق عن الحياة الذي أمسى كالتّراب (ط1، ص 185) أو انتقال عمر من استرجاع حديثه مع بثينة حول الشّعر إلى استبطان حالات النّفس بشكل عشوائي فينتقل من رصد إضرار الصّمت به إلى نصح مصطفى له بالمثابرة والصّبر إلى تحريض عثمان له على الفعل الثّوري زمانا إلى قرار شمشون أن يهدم المعبد على الجميع (ش1، ص 330).. ولئن رُصّفت هذه العلاقات الانضماميّة وفق قانون التّضادّ أحيانا قليلة فتحاول ريري التّقرب من عيسى لإرضائه ويضيق هو بوجودها في حياته ويعوّل على فصل الصّيف ليتخلّص منها (س1، ص 82)، فكثيرا ما تباعدت هذه الأحداث زمنا أو فضاء. فلا صلة لليد التي تمسك صابرا محرّضة "تذكر ربك" وإدراكه للأصوات التي ترد من بعيد كالعواء (ط1، ص 185) غير انسياب الأحداث تلقائيا وتداعيها. فينحلّ تعالق الأحداث الصّغرى ويتفكّك البناء الثّلاثي (البداية والوسط والنّهاية) ويُبطل ترابط وحداته الدّنيا منطقيّا بنسف نموها العضوي الذي يتّخذ صيغ المتجهات (Des Vecteurs) فيُعطّل البناء الحسيّ الحركي ولا يدفع الحدث الجزئي السّابق إلى الحدث اللاّحق أو يتسبّب في قيامه.

ولهذا التحوّل الجذري في تشكيل الحبكة – مقارنة بالحبكات التّقليديّة – يتراجع السّرد. فيرد مكتنزا مختزَلا أو مضمَرا يقوم على الإيحاء تاركا مساحات من البياض موكلا تحبيرها إلى المتقبّل.

ولما بين الأحداث الكثيرة من التّفكك والتّجاور يترع الخطاب نحو الوصف[4] وتنمو الحكاية من خلال تقنية ضمّ اللّوحات المستقلّة وتركيبها، فتكفّ عن الإحالة على زمن الشّخصية الرئيسيّة الخارجي وتأخذ المتقبّل إلى زمنها النّفسيّ الذّاتيّ وإلى حالاتها الرّوحيّة أو الذهنيّة. فلا ندرك عوالم حكايات هذه المرحلة التعبيريّة إلاّ من خلال مصفاة وعيها.

لم يمنع تحلّل البناء العضويّ ونزعة الخطاب إلى الوصفيّ المكونات الدنيا من الانتظام وفق تراتب خفيّ يرقى إلى مكانة الطراز. فقد غلب عليه التّعيين (Affectation). وبعد أن يكون النصّ قد اشتغل في شكل مربكة (Puzzle) تدعو القارئ إلى جمع شتات عناصرها وبعد أن يكون القارئ قد جرّب اللعبة فتحوّل الوصف إلى لغز يحرّض قارئه على توقّع حلّه، تلتئم العناصر المفكّكة في الكلّ الموحّد الجامع. فلا يعنينا حينها الموصوف بقدر ما يعنينا الواصف، من جهة تمثّله للأشياء والوقائع والمشاعر خاصّة، فيكون الوصف دعوة إلى النّفاذ إلى عرفانه وإلى تبيّن تصوراته للوجود أو إلى مدى استجابته إلى للمؤثرات التي يروم النّصّ تحقيقها في نفسه.

ولا تسلم اللّغة من هذا التّحوّل العميق في حبك الحكاية خروجا على الأنماط الرّوائية السائدة. فيتفكّك بناؤها وتخرج عن حدود المعيار والمعجم المشتركين وتنقطع أواصرها بالواقع والمنطق في آن واحد وتضمّ المجهول إلى المجهول بدل ضمّه إلى المعلوم وتتّخذ من التّعمية (Hermétisme) مبدأ جماليا رئيسيّا. على هذا النّحو تتحوّل الأشياء من وجودها الفيزيائي المشترك إلى وجود نصيّ خاصّ يجسّد أحلام الشّخصية وكوابيسها

4) كثيرا ما يُحدَّد أسلوب الوصف من خلال مقارنته بأسلوب السّرد. فتُرصد نزعته إلى التشذّر بالاستناد إلى ترابط أجزاء السّرد وتكاملها في شكل وحدة. ولئن كنّا نذهب مذهب جون ميشيل آدام في القول بخضوع الوصفيّ لتراتبيّة خفيّة – فنقدّر أنّ محفوظا يشكل لوحاته الوصفيّة في مرحلته التّعبيريّة وفق قانون التّعين خاصّة كما سنفصّل في هامشنا اللاّحق، فإننا نردّ غلبة الوصف على أدب هذه المرحلة إلى ما أصاب أوصال المقاطع السرديّة من تفكّك وإلى تحلّل ما كان يجمع بينها من روابط عضويّة تأخذ الشّكل (و ← ع ← و') وضعيّة ← عمل ← وضعيّة' وتعمل في شكل متّجه يوازي مسار "سهم الزمن".

وخيالاتها المجنونة أحيانا. فلا تخرج عن وظيفتها التّقليدية المتمثّلة في تشخيص الواقع الخارجي فحسب، بل إنها تصل أحيانا إلى تدمير هذا الواقع وتهويمه بما تعيش الشّخصيات الرئيسيّة من حالات النيدلة (Somnambulisme) والهلوسة أو الهذيان (Hallucination) فيفقد سماته الأصلية عندئذ ويلفّه الغموض كما يفعل به الخطاب الشعريّ المعاصر[5].

1- 2- من تشظّي العلامة إلى تفكّك العوالم

إنّ تنضيد الأحداث على خطّ الزمن ترتيبا وتبويبا وتقديما وتأخيرا إعادة بناء للوقائع على مستوى الخطاب، حقيقيّة كانت أو مفترضة، على صلة عميقة بخلق الإيهام القصصيّ وملاعبة القارئ لمفاجأته بما لم يتوقّع من التّقلبات. ومن ثمّة وجد ريكور في الحبكة عماد ابتكار القصص فبواسطتها " تجتمع الأسباب والأهداف والمصادفة معا داخل الوحدة الزمانيّة لفعل كامل تامّ". وهذا ما يقرّب السّرد من الاستعارة... [فـــــ]ـــــ"ـــفي الحالين ينبثق الشيء الجديد ما لم يقل بعد وما لا يقال اللاّمنطوق واللاّمكتوب بعد، في اللّغة"(ريكور، 1983، ص 10). ولكنّ وظيفة الحبكة تتجاوز البعد الإنشائي لتغدو عامل ملاعبة للقارئ يتواطأ ضدّه ويوجّه إدراكه ليتقبل الحكاية على نحو مقدّر سلفا مدسوس طيّ البناء ليوقعه في عشقها، وليسيطر عليه ويأخذ بزمام جوارحه ويتحكّم في مسارات تأويله فيوجهها إلى الاحتمالات التي يرتضيها.

لئن مثّل قرب عوالم السّرد من الاستعارة عائقا يحول دون تحقيقها وظيفتها المرجعيّة المباشرة فإن قدرتها على ابتكار العوالم الممكنة وتشكيلها لها تمنحها قدرة الكشف عن الوجود في مستواه الأنطولوجي الأعمق. ولئن كان الإنسان يعيش تجربة زمنيّة مضطربة تكاد تنحلّ فيها العلاقات بين الأسباب والنّتائج فلا تدرك – ولاضطرابها تضحي فريسة التباسات التأمل الفلسفي(ريكور، 1983، ص 12) فإنه يعيد تشكيلها عبر فعل القصّ وعمل الحبكات يضبط قوانينها النّاظمة، فمن أقدم وظائف الفنّ "أنه يشكّل مختبرا أخلاقيّا ينكبّ فيه الفنّان على القيم من خلال طريقة التّجريب الخيالي"(ريكور، 1983، ص 117). وعلى خلاف ما اعتقد البنيويون يخوّل لنا السّرد إعادة تصوير تجربتنا للزّمن فنؤوّل ذواتنا من

---

5) سمعت صفصافة تترنّم ببيت من الشّعر. واقتربت منّي بقرة قائلة إنها ستتوقف عن درّ اللبن لتتعلّم الكيمياء. وزحفت حيّة رقطاء ثم بصقت أنيابها السّامة وراحت ترقص في مرح. (ش1، 371).

خلال وساطته حتى تغدو أكثر معقوليّة ونعيد اكتشافها واكتشاف الوجود في مستواه الأنطلوجي الأعمق بما نسقط عليها من عوالم الأدب الممكنة. ويتحقّق ذلك لقدرته على التّعالي على الذّات.

لقد مثّل حبك محفوظ لرواياته هذه فعالية قراءة توجّه مسار تأويل المتقبّل الضّمنيّ. فشكّلت عالما متدهورا، فيه تتنكّر الشّخصية السّياسيّة لمبادئها وتنقلب بفعل انتهازيتها على منظومة قيمها. وعلى ما فيه من ترميز وطرح للأسئلة الكبرى والقضايا الوجوديّة، فإن معاني موازية تظل قائمة في حدث البحث عن سيّد الرحيمي هي البحث عن سبيل الحرية والكرامة والسلام في ماض لن يعود أبدا والحلم بمجد ضائع بدل التّعويل على النّفس والاستقلال الحقيقي عن السلطة الأبويّة.

تضمّن الحبكة الحكاية منطلقات نفسيّة تحليليّة فتجعل انشداد صابر إلى كريمة بحثا عن بسيمة عمران لما بينهما من المشترك وتجسيدا لعقدة أوديب وتجعل تعلّق بثينة بعثمان باعتباره صورة من عمر الحمزاوي – زمن ماضيه الثوري – تجسيدا لعقدة إلكترا. وتدسّ ضمن الإيهام القصصيّ حكما مداره أنّ في الحلم باستعادة المجد الغابر طوباويّةً وتعلّقا مرضيّا بالماضي من شأنه أن يؤدي إلى أبشع الكوارث. ولعلّ قارئا تسعفه كفاياته الموسوعيّة بعوالم "اللّصّ والكلاب" و"ثرثرة فوق النيل"، أن يجد امتدادا لصابر الرحيمي وعمر الحمزاوي في سعيد مهران وأنيس زكي وأن ينتهي إلى أن شخصيات هذه المرحلة التّعبيريّة تجد في العوالم الموهومة ملاذا يحميها من زيف الواقع ومن الإحباط الذي تعانيه بسبب انحراف الثّورة عن مبادئها أو انحرافها هي عن هذه المبادئ نفسها وانغماسها في اليوميّ المبتذل وانخراطها في دائرة "عدم الوجود" أو "دائرة الوجود الزائف والمبتذل" على عبارة هيدقير. ولهذا الانحراف السّياسي تتحوّلالشّخصية من طور الفاعليّة إلى طور الانطواء والانبتات والانكفاء وتنتهي إلى عدميّة يائسة فتفقد استقرارها الرّوحي وتقع في أزمات وجوديّة حادّة ووعي شقيّ. يصادر نجيب محفوظ على احتمال المعنى هذا مصرّحا "لقد نادت هذه المرحلة بالإصلاحات ثوريّة لا نظير لها ولكنّها في غالب الأمر نُفّذت أسوأ تنفيذ يتصوّره عقل بشريّ. لقد قضت على الإقطاع وأنهت سيطرة رأس المال على الحكم ولكنّنا فوجئنا بطبقة طفيليّة جديدة تقفز من بين أجهزة التّنفيذ ووجدناها أفسد من

الإقطاعيين وأفظع.. وأنشأت المرحلة قطاعا عامّا وبدلا من أن يكون حافزا لزيادة الإنتاج ورمزا لعدالة التّوزيع.. بدلا من هذا أصبح تكيّة لكل من يعرف كيف ينهب وينتهز ويسرق" (محفوظ، 1976 ص20).

ضمن بعدها التآمري إذن تعمل الحبكة في روايات محفوظ التعبيريّة على نقل عدوى القلق إلى المتقبّل وتسعى إلى أن تسلب منه هدوءه السعيد الخادع وإلى أن تخرجه من دائرة الوجود الزائف وتحرّضه على ولوج الوجود الأصيل. ولكنها ولا تأخذ الآخر في اعتبارها فحسب، فوهي تتّجه إليه تقوم بعمل ارتدادي كما لو أن هذا الآخر مرآة محدّبة ترى فيها الذّات ذاتها وتخلق معها جدلا وتفاعلا. فقد تحوّلت بؤرة آثار محفوظ من الجماعة في مرحلة الرّوايات الواقعيّة، فلا يُقصد الفرد فيها إلا باعتباره نموذجا وعيّنة يقاس عليها هذا الوجود الجماعيّ إلى مركزيّة الفرد وهيمنته على مسار القصّ وعوالمه ضمن سياق فلسفي جديد. وانصرفت الحبكة إلى الذّات عساها تدرك جوهرها عبر السرد "باعتبار القصّ حارسا للزمان طالما يتعذّر علينا التفكير فيه من دون أن نرويه"(ريكور، 1985، ص 435) باحثة عن هوية سردية تجذب إلى التراث، خزّان الخبرات والتجارب، وتدفع إلى المستقبل المقصود من كلّ تفكير ومن كل تأمل فلسفي وتوجّه المعنى نحو دراسة القصديّة أساسا والمواقف من الوجود.

على صفحة هذه المرآة المحدّبة تفتقد الشّخصيات إلى بوصلةٍ توجّهها إلى الحقيقة. فلا تُسْلمها تجاربها إلاّ إلى مزيد الحيرة والضّجر والشقاء. فريري ترفض الاعتراف بأبوة عيسى الدّباغ لنعمات وصابر ينتهي إلى حبل المشنقة وعمر يبقى معلّقا بين السّماء والأرض، لا هو يدرك الله بعد أن انصرف إلى السياحة وضرب في الأرض باحثا عنه، ولا هو يجد السّبيل إلى الإحساس بجسده وببشريته بالنّتيجة. وعليه، وخلافا للحبكات التقليديّة، لم تكن حبكة محفوظ تقدّم حلولا مدفونة في التّراث أو تسعف بوظيفة تطهيريّة ناشئة عن إقرار الشخصيات بهزيمتها واعتبارها من مآلها بقدر ما كانت تكشف عن خلخلة على مستوى الوعي وارتباك منظومة قيميّة لا تنفكّ تتهاوى ضمن روايات بحـــث

تسلك مسلك التّعرّف اليقظ[6] يجعل اللّحظة الزّمنيّة تشفّ عن حالات النّفس الباطنة أكثر مما تحيل عن موقع اللّحظة ميقاتيّا. فكشفت صورة لكاتب يضمّن حبكاته بعدا سيرذاتيا. فيستدعي صورة نجيب محفوظ الوفدي الذي تُربكه الثّورة فينقطع عن الكتابة بعد قياما زمنا وينصرف إلى كتابة رمزيّة متأمّلة تقسو في تقييمها للواقع وتجلد الذّات بلا هوادة. فتكرّس أزمة المبدع في رواية الحداثة وأزمة إنسان العصر الحديث على حدّ سواء.

لّما كان الفهم القبليّ للعالم في الحقل الأدبي تجسيدا لما هو مجرّد أصلا من فهمنا للوجود وتصوّرنا لمترلتنا فيه غدا السّرد وساطة مزدوجة تربط الإنسان بالآخر وبعالمه الخارجي من ناحية وتجعله يجادل نفسه ويعيد اختبار منظومة قيمه وتصوراته للوجود من خلال خلق عوالم متخيّلة، وتدفعه إلى مراجعتها بقدر ما تدفعه إلى البحث عن أفق جديد لكتابة الرواية من ناحية ثانية.

مثّلت رواية محفوظ التّعبيريّة بحثا في الفنّ بقدر ما كانت بحثا في الإنسان فقد نهضت أساسا على كسر تعاقب الأحداث على خطّ الزّمن. فتراجع السّرد وتوسّع حضور الشّخصية على حساب الفعل. فغاصت في حالات لاوعيها وأحلامها وهواجسها وكوابيسها وتوسّلت الوصف بالذّاكرة القصيرة[7] المدى سبيلا لاستبطان أغوار نفسها. ولذلك لم تكن تساعد القارئ على تشكيل كفايات موسوعيّة مستقاة ممّا تقدّم من أديم النصّ لتأويل اللاحق منه. فلا تنقل الحبكة وقائع متشذّرة لشخصيات شقيّة تعيش غربة نفسيّة ومجتمعيّة حادة فقط وإنّما تربك عمليّة القراءة وتنقل حالة التّشويش الذّهني من الشّخصيّة، نتيجة لوعيها الشّقي، إلى المتقبّل في شكل عدوى. وهذا ما يبرّر تحلّل العلاقات

6) La reconnaissance attentive يتعلّق بآلية من آليات عمل الذّاكرة وقوامها أنّ تذكّر الوقائع والأشياء لا يتمّ في حالات النّسيان عبورا من موضوع إلى آخر كما الأمر في التعرّف الآلي (Reconnaissance automatique) وإنّما يعود الإدراك دأبا إلى الموضوع نفسه ليعيد اكتشافه من جديد وفق شروط جديدة فلا تدفع الذّكرى المستدعاة بالأحداث على خطّ الزمن بقدر ما تشكّل مسارات مغلقة ذات دلالات روحيّة ووجدانيّة : أنظر et(برغسن، دت، ص 81).

7) " إنّ الوصف باعتباره كلاّ توفيقيّا ينبغي ألاّ يخزّن في الذّاكرة على طول النصّ السردي الذي يتضمنه وألاّ تكون له وظيفة في الأمد البعيد للنصّ وألاّ يكون من ناحيّة أخرى الموضع المميّز الذي تلتمس فيه ذاكرة القارئ "البعيدة المدى " (دعوة مفترضاته المسبّقة ومعجمه الجاهز ومعرفته الموسوعيّة)" : (هامون، 2003، ص ص 81-82).

بين مكوناتها وتعطّل نمو أحداثها العضوي واتّجاهها نحو شكل إيبسودي[8] مستقى من محاكاتها للرّواية الفرنسية الجديدة : تلك التي جعلت ريكور يتساءل "هل يمكننا بعد، الحديثُ عن حبكة والحال أنّ مهاوي الوعي تبدو كما لو أنها تكشف عجز اللّغة نفسها على أن تتجمّع وأن تتّخذ شكلا"(ريكور، 1984، ص 22). فالكتابة في مقطع ضجر عمر في الشّرفة على سبيل المثال (ش1، ص 334) تتّخذ شكل مونتاج بين مشاهد وصفيّة ندركها من خلال تمثّل عمر الحمزاوي فتضمّ لوحات متنافرة ترد مفتقرة إلى التّرابط في شكل متّجه سردي، من تقلّب الزوجة في الفراش إلى خروج عمر إلى الشّرفة إلى صورة الأمواج والسّماء والشّاطئ إلى الشّعور بالانقباض إلى تذكّر مصطفى إلى تذكّر زينب والعمل إلى الشّعور بالتّقزز إلى تذكّر التّجربة الجنسية مع الزوجة إلى تذكّر المحاورة مع الحريف إلى عرض صورة الفضاء الخارجي.. فإذا بقيّة الشّخصيات (الحريف وزينب ومصطفى) لا تستقل عن وعي الشّخصية بل تتحوّل إلى وسائل لتجسيد هذا الوعي الذي يتوزع إلى ثلاثة محاور باطنها ومداره حالة الضجر المقرف وصورة الخارج المضطرب لتقلّب الأمواج وللرّياح العاصفة وصورة الماضي، تلك الذّاكرة المشروخة. ورغم ما في النصّ من تشظّ، يمكننا أن نتبيّن دون عناء أن هذا الوصف كان يعمد باستمرار إلى إسقاط صورة الذّات أفقيّا فيتجسّد على الفضاء (صورة البحر والأمواج) وعموديّا فيتجسّد على الزمن. ويتم هذا الإسقاط عبر استلهام محفوظ لصيغة مخصوصة من التّقنيات السّينمائيّة هي مونتاج القطع (Le Montage cut) الذي يصل بين اللّقطات دون روابط ودون المرور عبر عناصر انتقالية.

تنخرط كتابة محفوظ بالنتيجة في فنون الإلصاق سواء كان حصل ذلك بقصد أو نتيجة لمحاكاتها للرواية الفرنسية ولرواية الوعي. فكلّ لوحة تقوم بذاتها. ويُوكَل للوصف التّركيب بين أحداث لا تتدرّج ولا تنمو عضويا ولا تجري في خط متواصل يلاحق سهم الزّمن ويوازيه وإنّما تسير وفق خطوط متعدّدة متباعدة واتجاهات متباينة، فتتقدّم أماما

8) يرفض أرسطو الحبكة الأبيسوديّة لانعدام الربط العضوي بين أحداثها فيقول"وأردأ أنواع الحبكات البسيطة والأفعال ما يتصف بالأبيسوديّة وأعني بالحبكة الأبسوديّة تلك التي تتتابع مشاهدها التمثيليّة دون مراعاة قاعدتي الاحتمال والحتميّة والشعراء الأردياء هم الذين يؤلفون من أنفسهم مثل هذه الحبكات"(أرسطو، 1983، ص 115).

وتتقهقر خلفا، وتقفز قفزات مفاجئة. وتعمل من خلال ذلك كلّه على اكتشاف الشّخصية باعتبارها كائنا مجهولا قابلا للتحوّل المستمرّ ضمن تصوّر يجعل الوجود الاجتماعيّ محدّدا لعمليّة التّفكير. فالمعنى لا يكمن في الأحداث ذاتها بقدر ما يكمن في طيفها المسقط على وعي الشّخصية وعلى وعي القارئ بعدئذ. و"هكذا لا تمنح السّينما، أهمُّ المؤثرات البصريّة المعاصرة الأدبَ مادّة موضوعيّة فحسب وإنّما نموذجا كتابيّا تبدو فيه مقولات الفضاء والزمن العادية مضطربة" (ماري، 1993، ص 154)(9).

وعلى ما في هذه الرّواية من جدّة مربكة للقارئ لم تخل من رواسب بعيدة موظّفة ضمن أفق جماليّ جديد مأتاها البناء الملحمي كما ترسّخ في مسرح براشت (10) منها تسطيح الشّخصية وتخليصها من طابع النّمذجة وتجريدها من عمقها النّفسي والاجتماعي ومنها تهميش الحبكات بكسر توتّرها الدّاخلي وعدم الالتزام بالبداية والنهاية ومقاومة البعد العضوي، الحسيّ الحركي. فكانت لذلك تتجاوز الروابط المنطقيّة والفضائيّة والزمانيّة وتنزع نحو رفض الاعتراف بالحقيقة الموضوعية للعالم داخليا كان أم خارجيا. فتعمد إلى تحريفها عبر التّرميز وتوسّل التّحليل النّفسي والنّفاذ إلى أعماق الشّخصيّة واختراق صمتها واستباق كلامها. ولا تنقلها إلا من منطلق تصوّر الشخصيّة البؤرويّة ليضحي الوجود الخارجي تجسيدا لباطنها ولاعتمالاتها النّفسيّة ورؤيتها القلقة وذهنها المشوّش المنتقل من فكرة إلى أخرى عبر التّداعي أو المناجاة (11).

يجد الحبك أذن ضالته في تضافر مؤثرين وتفاعلهما هما تيارُ الوعي الذي يفهم الإنسان في ظل عناصر إبستيمولوجيّة مختلفة أهمّها التّحليل النّفسي الذي يتوسّل الحلم أوان

9) جدير بالتنويه أنّ حسام الدين مصطفى يعتمد نمطا مغايرا من المونتاج هو التقطيع الذي يسم السّينما الكلاسيكيّة نعرضه في أوانه.

10) استقى براشت البعد الملحمي من الملحمة الإغريقيّة وجعله عماد تقنية التبعيد ومن مسرحه كان عبور هذه التّقنية إلى الرواية الفرنسيّة الجديدة وكانت جسرا عبرت منه في تقديرنا إلى روايات محفوظ وإلى موجة الحساسية الجديدة لاحقا لأنّ العرب لم يكتشفوا براشت و لم يفيدوا من تقنياته بقصد ونيّة إلاّ في مراحل متأخرة من القرن الماضي. وكان ذلك في المسرح لا في الأدب.

11) "سواء كان الحلم حلم نوم أو حلم يقظة فإنّ المادة الحلميّة تشكّل النّسيج الأساسي في الرواية الجديدة عند نجيب محفوظ. والحلم في النّهاية هو الإطار الذي يبرر اختلاط الماضي بالحاضر بالمستقبل كما يبرر تلاشي مقياس الرّسم التّقليدي" (شكري، ، 1969 ص 369).

النّوم أو اليقظة وهلوسات السّكر والتّصوف والمخدّرات والمرض والتّوهم والهذيان للكشف عن الرغبات المكبوتة في حيّز اللاّوعي والمذهبُ التّعبيري الذي مثّل ثورة جذريّة على الواقعية. فرفض مبدأ المحاكاة الأرسطية وخلع على التّجربة بعداً ذاتيًّا ونفسيّاً. وكما في الرواية الحديثة يوقّع محفوظ ضمنيّا مع القارئ عقدا مداره على ما يلي "سوف أهدم هذا العمل "فأعد تشكيله بأفضل ما تقدر" ولكن حتى لا يكون هذا العقد نفسه خدعة يتعيّن على المؤلّف أن يخلق مواضعات جديدة تفوق الرواية التقليديّة تعقيدا ودقّة وخفاءً، دون أن يبطل جميع مواضعات التّأليف"(ريكور، 1984، ص 50).

2 – عالم محفوظ الرّوائي على الشّاشة الفضّية

2-1- في ترتيب الأحداث على خط الزّمن ونظم المنحلّ من الروابط

تُدرس الحبكة في السّينما من مستويين "الأول هو الشّكل العام الذي تتّخذه القصّة، والثّاني هو الرّسم الفعلي للمشاهد، أي ترتيب الأحداث والتّفاصيل المعيّنة الذي يولّد معاني محدّدة. وتركز البنية العامّة على العلاقات بين البدايات والنهايات، وعلى تطوّر الصّراعات في وسط القصّة، وعلى كيفية توحيد هذه الأجزاء للعناصر معا "(كاوغيل، 2013، ص18). ويتجسّد المستوى الأول في البناء العام للأحداث، فيما يتجسّد المستوى الثّاني في المونتاج. ولعلّ الجدول التّالي أن يبرز هذا الشّكل العام من حبك أفلام حسام الدين مصطفى :

	البداية	الوسط		النهاية
	ح ق(12) : ثورة الضباط الأحرار	أ م : موت الأم		ذ أ : اكتشافه لوجود ابنه ريري
2	حياة عيسى في ظل الحكم وما يحيط بها	الإحالة على لجنة التّطهير بداية المسار التدميري الذي يعيشه عيسى	اكتشاف زواج سلوى من حسن والزواج من قدرية	تركه لزوجته والذّهاب مع ريري
	ح ق : خبر وجود الأب	أ م : التصميم على قتل خليل		ذ أ : الشك في نوايا كريمة
2	عرض حياة صابر وما يحيط بها من مجون وترف	بحثه عن الأب مغامراته مع كريمة مغامراته مع إلهام	القرار بقتل خليل والعمل على تنفيذه	التقاء مختلف المسارات القبض على صابر والحكم عليه بالإعدام شنقا
	ح ق : الذهاب إلى الملاهي	أ م : مغادرة المنزل للإقامة مع وردة		ذ أ : مغادرة المنزل إلى المزرعة
2	عرض مرض عمر الحمزاوي الغريب (أسبابه وأعراضه)	الضيق بالحياة الزوجية والبحث عن مغامرات جسدية خارجها	تحول المغامرات الجسدية إلى روتين مفتقر إلى المعنى	الانصراف إلى حياة روحيّة تصرفه عن الوجود الخارجي استعادة وعيه بالزمن الخارجي بعد أن أصابته رصاصة

تتدرّج أحداث الأفلام الثّلاثة وفق رسم خطيّ فتخلق صلات عضويّة بين البداية والنهاية لتتشكّل الآثار على هيئة مسار فتّتجه الكاميرا في اللّقطة الأولى من (س2) إلى خلفيّة سيارة عيسى الدّباغ وتدرج العبارة "حكومة" في إشارة إلى مركز صاحبها وإلى دوره السّياسي وتنتهي بنعمات وهي تقفز في حضنه بما يمكن أن نختزله في عبارة "عائلة". ويكون ذلك أمام "نظرات" سعد زغلول الجامد في جسده البرنزي وبمباركة منه لزواجه من ريري. ويبدأ (ط 2) بملاحقة صابر لكريمة ليقضي معها وطرا وينتهي بمطاردة الشّرطة له وإدراج حبل مشنقة ليختزل الأثر في عبارتي "الجريمة والعقاب" أمّا عمر الحمزاوي في (ش 2) فيمسك المسدّس من يد عثمان في لقطة الفيلم الأولى أوان التّخطيط لمهاجمة البوليس ويضعه بين طيّات ثيابه على مستوى الصّدر. وتصيبه رصاصة الشّرطة في اللّقطة

12) نشير بـــ (ح ق) إلى الحدث القادح وبـــ(ا م) إلى الانعطاف المركزي وبـــ (ذ أ) إلى ذروة الأزمة.

الأخيرة فتعيده إلى الوعي بعالمه الخارجي وبالزّمن المشترك فيضع يده على صدره ويمسك بثيابه المضرّجة بالدماء.

ولم يخرج حسام الدّين مصطفى عن القواعد العامّة لحبكة الفيلم النّمطي. فمثّلت بدايات أفلامه مرحلة الاستهلال التي تعرض حياة عيسى في ظل الحكم أو حياة صابر ومجونه وترفه أو مرض عمر الحمزاوي الغريب فتقدّم المعطيات الضّروريّة لفهم الحكاية. وفي الوسط تتطوّر المشكلات تطوّرا عنيفا فتؤذن إحالة عيسى على لجنة التطهير ببداية متاعبه ورحلة ضياعه ويفتح بحث صابر عن والده على مغامرة نسائيّة مزدوجة طرفاها كريمة وإلهام ويدفع ضيق عمر بحياته الزّوجية إلى البحث عن مغامرات جسدية خارجها. حتى إذا ما أدركنا مرحلة الانعطاف المركزي التي ترد في منتصف الوسطأصبحت الشّخصية مسيطرة على قدرها. فيقرّر عيسى الزّواج من قدرية لتأمين حياته ويقرّر صابر قتل خليل ليستفرد بكريمة وبمالها الموعود ويقرّر عمر مغادرة محلّ الزّوجية وترك الأسرة.

وفي فصل النّهاية تتّجه العقدة إلى الحلّ ويتضح مآل الصّراع الذي خاضته الشّخصية فتصل إلى هدفها (زواج عيسى من ريري واحتضانه لابنته نعمات واستعادة عمر إحساسه بجسده بفعل الألم بعد أن بحث عنه طويلا) أو تقصُر دونه فتُعاقَب لخروجها عن سلّم القيم المشتركة (الحكم على صابر بالإعدام) وتحقّق بذلك متطلبات الدراما من صراع وتوتّر وعاطفة (كاوغيل ص24).

لقد جعلت مباحث كولشاف المعروفة بـــ (effet K) المونتاج أحد أهمّ مقومات بلاغة اللّغة السّينمائية وكشفت ما له من قدرة على تفكيك الحكاية على مستوى الوقائع وإعادة بنائها وفق تصوّر جديد. فمركّب الفيلم، وهو يضمّ اللّقطة إلى لاحقتها وفق تقدير مسبّق، يعيد بناء الحكاية ويعقد علاقات دينامية بين عناصرها المتباعدة ويحوّل المتنافر إلى متوافق. فيمنح الفيلم كليته وتمامه ومن ثمّة حبكته حسب تعريف أرسطو.

يمثّل إذن المونتاج عنصرا مهمّا في إعادة بناء الحكاية الأدبيّة وفي حبكها دراميّا وتنضيد أحداثها على خطّ الزّمن تنضيدا خطيّا يعيد ترتيب ما تداخل منها في الروايات ويعقد ما انحلّ من روابط أحداثها الجزئيّة. فيقوم المشهد الواحد على تضافر لقطات

تعرض الفضاء أوّلا في لقطة عامة ثم تعرض الحركة وفق سلسلة من اللّقطات المتوسطة تتفرّع بدورها إلى بداية ووسط ونهاية وتتّخذ الشكل وع و' (وضعيّة ← عمل ← وضعيّة') وتؤدي الأسباب إلى النتائج. فيؤدي إلحاح العمدة إلى قبول عيسى الدّباغ للهديّة ويؤدي فساده المالي إلى إحالته على لجنة التّطهير ويفضي طرده من العمل إلى انفصاله عن سلوى وهكذا.. ويتمّ الرّبط بين نقطة انطلاق الشّخصية ونقطة وصولها بمشاهد القطارات على السّكك، أو السّيارات في الطّرق أو شخصيات في الأنهج والأزقة لتشكّل أدوات وصل تمنح المَشاهد تواصلها والحركةَ انسيابها. ويعمل مُركّب الفيلم على إيجاد علاقة ما بين أحداث الرّوايات المتباعدة من خلال المونتاج التّناوبي فيجعل زواج حسن بسلوى يحدث أوان لقاء عيسى الدّباغ بربري ويخلق من منطلق التّناوب بين لقطات الحدثين تقابلا بين مسار الشخصيّة الرئيسيّة (انتهاء عيسى إلى الابتذال ومخالطة الغواني أو انتهاء عمر إلى افتقاد المعنى ووقوعه في دائرة الوجود الزّائف بسبب خيانته لمبادئه عند الهجوم على الإنجليز) ومناوئها (فوز حسن بخطيبته أو شعور عثمان بامتلاء الوجود وأصالته).

في فيلمـــــي (ط2) و(ش2) تتراجع هذه العناصر الواصلة. فتكفّ الطّرق والمدرّجـــات والسّلالم والسّكك عن الرّبط بين أفضية للانطلاق وأخرى للوصول. وتضحي مدارَ الفعلِ ذاتَه. فالطّريـــق إلى السّجن الذي يقطعه صابر صنو للمعاناة والشّقاء يمنحه السير المتثاقل قدرة تمثيليّـــة ليختزل الفيلم بأسره. والمدرج الذي يقطعه وصولا إلى غرفته أو تقطعـــه كريمة يتخذ معنى العقبة والمغامرة والخطر. أما الطّريق الصّحراوي في (ش 2) فيضحـــــي فضاء المغامرات الليليّة ومسار البحث عن استجابة جسد تعطّلت حواسه. فيستعيـــض حسام الدّين مصطفى عن الصّورة السّطحيّة بأخرى عميقة ذات بعد تشكيلي يصطدم على صفحتها النيّر بالمعتّم وفق خلفيّة جماليات تستلهم أسلوب الإضاءة في السّينمـــا التّعبيريّة ويستعيض عن الشّكل البسيط للمونتاج بشكل أكثر طرافة وبحثا فيضيف إلى البنــــاء العضوي[13] الذي يلأم تصدّعات الزّمن نزعة

---

13) يقفز المونتاج على مراحل من الحكاية في (ش 2) ويطويها عبر الطباعة المضاعفة فيجمع بين زمن الواقع (وجود عمر في المزرعة وسقوط المطر) وزمن الحلم (سماع أصوات الهواتف أو ظهور طيف بثينة) ولكن هذا الخيار مثل استثناء في ما اقتبس حسام الدين مصطفى من روايات محفوظ.

منطقية استدلاليّة[14]. ولكنّ حسام الدين مصطفى لا يخرج عن دائرة مونتاج الرّوابط ولا يرتقي جهده إلى مستوى الجدل في مونتاج التّجاذب وعلى منوال أفلام قريفث مبتكر هذا الأسلوب، لا يعالج مونتاج (س 2) أو (ش2) المشاكل الحياتية النّقدية، ولا يدرك قوانينها بما هي معطى مادي يمكن تشريحه وكشف متناقضاته والوقوف على قوانينه العميقة وعلاقاته المترابطة والمتشابكة داخل بنية المجتمع الاقتصادية والسياسية.

2-2 - إعادة بناء العوالم الممكنة وتغيير شفرات التّقبّل

نفهم الاقتباس من منطلقين مزدوجين متكاملين : من منطلق الوسائط باعتباره ترحيلا للقصّة من نظام سيميائي إلى آخر ومن فن إلى آخر ومن منطلق الحبك وإعادة البناء باعتباره ترحيلا للقصّة نفسها من عوالم ممكنة [15] إلى أخرى. وفي الحالين تتغيّر شفرات العالم الناشئ والطّرق التي يُدرك وفقها. فلمّا انفتحت الدّراسات السّردية على مفهوم بنى العوالم عُدّ التّخييل إنشاءً لصيغ عوالم تتجاوز التّصنيفات النّصيّة الثّابتة والكونيّة وتُفهم في ظلّ التّعدد الأنطلوجي التّابع من تنوّع التّصورات التّاريخيّة والثّقافية المختلفة. ولهذا الانفتاح أن يمثّل، في تقديرنا، حبل نجاة للبحث في اقتباس الآثار الأدبيّة، باعتباره كفيلا بتحريرها من مؤثرات شبح نظرية المحاكاة الأفلاطونية إلى البحث في المواقف القضويّة. فلطالما انتهى النقد إلى أن المقتَبسَ محاكاةٌ للأصل وتقليد له وصورة لن تصل إلى جوهر الأصل، وضمّن المقاربة الجماليّة خلفيّة أخلاقيّة كامنة تقيس تميّز العمل الفيلمي بمدى وفائه للأصل الأدبي وأمانته وتجد في [خيانتـــ]ـــه لهذا الأصل رداءة وقبحا.

---

14) تتجلى هذه النزعة الاستدلاليّة في عرض لقطتين متباعدتين يمنح الجمع بينهما الفيلم دلالة ثالثة مختلفة عن معنى دلالة اللقطة الأولى والثانية يتمّ الوصول عبر الاستدلال المنطقي. فلقطة علم صابر بوجود والده على قيد الحياة ولقطة سكره الشديد تعنيان شقاءه ورفضه لحياة البطالة والمجون الذين فطرته أمه عليهما أو ورقص كريمة بإغراء ولقطة ونوم خليل فجأة بعد أن كان يتابع رقصها بشهوة تكشفان حالة الحرمان الجنسي الذي تعانيه في ظل زواجها من شيخ متهالك. ويصطلح على هذا النوع من المونتاج بالأسلوب (1+1=3).

15) يعرّف إيكو العالم الممكن بكونه "حالة من الأمور يعبّر عنها بمجموع من القضايا حيث تكون كل قضيّة إمّا م أو لا- م. وعلى هذا فإنّ عالما مشكّلا من مجموع أفراد موفوري الخاصيات وبما أنّ بعض هذه الخاصيات أو المحمولات قد تكون أفعلا، فإنّ عالما ممكنا قد يُرى بوصفه سياقا من الأحداث. وبما أنّ هذا السّياق لا يوجد فعلا، بل هو ممكن بالضبط فإنه ينبغي أن يتعلّق بمواقف قضويّة تنمّ عن امرئ، لا ينِي يثبته (السّياق) ويعتقد به، ويحلم به، ويرغب فيه، ويرتئيه.. إلخ." (إيكو، 1996، ص ص 168- 169).

ولهذا الانفتاح أن يوجّه دراسة الاقتباس إلى البحث في مدى انسجام الأثر الفيلمي مع منطقه الداخلي وفي توقّع مواقف المتفرّج القضويّة التي تكشف الطريقة التي يدرك وفقها تصوّر هذا الممكن. على أن هذه العوالم تظلّ أبنية ثقافيّة تحدّدها خبرات المتفرّج ووحداته الثقافيّة فـ"ـــأي عالم حكائي لا يسعه أن يكون مستقلا استقلالا ناجزا عن العالم الواقعيّ لأنه لا يكون بمقدوره أن يعيّن حالة من الأمور "قصوى" و"متماسكة" وذلك بأن يستصرح من لا شيء كامل أثاث الأفراد والخاصيات. إن عالما ممكنا من شأنه أن يتراكب، بوفرة، مع العالم "الواقعي" القائم في موسوعيّة القارئ" (إيكو، 1996ص172.).

لقد كان حسام الدّين مصطفى يعيد تشكيل العوالم الممكنة بناءً على تصوّر مختلف فقد كان، وهو يرتّب الأحداث وفقا لمنطق النّمو العضوي، يعيد تشكيل الأبعاد الفضائيّة والزمانيّة لروايات محفوظ ويُعيد تشكيل احتمالات معانيها بشكل كلّي، ولعلّ ذلك أن يعود خاصّة إلى ما كان يضمّن في حبكة أفلامه من سمات البناء التراجيدي[16] من انتظام يلأم تصدّعات الأحداث وينضّدها على خط الزمن، ووحدة للفعل وتمام له وأولوية للعرض على السّرد وتغذية للصراع يحوّل الأثر إلى مواجهات ضارية بين الشخصيّة الرئيسيّة ومحيطها.

ولا يمثّل أسلوب حسام الدّين مصطفى بدعة في إعادة البناء. بل قد يكون غير واع بهذه الرّواسب البعيدة القائمة طيّ أثره أصلا. ولكنّ هذا التراجيدي قائم لا محالة في النّماذج السّينمائيّة الذّائعة ذات البناء النمطيّ الذي يعمل على توريط المتفرّج في الأثر وجدانيّا ومنها يتسرّب تلقائيا إلى أفلامه عبر الحبكة باعتبارها بنية عميقة مشتركة بين هذه الآثار (كشأن علّة وجود مؤثرات تقنيتي التّبعيد والإلصاق في روايات محفوظ). فكانت سبيله في صناعة ميلودراما تمزج بين العاطفة والدراما وتنزع إلى تضخيم وقع الأحداث

16) "فالقصة كمحاكاة [كذا] لفعل يجب أن تعرض فعلا واحدا تامّا في كلّيته وأن تكون أجزاؤه العديدة مترابطة ترابطا وثيقا. حتى لو أنه وضع جزء في غير مكانه أو حذف فإنّ "الكلّ التّام" يصاب بالتّفكك والاضطراب وذلك لأنّ الشيء الذي لا يحدث وجوده أو عدمه فرقا ملموسا لا يعتبر جزءا عضويّا في "الكلّ التّام"-" (أرسطو، 1983، ص 112).

على الشّخصيات[17] وتحشر طيّ الأحداث مشاهد الرقص والموسيقى. فتعمل من خلالها على توفير مادة استهلاكيّة شعبيّة تستقطب الشّباب والبسطاء وترضي تطلّعاهم إلى النّهايات السّعيدةذات الوظيفة التّطهيريّة التي تعاقب الأشرار وتجازي الأخيار. وقد يضمّن هذا البناء شيئا مما ابتكرته السّينما الاستهلاكيّة الأمريكيّة، وهو الذي درس السينما في هوليود، فيبني (ط 2) معتمدا أسلوب الفيلم الأسود[18] ذي الخلفيات البصريّة التّعبيرية الناشئة عن نسب التباين بين الأضواء المرتفعة والزوايا المحرّفة. فيترل إلى قاع المجتمع حيث الجريمة والانحراف ويخلق إثارة ناشئة من تأثير الأنثى المغرية والبطل الشّجاع والعنيف. فيخضع صابر لحوادث ليست من صنعه. ولعجزه عن مقاومة نزواته والبعد الحيواني منه، يتّخذ القرارات اليائسة فيقتل خليلا ليكون عندها الجاني والضّحية في آن واحد. وكما في حبكة الفيلم البوليسيّ الأسود النّموذجيّة يكون المتفرّج عارفا بالقاتل، حتى لا يوظّف جهده الاستدلالي في تقمّص دور المحقّق وإنما في لعب دور عالم الاجتماع الذي يعمل على تفهّم الدّوافع العميقة للجريمة.

يتمّ تجسيم هذا البناء عبر مونتاج التّقطيع[19]، مونتاج الوحدة والتّواصل والرّوابط المنطقيّة بحيث يبدو العالم بيّنا ومعطى نهائيا سهل الفهم والاستيعاب (أميال، 2001، ص 134).

17) يتجلى ذلك خاصّة في (س 2) من خلال تصوير هول وجع عيسى وقعانفصال سلوى عنه فيفقد توازنه ويسلك طريق الضياع والانحراف أو في رفض ريري الاعتراف بأبوته لنعمات وفي الحالين نجده منهارا باكيا تراقبه نظرات تمثال سعد زغلول بنظرات باردة أما في (ط 2) فيتجلى في تجسيد معاناة صابر بعد موت أمه وفي انهياره أمام إلهام وقد ضاقت به السّبل بعد قتل كريمة وافتضاح أمره وفي (ش 2) تمثّل معاناة زينب وبثينة، بسبب ابتعاد عمر الحمزاوي، نموذجا جيّدا لهذا المزج بين العاطفة والدراما.

18) الفيلم الأسود فيلم بوليسي مفعم بالتهكم والتشاؤم والدوافع الجنسية القاتل فيه صورة جان وضحيّة لظروفه ووسطه ولا يكون المحقّق عونا نظاميّا دائما فيمكن أن يكون محققا خاصّا أوشرطيّا متخفيا ولكن يمكن أن يكون أيضا مواطنا عاديا ممتثلا للقانون : حارس عمارة أو سائق تاكسي أو رياضيا متقاعدا و"لم تعتمد بعض الأفلام السوداء كلمة "دغل" في عناوينها مصادفة... هذا الدّغل حيث تلتقي المقايضة بالثروات والفساد والموت العنيف في كل ركن من الشارع" (غيريف 1999، ص 29).

19) يردّ فانسون أميال أنواعَ المونتاج العديدة (التناوبى أو المتوازى أو الجدلى أو التصويرى أو الجدلى أو القطعى) إلى نمطين متقابلين هما مونتاج التّقطيع الذى تعتمده السّينما الكلاسيكيّة وسمته الأساسيّة الوحدة والتواصل والانتظام والرّوابط التّقليديّة ومونتاج الإلصاق الذى يضمّ لقطات متباعدة متصادمة أحيانا فلا تعرض الأشياء بقدر ما تعرض وجهة نظر حولها ولا تقدّم المعلومات بقدر ما تحوّل الفرجة إلى عمل استدلال وبرهنة. فالجمع بين لقطة مداهمة البوليس للمزرعة وصورة الدّماء على قميص عمر فى سيارة الإسعاف ينتهي بنا إلى أن نستنتج إنّ رصاصة طائشة قد أصابته. وهذا الأسلوب ما بات يصطلح عليه بالقاعدة 1+1=3. لمزيد من التوسع أنظر (أميال، 2001، ص ص 11-17).

فتجسّد أفلام حسام الدين مصطفى تصوّرا مغايرا للكون من جهة الموقف الميتافيزيقي مختلفا جوهريّا عن ذاك الذي أسسته روايات محفوظ، هو كون الحقيقة الواحدة التي تُتّخَذ نقطةَ ارتكاز للتّعبير الأخلاقي فيُحمد كلّ قرب منها ويصنَّف ضمن دائرة الخير. أما البعد عنها فيُعدّ انحرافا أخلاقيا يزج بصاحبه ضمن دائرة الشّر. وضمن الدّائرة الأولى يلتقي الجميل بالصّالح والصحيح بالصّادق فيما يُضاف القبيح إلى الفاسد في الدّائرة الثّانية والخاطئ إلى الكاذب. وضمن عالم الحقيقة الواحدة تكون الشّخصيات مسطحة فهي كائنات معروفة سماتها محدّدة ما قبليّا يحدّد فكرها الذي جبلت عليه وجودها الاجتماعيّ، تحدّد أهدافها بدقّة وتعمل باستمرار على تحقيقها. فحسن مناضل صادق مناصر للثّورة فيما يلوّث الفساد السّياسي عيسى الدّباغ ولئن ارتبك بعد إحالته على المعاش وطرده من قبل لجنة التّطهير – التي لا تظلم – فإن ضياعه لم يكن أبدا فكريا أو وجوديا وإنما اجتماعيّ نفسي. وعالم كريمة هو عالم الإثم والخطيئة لبعده عن عالم إلهام ذلك العالم الشفّاف الطّاهر. ولذلك لا تفتأ هذه الأفلام تكافئ الخيّرين (إلهام وحسن) وتعاقب الأشرار (كريمة وصابر) أو تغفر لهم إثر تعبيرهم عن النّدم. فلشعور عمر بالعار بعد خيانته لقيمه الثوريّة وبعد إفناء طاقته في مجاهدات التّوبة يستعيد إحساسه بجسده بفعل الرّصاصة التي تخترقه ويستعيد شعوره بأبعاد الفضاء والزمن. أو تغفر إثر توبتهم التوبة النصوح، فلاعتراف عيسى الدّباغ بأخطائه وإسهامه في المجهود الحربي سنة 56 يكافأ بمغفرة ريري وأبوّة نعمات ورضاء سعد زغلول في تمثاله البرنزي.

تنخرط أفلام حسام الدّين مصطفى ضمن سينما الحركة ذات البعد الواقعي التي تسعى إلى تشخيص العالم الخارجي وتسجيله. فتمنح الأولويّة إلى الموضوع المصوّر لا إلى عمليّة التّأويل على خلاف السّينما الحداثة التي تفتقد شخصياتها إلى الهدف الواضح فتسير على غير هدى وتتوه في الفضاء لتكتشفه أوان اكتشاف المتفرّج له ولا تنفكّ تتابع ما يجري أمامها بذهول ودهشة (ديلوز، 1983، ص 9)، ولا تعرف هدفها ولا تحسن مجابهة ما يصادفها من العراقيل فتتحرّك في شكل مسّاحات الزجاج(ديلوز، 1982، ص 282) ولانخرام بناء الأحداث الحسيّ الحركي وتهافت نموّه العضوي تغلب على الأثر المشاهد الوصفيّة (ديلوز، 1983، ص 10).

لقد كانت شخصيات محفوظ تضيق ذرعا بروابط عالمها التّقليدي وتدفع قارئها ليعاني مع كاتبها وطأة هواجسه الفكريّة من وجودية وحداثة وتصوّر لمترلة الفرد في المجتمع. وبالمقابل، تتجلّى من خلال بناء الشخصيات الفيلميّة وحضورها الجسدي، إثارةً أو عنفا، هواجسُ المستثمر المادية وعمله على تصيّد الحشود المقاسمة للشخصيات مشاعرها وخيباتها وانتصاراتها والشّغوفة بحل العقد القصصية والمنخرطة في الأثر وجدانيا. فشأن الحشود أن تكون، محافظة، لا تساير الأفراد في سرعة تحوّل أنماط تفكيرها وذائقتها. ولا يكون تحوّلها، إن وقع، هيكليا شاملا لمختلف مستويات الفكر. وشأن الاستثمار أن يعمل على تحقيق الرّبح الأقصى وأن يحوّل كل منتج وإن كان فنيّا، إلى موضوع لهذا الربح. وعلى خلاف ما يخضع له محيطها المادي من نسق سريع يحدث في شكل طفرات كما يحدث في أنماط الإنتاج أو وسائل الاتصال، يتأثر فكر الحشود بعوامل متفاعلة أحيانا متناقضة أحيانا أخرى منها الموروث الثّقافي وأنماط التّربية والتّعليم وأشكال التّثاقف مع الآخر والبنى الاجتماعية ممثّلة في العائلة والقبيلة والعشيرة.

شكّلت روايات محفوظ التّعبيريّة صيغا أولى من بناء العلامة سمتها الأساسية العمل باستمرار على إبطال نمو الحدث القصصيّ عضويا ومناهضة تشكّله حسّيا حركيّا وعلى كسر انتظام الحكاية على خطّ الزّمن. وهذا ما خلق عالما روائيّا متشذرا ضاعف بناء الجملة من تشظيته وتحلّل روابطه. وكانت أفلام حسام الدين مصطفى المقتبسة منها مؤولات لهذه الروايات تحوّلها السيرورة السّيميائيّة إلى ممثلات عند متقبّلها لا تتحقّق إلا من خلال مؤولات جديدة. فشكّلت صيغة ثانية من بناء هذه العلامة لم تنفك تربط منطقيّا بين مختلف الأحداث وفق بناء عضويوتلأم تصدّعات أزمنتها. وبدل العمل على الغوص في بواطن الشّخصيات لعرض أحلامها وهلوساتها كانت تعمد إلى رصد مغامراتها في العالم الخارجيّ من ملاحقات وعراك وتفجيرات ورقص في الملاهي. فتشكّل عالما ممكنا مغايرا لعوالم الروايات يجعل الاجتماعيّ والأخلاقيّ في واجهة التقبّل ويُحلّه محلّ الفكريّ والفلسفيّ والفنيّ. ونقدّر أن المسافة بين العالمين ناشئة عن كون هذين العالمين لا يتبادلان

القضايا نفسها بصورة متبادلة ولا تبدو فيهما المواقف القضويّة متماثلة[20] ولأنهما يتباعدان من جهة النّظم السيميائيّة والمعطيات التّداوليّة التي تأخذ بعين الاعتبار الاختلافات الأجناسية ووجوه التّفاعل بين الإنشاء والنص والتّقبل. فنجيب محفوظ كان يشكّل ممكنا روائيا أكثر نزعة نحو فكر الحداثة وأكثر انفتاحا على قضايا الفكر المعاصر من رفض للحقيقة الواحدة المطلقة أو اختزال الإنسانية في الصّراع بين الخير والشرّ وأكثر تمثلا لخصائص الإنشاء في هذا العالم المضطرب بما في ذلك تقنيات سينما الحداثة. وكان يدسّ في حبكته المتشظية صورة لقارئه النموذجي : قارئٍ من شريحة تعتبر كدّ الذّهن بقضايا الفكر والحداثة والجمال من أولوياتها.

أمّا حسام الدّين مصطفى فقد أعاد تشكيل العلامة وبثّ من خلال المونتاج رؤيته للعالم ولمنزلة الإنسان فيه. فأحدث في ممكنه نكوصا وارتدادا. وجسّد عالما مرتّبا واضحا يساير خطيّة الوقائع ويكتفي بعرض السّطوح دون النّفاذ إلى البواطن. ويستعيد بنى العالم التّقليدي الذي يؤمن بالحقيقة التّامة. وكان يعمل من خلال إعادة البناء هذه على استدراج أكبر عدد من المتفرّجين ضمن بعد السينما الاستثماري. فيقدّم مُنتجا صالحا للاستهلاك العام مليئا بالمغامرات والاحتكاك الجسديّ بعيدا عن كدّ الرّويّة والفكر. ولعلّ هذا ما يكشف هشاشة فكر الحداثة في مجتمعنا ويثبت أنه سقط في اختبار السّينما منذ زمن قبل أن يسقط في اختبار الديمقراطية اليوم.

لقد مكّنتنا نظرية بنى العوالم الممكنة من إخراج البحث في الاقتباس من دائرة الإيتيقي الذي يقيّم الإبداع السّينمائي وفق ثنائية الأمانة والخيانة فيرصد مدى بعد الأفلام، باعتبارها عَرَضا محرِّفًا، عن الجوهر والأصل القائمين في الأثر الأدبي إلى البحث في بنى العوالم فقارنّا بين عالم ممكن أوّل يتحقّق من خلال الإبداع الروائي وعالم ممكن ثان

20) يحدّد أيكو شروط المقارنة بين العوالم الممكنة فيذكر "أنّ القضية س هي ضرورية حين تكون حقيقية في كل العوالم الممكنة والقول من ثمّ أن عالمين هما ممكنان بصورة متبادلة حين تبدو فيهما القضايا الضروريّة نفسها مشروعة. وليس هذان القولان سوى مصادرة على المطلوب الذي يصدران عنه" (إيكو، 1996، ص 163).

يتجسّد من خلال الكاميرا فوجدنا في أفلام حسام الدين مصطفى عالَم نجيب محفوظ كما تمثّله المخرج وتقبّلناه على أنّه ممكن من ممكنات أخرى كثيرة يجعل الاقتباس حلقة من حلقات سيرورة هذه الرّوايات السّيميائيّة.

مصادر البحث ومراجعه

1- المصادر

1-1- الروايات :

- محفوظ نجيب، السمان والخريف" و"الطريق" و"الشحاذ" : الأعمال الكاملة، المجلد الثالث، مكتبة لبنان ط1، بيروت 1991

1-2- الأفلام :

- مصطفى حسام الدين : الطريق (1964)، السمان والخريف، (1967)، الشحاذ (1973).

2- المراجع

2-1- المراجع العربيّة

- أرسطو : فن الشعر، ترجمة إبراهيم حمادة، مكتبة أنجلو المصرية، 1983.
- إيكو أمبرتو : القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة : أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، 1996.
- شكري غالي : المنتمي، دارسة في أدب نجيب محفوظ، دار المعارف بمصر، 1969.
- عبد الله محمد حسن : الإسلاميّة والروحية في أدب نجيب محفوظ، مكتبة مصر 1978.
- كاوغيل لينداج. : فنرسم الحبكة السينمائية، ترجمة محمد منير الأصبحي، المؤسسة العامة للسينما، دمشق 2013.
- محفوظ نجيب : مجلّة الهلال، العدد 203، مارس 1976.
- هامون فليب : "في الوصفي" تعريب سعاد التريكي، بيت الحكمة، ط1 تونس 2003.

2-2- المراجع الأجنبيّة

- Adam Jean-Michel : Les textes : Types et prototypes ; Récit, Description Argumentation, Explication, Dialogue, 3eme éd Nathan, Paris 1992.
- Amiel Vincent : Esthétique du montage, Paris, Nathan (cinéma), 2001.
- Bergson Henri : Matière et mémoire, essai sur la relation du corps a l'esprit, 60 éd, PUF, Paris
- Clerc Jeanne-Marie : Littérature et cinéma, Nathan, Paris 1993
- Deleuze Gilles : cinéma I : L'image-mouvement, les éditions de minuit, Paris 1982. Cinéma II : L'image-temps, les éditions de Minuit Paris 1983.
- Guérif François : Le film noir américain, éd Denoël Paris 1999.
- Ricœur Paul : Temps et récit 1. L'intrigue et le récit historique, éd du Seuil, Paris 1983 .
- Temps et récit 2. La configuration dans le récit de fiction, éd du Seuil, Paris, 1984.
- Temps et récit 3.Temps raconté éd du Seuil, Paris 1985.
- Silver Alain et James : Ursini, Taschen, Paris 2004.

الفهم والفهم المضادّ في الخطاب :
كتاب البخلاء أنموذجا

المنجي القلفاط
كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات، منّوبة، تونس

تمهيـــد

السّياق والتأويل متلازمان اقتضاء إذ لا إمكان للحديث عن تأويل نصّ أو خطاب ما إلاّ استنادًا إلى السياق على اختلاف مكوّناته لأنه يوجّه عملية الفهم والتأويل.

مدار عملنا هذا هو البحث في دور السياق على اختلاف مكوّناته (الظرف التاريخيّ والجغرافيّ- طبيعة الشخصيّة القصصيّة- قصد القارئ...) في توجيه عمليّة الفهم والتأويل في كتاب"البخلاء للجاحظ" والوقوف على خطورته المتمثّلة في الدّفع بالباحث إلى مراجعة النظر في معنيي البخل والهزل في هذا الكتاب وما يشتمل عليه المُصنّف من مغالطات أهمّها المغالطة القصدية (Wimlsat and Beardsley, 1971, p293) التي سنتوقف عليها والمتمثلة في المفارقة بين ما أعلنه المؤلف في مقدمة الكتاب وما يتوصّل إليه الدارس من نتائج بعد دراسة بعض النصوص من منطلق السياق ذاته، ومن ثمّ يدفعنا كلّ ذلك إلى التساؤل عن مشروعية تصنيف جملة من نصوص كتاب البخلاء ضمن جنس النادرة.وبذلك فإنّنا انطلاقا من مدخل السياق سنروم إعادة تشكيل الفهم وبناء المعنى في الخطاب على نحو طارف مخالف لما هو سائد في الدرس النقديّ.

يثير كتاب البخلاء إشكاليّة التّطابق بين موضوع الأثر الجامع وموضوع كثير من النّوادر التي ضمّنها الجاحظ في كتابه رغم أنّها تشقّ عصا الطاعة لذلك العنوان العامّ

الجامع من حيث أنّها لا تجسّد معنى البخل أوّلا ولا غاية الإضحاك من خلال الهزل ثانيا. والحال أنّ هذين المقصدين قد لوّح بهما الجاحظ منذ العنوان المختار وفي مقدّمة الكتاب في مثل قوله : "ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء، تبيّن حجّة طريفة وتعرّف حيلة لطيفة واستفادة نادرة عجيبة وأنت في ضحك منه إن شئت (البخلاء، ص5)".

كما ورد في المقدّمة في فاتحتها "وقلت : اُذكُرْ لي نوادر البخلاء واحتجاج الأشحّاء وما يجوز من ذلك في باب الهزل." (البخلاء، ص1).

يمكن إذن اعتبار مثل هذه الأقوال بمنزلة ميثاق قراءة، حدّد بمقتضاه الجاحظ أهمّ ما تتوفّر عليه قصص الكتاب ونعني موضوع البخل وطابع الهزل. واختيار البخل مقصود لأنّه يحمل بذور الهزل ما دام كلّ خطاب هازل قائما على قاعدة العدول عن المألوف (اللّغة – السياق...) والبخل هو عدول عن منظومة قيمية عربية يمثل الكرم فيها معنى محوريّا.

لكنّ في كتاب البخلاء من "النوادر" ما يخرج عن هذين المقصدين (لذلك لا يجب الخلط بين قصد النصّ وقصد المؤلّف وقصد المتقبّل حسب إيكو : "حدود التأويل، ص 29") : مقصد الحديث عن البخل ومقصد الهزل لغاية الإضحاك وهذا الخروج محكوم بجملة من المحدّدات هي طبيعة الشخصية المنسوب إليها البخل ووضعُها الاجتماعي. والسّياق التاريخي والحضاري العامّ للنادرة وقصد المتقبّل في التأويل.

1 - الظرف التاريخيّ والجغرافيّ في قصّة الشيخ والماء الأجاج

النصّ :

قال أصحابُنا من المسجديّين :

اجتمع ناسٌ في المسجد، ممن يَنْتَحل الاقتصاد في النفقة، والتثمير للمال، من أصحاب الجمع والمنع. وقد كان هذا المذهب عندهم كالنسب الذي يجمع على التحابّ، وكالحِلف الذي يجمع على التناصر وكانوا إذا التقَوا في حِلَقهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه، التماسًا للفائدة، واستمتاعًا بذكره.

فقال شيخٌ منهم :

ماء بئرنا -كما قد علمتُم- مالحٌ أُجاج، لا يقربه الحمار ولا تُسيغه الإبل وتموتُ عليه النخل، والنهر منا بعيد وفي تكلف العذب علينا مؤونة. فكنّا نمزجُ منه للحمار، فاعتلّ منه وانتقض علينا من أجله، فصرنا بعد ذلك نسقيه العذبَ صِرفًا. وكنت أنا والنعجة كثيرًا ما نغتسل بالعذب مخافة أن يعتري جلودنا منه مثلُ ما اعترى جوفَ الحمار. فكان ذلك الماءُ العذب الصافي يذهب باطلاً. ثمّ انفتح لي فيه بابٌ من الإصلاح، فعمدتُ إلى ذلك المتوضَّأ، فجعلت في ناحية منه حُفرة، وصهرجتها وملستها، حتى صارت كأنّها صخرةٌ منقورة، وصوّبت إليها المسيل فنحنُ الآن إذا اغتسَلنا صار الماء إليها صافيا لم يخالطه شيء. ولولا التعبد لكان جلدُ المتغوّط أحقَّ بالنّتن من جلد الجُنب، فمقادير طيبِ الجلود واحدة، والماءُ على حاله. والحمار أيضًا لا تقزُّز له من ماء الجنابة، وليس علينا حرجٌ في سَقيه منه. وما علمنا أنّ كتابًا حرَّمه ولا سُنَّة نَهَت عنه فربِحنا هذه منذ أيام، وأسقطنا مؤنة عن النفس والمال. قال القوم : هذا بتوفيق الله ومَنِّه.

التعليق :

ترد هذه القصّة ضمن عنوان أشمل هو "قصّة أهل البصرة من المسجديين" والملاحظ أنّ القصص التي لا يكون فيها البخل واضحا كهذه القصّة كثيرا ما نسبها الجاحظ إلى البصرة وهي البيئة التي نشأ فيها ومن ثمّ فهي إطار عربيّ لا فارسي، وفي المقابل نجد أنّ أغلب نوادر البخل الصريح إنّما هي منسوبة إلى الفرس "مرو، خراسان..." ملخصّ القصّة "النادرة" أنّ شيخا كان يشكو شحّ الماء وقلّته (الماء العذب) فأشكل عليه الأمر التالي : كيف يقتصد في الماء العذب دون أن يخلّ بواجب الطّهارة الشرعي ولا يهلك الحمار من فرط العطش ؟ توصّل الشيخ إلى حلّ أوّل هو أن يخصّص الماء العذب للشّرب والطهارة في حين يمزج للحمار العذب بالأجاج، لكنّ هذا الحلّ قد فشل "فكنّا نمزج منه للحمار فاعتلّ منه"(البخلاء، ص29).

الحلّ الثاني "البدل" : ماء الطهارة يصرّف لورد الحمار وبذلك يصيب الشيخ عصفورين بحجر واحد : حلّ يخدم المعاش والمعاد أو الديني والدنيوي، هو حلّ ناجح لأنّه

مقتصد ولا يعارض الشرع مادام الشرع قد حرّم الطهارة بماء تشرب منه الدّابة لأنّه يصبح في خانة النّجس ولكنّ الشّرع ذاته لم يحرّم سقي الدّابة من ماء الطّهارة من الجنابة، ومن ثمّ يصبح هذا الحلّ من باب الاجتهاد. وما ردّ الجماعة إلاّ من باب استحسان هذا العمل لا من باب التعصّب للشيخ "قال القوم، هذا بتوفيق من الله ومنّه"(البخلاء، ص29).

إنّ تنزيل النصّ في سياقه التاريخيّ والجغرافيّ أي في واقعه المادّيّ يجعله بعيدًا عن الهزل وعن البخل : فسلوك الشّيخ إنّما هو يكشف عن عمق أزمة الماء في البيئة العربيّة (إلى اليوم) وهي أزمة مزمنة. لذلك أصبح الماء نفسه هاجسا فنّيا، فالتّمثيل المائيّ في الأدب العربيّ يعبّر في جانب منه عن شوق العربيّ الدائم إليه لندرته (نذكر مثلا ما يمثّل له الكرم من غيث وبحر وندى وغيره...)، ولمّا كانت الحال تلك، فإنّ محنة الشيخ لم تكن محنة بخيل فرد بل كانت محنة حضارة برمّتها حضارة تشكو ندرة الماء، والماء أساس الحياة ونشأة الحضارات منذ القدم (الحضارة الفرعونيّة – مصر القديمة – سبأ – بلاد الرافدين...). لذلك لا بدّ من الاجتهاد للاقتصاد في الماء الشّحيح لأنّ في ذلك ضمانا للبقاء، "بل إنّ خلط العذب بالأجاج في الحلّ الأوّل هو أمر لا يحمل على البخل".

الحلّ الناجح والناجع يجاري أيضا قاعدة من قواعد الحياة الإنسانية تتمثّل في الانتفاع بالأشياء وعدم إهدارها والمثل الشعبي التونسي القائل "الماء ألّي ماشي للسدرة الزيتونة أولى بيه" خير شاهد على ذلك. إذن مع غياب البخل والهزل ينفتح النصّ على قضيّة شائكة تتمثّل في الاجتهاد في الفقه (علاوة على قضية الماء) والاجتهاد عمل عقل لا عمل نقل، والجاحظ بانتمائه الاعتزالي يعلي من شأن الاجتهاد والعقل بل إنّ في النصّ طرحًا لإشكاليّة مربكة للفكر وللمنطق نتبيّنها في قول الشّيخ "لولا التعبّد لكان جلدُ المتغوّط أحقّ بالنّتْنِ من جلد الجُنُبِ".

وآية ذلك أنّ القول يلمّح إلى ضرب من الحيرة إزاء بعض الأحكام الشّرعيّة التي تبدو للذّهن البشري غير منطقيّة، فالمعروف في فقه المقاصد أنّ التّحريم مثلا يتعلّق عموما بكلّ مفسدة للفرد أو الجماعة (تحريم الخمر مثلا لأنّها تذهب العقل والميسر لأنه متلف المال والزّنا لأنّه يحطّم نسيج الأسرة والمجتمع...) إذن هناك إيمان بوجود منطق يحكم تعاليم

الدّين، لكن في حكم الجنابة والتغوّط لا يلوح هذا المنطق جليّا للإنسان ما دام جلد المتغوّط يكون أنتن من جلد الجنب ومع ذلك لا تفرض عليه الطّهارة الكبرى على خلاف الجُنب.

ويبدو أنّ عصر الجاحظ ومجتمعه لم يكونا مهيّأين لمناقشة مثل هذه القضايا المربكة التي ورد فيها نصّ صريح يقطع موجب الاجتهاد، ولذلك أوردها الجاحظ على لسان الشّيخ رغم أنّها مثّلت بالنسبة إليه - فيما نرى - قضيّة حارقة، وبذلك ألقى تبعه مثل هذه الملاحظة على الشّخصيّة القصصيّة التي تحاشت بدورها تقليب المسألة واكتفت بالإشارة إليها مقرّة أنّ التعبّد أي الأمر الإلهي هو وحده المبرّر لمثل هذا الحكم وذلك ما أحال عليه التّركيب الافتراضي الشرطي "لو لا ... لكان". إذن على الإنسان أن يسلّم بوجود منطق آخر لا يفهمه العقل البشريّ هو منطق الحكمة الإلهيّة وجانب منه يبقى في حكم الغيب.

إنّ الحلّ هو حصيلة اجتهاد فقهي لاستنباط حكم فيما لم يرد فيه نصّ صريح، وبذلك فإنّ سياق النصّ العامّ يشي بأنّ ما بدا في الظّاهر بخلا وسلوكا مثيرا للسخريّة والهزل هو في الحقيقة على خلاف ذلك.

2 - طبيعة الشخصيّة ووضعها الاجتماعيّ والمادّيّ

2-1- قصّة مريم الصّناع : بخل وإمتاع أم تدبير وإقناع ؟

موجز القصّة أنّ هذه الزوجة كانت تدّخر من كلّ وجبة قطعة عجين. وكانت مريم هذه فقيرة. ولّما أزف زواج ابنتها وشّتها بالحليّ وأجمل الثياب ممّا أثار استغراب الزوج.

هذه القصّة تكشف قدرة الجاحظ العجيبة على اقتباس النصّ الديني وتحديدا القصص القرآني لا من منطلق التّضمين بل من خلال ضرب من المحاكاة، والاستهواء والتبنّي. (حمّادي صمّود وعبد القادر المهيري، معجم تحليل الخطاب)كما تكشف أنّ الجاحظ لا يكتفي

بنقل القصص بعد الانتقاء بل إنّه يصنع بعضها صناعة فنّيّة قد تكون قائمة على تخييل مدوّنة ما (القاضي، الرواية والتاريخ).

ففي قصّة "مريم الصناع لبوس لقصّة مريم في القرآن، وأوّل مدخل إلى ذلك هو الاسم، ومعلوم أنّ مريم الصناع لم يُوجد لها ذكر في كتب التراجم ولا عرّف بها الجاحظ ممّا يجعلنا نذهب إلى أنّها كائن "ورقي" من نسج خيال الجاحظ. علاوة على ذلك، نجد أنّ هذه الشخصيّة متفرّدة في سلوكها تماما مثلما هو حال مريم العذراء المعتزلة قومها المعتكفة، مريم الجاحظيّة جاءت بمال وفير حلّت بها ابنتها العروس على فقرها : "فحلّتها الذّهب والفضّة وكستها المرويّ والوشْي والقزّ والخزّ وعلّقت المعصفر."(البخلاء، ص29)

ونجد في قصّة مريم العذراء نظيرا لحال مريم الجاحظيّة في وفرة المال على رقّة الحال "فتقبّلها ربُّها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نَباتًا حسنا وكفّلها زكريّا كلّما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لكِ هذا قالت هو من عند الله يرزق من يشاءُ بغير حساب."(آل عمران، 37).

إنّ المفارقة بين وفرة المال وقلّة الحال التي نجدها في قصّة مريم في القرآن والتي أثارت دهشة زكريّا فراح يستفسرها عن السرّ في ذلك، نجدها كذلك في قصّة مريم الصناع، فهذا زوجها يسائلها "أنّى لك هذا يا مريم ؟ قالت هو من عند الله". على أنّ زوج مريم الجاحظيّة لم يقنعه الجواب الذي نطقت به مريم العذراء مجيبة زكريّا لاختلاف المقام والسّياق لذلك تراه يقول : "دعي عنك الجملة وهاتي التّفسير."(البخلاء، ص30).

ولعلّ فكر الجاحظ الاعتزالي المؤمن بدور العقل في تسيير حياة الإنسان هو الذي دفع الزّوج إلى طرح مثل هذا السّؤال الذي يختفي وراءه المؤلّف، فالعقل يقرّ بمبدإ السّببيّة أو العلية وهو منطق يحكم نظام الوجود، لذلك كان السّؤال ضربا من الإنكار لحصول الإنسان على الرّزق دون مصدر واضح (إرث-كنز-عمل...).ويسترسل الجاحظ في استثماره النصّ القرآني وتخييله وتحديدا قصّة مريم العذراء، لكنّه في هذه المرّة ينتقل من سياق الحديث عن مال مريم العذراء في المحراب (سورة آل عمران) إلى سياق الحديث عن ولادتها عيسى عليه السّلام (سورة مريم)، وآية ذلك أنّ زوج الصناع كان غافلا عن صنيع

الزّوجة وذلك ما نجد له أصلا في قصّة مريم العذراء حين اعتزلت أهلها "وآذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيّا فاتّخذت من دونهم حجابا"(مريم، 16- 17).

وتتجاوز محاورة النص القرآني هذا الحدّ لتشمل تتريه الزّوجة /المرأة عن الخيانة والفجور، فقد جاء في سورة مريم "فأتت بها قومها تحمله قالوا يا مريَمُ لقد جئت شيئًا فريّا، يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمّك بغيّا"(مريم، 28).

ونجد صدى لهذا الموقف في قول زوج مريم الجاحظيّة "والله ما كنت ذا مال قديما ولا ورثته حديثا وما أنت بخائنة في نفسك ولا في مال بعلك إلاّ أن تكوني قد وقعت على كتر"(البخلاء، ص30).

والواضح أنّ موضوع "البخل" المقترن بالطّعام والمال هو الذي جعل الجاحظ يتصرّف في النصّ المقتبس : من حديث عن الولد إلى حديث عن المال، والحقّ أنّ الأمرين لا يختلفان من حيث المترلة، فالقرآن قد أقرّ أنّ المال والأبناء مصدران أساسيان للسّعادة الدّنيويّة "المال والبنون زينة الحياة الدّنيا" (الكهف) كما أنّ المال يثمّر فـ"يلد" كما تلد المرأة.

إلى هذا الحدّ يمكن للقارئ العجول أن يعدّ عمل الجاحظ هو من باب المحاكاة الساخرة (Parodie) للقصّة القرآنيّة ما دامت قصّة مريم قد حوّلت الموضوع من المقدّس إلى "المدنّس" أو من عالم الدّين إلى عالم البخل أو تثمير المال، لكنّ الأمور على خلاف ذلك، فليس في القصّة من ملامح الفكاهة والسخريّة والبخل شيء واضح قاطع كما سنرى.

غيّر الجاحظ "الطّعام" الوارد في قصّة مريم العذراء في سورة آل عمران بالحلي من ذهب وفضّة ولباس وهو تصرّف آخر ينضاف إلى تغيير الولد بالذّهب، ولعلّ في ذلك مقصدا يتمثّل في الإيحاء بقدرة المرأة على تثمير الطّعام لكسب الذّهب.

إنّ سلوك مريم الصناع في تثمير القليل من الطّعام (عجينة الخبز) على امتداد سنوات يعكس تصوّر الجاحظ للمرأة في قدرتها على التّفكير وحسن التّدبير والتفوّق على

الرّجال أنفسهم على خلاف التفسير الظّاهري للحديث النبوي الذي نعت النّساء بأنّهنّ "ناقصات عقل ودين".

ولعلّ استثمار القصّة الدّينيّة في إطار تخييل المقدّس مقصود لغاية "تقديس" سلوك مريم الصناع وكسب تأييد المتقبّل عموما، وفي سلوك الجماعة في خاتمة القصّة ما يدعم تحقّق وظيفة عطف القلوب والعقول على الشّخصيّة وسلوكها، فقد نهض الحاضرون في المجلس ومشوا في جنازتها.

إنّ مريم الصناع (والصناع في اللغة لفظة تعني الماهرة، هي ماهرة حاذقة بالفكر) ليست – كما يظنّ القارئ المتسرّع المنساق إلى عنوان الكتاب وإشارات الجاحظ في مقدّمته– بخيلة مدعاة إلى السخريّة وإنّما هي تفوّقت بفضل تدبيرها على الأغنياء أنفسهم، فقد حلّت ابنتها ما لم يره أحد "وعظّمت أمرها في عين الختن ورفعت من قدرها عند الأحماء"(البخلاء، ص30). ألم يجعل الشرع خير الجهاد والبرّ في إكرام الأهل وعدّ ذلك أوّل ما يجب أن يجود به المرء ؟ ألم تكن مريم الصناع أنموذجا للمرأة المجاهدة لإسعاد ابنتها والحال أنّها قليلة المال رقيقة الحال ؟ ألم يكن وضعها هذا هو الذي دفعها إلى مثل هذا التّدبير الذي يبدو للمتعجّل أمارة بخل وسخف ؟ فلو أتى غنيّ مثر مثل هذا الصّنع في ادّخار بعض من عجين لكان حقيقا بأن يوصف بالبخل.

إنّ في سلوك مريم هذا أيضا بعدا أموميّا، إنّها أنموذج للأمّ التي تضع نصب عينيها إسعاد أبنائها وزوجها إنّها ادّخرت لسنوات قليلا من الخبز لتبيعه ولكنّها لم تكن تبحث عن منفعة شخصيّة و لم تكن تجمع لتمنع بل كانت تجمع لتمنح.

بعد هذا كلّه لم يعد في نظرنا – وجود لبخل ولا لهزل كما زعم العنوان ومقدّمة الكتاب، وفي تعزية الجماعة للزّوج ومشاركة حزنه (علاوة على سيرهم سابقا في الجنازة) ما يدلّ على تعاطف المتقبّل مع الشخصيّة لا من باب نصرة الحليف المثيل بل من باب استحسان السّلوك الأصيل. ألم يرد في أمثال العرب وفي الأحاديث النبويّة ما يدعو إلى استثمار القليل للظفر بالكثير. "وهل بيوت الأموال إلاّ درهم إلى درهم؟"(البخلاء، ص31) وقال الرّسول "من الذود إلى الذود إبل". أمّا الاقتصاد في عجينة الطّعام فهو إلى ذلك

يجاري طبع العرب والمسلمين. فممّا ينسب إلى الرّسول (ويعبّر عن موقف العربي من الطّعام) قوله "نحن قوم لا نأكل حتّى نشبع" ومن ثمّة فسلوك مريم هو سلوك حكيم لا سلوك لئيم بخيل.

2-2- نصّ معاذة العنبريّة تقتير أم تدبير واجتهاد

موجز القصّة استثمار معاذة لجميع أعضاء الذبيحة من لحم وعظم وشحم وأمعاء وقرن...واحتالت هذه المرأة لاستغلال الدم بعد أن احتارت في ذلك.

في تقديم هذه الشخصيّة، نجد أنّها من فقراء القوم بل إنّها لتعجز عن شراء أضحية، وموضوع هذه القصّة تصرّف معاذة في ذبيحة تصدّق بها أحد الأقارب. "قالت : أنا امرأة وليس لي قيّمٌ ولا عهد لي بتدبير الأضاحي."(البخلاء، ص 33).

إنّ وضع الشخصيّة الماديّ المتّسم بالخصاصة يبطل فيما ترى تهمة البخل أو على الأقلّ يجعلنا نتحفّظ عليها حتّى نتدبّر سائر النصّ. ذاك أنّ القيم ليست مطلقة جاهزة أو قوالب لا تقبل النسبيّة بل هي خاضعة للمقام ولمنطق التّنسيب. كما أنّ معاذة قد انطلقت في تعاملها مع الأضحية من قاعدة دينيّة تتصّل بالفعل الإلهي، فالله لم يخلق شيئا عبثا سُدى بل إنّ كلّ موجود بل وكلّ جزء من موجود قد قدّر حقّ قدره وأوجد لشغل وظيفة ما. وذلك مظهر من مظاهر حكمة الخالق، ومن ثمّ فعلى الإنسان أن يحسن التّفكير ليتوصّل إلى معرفة وظائف الأشياء، وقد دعا القرآن بني آدم إلى التبصّر في خلق الله في آيات كثيرة لإدراك حكمته بل إنّ الخالق فضّل العلماء لأنّهم أكثر الخلق إدراكا لتلك الحكمة بفضل اكتشافاتهم وتفكيرهم "إنّما يخشى الله من عباده العلماء" لذلك نرى معاذة تقول "وقد علمتُ أنّ الله لم يخلق فيها (الأضحية) ولا في غيرها شيئا لا منفعة فيه". وبذلك يصبح سعي معاذة العنبريّة من باب التّفكير في خلق الله والاجتهاد للتوصّل إلى معرفة الحكمة في ذلك الخلق "فرأيتُها حزينة مفكّرة مطرقة".

نتحوّل إذن من تأويل القول على أنّه أمارة مبالغة في البخل على النّحو الذي نجده في بعض النّوادر كنادرة قميص أبي سعيد ونادرة أبي الهذيل إلى تأويله على أنّه من باب التّفكير العلميّ الشرعيّ وضرب من ضروب الاجتهاد، وهو اجتهاد مشروع مادامت

الحلول كلّها لا تعارض النصّ الصّريح، ومن ثمّ فلا وجود لسلوك هزليّ ولمقصد الإضحاك فيما نرى : العظام تدقّ وتطبخ وينتفع بسائلها في الإنارة، القرنان بمنزلة المعلق، المصران لأوتار المندفة، الجلد جراب والصوف له وجوه معروفة والبعر للحطب، ولئن أشار القرآن في سورة الأنعام خاصّة إلى الوجوه المعروفة للانتفاع بهذه الحيوانات (اللّحم، الصوف، المطيّة، اللبن)، فإنّ ذلك لا يمنع الإنسان من الاجتهاد لمزيد استنباط منافع أخرى من الأنعام لأنّ مثل هذا الاجتهاد يخدم غايتين : غاية إنسانية دنيوية هي تلك المغانم التي يجنيها الإنسان من تلك الفوائد المكتشفة، وغاية شرعيّة إذ تقوّي تلك النتائج المتوصّل إليها الإيمان بحكمة الله وقدرته ويكون المرء قد استجاب لدعوة الشّرع إلى التبصّر في الخلق. واجتهاد معاذة، كما رأينا في قصّة الشيخ والماء، لا يتعارض مع النص الصّريح (القرآن) وذلك شرط أساسي لشرعيّة الاجتهاد، فلئن حرّم القرآن صراحة شرب الدم أو كله "حرّم عليكم الميتة والدّم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله" فإنّ الانتفاع بالدم لوجوه أخرى غير ماهو محرّم يظلّ في حيّز الإباحة لذلك اجتهدت معاذة في البحث عن بعض هذه الوجوه بناء على قاعدة تقرّ بأنّ كلّ ما لم يقع التّنصيص عليه في النص الصريح أي لم يرد حكمه بالإباحة أو بالتحريم فهو يدخل في حيّز المباح ما لم يتعارض مع مقاصد الشرع و لم تنطبق عليه قاعدة القياس... وبذلك تتحوّل معاذة إلى أنموذج العالم الفقيه المجتهد. وقد توصّلت إلى وجه من وجوه الاستفادة من الدم يتمثّل في اتخاذه دباغا للقدور "وقد زعموا أنّه ليس شيء أدبغ ولا أزيد في قوّتها من التلطيخ بالدم الحار الدسم"(البخلاء، ص 34) وبذلك ينأى هذا النص عن مقصد التندّر بسلوك البخلاء المعلن من طرف الجاحظ.

3 – قصد المتقبّل : "نادرة" شعرة معاوية" أنموذجا

موجز القصّة أنّ معاوية استدعى ضيفا فأحضر له الطعام، ولّما أخذ الرجل لقمة استوقفه معاوية ونبّهه إلى وجود شعرة في تلك اللقمة فغضب الضيف وعدّ ذلك أمارة حسد وبخل.

تطرح هذه النادرة، نادرة معاوية بن أبي سفيان مع أحد ضيوفه من المغمورين إشكاليّة التّأويل وتعدّد القراءات في ضوء مقصد المتقبّل. خلاصة القصّة أنّ معاوية

استضاف رجلا فآكله، وبينما هما جالسان للطّعام أبصر شعرة في لقمة الضيف، فنبهه إليها، لكنّ الرّجل عدّ ذلك أمارة حسد وفرطا في رصد دقائق أمور ضيفه "إنّك لتراعيني مراعاة من يبصر معها الشّعرة" (البخلاء، ص 70)، وأقسم أن يشهّر بمعاوية ليكون أضحوكة الزّمان "ولأحكينّها عنك ما بقيت". في هذه القصّة يحصل ضرب من الالتباس في تأويل الحادثة فتكون "النّادرة" منفتحة قابلة لتعدّد التأويلات على حدّ تعبير " أمبرتو إيكو". بل إنّ هذا التعدّد يصل إلى حدّ التضارب بين المعنى وضديده : هل إنّ ما قاله معاوية من باب الحرص على سلامة الضيف مادام في عهدته أم هو من باب البخل والحسد كما زعم الضيف نفسه ؟

اختار الرّاوي الأصلي أن يكون في صفّ معاوية، ربّما لشهرته وسمعته وقد سبق أن قدّمه قائلا : "هو في السّطح من قريش، وفي نبل الهمّة وأصالة الرأي وفي تمام النفس عند الجولة". ويظهر هذا الانتصار في الإقرار صراحة بما يلي : "ولا وجه لهذا القول منه إلاّ محض النّصيحة وإلاّ الشفقة".

أمّا الجاحظ فقد اتّخذ موقع الحياد فألقى الحبل على الغارب ورمى بالكرة صوب المتقبّل تاركا له حريّة التأويل : أيكون في صفّ معاوية أم في صفّ الضيف؟ فالسّلوك محيّر والبخل غير جليّ فيكون المعنى على "الحافّة" أو بين بيْن "فلم يَدْرِ النّاس أيَّ أمري معاوية كان أحسن وأجمل تغافله عنه أم شفقته عليه".هذا القول إذن يقدّم ممكنين من ممكنات السّرد، الممكن الأوّل هو أن يصمت معاوية على الشعرة وما يمكن أن يترتّب على ذلك من خطورة على سلامة الضيف ولكن يحفظ معاوية من الاتّهام بالبخل. والممكن الثاني هو ما حصل في النّادرة : تنبيه الضيف والرمي بالبخل.

خاتمـــة

إنّ النّصوص التي رأينا لا تقوم على الجمع التلازمي بين الهزل والجدّ "لخدمة وظيفة الأدب في الاستجابة لطبيعة النفس الإنسانية" بل إنّ الحديث عن حضور الهزل والبخل في النصوص التي رأينا هو حكم متسرّع لا يقف بمقتضاه الباحث على حيثيّات النص، ومن ثمّ يمكن الإقرار بأنّ التأويل الأدبي محكوم بمقتضيات السياق وبثقافة المتلقّي بل إنّ مثل هذا

الإقرار يدفعنا إلى إخراج مثل هذه النّصوص من جنس النادرة التي تقتضي توفّر عنصر الهزل، ويبدو أنّ الجاحظ أورد مثل هذه النّصوص على علمه أنّ البخل فيها والهزل أمران ضبابيان لعدّة عوامل :

1 – الجاحظ ينقل لنا جملة من القصص التي تعبّر عن موقف شقّ من المجتمع يرى في هذه الأنماط من السلوك عنوان بخل وقد يكون من روّج مثل هذه القصص من أصحاب المال وأهل المدينة، ومن ثمّ فهو حكم لا يعكس موقف الجاحظ بالضرورة.

2 – التّكوين الموسوعيّ للجاحظ جعل المادّة أحيانا تتداعى متونها حتّى لكأنّها "هاجس فنيّ" يعسر معه التحكّم في موضوع محدّد واحد هو البخل، فلا غرابة والحال تلك أن ننصت في كتاب البخلاء إلى علم الكلام والسفسطة والفقه وغيرها ممّا قد يخرج عن باب الهزل والبخل. والجاحظ في كتاب "الحيوان" كان موسوعيّا وكذلك في البيان والتبيين والحيوان.

3 – إنّ مثل هذه النوادر التي لا يكون البخل فيها جليّا أصحابها عادة من العرب "أهل البصرة" "بغداد"، ونعلم أنّ الجاحظ ميّال إلى جمع نوادر البخل المثيرة للضحك وينسبها في الغالب إلى غير العرب ولاسيما الفرس ولا أدل على ذلك من استهلاله إيراد النوادر بعد رسالة "سهل بن هارون" بقصص أهل مرو وبرّر ذلك بقوله "لإكثار أهل مرو...".فكأنّ الجاحظ يحاول أن يبعد العرب ما أمكن عن البخل ومن موضع السخرية، (نذكر كذلك نادرة شعره معاوية) لإيمانه بأنّ البخل صفة دخيلة على المجتمع العربي انتشرت فيه عندما انفتح على الحضارات المجاورة، ولتجنّب التعرّض إلى تهمة الشعوبيّة، أورد الجاحظ مثل هذه القصص المنسوبة إلى شخصيّات عربيّة ولكنّه "لطّف" معنى البخل وجعله ضبابيّا.

إنّ البخل ليس قيمة اقتصاديّة كما يزعم البعض بل هو قيمة اجتماعيّة وعليه، فهو لا يرتبط بتحوّل المجتمع العربي من البداوة (كرم الأرض) إلى التمدّن (ازدهار التجارة وتثمين المال). والدليل على ذلك وجود البخل منذ القدم في الجاهليّة على سبيل المثال. وكتابة الجاحظ في هذا الموضوع لا تفسّر باستحالته ظاهرة بارزة بل إنّ هذا الأديب قد

استثمر في رأينا البخل فنّيّا لا كمّيّا. وبناء على هذا لم تكن غاية الجاحظ من اختيار هذا الموضوع نقد هذه الظاهرة وغيرها كما زعم كثير من الدارسين، فليس هذا همّ الجاحظ الرئيس لأنّ مثل هذه الظواهر ملازمة للمجتمع والقول إنّ الجاحظ يعالج مثل هذه القضايا استنقاص من شأن هذا المفكّر الكبير.

الجاحظ اختار البخل لأنّه قناع فيه هزل والهزل خروج أو عدول عن المألوف(قيم- لغة...)، لكنّ هذا القناع ليس لغاية إثارة قضايا اجتماعيّة وأخلاقيّة بل لغاية التطرّق إلى قضايا حارقة فقهيّة دينيّة وفلسفيّة وأدبيّة.إنّ أدب الجاحظ هو صدى لثقافة العصر الموسوعيّة، ألم يقل الجاحظ"إنّ اختيار المرء جزء من عقله ؟" وعليه، فإنّنا نتساءل عن جدوى المقاربة الاجتماعيّة للنادرة عموما ولموضوع البخل خصوصا (الجويلي، سوسيولوجيا البخل عند الجاحظ).

إنّ التصنيف الذي توسّع فيه كيليطو حين تحدّث عن النادرة الحارّة والنادرة الباردة والنادرة المعتمة والنادرة الشفّافة.. (الكتابة والتناسخ، ص 54) وضبط قواعد النادرة الذي انشغل به العادل خضر (صناعة النادرة، 1994) يعدّان في نظرنا من باب الإجراء الذي يقفز على أولويّة من أولويّات البحث ألا وهي تمييز النادرة من غير النادرة في كتاب البخلاء.

مصادر البحث ومراجعه

1 - المصدر

كتاب البخلاء تحقيق طه الحاجري، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1997

2 - المراجع

2-1 - العربيّة والمعرّبة

- إيكو (أمبرتو) : التأويل بين السميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط 2، الدار البيضاء، 2004.
- ريكور(بول)، نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، ط 2، المركز الثقافي العربي، بيروت 2006.
- صولة (عبد الله) : - في نظرية الحجاج، ط 1، مسكيلياني، تونس 2011.
- دلالة الالتزام، ضمن أعمال ندوة المعنى وتشكله، الجزء الأوّل، منشورات كلية الآداب منوبة 2003
- العادل خضر : مقال"صناعة النادرة، ندوة مشكل الجنس في الأدب العربي القديم، منشورات كلّيّة الآداب منّوبة تونس 1994

- عبد الفتّاح كيليطو : الكتابة والتناسخ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، ط2، دار توبقال، الدار البيضاء، 2008، ص 54 وما بعدها

- فاخوري (عادل) : منطق العرب، ط 2، دار الطليعة، بيروت 1981.

- القرآن الكريم، مصحف المدينة برواية حفص عن عاصم الكوفي،

- محمّد القاضي : الرواية والتاريخ، منشورات كلّيّة الآداب والفنون والإنسانيّات منّوبة 2009

- معجم تحليل الخطاب، ترجمة حمّادي صمّود وعبد القادر المهيري، المركز الوطني للترجمة، تونس 2010

2-2 - المراجع الأجنبيّة

- Critical théory Since Plato, éd. Hazard Adams, New York, 1971

- Derrida (J.) : L'écriture et la différence, Paris, éd. du Seuil, 1967.

- Dictionnaire d'analyse du discours, Paris, éd. du Seuil, 2002.

- Ducrot (O) : Le Dire et le Dit, Paris, éd. De Minuit, 1984.

-Eco (U.) Les limites de l'interprétation ,traduit de l'italien par Myriem Bouzaher ,Paris,éd. Grasset et Fasquelle , 1992.

- Ricoeur (P.) : Les conflits des interprétations ,Paris,éd.du Seuil,1969

- Yauss(H.R) - : Pour une esthetique de la réception,Paris ,Gallimard, 1979

- Pour une hermeneutique littéraire, Paris traduction de Jacob,P.U.F., 1982.

فهرس المحتوى

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية
Imprimerie Officielle de la République Tunisienne
منذ 1860 depuis